IJA # 139

جواسيس من تل ابيب

Jawāsīs min Til Abīb

Borovička

Czechoslovakia, 1982

صدر هذا الكتاب باللغة التشيكية عام ١٩٨٢ ، في تشيكوسلوفاكيا لمؤلفه بوروفيتشكا فأثار ضجة كبرى على المستوى العالمي بسبب المعلومات والتفصيلات الجديدة التي احتواها . فعلى الرغم من ان الاحداث التي تناولها قديمة إلا انه مازالت تتكشف حتى اليوم تفاصيل جديدة تلقي الضوء على الحدث ، وتدفع المهتمين لاعادة تقييمه ، وهذا مافعله الكاتب التشيكي بوروفيتشكا الذي استطاع ان يفند الكثير من المزاعم الصهيونية حول تلك ، العمليات التي قامت بها الموساد وان يكشف الطابع العدواني للدولة الصهيونية واجهزتها الاستخبارية ، وازدرائها للقوانين الدولية والقيم الانسانية وللرأي العالمي ، وبذلك فان الكتاب ربما يكون الاول من نوعه من حيث تعريته للموساد وفضحه لطبيعة هذا الجهاز وهو مايجعله مختلفا عن كتب اخرى كثيرة جاءت لتمجد الموساد ولتحول جرائم الصهاينة الى بطولات خارقة .

هذا الكتاب وان جاء سردا قصصيا لاحداث كثيرة فهو تحليل علمي ومنطقي ايضا ، يربط الاحداث بعضها ببعض بأسلوب قصصي وصحفي متميز فيلقي الضوء على الاساليب التي تتبعها الموساد في شراء العملاء والمعلومات .

وعلى اسلوب التخطيط والتنفيذ الذي تقوم به في اماكن مختلفة من العالم ، وقد أسهب الكاتب في شرح التركيبة التنظيمية لجهاز المخابرات السرية الاسرائيلية ، مما القى الضوء على تأريخ التجسس الاسرائيلي منذ نشوء فكرة التجسس والجواسيس بوسائلهم البدائية ، مبتدئا بأحداث حصلت منذ اكثر من ثلاثة آلاف سنة

عميل في مكتب بن غوريـــون !

الموساد تشتري اسماء وسير بعض الافراد وتصنع من عملائها شخصيات بديلة

كانا يجلسان في حديقة فندق كونكستادور شيراتون في مدينة غواتيمالا .. كان المسبح مضاء امامهما ، وعلى كل طاولة اضاءة خافتة ، ومن الداخل ، من خلف الجدران المضاءة ، كان يصل صوت الموسيقى الصاخبة ..

قال الرجل ذو الشاربين : لا لن ارحل من هنا .. ماذا سأفعل في اوربا ؟ ومن اين ساحصل على ثمن تذكرة الطائرة ؟ أجاب الرجل الانيق الذي تناسب حركاته اجواء الفنادق الفخمة : اعرف انك بحاجة للنقود ، لذلك بحثت عنك .. أتريد اسمي ؟ هذه بالتأكيد صفقة مشبوهة . اذ ماذا ستفعل بأسمي ؟ هذا لايهم . لنعقد اتفاقا ، ستحصل على مبلغ جيد ، وما عليك إلا ان تكتب لنا عن سيرتك الذاتية بالتفصيل . ان شبيهك سيعمل في جزء آخر من العالم . حسنا ، ولكن الن يشكل ذلك خطرا علي ؟

سيد دوراند ، لدينا معلوماتنا ، نحن نعلم تاريخ حياتك ، ونعرف لماذا تركت بروكسل . لنتحدث بصراحة . هذه الصفقة ستكون مناسبة لك ، ستحصل على النقود ، ام انك خائف ؟

وهكذا اشترى عميل المخابرات السرية الاسرائيلية انسانا . دفع جيدا ، لكن هذه الروح التي حملها في حقيبته من حديقة الفندق كانت مادة خاما وتحتاج الى

عمل متخصص ومرهق لكي ينتج منها حياة جديدة ، يمكن الاستفادة منها .

كل المعلومات عن الرجل ، وكذلك صورته ستحمل الى قسم خاص يدعى «قسم الشخصيات البديلة» حيث يقوم الفنيون والخبراء بتحليلها ووضعها في ذاكرة الكمبيوتر وبعد فترة وجيزة يحصل معتمد الموساد في بروكسل على امر بالتحقق من هذه المعلومات .

ظهر رجل امام بوابة احدى العمارات في شارع شاليروا ، كان مظهره رصينا وجديا ، سأل عن السيد دوراند . وقال انه عمه ، وقد جاء من القرية . اخبره البواب ان ابن اخيه رحل الى اميركا اللاتينية ، واضاف :

لقد انهى التوجيهية في المدرسة الثانوية هنا ، واحتفلوا به ، حتى كادت البناية ان تنهار .

وماذا عن اصدقائه ؟

هناك صديقان له يسكنان عند زاوية الشارع وهما : اوغست ميريل وشتاينيتر الابن .

- اتعتقد انهما في بيتهما ؟

لا ، شتاينيتر يعمل في باريس ، وميريل موجود في المستشفى لانه مصاب بالتهاب الكبد .

تم التثبت من المعلومات الاساسية ، ويمكن الان بناء شخصية جديدة بتاريخ قديم ، لان السيد دوراند الجديد سيعمل في مدينة بيروت ، ويقوم بدور رجل اعمال ثري ، وصاحب علاقات دولية واسعة ، وسيظهر فيما بعد في حي الفيلات الراقي ، حيث سيشتري فيلا هناك ، وسيقول للناس بأنه فرنسي ، عاش فترة طويلة بعيدا عن فرنسا ، وسيكون دائرة من الاصدقاء والمعارف ، ثم يأتي يوم يرحل فيه من ذلك المكان . بعد ذلك ، يمكن لكل واحد في الشارع ان يؤكد انه عاش في هذا الشارع .

في بيروت ، سيأخذ احد الادوار ، التي يرسمها له الموساد . ومن الممكن ان تمر شهور طويلة دون ان يفعل شيئا ، بانتظار ان ترسله الموساد الى مسرح الاحداث ،

حيث سيلعب دوره ثم يختفي ليعاود الظهور مرة اخرى في جزء آخر من العالم .

يوجد في المقر الرئيسي للموساد في هاكيريا قسم كبير يعمل على تزوير الوثائق والشخصيات ، تتبعه دائرتان . (الدائرة الاولى تخلق شخصيات جديدة ، مع سيرة ذاتية مختلفة ، لكي يتجنب اشتباه الشرطة او المخابرات المعادية ، لبضعة ايام على الاقل . وخلق عميل لبضعة ايام ليس بالعمل الصعب ، اذ يجد الاخصائيون له اسما ويصدر له القسم الفني جواز سفر ورخصة سواقة .. كما انه يحفظ اسماء اهله وعنوانه وتاريخ ميلاده .. والاسباب الموجبة لوجوده في المدينة او القطر . بالاضافة الى اسباب السفر البريئة وسيرته الذاتية التي تعلمها ، في حالة القبض عليه ، وسيقوم زملاؤه في محوكل اثر له وفي الوقت المناسب يعترف للمحقق بأنه عضو في المخابرات السرية الاسرائيلية وان اسمه الحقيقي هو صموئيل كوهين) .

اما الدائرة الثانية ، فتعمل في مجال شخصيات الظل ، او الشخصيات البديلة والتي تستمر فترة اطول في العمل ، ويصبح السيناريو والسيرة الذاتية جزءا من العميل السري ، بحسب النسخة الاصلية ، من الممكن ان تكون هذه النسخة الاصلية ، شخصية باعت نفسها بمبلغ مغر ، مقابل انتحال اسمها وماضيها ، او من الممكن ان تكون سرقة لحياة شخص ليس لديه ادنى فكرة عن هذا الموضوع .

ان عميل الموساد في الارجنتين يقوم باختيار انسان يعرفه جيدا ، وحسب المعطيات العامة والمعلومات الدقيقة عن السيرة الذاتية لهذه الشخصية تخلق له شخصية بديلة ، تظهر فجاة في اسكندنافيا .. وهذا ماحصل فعلا في جريمة القتل التي ارتكبها الموساد في بلدة ليليهمر النرويجية ، حيث ان باتريسيا روكسبورغ ، التي تعيش في كندا ، لم تكن تتخيل ابدا ان الموساد قد خلقت شخصية بديلة لها ، بنفس الاسم وأصبحت شريكة كاملة في الجريمة .

تضم المخابرات الاسرائيلية ، في كثير من دول العالم متطوعون يقدمون المعلومات وعملاء موثوقين ومأجورين يشترون بالمال .

من رجال الشرطة ذوي الرواتب المتدنية ، في بون وباريس ونيويورك ، يمكن الحصول على معلومات شخصية عن اناس خرجوا ذات يوم من بيوتهم ولم يعودوا

اليها ، ولم يسفر البحث عنهم عن شيء .

ونذكر هنا ان رئيس فرقة القتل في بلدة ليليهمر النرويجية والمدعو ميكي ، قد ظهر عدة سنوات تحت اسم ادوارد ساتنيسلاس لاسكبير ، في حي سان جرمان الباريسي .

تتميز المخابرات السرية الاسرائيلية الموساد ، وبخلاف اجهزة المخابرات العالمية ، بانها تملك رصيدا غنيا لخلق الشخصيات البديلة . اذ انها تستطيع ان تنتحل شخصية احد المهاجرين الى اسرائيل ، وتقوم الدوائر المعنية بأخذ الاوراق الثبوتية الحقيقية الخاصة به ، وتعطيه بدلا منها .

وبواسطة الاوراق الحقيقية والمعلومات الشخصية يظهر البديل في مونتريال مثلا . اما صاحب الشخصية الاصلية فيبقى يعمل في احدى المستوطنات ، تحت ملاحظة اجهزة الامن الاسرائيلية التي لايستطيع التنبه لها ، ويبقى دون امل في اجتياز الحدود . وتستطيع الشرطة والموساد ان تتدخل في أي وقت فيما لو طرح سؤالا عمن يكون موشيه فردمان ، وماذا يعمل . وتؤكد الدوائر الاسرائيلية في مونتريال صحة الشخصية البديلة لعميلهم السري ، وانه ذهب الى مونتريال لعمل تجاري .

تتطابق جميع مواصفات العميل السري مع الشخصية الاصلية ، بالطول والوزن وقياس الرقبة وقياس الاحذية ولون العيون والعلامات الفارقة ، جميعها تتفق تماما بين الشخصيتين ، وبذلك يمكن اثبات شخصية العميل السري بشكل رسمي . اما الشرطة في مونتريال فلا تملك اكثر من الاشتباه فقط .

أقدم حرفة في العالم

يقال ان حرفة التجسس هي من اقدم الحرف في العالم . ومن المؤكد ان المخابرات السرية الاسرائيلية لها باع طويل في هذا المضمار ، فقد اسسها منذ ثلاثين قرنا القائد التوراتي موسى ، وكان الاب الروحي لها الاله يهوا نفسه .

في ذلك الحين كان القائد موسى يسير على الطريق الى «ارض الميعاد» في

الصحراء ولكي يتمكن من معرفة ماينتظره ، اختار شابا قويا من كل سبط من اسباط اسرائيل وكان عددهم اثني عشر شابا ، وارسلهم ليتجسسوا . وذهب كل واحد منهم في طريق خاصة به . لكي يستطيع موسى ان يقارن المعلومات عند عودتهم .

كان عليهم ان يكشفوا الوضع في ارض الكنعانيين ، حيث يقال انها تدر لبنا وعسلا ، وما اذا كان رجالهم اشداء وما عددهم وما اذا كان اليهود التأثهون في الصحراء يملكون الامل بالنصر ، تكون العملية التجسسية الموحى بها من الاله يهوا نفسه ، مرتبة بشكل جيد .. فاذا اكتشف العدو واحدا من الاثني عشر شابا ، فان الباقين يعودون بالاخبار .

وفي الوقت الحالي .. عدلت الموساد الاسرائيلية عن هذا النظام ، واتبعت طريقة الجواسيس المنفردين .

كان يشوع احد الجواسيس الاثني عشر الذي انجز مهمته في ارض الكنعانيين ، وبحسب اوامر موسى ، عمل تحت اسم يوزوا ، ودخل تاريخ التجسس الاسرائيلي ، باعتباره الفاعل الرئيسي في عملية اريحا .

كانت احدى نساء مدينة اريحا تدعى راحاب الزانية ، وهي جدة الملك داود ، وكانت تملك بيتا سيء السمعة . وبحسب عادات ذلك الزمن ، كان البيت مبنيا عند اسوار المدينة بعيدا عن اعين الزوجات .

في احدى الامسيات ، طرق باب البيت رجلان غريبان من الجواسيس الذين ارسلهم موسى الذي عسكر مع جنوده استعدادا لغزو اريحا . كانت مهمة الرجلين ببساطة اكتشاف التحصينات وعدد المسلحين ومواقع الضعف في الدفاع ومعنويات المقاتلين .

اما ملك اريحا ، فقد كان له جواسيسه ايضا . وقد علموا بوصول الرجلين الغريبين فاعطى رئيس فرقة التجسس امرا لشرطة المدينة ، للقيام بحملة تفتيش لبيت راحاب مع بزوغ الفجر . لكن الحملة لم تسفر عن شيء . فقد اخفت راحاب الرجلين ، وقالت للشرطة ان هذين الشابين صغيران «ولايدخل بيتي إلّا الرجال» .

وعندما خرج رجال الشرطة استدعت راحاب الشابين واعطتهم المعلومات المطلوبة .. وامرتهما بالانطلاق والعودة الى قائدهما ، وكما هو معروف ، فقد سقطت اريحا . وحسب احدى الروايات ، فقد سقطت نتيجة لصوت الابواق الذي نفخه رجال موسى . ويروى في قصة اخرى ان هزة ارضية قد ساعدت على ذلك .

وعندما دخل جنود موسى الى المدينة ، اوعز القائد الى جنوده بأن لايؤذوا البيت الذي يرفع راية حمراء ، لان فيه جاسوسة اسرائيلية اسمها راحاب .

حين خرج موسى الى ارض الكنعانيين لغزوها ، علم سكانها ان وضعهم في غاية السوء اذ ان الاله «يهوا» يقف شخصيا مع الغزاة ، لكنهم استغلوا اول فرصة لمقاومة الاحتلال ، وقامت انتفاضة عارمة طردوا على اثرها المحتلين ، وعادوا اسيادا على ارض وطنهم . وهنا نشأ وضع معقد شبيه بالوضع الحالي في فلسطين ، فقد اصبح اليهود مقتنعين بان لهم حقا في ارض الكنعانيين وان «يهوا» يساعدهم . وبدأوا بمحاربة سكان البلاد بالنار والحديد ، وكان النصر حليفا لهم تارة ، وحليفا لاهل البلاد تارة اخرى .

كان القائد شيشرون يقود جيش الكنعانيين ، وبالرغم من انه دخل المعركة بتسعمائة عربة عسكرية مسلحة بالحديد ، إلا انه خسر المعركة ، بسبب تفوق عدد الاسرائيليين الواضح وفي هذه المعركة خسر حصانه ، فاضطر الى الهرب والتجأ الى خيمة امرأة يهودية تدعى «يعيل» زوجة جابر القيني ، كان شيشرون يعرفها ، فوثق بها ، وفي الخيمة انامته على فرشة ، وغطته بفراء الخراف ، لكنه اخذ يتصبب عرقا تحت غطائه ، فطلب منها بعض الماء فاحضرته له بجرة فخارية ، فشرب وطلب منها ان تحرس المدخل بعين يقظة ، وان لا تخبر احدا بوجوده ، ولكنها بدلا من ذلك احضرت ازميلا ومطرقة ، وادخلت الازميل في اذنه وضربت عليه بالمطرقة ، فكرست جمجمته الى نصفين .

خرجت «يعيل» مسرعة تبحث عن جنود الكنعانيين ، وحينما لمحتهم لوحت لهم بيدها ، وقادتهم الى خيمتها مشيرة الى الجثة .. وقد اثار موت القائد فوضى كبيرة في صفوف الكنعانيين ، فاستغل اليهود الوضع القائم — وهجموا بجبهة واسعة وانتصروا .

قصة أوديـــت

كانت «اوديت» عنصرا اوليا من عناصر الجاسوسية الاسرائيلية .. التي دخلت التاريخ بجهدها الفردي . في ذلك الحين كان يقف امام اسوار بيت ايل مئة وعشرون الف جندي آشوري ، وهم على استعداد لاقتحام المدينة . وكان الجيش اليهودي يحتل المواقع الاستراتيجية المشرفة ، كما ان السكان حفروا الخنادق ، وحصنوا المواقع وتعلم الرجال والنساء كيفية التعامل مع السلاح .

كان القائد الآشوري «هولوفيرنس» جنديا محنكا . استدعى اركان قيادته العامة وعرض عليهم خطته لاقتحام المدينة ، وذلك بمنع المياه عنها . فكان ذلك كارثة بالنسبة لليهود ، ومشكلة غير قابلة للحل .

كانت «اوديت» ارملة جميلة وغنية ، عاشت بتواضع ، وقد رفضت الموافقة على موقف قادة المدينة الذين عزموا على الاستسلام .

ذهبت اوديت الى الحاكم يشوع ، واعلنت له انها ستعمل عملا ترويه الاجيال القادمة . وكشفت بعض ماتنويه قائلة : هذه الليلة ، سأصل الى اسوار المدينة ، ساغادر مع خادمتي . لاتحاولوا معرفة الى اين ولماذا . ستعرفون كل شيء في حينه .

استحمت ودهنت جسمها بالزيت المعطر ، وارتدت اجمل ثيابها ، واخذت صندلا مذهبا . وطوقت رقبتها بعقد جميل . وحينما ظهرت مساء برفقة خادمتها عند اسوار المدينة كانت جميلة وفاتنة .

سألها حارس آشوري : من انت ، والى اين تذهبين ؟

أجابت : انا يهودية ، واريد الهرب منهم ، قريبا سوف تهزمونهم . سأذهب الى القائد هولوفير نس ، لاخبره عن اوضاع المدينة ، واريه ممرا سريا حين يعبره الجنود سيستولون على المنطقة كلها .

قادها الجنود الى القائد هولوفيرنس الذي امضى سنوات طويلة في ساحة القتال وعاش بين رجال اشداء .. وحين ظهرت امامه تلك اليهودية الفاتنة ، خيل له انه يعيش في حلم . استلقى على الفراش الوثير ، وشرب الخمر ، واستمع لصوتها العذب ثم استدعى خادمه باغروس ، وامره بان يهتم باقامة السيدة .

لاقت اوديت ترحيباً حاراً . وقررت ان تضع خطتها امام هولوفيرنس . وكانت تقوم خطتها على ان تبقى باتصال بقومها ، وستقوم يوميا بنقل الاخبار للقائد عن الوضع داخل الاسوار . وافق القائد على خطتها ، واعطى توجيهاته بان تمر المرأة اليهودية بحرية تامة داخل المعسكر وخارجه ، وفي جميع الاوقات .

وفي اليوم الرابع ، جلس القائد مع ضابطه في الخيمة ، يتسامرون ويشربون ، ورغب بالمرأة اليهودية ، فجاؤوا بها الى خيمته ، ودخلت كملكة ، وهي محط انظار الجميع ، فأخذوا يشربون بنهم حتى سقطوا واحداً تلو الاخر ولما ايقن هولوفيرنس ان الوقت اصبح مناسباً له ، امر بأخراج كل الرجال السكارى من الخيمة ، لكنه نسي ما وصل اليه من سكر هو الاخر ، فما ان اضطجع على فراشه حتى غط في سبات عميق ، فاقتربت منه اوديت واستلت سيفه المعلق في الخيمة ، وبضربة واحدة فصلت رأسه عن جسمه ، وقامت خادمتها بوضع الرأس في سلة الخبز ، بعد اقل من ساعة كانتا امام باب المدينة .

رأى الحرس اوديت قادمة ، فنفخوا بالابواق ، وفتحوا الابواب . دخلت اوديت ، واتجهت الى الحاكم وقالت له : «هو ذا رأس هولوفيرنس» .

كانت اوديت عميلة سرية متطوعة ، شجاعة وذكية . طلبت وضع رأس القائد على السارية ، واعلن الاستنفار العام . وعندما هجم الآشوريون على المدينة ، رأوا رأس قائدهم معلقا على السارية ، ففقدوا شجاعتهم ، وانهارت معنوياتهم . فاستغل اليهود هذا الوضع الطارئ ، وهجموا ، وانتصروا في المعركة ، وأصبحت اوديت من اكثر النساء احتراما ، وعاشت مئة وخمس سنوات .

فن القتـــل !

بعد ثلاثة وثلاثين قرنا من الامان ، توصل رجال الموساد الاسرائيلية الى طرق متطورة ، عن كيفية تصفية الخصم في أرضه . وفي السبعينات من هذا القرن ، أعلن أحد عملاء الموساد ان «القتل فن» . وهذا الكتاب يتطرق للحالات التي تثبت صحة هذه المقولة .

عرف رؤساء الموساد قوة تأثير الرأي العام العالمي ، فركزوا دائماً على سرية العمليات ، مما دعاهم لعدم ترك أية آثار قد تشير باصبع الاتهام الى تل أبيب . فجميع العملاء الاسرائيليين في فرنسا ، يجب أن يظهروا كفرنسيين وفي لندن كبريطانيين ، ويجب أن تكون اوراقهم الشخصية مزورة بشكل متقن تماما وأن تكون سيرتهم الذاتية مثبتة ، وميدان عملهم مأمونا .

في ايامنا الحالية ، لن تحقق أوديت شيئا مما حققته في وقتها ، مهما بلغت شجاعتها وشجاعة خادمتها ، ومهما بلغت سعة سلة الخبز التي تحملانها . لذلك تبنى عملاء الموساد الاستراتيجيون طرقا علمية لعملياتهم السرية ، التي تتم على أرض غريبة .

وحدات العمـــل

لتنفيذ عملية سرية تجسسية ، يجب تشكيل وحدة مكونة من حوالي خمسة عشر رجلاً موثوق بهم ، ومدربين بعناية تامة . وتقسم العملية الى خمسة فصول يرمز لها بالاحرف الابجدية العبرية .

المجموعة الف (أ) تتكون من اثنين من المجرمين ، ويتم اختيارهما اما مباشرة من اعضاء الموساد ، أو من احدى الوحدات العسكرية الخاصة . ويكونان مدربين على القتال من قرب ، وهما يعرفان كيفية الاقتراب من الخصم ، دون لفت الانظار ، وكيفية القتل دون ضجة وهما عادة من النوع البدائي ، بدون مشاعر أو ضمير .

اما المجموعة باء (ب) فهي مكونة من حارسين يتعاونان مع المجموعة (أ) ويكونان جدار حماية لها . فعندما تقوم المجموعة (ب) بحمايتها ، وتأمين طريقة مناسبة للانسحاب ، وعند الضرورة تتعاون معها بالتناوب .

ويكون الرجلان من المجموعة (ب) قناصين من الدرجة الاولى ، وعلى الاقل يكون واحد منهما يجيد قيادة السيارة باحتراف ، والموساد تنظم عادة دورات لتعليم رجالها القيادة السريعة للسيارات .

المجموعة الاولى أو الثانية لاتكونان على علاقة ببقية الوحدات ولا يعرفون

افرادهما عادة . وقد أهمل العملاء هذه القاعدة في بعض الحالات ، فدفعوا الثمن غاليا ، كما حدث في عملية ليليهمر في النرويج مثلا .

اما الحرف الثامن من الابجدية العبرية فهو هيت (هـ) وترمز للمجموعة التي تؤمن السكن والامور المالية . أنها تهتم بعملاء الموساد قبل أن يحضروا الى المدينة ، وغالبا ما يكونوا ازواجا . اذ ان الازواج لايثيرون الاشتباه ، ويجب أن لاتثبت أية صلة لهم باسرائيل .

اما المجموعة عين (ع) فهي المجموعة التي تتكون من ستة رجال يتابعون الخصم وينقلون أخباره وبرنامجه اليومي ، ويقترحون أنسب مكان للقتل ، ويؤمنون السفر الى اسرائيل لبقية أفراد الوحدة .

أما المجموعة جيم (ج) فهي حلقة الاتصال ، تتكون من رجلين اثنين عادة ، يحملان معهما جهاز ارسال مخبأ بشكل جيد . ويقومان بارسال المعلومات حول مجرى العملية الى مقر الموساد في هاكيريا ، ومنها يتلقيان الاوامر التي يحولانها الى قائد الوحدة . ويكون أحدهما على اتصال مباشر مع موظفي البعثات الدبلوماسية الاسرائيلية في منطقة العملية . ويمكن ارسال المعلومات الى اسرائيل عن طريق جهاز ارسال السفارة ، أو بواسطة مركز الموساد الاقليمي لوسط أوروبا في بروكسل .

اسم «المخابرات السرية الاسرائيلية» يحمل عدة معان . في تل أبيب توجد القيادة الرئيسة لاكثر من تنظيم تجسسي سري ، أهمها معهد الامن والمعلومات المركزي ، الذي يعمل في الخارج ، وقد تغيرت تسميته بعد حرب الايام الستة الى معهد المعلومات والمهام الخاصة ، ويسمى عادة بالموساد (موساد ليمودين ها بيتا شون) .

التعاون مع المخابرات الاميركية

تعمل جميع اقسام المخابرات السرية الاسرائيلية بالتعاون مع المخابرات المركزية الاميركية ، وهي مرتبطة مع أجهزة المخابرات في دول حلف الاطلسي ، وكذلك مع المخابرات السويسرية والفرنسية (اس . اي . سي . اي) ويشترك مدير الموساد بشكل منتظم في المؤتمرات المشتركة للمخابرات السرية للدول الغربية والتي تعقد

كل ستة أشهر بالتناوب في احدى الدول الاعضاء .

وقد أثبت تعاون الموساد مع المخابرات المركزية الاميركية أهمية في التحضير للاعتداء على مصر عام ١٩٦٧ ، اذ تلقت قيادة القوات الاسرائيلية من المخابرات المركزية الاميركية في لانجلي معلومات دقيقة عن قوة وتوزيع الجيش المصري .

لكن هذا كله لايجعل من المخابرات الاسرائيلية شيئا خارقا لايقهر ، كما يحاول الاسرائيليون وصف جهاز مخابراتهم ، فقد أثبت التأريخ عكس ذلك ، وسنرى كيف .

مصرع بيير

في وادي الاردن تقع قرية منسية تسمى «شفه» لاتلفت الانتباه ، حتى بسجنها الغريب . كان ذلك صباح اليوم الاول من شهر ايار – مايو عام ١٩٦٦ بعد تغير المناوبة فقد فتح مراقب السجن شباك الزنزانة ، ونظر الى الداخل ثم اغلقها ، وكرر ذلك في كل نوافذ ابواب الزنزانات الى ان وصل الى زنزانة معينة ، نظر من نافذتها الى الداخل مطولا ، وفجأة نظر حوله وهرول راكضا نحو المدير وهو يصيح :

«يا حضرة المدير ، اسرع ان بيير محمد على الارض» .

وعندما احضر الطبيب كان السجين مايزال على قيد الحياة ، فنقلوه الى تل ابيب ، لكن السجين ، بيير توفي نتيجة هبوط في القلب ، قبل ظهر نفس اليوم .

ارتاح كثير من السياسيين الاسرائيليين لسماع نبأ وفاة بيير ، فقد كان للموساد وعملائها السريين مشاكل كثيرة معه . وكان الكشف عن نشاطه التجسسي وقع الصاعقة التي نزلت من السماء على رؤوس المسؤولين في الموساد .

كان البروفيسور بيير واحدا من اشهر شخصيات الحياة السياسية في اسرائيل . كانت صورته تظهر على الصفحات الاولى في الصحف المحلية . فقد كان مستشارا لرئيس الوزراء بن غوريون ، لكنه كان جاسوسا يجلس في مكتب الرئيس نفسه .

كان بروفيسورا ، اصلع الرأس ، يلبس نظارات قديمة ، وله شاربان ، ولايبدو انه ضابط في الجيش «الاسرائيلي» ، او مستشار لرئيس الوزراء ، او اخصائي في الشؤون الدولية . كان من الاشخاص الذين يرتادون الاماكن العامة في

تل ابيب بشكل منتظم . كانت شخصيته غامضة ، وقد جلب العار لقادة الموساد ، واوقعهم في اشكالات كثيرة .

هاجر الى فلسطين من النمسا عام ١٩٣٨ ، وارتقى بسرعة حادة ، واشترك في معارك الهاغانا ، وكان من الذين يحركون عجلة الدولة الاسرائيلية عند نشوئها . وبفضل قدرته الفائقة على التحليل – ومعرفته العسكرية ، اصبح بسرعة برتبة عقيد ، مساعدا لقائد الاركان العامة . وبعد فترة اصبح واحدا من قادة الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية .

في عام ١٩٥٥ ، تسلم دورا هاما في قيادة الجيش ، اذ كلف بكتابة التاريخ الرسمي لما يسمى بـ (استقلال اسرائيل) . واعطي صلاحية الاطلاع على كل اسرار الارشيف العسكري . كان ضابط العمليات في قيادة الاركان ، وصديقا حميما وموثوقا به لدى رئيس الوزراء (بن غوريون) وكان يقف الى جانبه في الاستعراضات العسكرية . كان مراسلا لصحيفة ها آراتس ، ورئيس قسم التاريخ العسكري في جامعة تل ابيب . ومن بين يديه كانت تحرر اهم اسرار الدفاع الاسرائيلي . وكذلك الخطط العدوانية على الدول العربية . كان شخصية هامة في حزب ماباي الحاكم ، وشارك في مشاورات كثيرة على أعلى المستويات في الخارج ، والتقى مع السياسي الالماني الغربي ، فرانز جوزيف شتراوس ، ومع رئيس المخابرات الالمانية الغربية ، الجنرال جيهلين . وفي داخل اسرائيل تحرك بحرية تامة في دوائر كبار الضباط لحلف شمال الاطلسي (الناتو) .

كان الجميع يقدرون معلوماته المتخصصة ، ونظرته الصائبة للامور في التحليل التكتيكي ..

الاعتقال

اتصل ايسر هارئيل هاتفيا مع رئيس الوزراء ، وقال له «لقد اتصل رجلنا ثانية ، بحلقة الوصل ، ذهب الى ذلك المقهى ، اخذ معه حقيبة الوثائق ، وتابعته الى بيته ، انني اتكلم الان من هاتف عام على بعد خطوات من المنزل رقم ٦٧ في شارع براندیس» .

كان البروفيسور بيير يسكن في شارع براندیس رقم ٦٩ ، ولم يفكر يمير هارئيل كثيرا ، برغم انه كان مقدما على خطوة خطيرة .

رد بن غوريون قائلا : قم بواجبك .. وفي الثانية والنصف صباح داهمت الشرطة بيت بيير وقال له الضابط : بروفيسور بيير ، باسم القانون اقبض علىك . لدي تصريح من المدعي العام بتفتيش منزلك» .

على الطاولة كانت هناك حقيبة مع مجموعة من الوثائق السرية ، كان عملاء الموساد واثقين من ان بيير قد سلم رجل الارتباط مجموعة من الوثائق لتصويرها ، وانه اعادها اليه . واخذت الشرطة الحقيبة واعتقلت بيير للتحقيق معه ، وقام ايسر هارئيل باستجوابه .

قال له هارئيل : «نحن نعلم انك تعمل لصالح السوفيات . اعترف وسيكون العقاب مخففا . اعترف بأسمك الحقيقي ، ومن انت حقيقة ؟» .

كانت السيرة الذاتية الرسمية لبيير معروفة جيدا . فقد ولد في ٩ تشرين الاول – اكتوبر عام ١٩١٢ في فيينا . امه تدعى آن ، ووالده هنريخ ، رحلا مع ابنهما الى الولايات المتحدة الاميريكة حيث توفي والداه ، وعاد هو الى اوروبا وحيدا . انهى الدراسة في جامعة فيينا الاكاديمية العسكرية ، وناضل ضد الدكتاتورية ، تطوع في الجيش الاحمر ، وحارب الى جانب الثورة الاسبانية ، وبفضل المعرفة العسكرية التي ، يتمتع بها ، اصبح آمراً حربيا ، وفي مدريد ناضل باسم حركي في العديد من المدن الاسبانية .

بعد ذلك ذهب مباشرة الى فلسطين ، حيث عمل وحارب مع المجموعة الارهابية الهاغانا . اما بقية حياته ، فكانت معروفة لدى الجميع في اسرائيل .

في الثالث من اذار – مارس عام ١٩٦١ ، بدأ القائد لورد باركر ، في اعلى محكمة لندنية في اولد بيلي ، بمحاكمة الجاسوس السوفياتي الاسطورة جوردون لونسوال ، الذي يعتبر من اخطر جواسيس القرن العشرين ، وقد القي القبض عليه ، بعد عمل ناجح استمر سنوات طويلة .

قامت المخابرات البريطانية بتحرير معلومات عنه للموساد ، لم تثبت صحتها في

تل ابيب ، لكنه اصبح موضع شبهة لدى المخابرات الاسرائيلية .

وحينما بدأت الموساد بفحص تاريخ حياته اصيبت تل ابيب بخيبة امل مريرة . فبعد التحليل والتدقيق والبحث تبين ان اسرائيل بيير الموجود في اسرائيل ليس اسرائيل بيير الحقيقي ، وانه لم يدرس ابدا في الاكاديمية العسكرية في فيينا وانها لم تمنحه درجة دكتور في الفلسفة ، كما انه لم يكن واحدا من الذين اشتركوا في النضال ضد دكتاتورية دولتوس في النمسا ، ولم يتذكر صورة هذا الدكتاتور ، عندما عرضت عليه الموساد صورته . كما ان المحاربين في الجيش الاحمر في اسبانيا لم يتعرفوا عليه ، لانه لم يكن آمراً في ذلك الجيش .

من هــو؟

قال المحقق ايسر هارئيل : «اعترف بالحقيقة يابيير وقل من تكون» .. لكنه استمر في رفضه وصموده .. ومع استمرار التحقيق ازداد غموضه .. خدم اسرائيل بيير عام ١٩٣٩ في القدس كشرطي . وفي أحد الايام ، امره ضابط بريطاني بحراسة سيارة جيب واقفة فصرخ الشرطي قائلا : «انني لم ادرس في اكاديمية عسكرية لكي احرس سيارة» .. ودار بينهما حديث وتبين خلاله ، للضابط البريطاني أنه يتحدث مع رجل شارك في الثورة الاسبانية وأنه أخصائي بالثقافة الالمانية لذلك قرر الضابط مساعدة بيير بايجاد مكان له في الارشيف الالماني ، التابع للمخابرات البريطانية . وحينما علمت المخابرات الاسرائيلية به وبمواهبه اتصلت به ، وضمته الى الهاغانا .

لم يكن يعرف العبرية ، فترجموا دراساته الاستراتيجية من اللغة الالمانية ، وفي ذلك الوقت بدأت مقالاته تظهر في الصحافة الصهيونية .

قدر قادة الوكالة اليهودية مواهبه ، فأصبح مديرا لتحرير نشرة الهاغانا ، ومع بداية عام ١٩٤٥ ، اصبح ضابطا لاركان منطقة الجليل ، وبعد ان حلت منظمة الهاغانا اصبح من اول ستة ضباط في الجيش الاسرائيلي ، وحصل عام ١٩٤٨ على مركز ضابط قسم التخطيط للاركان العامة . وبعد ذلك بسنة واحدة ترك الجيش ،

واصبح منظرا عسكريا ومؤرخا .

وعين مستشارا عسكريا لوزير الدفاع ، ونشر دراسات استراتيجية ، واصبح بامكانه الوصول الى جميع التقارير والوثائق السرية . وشارك باجتماعات ومناقشات في غاية السرية مع شتراوس ، وزير الدفاع الالماني ، حول الشحنات السرية من الاسلحة الالمانية الغربية الى تل أبيب .

وفي عام ١٩٥٤ ، كان بيير يحضر المحادثات السرية التي تتعلق بالتعاون الاسرائيلي الفرنسي ، عشية العدوان الثلاثي على مصر .

في يوم ١٤ كانون الثاني – يناير عام ١٩٦٢ ، كان الرجل المعروف باسم اسرائيل بيير ، الذي لم يعرف اسمه الحقيقي حتى الان ، يقف امام المحكمة الاسرائيلية ، ويتلقى حكما بالسجن عشر سنوات ، مما جعل وكيل النيابة يستأنف الحكم في المحكمة العليا ، التي اصدرت قرار برفع العقوبة خمس سنوات اخرى .

فيما بعد ، استطاعت الموساد ان تكتشف انه في عام ١٩٣٨ عاش في النمسا طالب يهودي يدعى اسرائيل بيير ، لكنه اختفى ، ولم يعثر له اثر .

هذا كل ما عرفته الموساد . وبذلك اصيبت المخابرات السرية الاسرائيلية المحاطة بهالة من الانتصارات ، بهزيمة قاتلة ، لم تكن الاولى ولن تكون الاخيرة ...

المخابرات المصرية تتدخل وتخطف إثنين من رجال الموساد

ظهر عام ١٩٦٠ في تأريخ المخابرات السرية جاسوس من نوع جديد ، فقد اسقطت وسائل الدفاع الجوي السوفياتية في الاول من ايار — مايو ، فوق الاراضي السوفيتية طائرة تجسس اميركية من نوع يوتيليتي — ٢ . وانقذ الطيار الاميركي جارى باورز نفسه بواسطة المظلة ، وتم القبض عليه من قبل السوفيات ، وحوكم بتهمة التجسس . ومنذ ذلك الحين ، عرفت الطائرة يو — ٢ بخصائص ممتازة .

أنطلق الطيار الاميركي ، جارى باورز في رحلته التجسسية من القاعدة الاميركية ، انسيرليك في تركيا ، ومن نفس المطار انطلقت طائرة اخرى بعد سنة ، في ٨ كانون الاول — ديسمبر بمهمة مشابهة ، لكنها لم تتجه الى الاتحاد السوفياتي هذه المرة ، فقد تلقى الطيار — كادرون امرا بالتوجه الى الاراضي الاسرائيلية .

فقبل فترة قصيرة ، تلقى القائد الاميركي في انسيرليك امرا من وزارة الخارجية في واشنطن ، بالتعرف على موقع سري ، تؤكد الحكومة الاسرائيلية انه مصنع نسيج ، يقع في شمال صحراء النقب بين بئر السبع والطرف الجنوبي للبحر الميت .

بعد يوم واحد ، تلقى القسم المعني في وكالة الاستخبارات المركزية في لانجلي «واشنطن دى . سي» ، صورا للموقع . وتوصل الخبراء بعد تقييمها الى خلاصة تفيد أن الخطوط السوداء والفضية في الصورة ، هي في الحقيقة خطوط سكة حديدية . وخطوط كهربائية بعيدة المدى ذات ضغط عال ، موصولة بمجموعة بنايات صناعية تبعد عن محطة ديمونا ١٢ كيلو مترا ، وداخل الموقع الواسع ، والقاعات الانتاجية الطويلة والمداخن الطويلة والرفيعة والابراج الضخمة التي تشبه محطات الرصد الفلكي ، داخل هذه الاشياء جميعها ، مخبأ مفاعل نووي بقوة ٢٤ ميغاوات من نوع ى . ال ٣ .

قدم رئيس المخابرات السرية الاميركية في نفس اليوم ، تقريرا الى رئيس لجنة الطاقة الذرية في الكونغرس الاميركي ، جون مكوني ، حول هذه المعلومات . فماذا

عملت اللجنة وما الاجراءات التي قررتها ؟

الجواب : لاشيء .

فكما هي الحال في مواضيع اخرى كثيرة ، قامت الاحتكارات الصناعية الحربية بحماية مصالحها ، ودبر اللوبي الصهيوني في واشنطن الامر ، وكأن شيئا لم يكن .

تستعمل عصابات الجرائم في اميركا الكمبيوتر وسارقو البنوك استراتيجيون محترفون ، ويتمتعون بثقافة جامعية عالية . ولم تعد الدولارات والذهب والالماس ، منذ زمن بعيد هدفا لهذه العصابات .

أول سرقة لليورانيوم

في عام ١٩٥٦ ، قامت الشرطة الاميركية بالتحقيق في أول سرقة لليورانيوم ، لاستخدامها في صناعة قنبلة ذرية . فقد قامت عصابات اللصوص المنظمين جيدا ، والذين عرفوا الميدان بشكل ممتاز ، بسرقة كمية من اليورانيوم من مخازن القاعدة الذرية في بنسلفانيا ابولو .

ولكن لماذا سرق المجرمون هذه المادة الخام ؟ وهل يجدون من يشتريها منهم ؟

بالتأكيد ، أن بعض تلك العمليات كان متفقا عليها مع خبراء يحترفون الاجرام ، مقابل مكافأة معينة . وهذه العمليات يخطط لها ، ويقررها الرؤساء خلف الكواليس .

وسرقة ثانية

في كانون الاول — ديسمبر عام ١٩٧٦ ، اختفت كمية ضخمة من اليورانيوم من قواعد اميركية اخرى .

وقبل عدة اشهر من ذلك التأريخ ، اعلن في مؤتمر دولي للعلماء الذريين في سالزبورغ عن سرقة ٢٢٠ طنا من اليورانيوم ، وهي كمية تكفي لصنع عدد كبير من القنابل الذرية .

حصلت السرقة عام ١٩٦٨ ، ولكن لم يعلن عنها الا في فترة قريبة . لماذا هذا التأخير ؟

لم يوضح المتحدث الصحفي باسم السوق الاوربية المشتركة السبب . وانما قال بان اليورانيوم كان جزءا من حمولة منقولة بالبحر من أنتويرب الى جنوا الايطالية ، في اطار برنامج التنسيق لمنظمة الاوراتوم . فاين ذهب اليورانيوم ؟

الى أسرائيل ..

المخابرات المصرية ..

والمفاعل الجديد

لدى المخابرات المصرية مجموعة من الخبراء والمستشارين المؤهلين من دول مختلفة . وكان من الطبيعي أن تهتم ، ومنذ البداية بالاهداف الذرية لاسرائيل بصفتها جارا خطراً . وعلمت القاهرة بان الولايات المتحدة الاميركية قد اعطت لاسرائيل مفاعلا تجريبيا بقوة «٥» ميغاوات ، وقام بتركيبه العلماء الاسرائيليون في ناحل سورك القريب من رحيوتوث ، على بعد اقل من عشرين كيلو مترا من تل أبيب .

وتأكد الخبراء في المخابرات المصرية ، ومعهم الخبراء الالمان الغربيون ، الذين كانوا في مصر تلك الفترة ، بان المفاعل نووي تجريبي ، لاهداف الابحاث فقط .

فيما بعد ظهرت في صحراء النقب بناية جديدة هي مصنع النسيج المزعوم . وكان كل شيء ، يشير الى أن الموقع الذي توسع خلال بضع سنوات فقط الى مدينة يسكنها عشرون الف نسمة ، لايمكن أن يكون من أجل صنع جوارب نسائية .

وأستطاعت المخابرات المصرية أن تحصل على عدة ادلة ، مما دعاها ، في نهاية تشرين الثاني — نوفمبر عام ١٩٦٠ الى أن ترسل عن طريق وزارة الخارجية ، الى واشنطن مذكرة احتجاج ، كان مضمونها مذهلا ، وهو أن اسرائيل تستطيع أن تصنع قنبلة ذرية ، وبذلك أصبحت احدى الدول النووية في العالم .

اسقاط طائرة اسرائيلية

في حزيران — يونيو عام ١٩٦٧ ، أنطلق الطيار الاسرائيلي بطائرة ميستير في رحلة تدريبية ، بعد لحظات ، التقط برج المراقبة في المطار العسكري بلاغا يقول :

«هنا الصقر ، هنا الصقر ، كيف تسمعونني ؟ ابلغكم بحصول خلل في محرك الطائرة . ابلغكم بحصول خلل في محرك الطائرة . انني أطلب السماح بالهبوط الاضطراري» .

لم يتمكن الطيار من الهبوط الاضطراري . فأثناء المناورة ، وصل الى منطقة محظورة جدا ، فوق المركز الذري ديمونا ، فاسقطت وسائل الدفاع الجوي الطائرة بدون أنذار .

اعتـــراف

حينما سلم الاحتجاج المصري الى وزير خارجية الولايات المتحدة الاميركية ، طلب من السفير الاسرائيلي أن يزوره فورا . الا أنه لم يتلق اجابة مباشرة عن سؤاله المباشر ، وكل ماتلقاه من معلومات هو أن ديمونا هي مصنع نسيج . لذلك اعطت وكالة المخابرات الاميركية امرا بارسال الطائرة التجسسية يو— ٢ فوق أسرائيل لتصوير الهدف عن أرتفاع عشرين كيلو مترا . واضطر بن غوريون ، رئيس الوزراء الاسرائيلي ، للاعتراف بوجود المفاعل النووي ، لكنه قال انه يستعمل للاغراض السلمية فقط !

مفاعل ديمونا السري وعملية سرقة اليورانيوم !

زادت الاحتجاجات والمذكرات الدبلوماسية من ضبابية الاشتباه اكثر من وضحته . فقد وصلت لجنة الخبراء الاميركيين الى موقع ديمونا ، بعد عدة سنوات ، وكانت نتيجة الكشف مفاجأة مذهلة . فقد قرر الخبراء الاميركيون انه لاتوجد في المصنع آية تجهيزات قادرة على أنتاج القنبلة الذرية !

من المعروف أن اسرائيل رفضت التوقيع على معاهدة منع استعمال اسلحة الدمار الجماعي . في الوقت الذي تحصل فيه المخابرات الاجنبية على معلومات وأدلة جديدة تفيد بان البرنامج النووي في اسرائيل ، باشراف وزارة الدفاع المباشر ، مازال مستمرا ، وانه لايوجد نقص في المادة الخام في اسرائيل .

فمن اين حصل الاسرائيليون على هذه المادة ؟؟

في الوقت الذي جاءت فيه اللجنة الاميركية الى مصنع ديمونا لم يكن الاسرائيليون يتكبدون عناء انتاج البلوتونيوم فقد كان الفرنسيون يصنعونه بموجب اتفاق سري ، وذلك في المركز الذري بيرلات ، ويعطونه لاسرائيل كأية بضاعة اخرى .

قـرصنة

حينما اعتدت اسرائيل على الدول العربية في حزيران عام ١٩٦٧ ، وقف الرأي العام العالمي في الكثير من الدول الاوربية الغربية ضد الدولة المعتدية . واعلن الرئيس الفرنسي شارل ديغول ، تحت تأثير العدوان الاسرائيلي حظرا على تزويد الاسلحة الى أسرائيل . وبقيت في فرنسا دفعة اليورانيوم المدفوع ثمنها جزئيا ، والمقرر تزويد المفاعل النووي في ديمونا بها .

كان على الموساد أن تفعل شيئا ازاء ذلك ، فقررت القيام بعملية قرصنة ، لسرقة مئتي طن من اليورانيوم ، وهي كمية كافية لصنع ثلاثين قنبلة ذرية ، بقوة القنبلة الاميركية المعروفة بقنبلة «جون الصغير» التي دمرت هيروشيما .

ظهر على مسرح الاحداث دان ارت ، ورئيس المجموعة الضاربة ، ميكي ، المعروف من ليليهمر ، لكنه ظهر هذه المرة باسم ميخائيل بيندر ، وكانت مساعدته شارون مانيرس المعروفة باسم تماري ، وهي قاتلة بوشيكي من ليليهمر ايضاً .

العمليـــة

في ايلول — سبتمبر عام ١٩٦٧ كانت عشرات السيارات تقف امام بناية منظمة اوراتوم في بروكسل .

وصل نائب المدير الموفد الايطالي انريكو تاجليوني ، واوقف سيارته «لانسيا» ذات اللون الرصاصي ، في مكانها المعتاد ، ودخل الى البناية ، في الزاوية كان يقف سائق دراجة هوائية وحينما دخل الايطالي الى البناية انتقل بدراجته الهوائية الى موقف اخر على بعد عدة بنايات ، بعد لحظة خرجت من بين السيارات سيارة فولكسفاغن

حمراء ، وخلف مقودها كانت تجلس أمرأة شقراء جميلة جدا . تشبه الى حد بعيد تمارى ، مساعدة ميكي ، وفي رخصة سواقتها أسم أخر ، وهو شارون مانيرس ، ومعها بطاقة صحفية ، تؤكد أنها مصورة صحيفة تعمل لحسابها ، مما يؤكد هذه الحقيقة هو وجود ألتين للتصوير ملقاتين بشكل عفوي على المقعد الخلفي .

بقيت سيارة الفولكسفاغن الحمراء واقفة قرب سيارة اللانسيا . أوقفت الشقراء محرك السيارة ، واخذت تبحث عن مرأة صغيرة واحمر الشفاه ، رتبت وضعها قليلا ، واشعلت سيجارة ، لم تبال بانها اغلقت ممر السيارات . طلب الحارس منها أن تغادر المجال المحجوز لموظفي المنظمة العالمية أوراتوم . فأجابت :

— نعم . نعم ، عفوا .

وبدأت تحرك سيارتها الى الخلف . لكنها لم تسيطر على السيارة ، فصدمت اللانسيا الرصاصية ، واصابتها باضرار بالغة في الباب الخلفي من الجهة اليمنى نزلت من السيارة ، وتصرفت بشكل لايوحي بأنها مصورة صحيفة ، حيث وضعت يديها على وجهها ، وأجهشت بالبكاء ، وبهذا تجنبت تأنيب الحارس ، بل أنه اخذ يهدئ روعها وسجل عنوانها ، وقطعت هي ورقة كتب عليها اعتذارا قصيرا معربة عن استعدادها لتعويض الخسائر ، ولم تنس ذكر رقم هاتفها ، ووضعت الورقة تحت مساحة سيارة اللانسيا .

اتصل انريكو تاجليوني بتمارى قبل الساعة الرابعة بعد الظهر ، وفي الساعة السادسة والنصف ، التقيا في مقهى قريب من القصر الملكي في بروكسل ، وكما افترضت الموساد ، فأن تمارى لم تجهد نفسها كثيرا لكي لايكون هذا اللقاء هو الاخير مع الشاب الايطالي البالغ من العمر ٣٥ سنة .

من العبث وصف اسلوب التعارف بين نائب مدير منظمة الاوراتوم وبين عملية الموساد تمارى . فكل شيء تم ، وكأنه قصة من القصص القديمة : اشتعل الحب بينهما ، وتبادلا المشاعر .

وفي أول مناسبة ، زارت فيها مكتبه ، نظرت بعين خبيرة الى هذا المكتب .. وتذكرت كل التفاصيل ، ثم اخذت تضغط على صديقها ، واستطاعت أن ترسل

الى تل أبيب معلومات أولية قيمة عن شحنات اليورانيوم المراقب من قبل منظمة الاوراتوم .

أفراد الـــوحدة

يبدو هذا الان وكأنه أحد الافلام التجسسية الرخيصة . ولكن هذا هو الواقع ، حسب معلومات من قيادة الموساد والتي وصفت هذه العملية ، حتى أن انريكو جاكشيا «تشابه الاسمين هو مجرد مصادفة» الذي عمل حتى منتصف عام ١٩٧٣ ، كرئيس لقسم المراقبة في منظمة الاوراتوم ، اعطى بعد عشر سنوات شهادة عن فضيحة بلمومبات كما اسماها ، ويمكننا أن نعيد بناء القصة ، التي تثبت من جديد ، أن عملاء الموساد لايتورعون عن القتل ، اذا ماوقف أحد في طريقهم .

اختار ميكي اعضاء القوة الضاربة حسب ادق المواصفات .. كان يعرف بعضهم اذ تعاونوا في عمليات سابقة ، اما الاخرون ، فقد اختارهم بناء على توصية من قسم الافراد في الموساد .

زييف بيران ، كابتن سفينة النقل الاسرائيلية «مازال» تلقى امر الاستدعاء وهو في الميناء المكسيكي نيراكروز ، وفي اليوم التالي استقل الطائرة من مكسيكو سيتي باتجاه تل أبيب .

ريوون غولدمان ، المسمى روبي ، كان يعمل ميكانيكيا في مستوطنة جيفوت — بريئير وهوعميل سري متقاعد ، لكن ميكي بامكانه أن يعتمد عليه .

بيني أرنهايم ، عامل راديو .

اما جاد أولمان ، فقد استدعاه ميكي في تشرين الاول — اكتوبر ١٩٦٧ ، الى الخدمة ، حيث كان يعيش بهدوء في حي الفيلات في تل أبيب . ولم يخطر ببال جيرانه أن هذا الرجل الطيب والموظف صاحب الدخل العالي له حرفة أخرى : كان قاتلا محترفا في الاحتياط .

الصحفيان الاسرائيليان لاندو والسنبرغ ، اللذان كلفتهما المخابرات السرية بكتابة تفاصيل فضيحة بلمومبات كتبا عن جاد أولمان قائلين :

«كان جاد أولما سفاحا ، ويحب مهنته ، ويسعد بكل امر يتلقاه من ميكي . واثناء تنفيذه لاحدى العمليات قتل في ١٨ تشرين الاول — اكتوبر ١٩٧٣ . وسر نجاحه يكمن في تدريبه المستمر . فقد كان في طريقه للعمل ، أو في فترة الغذاء ، يعرج على ناد لاطلاق النار ، ويتدرب على السلاح لمدة نصف ساعة» .

صفقة يورانيوم مشروعة

تلقت تماري عميلة الموساد ، والتي ظهرت كصحيفة باسم شارون مانيرس ، تلقت من انريكو انباء حول شحنات اليورانيوم لشركات الدول الاعضاء في السوق الاوربية المشتركة . واحضر لها عشيقها الايطالي في أواخر تشرين الاول — اكتوبر نسخة من الوثائق التي تفيد بان شركة معينة ، قد أشترت شحنة من اليورانيوم «لاغراض صناعية» . في ذلك الوقت ظهر ميكي في بروكسل . فقد طار من تل أبيب عبر باريس على متن الخطوط الجوية الفرنسية «أير فرانس» الى مطار ناشونال في بروكسل ، وأجتاز بضعة شوارع سيرا على الاقدام ، حيث ركب سيارة تاكسي الى مقهى صغير في بلاس دي بروكير ، وهناك كان بأنتظاره أنريكو تاجليوني .

تركت تمارى الرجلين وحدهما ، وعلم ميخائيل بيندر «وهو نفسه ميكي» الذي ظهر في هذه المرحلة بأسم باول ، بصفقة مشروعة وعملية مصدقة من قبل اعضاء الاوراتوم .

كان الفريق الثالث في هذه القضية . دولة تتمتع بصفة عضو مراقب في السوق الاوربية المشتركة أستطاعت أن تشتري اليورانيون لتصنيعه . ولكن المعروف لدى الجميع أن تلك الدولة لم تكن تملك الامكانات التكنولوجية لصناعة هذه المادة الخام ، وكان واضحا منذ البداية أن هذا الفريق الثالث لم يكن الا وسيطا فقط ، اما المشتري الحقيقي فيبدو أنه يريد أن يبقى وراء الستار .

تعرف ميخائيل بيندر «وهو ميكي» وأسمه في هذه العملية باول ، على الملحق الثقافي لتلك الدولة في باريس وهو ذاته معتمد مخابراتها في أوروبا ، وبعد محادثات

مضنية أعتمدت المراوغة والمداهمة في بادئ الامر ، توصل معه الى أتفاق ، بعد أن أفهمه أنه يعرف كل الاسرار . مثلاً :

يعرف أنه في تشرين الثاني — نوفمبر ستصل الى ميناء التويرب شحنة مؤلفة من مائتي طن من اليورانيوم أشتراها مصنع في بلد الملحق وأن المصنع وحده غير مهتم بالشحنة وحتى لايستطيع تصنيعها ، وأكثر من ذلك أن أصحاب المصنع لايعرفون شيئا عن هذه الشحنة من اليورانيوم وهو لم يطلبوها وأنما الذي أشتراها هو شركة المانية غربية اسمها «اسمرا) أسم صاحبها هو هيربرت شارف وأسم المشتري هو هيربرت شولزن ، وشارف وشولزن هما اللذان دفعا ثمن اليورانيوم ، وهما اللذان سيهتمان بتحميل ونقل اليورانيوم الى البلد الذي يقع فيه المصنع .

وقال باول للملحق الثقافي : أننا محتاجون الى هذه الشحنة أن ثمنها هو ثلاثة ملايين ونصف المليون من الدولارات وسندفع لكم عشرة بالمائة من قيمتها اكرامية أي أن العمولة ستكون أربعمائة الف دولار نقدا . أننا نعرف أنك لست وحدك . لذلك فهذه تذكرة سفر الى بلدك لتقابل رئيس مخابراتك وتحصل على موافقته خلال ٢٤ ساعة . وهذه خمسة الاف دولار للمصاريف أننا ندفع لكم هذه العمولة لاننا سنشتري السفينة بحمولتها من الشركة التي تنفذ العملية وهي شركة «بيساين تريدز شيبنغ كوربوريشن» .

من الواضح أنه ، حتى الفريق الثالث لم يلعب لعبة نظيفة في عملية النقل ، وأن جميع المشتركين والمهتمين كانوا مخادعين ، فقد أستعملوا شخصية دخيلة من المانيا الاتحادية هي هيربرت شولزن ، بالاضافة الى هيربرت اللذين أسسا في فيسبادين شركة تجارية ، سجلاها تحت أسم «اسمرا — خيمبا» التي أشترت فيما بعد شحنة اليورانيوم لصالح شركة في بلد الفريق الثالث .

وقعت شركة اسمرا — خيمبا في ٢٩ اذار — مارس عام ١٩٦٨ اتفاقية الشراء مع منتج اليورانيوم من الكونغو البلجيكية سابقا ، وزائير حاليا ، التي ابلغت لجنة المراقبة في منظمة الاوراتوم أنها ستسلم اليورانيوم بعد ثمانية اشهر في ميناء انتويرب البلجيكي .

لم يكن البلد الثالث عضوا كباقي الاعضاء في السوق الاوربية المشتركة . وبحسب اللوائح الخاصة للسوق الاوربية المشتركة . فأنه لم يكن لها الحق في الحصول على اليورانيوم مباشرة . لكن الفقرة «٧٥» من اللوائح الخاصة تسمح بارسال اليورانيوم الى دولة اخرى من دول السوق الاوربية المشتركة للتنقية فقط ، لذلك أتفقت الشركة الالمانية الغربية «اسمرا — خيمبا» مع الشركة الايطالية سايكا في ميلانو بان تجري لها بعض التعديلات .

تبين فيما بعد أن شركة سايكا ماهي الا مصنع للدهان وأن هذا المصنع لم يتعامل يوما من الايام مع اليورانيوم ، ولم يكن في خطة الانتاج امكانات تكنولوجية للتعامل مع هذه المادة . واعلن ممثلو شركة « اسمرا — خيمبا» انه سيتم خلط مسحوقين فقط ستقدمها نفس الشركة .

يتضح من ذلك أنها كانت مناورة احتيال ، بمعرفة مدير الشركة الايطالية ، الذي سيحصل على أثني عشر الف دولار على عملية خلط المسحوقين .

قدرت السلطات المعنية أن ذلك عملية نقل تجاري بحت ، وما دامت تستوفي الشروط القانونية ، فأنها سمحت بنقل ٥٦٠ برميلا من انتويرب الى جنوا ، بالتأكيد فأن المدراء المشتركين أو الذين يقفون خلف العملية ، لم يخططوا لارسال تلك الشحنة الى جنوا .

لكن العميل السري الاسرائيلي ميكي ، الذي كان يعرف عن الخطة ضمن كل شيء ، وأصبح شريكا غير مرغوب فيه ولا يمكن أهماله بالنسبة لكل المشتركين .

ابلاغ مصـــر

كان الوضع كما يلي : لم تكن المخابرات في بلد الفريق الثالث والموساد الاسرائيلية على علاقة صداقة ، كما افترض ميكي . فعندما تشاور الملحق الثقافي مع رئيسه ، التقى في باريس في احدى الشقق ، مع ممثل المخابرات المصرية المضادة فؤاد عبد الناصر وأبلغه بنوايا الموساد .

الاتفـاق

وفي السابع من تشرين الثاني — نوفمبر عام ١٩٦٨ التقى الملحق الثقافي مع ميكي ، ودار بينهما هذا الحوار :

قال الملحق : حسنا ياسيد بيندر ، سنترك لكم الشحنة في ميناء انتويرب ، ولكن هل لك أن تشرح لي ماذا ستفعلون بها .؟

اجاب ميكي : ارجو ان تترك هذا لنا . يمكنني فقط أن اخبرك بان الباخرة شيربورغ ستأخذ الشحنة . لن ارهقك بتفصيلات عن هذه الباخرة ، ويمكنني أن اطمئنك بانه لن يكون عليها اي شخص من بلدك .

صمت ميكي وانتظر أن يستغرب الملحق ذلك ، أو على الاقل أن يظهر اهتماما ، لكنه لم يفعل شيئا . فاضاف ميكي قائلا :

سنكون مسرورين لو كان بين الطاقم رجلان من بلدكم ..

قال الملحق : أنت لست جادا فيما تقول ..

قال ميكي : بلا أيها الصديق . سأكون مسرورا اذا زودتني بوثائق صحيحة لملاحين يحملان جنسية بلدك ، سيكونان من رجالنا .

الملحق الثقافي كان فطنا للغاية حينما أظهر فورا ردة الفعل قائلا : بالتأكيد سيد بيندر هذا شيء بسيط ، يمكنني أن ازودكم به . لكن يجب أن تعطيني صورتين لهذين الرجلين لوضعهما على جوازي السفر .

هز ميكي رأسه موافقا ، فاخطا هنا خطأ فادحا ، فقد وقع في الفخ .

قال الملحق : اين الاستلام سيد بيندر ؟

اجاب ميكي : في مرسيليا .

متى ؟

سابلغك .

بعد أسبوع نزل بحاران في محطة مرسيليا سان شارل . حملا حقائبهما على كتفيهما وانطلقا في الشوارع . عبرا الى بورمينا ودى كورنيش ، وفي كوى دي بورت ، دخلا الى مطعم صغير .

طلب أكبرهما ، مانير ازولاى ، بعض المأكولات ونبيذ ابيض . كان يتكلم اللغة الفرنسية بدون أخطاء ، اذ أنه نشأ وترعرع في الجزائر . لم يكن ملاحا . وانما كان من الأمرين في مركز التدريب التابع للموساد ، وقد اختير لهذه المهمة نظرا لخبرته :

اما الرجل الثاني ، فقد كان يدعى شاوول مزراحي . كان عضوا في وحدة العمليات العربية التابعة للموساد . وكان المطعم الصغير الملتقى المتفق عليه ، ليحصلا على أوراقهما الجديدة .

اشعل مزراحي غليونه ، ونظرا الى الجرسون الذي كان يصب الخمر في الاقداح ، ثم أنضم الى طاولتهما .

قال مزراحي : لقد طلبنا نبيذ ابيض .

اجاب الجرسون : اعرف لكن اسمحا لي ، ان ارحب بضيوفي شخصيا .

وضع الجرسون على الطاولة صينية عليها قدحان ، وعدد من جريدة اللوموند ، فيها جوازا سفر للملاحين ، وقد الصقت عليهما الصور الشخصية وختم وزارة الداخلية لدولة الملحق الثقافي ، وكانت خانة الاسماء فارغة ، كما اتفق ميكي مع الملحق على ذلك .

اكلا وشربا ، دفعا الحساب وخرجا ، كان لديهم وقت طويل الى أن يحين موعد القطار السريع الى باريس ، فسارا على أقدامهما الى محطة القطارات

خطـف

مرسيليا مدينة صاخبة ، والشوارع تكتظ بالمارة حتى في الليل ، وتبقى الخمارات والحانات مفتوحة حتى الصباح .

لذلك فقد وجد عدة شهود ادلوا بشهاداتهم حول الحادث في مركز الشرطة .

كانا شابين بحارين ، حسب لباسهما ، يسيران في حالة سكر عبر احد تقاطعات الطريق ، جاءت سيارة مرسيدس كبيرة وتوقفت فجأة ، وقفز منها عدة رجال ، تعاركوا قليلا ، ثم انطلقت السيارة وفيها البحاران .

فيما بعد ، ظهرت اقاويل منها أن العميلين الاسرائيليين وجدا نفسيهما في بيت حيث استجوبهما رجال المخابرات السرية المصرية . افشى احدهما بخطة الموساد .

ويقال أن مائير ازولاى قضى نحبه اثناء الاستجواب . اما رفيقه فلم يره احد بعد ذلك .

ليس مؤكدا أن الحادث وقع بهذا الشكل ، كما كتبه ، فيما بعد ، الصحفيون الاسرائيليون ، لكن من المؤكد أن الاجهزة العربية المضادة للجاسوسية ، علمت ببعض تفاصيل الخطة الاسرائيلية ، مما يؤكد ذلك مجرى الاحداث اللاحقة .

سرقة ٢٠٠ طن من اليورانيوم بالباخرة شيربورغ من بلجيكا الى حيفا

معركة بين المخابرات المصرية والموساد في «انتويرب» انتهت بـ ٦ قتلى

في انتويرب ، افلس صاحب ورشة للتصليح اسمه اميل جولدر ، وأعلن في احدى الصحف عن رغبته في بيع أو تأجير ورشته ، اتصل به هاتفيا احد المهتمين بذلك ، واستفسر عن حجم المكان وابعاده والالات الموجودة فيه ، وقال لجولدر انه سيرسل موظفيه للاطلاع على المكان والاتفاق معه ، وبعد ساعة حضر الموظفون ، واطلعوا على كل شيء ، وتم التوقيع على اتفاقية ، حيث حصل على أجرة ثلاثة اشهر مقدما ، كان جولدر سعيدا اذ جاءه السعد بعد سوء حظ ، سلمهم المفاتيح وخرج .

في مساء اليوم نفسه ، اشعل اربعة رجال النور في الورشة ، وأجروا بعض الترتيبات فيها ، وفي اليوم التالي ظهرت امام البوابة حاوية محمولة على شاحنة كبيرة ، طولها ستة أمتار مصنوعة من الفولاذ ، وهي تشبه الحاويات التي تستعمل في النقل الجوي ، قامت رافعة شوكية بوضعها على عربة ، واختفت خلف البوابة . في الساعة الثانية والعشرين والنصف ، ظهرت امام بوابة الورشة ثلاث سيارات صالون خصوصي ، عبرت اثنتان منها الى الساحة ، وبقيت الثالثة في الشارع ، وكانت الحاوية موضوعة على الارض في الورشة الفارغة .

والتقى ميكي وتمارى والقبطان البحري زييف بيران والميكانيكي ريورين غولدمان وعامل الراديو بيني ارنهايم ، والموظف المحترم والقاتل المحترف جاد أولمان .

كان العملاء السريون يعرفون ماذا يجري ، ستبقى الحاوية المعدنية لديهم بضعة

أيام ، ثم تضعها الرافعة كما هي مغلفة ومختومة ، على ظهر السفينة كبقية الحاويات التي تحتوي على براميل رصاصية ، وفيها مادة اليورانيوم .

سينتظرون فرصة فتح الحاوية من قبل عميلي الموساد ، اللذين يحملان الوثائق المزورة التي احضرها الملحق الثقافي ، عندها تسيطر المجموعة – الضاربة على الباخرة ويأخذ زمام القيادة الكابتن بيران ، ويتم تغير اتجاه الرحلة .

فتح ميكي باب الحاوية ، فظهر فيها مجال واسع كغرفة استقبال كان فيها بعض الفراش وعلب العصير ، تشاوروا حول كيفية التهوية ، وكل ما يلزم ، ليأخذوه معهم .

يسأل الكابتن زييف بيران : من هما الاثنان الموجودان على السفينة ، واللذان سيخرجاننا ؟

اجاب ميكي : انهما عميلان ، ازولاي وميزراحي ، ومعهما جوازا سفر مزوران .

يتبع أرسال المواد المشعة لرقابة الاجهزة الامنية ، التي تهتم بالمحافظة على القوانين ، وتهتم بالنقل شاحنات تابعة لمنظمة الاوراتوم .

كانت المادة المشعة موجودة في ٥٦٠ برميلا رصاصيا ، عليها الشعار الدولي لمثل هذه الشحنات «بولباث» احضرتها الى ميناء انتويرب باخرة النقل البريطانية دومينيك ، وكان قبطان الباخرة ، توماس جرين قد نقل مثل هذه المادة مرات عديدة ، كان يعرف ان عملية التنزيل والتحميل على شاحنات الى الباخرة ستستمر الى النهاية بدون انقطاع .

كانت الباخرة تدعى شيربورغ ، وذكر اسمها فيما بعد في كل صحف العالم ، بنت هذه الباخرة قبل ثلاثة عشر عاما في احواض صناعة السفن الالمانية الغربية ، كانت تبحر تحت العلم الليبيري ، كانت مهملة ، الا ان شركة بيساين تريدز شيبنغ كوربوريشن اشترتها بثلاثمائة الف مارك الماني غربي نقدا ، وحينما سئل محامي الشركة المالكة «بولتين للسفن» عن صاحب الشركة المشترية قيل له انه المهندس فريتز كوبكية .

طول مخزن الباخرة هو ٨٠ مترا ، وسرعتها ١٨ عقدة في الساعة ، أي انها بطيئة وتحتاج الى تسعة أيام للوصول الى ميناء جنوا من ميناء انتويرب . وحسب معلومات مجلة التايم الاميركية ، فقد كانت الباخرة مسجلة بأسم شركة لليبيريا وكان مدير الشركة هو عميل الموساد المعروف باسم دان أرث – ايربيل ـــ أي انها كانت ملكا للمخابرات الاسرائيلية .

أبحرت سفينة لنقل شيربورغ يوم ١٦ تشرين الاول نوفمبر عام ١٩٦٨ في الصباح الباكر ، من روتردام الى ميناء انتويرب ، وبعد فترة قصيرة ، ابحر القبطان توماس جرين بالسفينة دومينيك . وبذلك بدأت العلمية ، لكن ليس في الميناء ، بل في ورشة جولدر .

كانت الحاوية معدة . وفيها مخزون الطعام والشراب وبقية اللوازم وأنتعل العملاء السريون احذية خفيفة ، لكي لا تسمع خطوات اقدامهم على الارض ، وعندما اصبح كل شيء جاهزا للنقل ، تلقى ميكي بواسطة منسق اتصالاته ما يفيد أن الملحق الثقافي يطلب الالتقاء به مرة أخرى .

اللقاء المفاجئ

كان طلبا غير عادي ، فبين العملاء السريين قانون غير مكتوب ، وهو انهم ينفذون الشروط المتفق عليها مسبقا فقط ، ومع ذلك جلس ميكي في سيارة الستروين السوداء التي استأجرها بعد وصوله ، وبعد ثلاثين دقيقة كان ميكي يجلس امام الملحق وفي هذا اللقاء طلب الملحق اربعمائة الف دولار نقدا وبدون تأخير ، مقابل توسطه في عملية بيع اليورانيوم .

بقية ما حدث لم يكن بالامكان التأكد منه ، ولم يتمكن محققو منظمة الاوراتوم من ذلك ، ولا تبقى الاوجهة النظر الاسرائيلية المشبعة بالدعاية للموساد .

انصاع ميكي لطلب الملحق الثقافي ، مديده الى حقيبته ودفع له المبلغ ، فمن اين حصل ميكي على هذا المبلغ الكبير فجأة ؟ ولماذا كان يحمل دولارات في حقيبته ، برغم انهم اتفقوا على تحويل المبلغ بواسطة أحد البنوك في سويسرا ؟

هذا الامر نسبه الصحفيون الاسرائيليون ، والبناء القصصي الذي قدمته المواساد بحاجة الى انتباه اكثر .

ونستأنف الرواية الاسرائيلية :

عاد ميكي الى سيارته ، جلس وذهب بطريق متعرجة ، مسرعا مرة ، ومبطئا مرة أخرى ، الى ورشة جولدر ، حيث كان رفاقه ينتظرون بفارغ الصبر ، وهم في حالة عصبية ، لانهم كانوا يحملون اليورانيوم منذ فترة طويلة في ميناء انتويرب ، بالاضافة الى انهم كانوا يرغبون في معرفة سبب اللقاء الذي طلبه الملحق الثقافي مع زعيمهم ميكي . ولما عرفوا السبب تنفسوا الصعداء ، ولكن ليس لفترة طويلة .

معركة مع المخابرات المصرية

كان عامل الراديو ، بيني ارنهايم ، يجرب جهز الارسال ، وفجأة توقف ، فقد صدرت من الجهاز اشارة مجهولة ، اخذ بيني يستمع للاشارة ثم وضع جهاز الاستقبال في رقبته وخرج الى الساحة ، فتح كل الابواب ، ونظر في كل مكان حتى وجد تحت السيارة ما كان يبحث عنه . وأعلن الاستنفار في ورشة جولدر ، حيث كان كل شيء جاهزا للنقل .

وجد عامل الراديو تحت السيارة جهاز ارسال صغيرا ، ثبته رجال الملحق الثقافي حينما كان يدفع له ميكي النقود ، ليقودهم الى الورشة التي توجد فيها الحاوية الجاهزة وفعلا تم بواسطة الجهاز معرفة المكان ، وبعد لحظات ظهرت عدة سيارات امام الورشة ، وعلت اصوات عربية خلف البوابة ، وهي اصوات المجموعة المصرية الضاربة ، والمسلحة بالمسدسات الكاتمة للصوت .. استعد ميكي وعملاؤه فورا للقتال ، فتحوا الباب حيث دخل السائق بالشاحنة لنقل الحاوية . حدث اطلاق نار هادئ لم يثر الانتباه ، لانه كما يؤكد الصحفيون الاسرائيليون «ان اعداء ميكي ارسلوا محترفين للقتال يستعملون مسدسات كاتمة للصوت مثل الاسرائيلين ، لانهم لايرغبون بأن تتدخل الشرطة البلجيكية في هذا الامر وحينما انتهى كل شيء عد رجال

ميكي ستة قتلى من العرب ، وسائق الشاحنة البلجيكي ، الذي لم يكن يعرف ماذا يجري . اما العملاء الاسرائيليون ، فقد خرجوا من القتال دون أي خدش»

تحميل اليورانيوم

في تلك الاثناء ، كان اليورانيوم يحمل الى الباخرة شيربورغ التي كان مقررا ان ترفع مرساتها في الساعة السادسة مساء .

جلس ميكي وراء المقود ، ورجع الى الخلف نحو الحاوية الموجودة في القاعة ، بينما حاول الاخرون محو اثار الرصاص ، ورفع اخر الحاوية بالرافعة حيث دخل فيها اربعة من العملاء ، واغلق ميكي الباب من الخارج وتوجه بها الى الميناء .

وضع عملاء الموساد قبل يوم في نفس المكان بالميناء حاوية مشابهة فارغة . وحينما وصلت الحمولة الى جانب الباخرة شيربورغ وقف ميكي بجانبها تماما ، ولاحظ ان العامل الذي يقود الرافعة ينظر الى الاوراق التي كانت امامه ، كما لو كان يحسب ماذا يلزم ايضا تحميله . وحسب الرواية الاسرائيلية ، فان منظره كان يدعو للريبة الى درجة ان عملاء الموساد قرروا التخلص منه ، بضربة سوط مطاطي في داخله قضيب رصاصي ، واجلسوا مكانه رجلا اخر هو الذي ذهب بالرافعة الى شاحنة ميكي التي رفعها وبداخلها اربعة من عملاء الاسرائيلين . أما العامل المصاب فقد وجد في احد المخازن صباحا خلف كومة من الاكياس وهو في حالة غيبوبة .

اما ميكي فقد وضع في شاحنته الحاوية الفارغة التي وضعوها بالامس في الميناء وشرح للبواب ان خطا ما قد حصل وان عليه ان يحضر بعد اسبوع .

الملحق الثقافي القتيل

مر الحارس ، ويليم سميث للمرة الثالثة ، حول سيارة مرسدس ٣٠٠ جي . ال السوداء اللون ، وراى السائق جالسا دون حراك ، متكئا على يده الى الامام ، كانت السيارة تحمل لوحة دبلوماسية ، وحينما انتهت فترة عمل الحارس تجرأ وقرع على نافذة السيارة ، لم يرد السائق ، مما اثار الريبة لدى ويليم سميث . فتح الباب ، فسقطت جثة الرجل على الرصيف .

وتبين من التشريح ان احدى فقرات الرقبة قد كسرت نتيجة ضربة بجسم كبير على الرأس من خلف ، كانت السيارة سيارة الملحق الثقافي لبلد الفريق الثالث في باريس .

أما الرجلان الاسرائيليان اللذان كانا يحملان جوازي سفر من بلد الفريق الثالث ، فكان يجب ازاحتهما من مسرح الاحداث ، ليأخذ مكانهما رجلان عربيان ، وهذا ماحصل . وكان الفريق المصري الضارب الذي جاء الى ورشة جولدر لابادة العملاء الاسرائيليين هو الذي وضع رجلين مكانهما في الحاوية التي كان من المقرر شحنها على الباخرة شيربورغ .

هذا البناء القصصي معقد للغاية ، وغير مقنع ، لانه ليس واقعيا ، ويصلح لمسلسل تلفزيوني بطله لايتاثر بالرصاص ، فوق هذا ، فان عدد الجثث الضخمة لابد ان يقود الشرطة البلجيكية الى اثر القتلة .

ان الذي وضع هذه المعلومات تحت النور هم الصحفيون المتعاونون مع الموساد «التي لاتقهر» .

الرحلـــة

لنتابع اذن الحقائق المثبتة : ابحرت باخرة الشحن شيربورغ من ميناء انتويرب حسب الخطة يوم ١٧ تشرين الثاني – نوفمبر عام ١٩٦٨ في الساعة السادسة صباحا ، وكان على ظهرها ٥٦٠ برميلا رصاصيا ، تحتوي على ٢٠٠ طن من اليورانيوم ، والمتابع بشدة من قبل قسم المراقبة في منظمة الاوراتوم ، وفي احدى الحاويات الفولاذية في مخازن الباخرة كان اربعة من العملاء الاسرائيليين .

وحسب الخطة ، كان مقررا في الساعة الثانية من صباح اليوم التالي ان يقوم البحاران الاسرائيليان اللذان يحملان الجوازين المزورين بالنزول الى مخازن السفينة ، لفتح الحاوية واخراج زملائهما الاربعة ، ثم يقومون بالسيطرة على السفينة والشحنة .

لكن العملاء لم يخطر ببالهم ماذا يجري في مرسيليا لزميليهما ، ولم يستطع ميكي

ان يخبرهم بذلك ، فكان الاسرائيلين ابحر عربيان حقيقيان ، وكان عليهما تنفيذ نفس المهمة ، وهي فتح الحاوية واخراج زملائهم العرب ، ولم يكونان يعلمان انهم قتلوا قبل ان يحتلوا الحاوية .. ثم القيام معا بالسيطرة على السفينة والشحنة .

وبالطبع لان البحارين العربيين لم يعرفا ماذا جرى في ورشة جولدر ، وان زملاءهما قد قتلوا وان من يجلس الان في الحاوية هم الاسرائيليون ، وهكذا مضيا في الليل الى المخزن محاولين معرفة الحاوية التي يوجد فيها زملاؤهما .

سمع عملاء الموساد زييف بيران ، ريووين جوالدمان وبيني أرنهايم وجاد اولمان ، سمعوا الابواب وهي تفتح وحديثا باللغة العربية ، ففهموا ان القادمين ليسا ازولاي وميزارحي فاخذوا حذرهم ، وظهر العميلان السريان العربيان مرة ثانية .. وثالثة وطرقا على الحاويات لمعرفة الحاوية الفارغة . حينئذ قرر عملاء الموساد عمل شيء ، فقام ريووين غولدمان باستعمال جهاز الاكسجين لفتح ثغرة في الحاوية ، وتمكن العملاء من الخروج من الحاوية واختفوا في المخزن . كان ذلك في الساعة الثامنة عشرة والنصف من يوم الاثنين ١٨ تشرين الثاني – نوفمبر عام ١٩٦٨ .

في الليل ظهر العربيان مرة اخرى ، دخلا الى المخزن ، اشعلا ضوءا ، نزلا خلف بعضهما البعض على السلم الحديدي ، وحينما سقط الضوء على عملاء الموساد ، صوب غولدمان عليهما مسدسه الكاتم للصوت وارداهما قتيلين .

لم يذكر اسم قبطان الباخرة شيربورغ في التحقيق او في اي خبر من اخبار قسم المراقبة التابع لمنظمة الاوراتوم (الطاقة النووية) .

كان القبطان بريطانيا ، ولم يكن اسمه بيتر بارو كما يذكر احيانا .

كان الضابط الانكليزي بارني ماكدويل مناوبا على الجسر ، عندما صوب رجلان مسدسيهما نحوه ، فرفع يديه ببطء فوق رأسه .

قال احد الرجلين له : لن يحصل لك شيء .

واضاف الاخر قائلا : اذا تصرفت بحكمة .

وشرحا لماكدويل انهما يسيطران على الباخرة ، وأمراه بأن يتصل بالقبطان وان يستدعيه الى الجسر .

سار كل شيء بهدوء . وعبثا كانت محاولات اقناعهم بالقوانين والحقوق .

قال زييف بيران : لاتخف على مصير الباخرة ، عندي مؤهلات قبطان وخبرة طويلة ، وسأتولى القيادة ، كما ان اصحاب الباخرة لن يلوموك ، فهم يعرفون ماذا يجري هنا ، غدا ستتلقى من المركز برقية ، يؤكد فيها رئيسك ما اقول .

استمرت الباخرة شيربورغ في ابحارها ، وعليها شحنة اليورانيوم ، وكل شيء يبدو على ما يرام .

استنفار وبحث ومراقبة

من ميناء انتويرب ، افشى انريكو تاجليوني عشيق الصحفية شارون مانيرس ، العميلة السرية للموساد تمارى ، افشى معلومات من منظمة الاوراتوم في بروكسل تفيد بأن المهتمين بشحنة اليورانيوم ، ليس قسم المراقبة في الاوراتوم فقط ، بل الشرطة البلجيكية واجهزة المخابرات السرية لعدد من البلدان .

كان ذلك منطقيا ، فقد ترك عملاء الموساد خلفهم الكثير من الاثار في ورشة جولدر ، التي حصل فيها اطلاق نار ، حيث وجدت الشرطة البلجيكية جثثا في حفرة غيار الزيت في الورشة ، وكان رجلان منهم تبدو عليهما ملامح عربية .

كما ان الملحق الثقافي قد وجد مقتولا في سيارة المرسيدس . وفي الصباح وجد عامل الرافعة في المرفأ مصابا بجروح بليغة ، وبرغم انه عاد الى وعيه بعد ثلاثة ايام من العلاج المكثف ، الا انه لم يتمكن من اعطاء اية معلومات ذات قيمة ، وكل ما قاله ان مجهولا ضربه من الخلف على رأسه .

اهتمت اجهزة المخابرات الاوروبية كثيرا بالحادثة ، ولم تبق المخابرات الاميركية ساكنة بل ان بعض المصادر تؤكد ان المخابرات الاميركية كانت لديها معلومات مباشرة وانها كانت تعلم بالعملية .

لاحظ طاقم مراقبة في الاسطول السادس الاميركي في البحر لابيض المتوسط السفينة شيربورغ ، واخذوا في مراقبتها لمسافة طويلة ، ثم غير القارب وجهته واختفى وراء الافق .

وبعد فترة وجيزة من عبور مضيق جبل طارق ، ظهرت فوق الباخرة طائرات

بحث عسكرية من بريطانيا وفرنسا حيث سجلت موقعها وصورتها .

حينما اعلن الاستنفار في مكاتب منظمة الاوراتوم في بروكسل ، سأل رئيس قسم المراقبة البروفسور انريكو باكتيا في جنوا ، عما اذا كانت الباخرة قد وصلت بخير فجاءه الجواب بأنها لم تصل الى ميناء جنوا بتاتا ، واكد المدير العام للشركة الايطالية في ميلانو بأن اليورانيوم لم يصل .

لقد اختفت الشحنة ، مع اختفاء الباخرة شيربورغ كلها . كان مدير المخابرات السرية الالمانية الغربية. التي تتعاون مع المخابرات المركزية الاميركية الجنرال النازي السابق رينهارد جيهلين ، قد ابلغه عميله السري في ميناء الاسكندرية في الثامن من شهر كانون الاول ديسمبر عام ١٩٦٨ ، بأن السفينة شيربورغ والتي تبحر تحت العلم الليبيري قد رست في مرفأ الاسكندرية ، وارسل مركز المخابرات في بون مذكرة الى الاسكندرية طالبا معرفة التفاصيل .

بعد فترة وجيزة وبتأثير من قسم المراقبة في منظمة الاوراتوم ، عقد اجتماع طارئ حضره رؤساء اجهزة المخابرات السرية في دول السوق الاوروبية المشتركة ، وقدم الجنرال جيهلين تقريرا عن نتائج البحث الذي قام به عميله التركي .

ويفيد التقرير بأن افراد طاقم السفينة تركوها حالا .. اما الرجال الذين كانوا على ظهرها فلم يتمكن احد من العثور عليهم ، ولم يسفر البحث في المقاهي والفنادق والبيوت ذات السمعة السيئة عن شيء .

اكتشف المخابرات البريطانية بأن السفينة قد ابحرت من نابولي ، الا ان مسؤولا في ميناء نابولي صرح بأن السفينة لم تصل الى الميناء ابدا .

ظهر فيما بعد ان السفينة في تلك الاثناء . قد تغير اسمها واسم مالكها واسماء طاقمها واصبحت تسمى «كيركيرا» وملكيتها لشركة الملاحة اليونانية «اوريغال» اما القبطان الاسباني الذي كان يقودها فلم يعرف عن اليورانيوم اية معلومات .

وعندما ابلغ البروفسور انريكو باكيتا بحكم منصبه هذه المعلومات الى المدعي العام الحكومي في فرانكفورت ، بدأ المدعي العام بالتحقيق . الا أن التحقيق أوقف بعد فترة وجيزة لعدم وجود أدلة ، والتجأ البروفسور باكتيا ، الى ملاحظة الأمن ...

في لجنة الطاقة الذرية الاميركية الجنرال ديلهارا كروسون ، وابلغه بالظروف التي ادت الى اختفاء شحنة اليورانيوم ، لكن الجنرال الاميركي لم يفصح عن موقفه ، ازاء الحادث .

اثناء البحث في دفتر اليوميات للسفينة شيربورغ بين الصفحات المؤرخة من ١٦ تشرين الثاني – نوفمبر الى نهاية العام مفقودة . وبقي ذلك سرا طيلة عشر سنوات حتى عام ١٩٧٨ حيث ظهرت بعض الظروف التي تسمح مع بعض التحفظات على صحتها بأن نتصور عملية القراصنة هذه .

كيف يمكن ان تختفي باخرة شحن كبيرة تبحر في خط كثيف بالبحر الابيض التوسط .

ماذا يجري ما بين ١٧ تشرين الثاني – نوفمبر و ٢ كانون الاول ديسمبر ؟ حيث ابحرت السفينة فارغة الى الاسكندرونة .

قبل كل شيء ، فانه من المشكوك فيه ان تكون طائرات حلف الناتو قد تابعت السفينة بناء على امر من القيادة ، والارجح انها كانت دوريات عادية برغم تناقض المعلومات حول ذلك .

علم زعيم العملية ميكي عن حالة الاستنفار في مركز الاوراتوم ، فانطلق فورا الى السفارة الاسرائيلية في باريس واتصل باللاسلكي مع قبطان السفينة بيران ، وحذره من خطورة الوضع ، في حالة اكتشاف موضع السفينة وتضاعفت مخاوف القبطان حينما رأى طائرات استكشافية فوق سفينته ، بغض النظر عما اذا كانت هذه الطائرات مقصودة او غير مقصودة .. لذلك قرر القراصنة تنفيذ الخطة رقم (٣) .

كانت الخطة تتطلب تعاون كامل الطاقم ، ووعد العملاء البحارة بزيادة ٢٠٠ دولار لكل واحد منهم .

درس زييف بيران الخارطة البحرية للشواطئ اليونانية واختار جزيرة صغيرة ، ربما كانت غير مسكونة ، لها مضيق عميق .. واخفى السفينة هناك بعيدا عن الطائرات ، وفي الساعة العشرين والنصف ليلا ، ناورت السفينة ودخلت المضيق المحاط بالضفاف الصخرية .

جهز ريوون غولدمان عدة اللحام . وقام جاد أولمان بتوزيع العمل على البحارة .. اعطاهم ادوات ومواد الدهان .. وحينما تمكن الكابتن من ارساء سفينته ، كان كل شيء جاهزاً .

حاول بعض الصحفيين اعطاء اهمية لجهد القبطان (بيران) الذي أستطاع عبور المضيق المملوء بالصخور الحادة ولكن هذه الدراماتيكية يجب النظر اليها بتحفظ شديد .

فالقبطان الماهر لن يخاطر بسفينته التي تحمل شحنة ثمينة للغاية .. كالتي تحملها السفينة شيربورغ كما أن العملية قد جرت بالليل . وكان من العبث والجهل محاولة اخفاء السفينة والمخاطرة بها ، فعملية «التجميل» التي قام بها عملاء الموساد يمكن ان تتم في عرض البحر .

قام طاقم السفينة بقص المقطع الامامي للسفينة ، والقوا به في البحر كما انتزعوا مروحتين كبيرتين من الجزء الخلفي للسفينة ... وبذلك تغيرت بعض ملامحها .

ومن الصفائح والالواح عملوا ستارا ، مددوا به البناء الفوقي للجسر ، ثم قاموا بطلاء غرفة القيادة باللون الاخضر . وفي المقدمة ظهر اسم جديد للسفينة هو «كيركيرا» بدلا من اسم شيربورغ . والاسم الجديد للسفينة هو اسم يوناني لواحدة من اكبر جزر كورفو .

نفى المتحدث الرسمي الاسرائيلي وجود اية علاقة لدولته بالحادث . وقال ان الموساد الاسرائيلية ليس لها علاقة باختفاء السفينة شيربورغ وبشحنتها ، وان المفاعل النووي في النقب يعمل باليورانيوم الذي استطاع العلماء الاسرائيليون استخراجه من فضلات المواد الخام لمصنع البوتاس في البحر الميت .

لم تكن المعركة متكافئة ، بين الموساد وبين لجنة الطاقة الذرية ، فلم يكن لدى لجنة السوق الاوروبية المشتركة أو مدير منظمة الاوراتوم جهازا من العملاء السريين ، لذلك فان البحث عن اليورانيوم المختفي قد اقتصر على الطرق الرسمية .

اخفت الشرطة الجنائية في المانيا الغربية الحادث ، وعندما قام المحقق بلاتزهايم بالتقصي عن الحادث ، حيث اصبح على بعد خطوه من الكشف عن العملية ..

التي تمس اعلى المناصب الحكومية ، وجد المحقق بلاتزهايم في خريف عام ١٩٧٣ ميتا .. قيل انه انتحر شنقا في مكتبه ، وانه كان مصابا بحالة اكتئاب شديد .

اما العملاء السريون الاميركيون ، فانهم يعرفون مهنتهم جيداً ، وكان واضحا لدى وكالة المخابرات المركزية الامريكية كل ماقام به الموساد ، وقد قام مدير وكالة المخابرات المركزية في ذلك الوقت ، ريتشارد هيلمز ، بابلاغ رئيسه لبندن جونسون بنتائج التحقيق ، الا ان اللوبي الصهيوني في واشنطن تدبر الامر ، ولم يكشف العملية وبقيت في طي الكتمان ..

خطط برنادوت كانت ستجعل مساحة اسرائيل ٦ آلاف كلم٢ ولذلك كان يجب ان يموت

كان في الخمسين من عمره ، ومع ذلك كان شعره ابيض ، ومازال يفتعل البطولة كما لوكان قد عمل شيئاً عظيماً . اسمه باروخ ناديل ، وبالرغم من انه من ادوات تنفيذ عملية اغتيال سياسي ، الا انه يتصرف كمناضل ، وليس كقاتل . ويحاول في حديثه ان يضفي علىٰ نفسه هاله «السوبرمان الاسرائيلي» .

انت تؤكد انها عملية اغتيال سياسي .

اجاب تاديل : انها عملية تصفية ، فهناك فرق كبير بين الامرين .

كنت في ذلك الوقت ، مراسلاً صحفياً .

– وعضواً في منظمة شتيرن ايضاً .

هذه المنظمة ارهابية .

هذا ماتقولونه انتم . لقد كنا نناضل من اجل حرية اسرائيل ، وبرنادوت عدو لنا .

لكن الكونت فولك برنادوت ، كان رئيساً للصليب الاحمر السويدي ووسيطا تابعاً لمنظمة الامم المتحدة ، بل انه في نهاية الحرب ، انقذ عشرات الالوف من اليهود من معسكرات الاعتقال النازية .

– كان عدواً لاسرائيل ، وصديقاً للنازيين ياسيدي ، كان يحاول تقليص ارض دولتنا الجديدة وحاول ان يأخذ منا القدس وجزءاً من صحراء النقب ، اراد تجيير ميناء حيفا وفتحه للعرب ، وكان عنده مخطط مشابه لذلك بالنسبة لمطار تل ابيب – اللد ، وبحسب رأيه كان علىٰ دولة اسرائيل ان ترضىٰ بمساحة ستة الاف كيلو متر مربع ، واليوم وبعد انتصارنا في حرب الايام الستة اصبحنا نسيطر علىٰ تسعين الف كيلو متر مربع ، ان الحق مع القوي ياسيدي .

هذه الجملة تذكرني ياسيد ناديل بتاريخ الفاشية . الا تذكرك بذلك ، خاصة وانت تتذكر هتلر جيداً ؟

ابتسم الرجل ذو الشعر الابيض ابتسامة وقحة ، فهو يعرف انه لايمكن ان يتعرض لشيء الان .

وعلىٰ أية حال ، فأن المجموعات الارهابية قد ارتكبت العشرات وربما المئات من الاعمال الاجرامية منذ مقتل الكونت برنادوت ، ولم يتمكن احد من تقديم المجرمين الىٰ المحكمة .

حتىٰ وقت قريب ، ظهرت في الصحافة العالمية روايات كثيرة مختلفة حول جريمة الكونت برناودت ، التي ارتكبت عام ١٩٤٨ .

واحدث هذه الروايات تقول : ان المخابرات السرية البريطانية هي التي اعدت لهذه العملية ولم يكن للارهابيين الاسرائيليين اية علاقة بها . وقيل : ان التخطيط للعملية تم في فيلا روز ميري ، حيث التقىٰ اعضاء جمعية الشرق الاوسط ، للاعداد لهذه العملية ، وفي الخفاء كان يخطط ستانلي جولد فوت ، وناحوم نمري ، وشخص مجهول من المخابرات السرية البريطانية . ونفذ العملية «عملية الاغتيال» كما قيل مجموعة مؤيدة لمنظمة شتيرن الارهابية ، كانت تدعىٰ خاسيت هاموليديت «الجبهة الوطنية» وكانت كما قيل فرعاً من المخابرات السرية البريطانية ، يقودها ضابط بريطاني .

باروخ يتكلـم

بعد خمسة وعشرين عاماً تكلم باروخ ناديل ، وقلب هذه القصة المختلفة رأساً على عقب . لنتذكر باختصار الوضع السياسي في ذلك الوقت ، فلم يكن الصهاينة راضين بقرار الجمعية العامة للامم المتحدة الذي صدر في ٢٩ تشرين الثاني – نوفمبر عام ١٩٤٧ ، والمتعلق بتقسيم فلسيطين الىٰ جزئين مستقلين : عربي ويهودي ، ومنطقة دولية هي القدس ، وبدأ انشاء الدولة اليهودية الجديدة علىٰ ارض فلسطين بهجمات ارهابية ، ولعل اشهر هذه الهجمات تلك الهجمة علىٰ دير ياسين حيث جرت مذبحة تاريخية ، ومن هذه الهجمات ايضاً تدمير الحي العربي القطمون في مدينة القدس .

هذه الاعمال العدوانية اثارت غضباً عالمياً ، ولم يخف الكونت برناودت خيبة امله من ان دولة اسرائيل خلقت بالدم بدلاً من السلام ، كما ان اسرائيل لم تعترف بحق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة الىٰ وطنهم ، وقد اعرب برناودت عن ذلك في اجتماع الجمعية العامة للام المتحدة التي قبلت بمشروع اعادة اللاجئين الفلسطينيين ، لكن اسرائيل لم تنفذ ذلك حتىٰ اليوم .

شامير أعطىٰ أمر اغتيال الكونت

من اعطىٰ الامر بقتل الكونت برنادوت ؟

«ضحك ومرر اصابعه من خلال شعره ، لأنه يعرف جيداً بأنه لن يحصل له شيء ، وقام بلعب دور البطل» وقال : اللجنة المركزية لمنظمة شتيرن .

* هل يمكنك الكشف عن اسماء ؟

– لم لا ؟ .. فريدمان جيلين ، واليعازر نيسكي ، وبحسب معلوماتي انه يعيش الآن في اسرائيل تحت اسم اسحق شامير .

* معلومات صحيحة ، والدكتور شوب ، يحمل اليوم اسم هلداد ، متىٰ اتخذ القرار ؟

– في ١٤ آب – اغسطس عام ١٩٤٨ .

كان جيلين في ذلك الوقت في السلك الدبلوماسي .

كان موكولاً اليه تنظيم العلاقات الخارجية لاسرائيل ،

ونيكي كان المنظم .

* والدكتور شوب ؟

– كان ايديولوجي منظمة شتيرن .

لم يخف المجرمون خطتهم ، فقد دعت منظمة شتيرن الارهابية في ٩ تموز – يوليو عام ١٩٤٨ الىٰ مؤتمر صحفي حضره صحفيون اجانب ، وفي هذا المؤتمر اعلن ممثل المنظمة تهديداً صريحاً حيث قال : «اذا لم يغادر برنادوت وفريق الامم المتحدة ارض اسرائيل ، فأن اعضاء منظمة شتيرن لن يتهاونوا معهم ، سيتعاملون معهم ، كما يتعاملون مع الانجليز» .

اغتيـــال الكونت
برنـــادوت

سأل احد مراسلي وكالة انباء اميركية : هل يعني هذا انكم سوف تقتلونهم ؟

أجاب ممثل المنظمة : بالضبط .

لم يكن ذلك الا تهديداً مباشراً وصريحاً للمثل الرسمي لمنظمة الامم المتحدة . وبالرغم من ذلك فأن الاحداث قد توالت ، فعندما جاء الكونت برنادوت في زيارة للقنصل البلجيكي العام في القدس قام متظاهرون بإلصاق شعارات على باب قصر القنصل ، ومن هذه الشعارات : «ستوكهولم بلدك والقدس بلدنا» ، «عبثاً تحاول ، فنحن باقون هنا» .

كان الصحفي باروخ ناديل موجوداً في المؤتمر الصحفي الذي دعت اليه منظمة شتيرن وتكلم ناديل في هذا المؤتمر واتخذ موقفاً دراماتيكياً ، قائلاً :

«تقترحون ياسيادة الوسيط «برنادوت» ان تكون القدس محايدة بإعتبارها مكاناً عالمياً لمنح جائزة نوبل ؟» .

كان ذلك بمثابة نكتة . ولكن الامر لم يكن يدعو مطلقاً للضحك ، فقد فهم الكونت برنادوت ان الامر جدي وخطير ، لكن كان عليه ان يبقىٰ صامداً .

ازاحة الضابط الفرنسي

كان العملاء السريون الاسرائيليون قد اكتشفوا اثناء ذلك أن احد المراقبين لبرنادوت الضابط الفرنسي بيير اندريه سيروت ، ليس ممثلاً لبلاده في وحدات الامم المتحدة فحسب ، لكنه كان عميلاً سرياً في المخابرات الفرنسية .

وقد وجدوا ادلة واضحة علىٰ ذلك ، وابتدأ العملاء الصهاينة يتآمرون علىٰ الضابط الفرنسي ، في الزمان والمكان المناسبين . وبالتأكيد لم يكن يتخيل مدىٰ خطورة المعلومات التي افشاها حينما قال : ان برنادوت سوف يأتي الىٰ القدس يوم ١٧ ايلول – سبتمبر .

* هل قال لك ذلك شخصياً ؟

– لم يكن لي علاقة مباشرة معه .

– لكن خطة الاغتيال من تصميمك .

– لقد تلقيت امراً بتخطيط العملية . وقد التقىٰ أحد عملائنا بالضابط سيروت .

* هلّا اخبرتنا اليوم بأسمه ؟

– لا .

– لقد وجهت تهمة خطيرة للضابط سيروت ، ولعل من الضروري أن تثبت خيانته ، لقد كان ضابطاً فرنسياً شريفاً ، وقامت منظمة شتيرن بقتله مع الكونت برنادوت .

– كان ذلك خطأ مؤسفاً علىٰ انني اطمئنكم ، بأننا لم نقصد ذلك ، كانت مصادفة تراجيدية وعلىٰ أية حال لا ادري فيما اذا كنتم تعرفون بأن بيير سيروت لم يكن قديساً ، لقد كانت لدينا معلومات تفيد بأنه كان يعمل في المخابرات البريطانية ايضاً .

الخطـــة

خطط المجرمون لاحتمالين ، اخذين بعين الاعتبار اخطاءهم في عملية فندق الملك داود ، وفي عمليات فاشلة اخرىٰ ، فقد ارادوا ان يقتلوا برنادوت وحده ، وكانت الخطة بسيطة وهي تلغيم الطريق لايقاف قافلة السيارات ، وبذلك يكون هدف القناصة سهلاً في اصطياده ، كان ذلك الاحتمال الاول .

اما الاحتمال الثاني فكان يشبه الىٰ حد بعيد الافلام السينمائية ، حيث سيرتدي احد المتطوعين المستعد للتضحية بحياته لباس ضابط كندي من وحدات الامم المتحدة ، ويقترب من برنادوت في حفل الاستقبال ، ويطلق النار عليه من قرب بمسدس ذي سبع طلقات ، وحينما تعم الفوضىٰ يحاول الهروب .

قرر المجرمون تنفيذ الاحتمال الاول . فقد كان مقرراً لبرنادوت ان يعود من الرملة

الىٰ القدس ، وكانت القافلة ستذهب الى مقر الاقامة في الريحاوي اما من شارع ابو طور او من شارع القطمون ولضمان العملية فقد لغما الشارعين ، والبسوا الارهابيين لباس الجيش الاسرائيلي ، ووضعوهم في سيارات الجيب . وعلىٰ الرصيف وضعوا بضعة براميل مملوءة بالرمل ، وفي داخلها الالغام وكانت البراميل تبدو كنقطة تفتيش عامة .

* هل اشتركت في عملية الاغتيال ؟

– أجاب باروخ ناديل : لا ، لانني استراتيجي ، ولست قناصاً . نظمت مايلزم وذهبت الى تل ابيب للأهتمام بتأمين الانسحاب .

الانسحاب من مخبأ أمن ، بحسب المعلومات .

– هذا من صلب الموضوع ، لكن هناك شيء اخر بالنسبة لضابطكم البريء سيروت . فقبل ان تتحرك قافلة برنادوت . للحظة اتصل هاتفيا ، وقال كلمة واحدة : «القطمون» . اتفهم ياسيدي ؟

لقد عرفنا طريقه ، وبذلك لم نخاطر .

فوراً ، بعد المكالمة الهاتفية خرجت سيارات الجيب ، بالارهابيين المسلحين وقبل الساعة الخامسة مساء بقليل ، توقفوا امام مبنىٰ بيير هاوس ، حيث يوجد مكان مرتفع ومهجور .

في الساعة الخامسة ودقيقتين ، ظهرت قافلة الكونت برنادوت . في السيارة الاولىٰ ، كان يوجد ، ميجر الواحدات التابعة للامم المتحدة ، وكابتن من الجيش الاسرائيلي ، وضابط سويدي ، ومندوب الصليب الاحمر السويدي المير دي جير ، وسكرتيرة برنادوت باربارا ويسل .

حال الاعلان عن الدولة الاسرائيلية الجديدة في ١٤ ايار – مايو عام ١٩٤٨ ، بدأت عملياً حرب مفتوحة بين العرب واليهود . وحاول ممثلو الامم المتحدة جاهدين ، تهدئة الوضع السياسي واعلنت الجمعية العامة في اجتماعها المنعقد في ١٤ آيار – مايو عن ارسال وسيطها الىٰ فلسطين ، كان له مهمة واحدة ، – لكنها صعبة التحقيق ، وهي العناية باستتباب الامن في المنطقة ، بالاشتراك مع مجلس الامن .

قبل برنادوت هذه المهمة في ٢١ ايار – مايو ، وبعد ثلاثة ايام كان في تل ابيب . وبدأ العمل فوراً ، واقترح مجلس الامن هدنة لمدة اربعة ايام . واخذ برنادوت موافقة طرفي الصراع يوم ٩ حزيران – يونيو . وتوقف المجلس .

عمل برنادوت علىٰ وضع خطة لتحقيق السلام ، وقدم اقتراحاته يوم ١٦ ايلول سبتمبر ، اي قبل يوم من اغتياله ، قدمها الىٰ الجمعية العامة ، التي عقدت اجتماعاً في باريس . وفي يوم ١٧ ايلول – سبتمر ، طار من دمشق الىٰ القدس ، حيث زار مبنىٰ الحكومة ، والمقر السابق لكبار الضباط البريطانيين ، والتي – اصبحت مقراً لمنظة الصليب الاحمر ، واركان الامم المتحدة ، وفي طريق العودة كان بأنتظاره ارهابيو شتيرن .

التنفيـــذ

بعد السيارة الاولىٰ ، كانت سيارة اسعاف ، وكانت السيارة الثالثة سيارة برنادوت ، خلف المقود كان يجلس الضابط الاميركي فرانك بيجي ، وضابط اميركي اخر من الامم المتحدة ، وفي المقعد الخلفي ، كان الجنرال السويدي لوند سترم والضابط سيروت ، وعلىٰ يمين المقعد كان يجلس برنادوت .

جاءت السيارة الاولىٰ الىٰ نقطة التفتيش ، وافترض الكابتن الاسرائيلي انه تفتيش روتيني ، فأخرج رأسه من الشباك ، ليقول لهم ان هذه قافلة الكونت – برناودت ، لكي يفتحوا الطريق ، لم يستجيب الرجال حاملوا الاسلحة الرشاشة . وتقدموا بخطوات سريعة .

شامير أعطىٰ الأمر بأغتيال الوسيط الدولي

*** قائد شرطة القدس هرب القاتل الىٰ تل ابيب * ٨ رصاصات في جسد الكونت وواحدة في جبينه دليل الحب !**

في الساعة الخامسة وتسع دقائق مساء ، سمع صوت اطلاق نار ، اصابت

الطلقة الاولىٰ العقيد سيروت في رأسه ، حيث كان قد اخرج رأسه من شباك السيارة ، ليعرفه الارهابيون الذين عمل معهم مخبراً أو مجبراً . توفي سيروت في نفس اللحظة وصوب القناص رشاشة الىٰ الكونت برنادوت .

قال باروخ ناديل : حينما نقل برنادوت الىٰ المستشفىٰ ، ووضع علىٰ طاولة العمليات ، كان في جسمه ثماني طلقات وكانت واحدة في جبينه دليلاً علىٰ الحب . هكذا كانت الاوامر .

– حسبما قيل في الصحف ، فيما بعد ان القناصة فروا حالاً ، لكن واحداً منهم فقد مخزن الطلقات .

نعم . في تلك البنادق الرشاشة ، يجب ان يمسك باليد دائماً ، حتىٰ لايسقط .

– كانت عليه البصمات .

طبعاً .

– لكن حينما قبض البوليس علىٰ السيد ناديل ، كانت البصمات قد مسحت .

قال ناديل : اتستغرب ذلك ، وابتسم بخبث وقال : لقد كانت هذه – البصمات تتعلق بحياة انسان ، ومن خلال هذه البصمات يمكن ان يقبضوا علىٰ هذا الانسان .

قائد شرطة القدس
هرب القاتل

وهكذا ، فقد جرت عملية الاغتيال ، بحسب الخطة الموضوعة وكان يلزمهم من الوقت ٧٢ ثانية . اطلق الارهابيون النار ، وقفزوا الىٰ سيارات الجيب ، واختفوا خلف أول منعطف ، ثم تركوا هذه السيارة ، وتفرقوا في اتجاهات مختلفة وكان المخبأ جاهزاً لاستقبال القاتل .

قال باروخ ناديل : وفي صوته مشاعر الاطمئنان ، علىٰ اية حال ، يمكن لنا اليوم ان نفشي سراً ، لقد أوصل القاتل الىٰ تل ابيب قائد شرطة القدس ، ومكث

هناك حتىٰ زال الخطر . اما الاثنان الاخران فقد اختفيا في بيت خاص ، حيث لم يكن بأستطاعة ، حتىٰ الكلب البوليسي ، ان يجدهما ، كانا مختفيين . وعندما هدأ كل شيءٌ نقلا الىٰ تل ابيب ، حيث كنت بأنتظارهما .

– وماذا فعلتم بمخزن الطلقات الذي وجدته الشرطة ؟

حملوه الىٰ المختبر الجنائي . كان عليهم ان يحددوا بصمات الاصابع . كان سهلاً ان يعرفوا القناص لكن احد رجالنا كان يعمل هناك ، وعمل كل شيءٌ لاخفاء تلك البصمات ، القت الشرطة القبض علىٰ كثير من المشبوهين ، انا شخصياً كنت في السجن موقوفاً لمدة اسابيع ، ثم بدأت باضراب عن الطعام ، فأفرجوا عني ، لعدم توفر الادلة الكافية .

– ماذا يعمل اليوم قاتل برنادوت ؟ اما زال علىٰ قيد الحياة ؟

* انه يملك مزرعة ناضجة ، ويتاجر ببيع البرتقال الىٰ السويد .

الحكومة الاسرائيلية
ضالعة في الاغتيال

كانت نهاية الحديث مع باروخ ناديل مسرحية ، فالبطل المشكوك بامره منذ عام ١٩٤٨ ، قد كذب بشكل مكشوف ، وجميع ماقاله كان المقصود به التأثير علىٰ الصحافة العربية ، لكن من حيث المبدأ ، فأن باروخ قد قال الحقيقة من حيث ان قتلة الكونت برنادوت ، مازالوا حتىٰ اليوم مجهولين .

لم تجد القيادة الاسرائيلية في البداية صعوبة كبيرة في توضيح خلفية الاغتيال فقد بدأ التحقيق بعد اكثر من اثنتي عشرة ساعة ، تحت ضغط الرأي العام العالمي ، وقد صرح نائب برنادوت ، الذي اصبح ، فيما بعد ، نائباً للامن العام للامم المتحدة رالف بالش ، بأن الحكومة الاسرائيلية قد شاركت في الجريمة ، اذ كان يجب عليها ان تهتم اكثر بأمن الوسيط الدولي برنادوت وكان علىٰ الشرطة ان تحميه من الهجمات المحتملة ، وقد تبين ان الشرطة علىٰ العكس من ذلك ، تعاونت مع الارهابيين .

ولتهدئة الرأي العام العالمي ، قامت الشرطة الاسرائيلية باعتقال قائد عصابة شتيرن المدعو ناثان فريدمان جلين ، حيث كان واضحاً للجميع ، بأن اعضاء هذه العصابة هم الذين نفذوا عملية الاغتيال ، وحكموا علىٰ شخص اخر هو ماتيتيا هو شموليفتر بالسجن لمدة خمس سنوات ، وقد تبين من خلال المداولات ان المسؤول عن القتل هو فريدمان جلين ، وحكم عليه بالسجن لمدة ثماني سنوات ، لكنه لم يبق في السجن طويلاً ، فبعد شهرين أطلق سراحه ، وذهب مباشرة من السجن ، للجلوس في مقعده في الكنيست الاسرائيلي ، حيث انتخب ممثلاً لليهود ، بعد ان تم ترشيحه لهذا المنصب ، وهو في السجن .

لقد سمى باروخ الاشياء بأسمائها ، حينما اصدر عام ١٩٦٨ كتاباً في اسرائيل بأسم «قتل الكونت برنادوت» وفي حديثه مع المراسل الالماني الغربي اعلن بأن «خطط برنادوت كانت ستجعل من اسرائيل بقعة صغيرة علىٰ الخارطة . لذلك كان يجب ان يموت» .

اغتيال اللورد موين في القاهرة
عصابة شيترن تقتل وزير الشرق الأوسط البريطاني لأنه كان مناوئاً للصهيونية

توقفت السفينة في ميناء الاسكندرية ، بعد الساعة التاسعة مساء وقفز البحارة فورا متجهين الى المدينة . كان من بينهم حكيم البالغ من العمر ١٧ عاما ، يرتدي بدله سهرة أكبر من عمره غامقة اللون ، له شارب جعله أيضا يبدو أكبر من عمره ، كما لو كان في الخامسة والعشرين ، كانت تصرفاته جدية ، وهو في هذا العمر .

ذهب البحارة الى الكورنيش ، حيث أضاءته الملاهي الليلية . لكن حكيم ذا الشعر الاسود ، ذهب الى شوارع المدينة القديمة . وقف بجانب كشك هاتف ، نظر حوله ، ثم دخل وأدار قرص الهاتف .

قال ؟ أزيكيال يتكلم .

– مرت لحظة صمت ، ثم أجاب صوت فتاة : حسنا ، أكتب رقم الهاتف . يمكنك أن تتحدث حالاً . سيرد عليك مركز عسكري ، أطلب الوكيل جليلي .

وضع حكيم السماعة ، وأدار القرص على الرقم الجديد ، وكان صوت الوكيل جليلي من الطرف الاخر ، فقال له : ايزيكيال يتكلم .

قدم جليلي في الجيش البريطاني ، في هيئة الاركان العامة . وكان ممثلا للمنظمة الارهابية الصهيونية ، شتيرن ، التقى جليلي وحكيم ودار بينهما هذا الحديث :

قال جليلي : هذه أوراق جديدة لك ، انس اسمك ، منذ الان لست الياهو حكيم منذ هذه اللحظة سوف تدعى اسحاق كوهين .

– ولكن هذا الاسم يهودي .

ليس بالضروري أن يكون كوهين يهوديا . انت لا تعرف اللغة العبرية . سوف

تجلس في المقاهي العربية فقط . تجنب اليهود ، وراقب جيدا منطقة الجزيرة ، راقب كل شارع فيها .

– لكن الن يكون ذلك ملحوظا ؟

لن يعرف أحد . أنت لبناني ، وتبدو كأي مصري ، وفوق هذا ستصل اليك مساعدة تسمى يانا توفيق ، وذلك في ١٤ أيلول – سبتمبر . انها ممرضة ، عمرها واحد وعشرون عاما . ستقدم نفسها كصديقة قديمة من سنوات الدراسة ، حيث كنتما تتراسلان .

– نعم .

ستضع يدك في يدها ، وتقبلها احيانا ، لكي تظهرا كعشيقين ، وبذلك لن يشتبه بكما أحد .

«عاشقان» في القاهرة

كانت الفتاة جميلة وودودة ، أجادت دورها تماما . ذهبا بالقطار الى القاهرة . سارت مع حكيم في شوارع منطقة الجزيرة ، وفي وسط المدينة ، كانت ترشده ، أكثر مما كان يرشدها .

قالت له : الامكانية الوحيدة هي مكان اقامته .

– أجاب حكيم : لكنهم يحرسونهم .

على بعد حوالي مئتي متر يوجد جسر بولاق حين تعبرونه ستكونون في أمان .

– وماذا عنك ؟ ألن تكوني معنا ؟

لا ، سيكون معك مساعد اخر .

جاء منتصف تشرين أول – اكتوبر ، كان اسمه الياهو بن زوري . عمره أثنان وعشرون عاما . مهمته تأمين انسحاب حكيم . وفي اليوم الثاني أو الثالث لوصوله ، جلس الثلاثة سوية . كان حكيم يضع يده بيد الفتاة كعاشقين حقيقين وفي الطريق تكلما بالتفصيل عن العملية .

عملية اغتيال سرية

أعدت قيادة شتيرن عملية اغتيال سرية . ففي منتصف العام ١٩٤٤ ، التقوا في بيت خاص ، في تل أبيب ، يعود لعائلة بولونية تدعى يزرنيقسكس ، وشيب . وقد كتب جيرالد فرانك ، عن أسباب الاغتيال التي دافع عنها اثناء الاجتماع مفكر المجموعة قائلا :

– «أن والتر ادوارد جينيس ، لورد موين أوف بيري سان الموندز (البيرة – الانكليزية جينيس ، أخذت اسمها من أسم جد قديم له ، وتعود لعائلته حتى اليوم أكبر معامل للبيرة في بريطانيا) يجب أن يعاقب على أعماله .وبرغم انه ينفذ اوامر حكومته ، الا ان قرارات هذه الحكومة ، تعتمد الى حد كبير ، على الاخبار التي يرسلها لها ، لذلك فهو مذنب ، ويجب قتله للتحذير ، اما الذي سيأتي بديلاً له فسوف يفكر جيداً قبل أن يقوم بنفس اعماله ، سوف يكتب عن الاغتيال ، وسوف تتاح للاسرائيليين ان يوضحوا للرأي العام العالمي دوافعهم» .

برغم كل الاحتياطات المسبقة ، الا انه عرف عن المقصود بالاغتيال ، رجل كان يجب أن يكون اخر من يعلم . انه الميجر سانوم ، رئيس مكتب الامن البريطاني في القاهرة ، اي انه احد ضباط الاستخبارات البريطانية في مصر ، ومسؤول عن امن ممثلي الحكومة والجيش البريطاني

كان الميجر سانوم رجل استخبارات محنكا . في عام ١٩٤٢ ، اكتشف وافشل عملية الكوماندوز الذكية التي كان سيقوم بها رجلان خطير ان من رجال رومل هما : ايبلر ومونكاستر . وقد ساعدته امرأة تسمى ايفيتا ، وهي موظفة في أحد النوادي الليلية في القاهرة . وجاءت الان لتساعده مرة اخرى .

لم يعرف اسمها الحقيقي ، لكن الثابت ، انها عملت في احد المحلات التي يرتادها كثيرا من الضباط الانجليز . واعترفت ، بنفسها ، انها عملية للمخابرات الاسرائيلية ، وأنها لاتعمل تحت أمرة سيد واحد فقط .

لم يرها الميجر سانوم ، منذ فترة طويلة . وفي احدى الليالي ، ظهرت بجانبه على البار ، في ملهى ليلي .

قالت له : لنشرب سوية كأسا أم انك تفضل الذهاب الى الحلبة ؟

* قال لها : أتريدين شيئاً ياأيفيتا

– نعم

* اذن لنبحث عن طاولة نجلس اليها ؟

جلسا في زاوية وقالت ايفيتا :

ليس بالشيء السهل علي أن أقول لك ، لكنني أجد ذلك من واجبي ، لا أستطيع الصمت . انني أخبرك على الاقل لتعرف ان منظمتي ليس لها علاقة بما سيحدث .

* قولي .

تحضر عملية اغتيال ، هنا في القاهرة .. والضحية لن يكون مصريا .

– من الذي يحضرها ؟

اسرائيل ، لكنني أقول ثانية ، بأن منظمتنا لا علاقة لها بهذا الامر . سنمنع ذلك لو عرفنا الوسيلة ، لكنكم انتم تعرفون كيف تدبرون أموركم جيدا .

اجراءات ولكن !

الامر كان محيرا للميجر سانوم : وبما انه لا يملك اي سبب في عدم تصديق ايفيتا ، فقد طلب من كافة القادة السياسيين والمثلين العسكريين ان يزيدوا من اجراءات الحماية الشخصية .

وافق الجميع ، باستثناء الوزير البريطاني للشرق الاوسط في القاهرة اللورد موين ، فقط قال بانه ليس بحاجة الى اية رقابة بوليسية .

وضعت وكالة المخابرات البريطانية كافة المشبوهين تحت المراقبة ، كذلك وضعت كل شخص يحتمل ان يكون له علاقة مع المخابرات الاسرائيلية . وعلى الحدود فتشوا كل سيارة داخلة ، وفي المطارات فتشوا الاشخاص المسافرين ، وفي مراكز الشرطة ، ظهرت كشوفات باسماء المشبوهين .

لم ينتظر الميجر سانوم ان تقوم المخابرات الاسرائيلية بتنفيذ هذه العملية الخطيرة

على ايدي عملاء معروفين ، وتوقع ايضا ان الذين سيغتالون السفير او ، احد الضباط الكبار ، سيكون لهم تغطية كاملة ، وستكون اوراقهم الثبوتية دقيقة بدون أي خطا .

في الوقت الذي كانت فيه فلسطين تعيش في جو من الرعب والارهاب والفوضى حيث كان الناس غير امنين على حياتهم في شوارع القدس ، كانت القاهرة تبدو للوهلة الاولى آمنة مطمئنة .

كان السادس من كانون اول ديسمبر عام ١٩٤٤ يوما حارا وخانقا ، خرج اللورد موين ، والبالغ من العمر ٥٦ سنة متوجها الى منزله ، وبجانب السائق جلس وكيل الوزير الكابتن هيوجس فيلر .

كان الوقت ظهرا ، ودرجة الحرارة وصلت الى ثلاثين درجة مئوية ، جاء وقت الغذاء والقيلولة . خرجت السيارة السوداء من المقر الرسمي لوزير الشرق – الاوسط الى مكان اقامته ، في فيلا واسعة في منتصف الجزيرة بالقاهرة ، حيث الاغنياء والشخصيات المرموقة .

شرطي مصري يطارد القاتلين فيصيب أحدهما ويعتقل الثاني بالتعاون مع المارة

الاغتيال

كان الياهو حكيم ، والياهو بن زوري ، يسيران على دراجتين هوائيتين في شوارع القاهرة ، وقبل الساعة الواحدة ظهرا بقليل ، انعطفا نحو شارع الملك فؤاد ، بعد زمن قصير ، ظهرت أمام الفلا سيارة سوداء ، وفيها اللورد موين .

وقفت السيارة أمام المدخل ، كما هي العادة في مثل ذلك الوقت .

وقف أمام البناية شابان ، أحدهما ذو شعر أسود ، والاخر ذو شعر أشقر كانا يتمازحان . لم ينتبه لهما أحد ، نزل السائق ، ليفتح الباب هنا تحرك الشابان بضع خطوات الى الامام وهما يحملان المسدسات ، ومن مسافة قريبة للغاية أطلقا النار ، أطلق حكيم ثلاث رصاصات على اللورد موين ، أما بن زوري ، فقد أطلق النار على السائق ، كلاهما اصاب الهدف بدقة ، سقط السائق على الارض ، ووقع أخطر شخصية بريطانية في المنطقة على المقعد الخلفي للسيارة . احدى الرصاصات اخترقت حنجرته ، والثانية اصابت بطنه . توفي السائق على الفور . أما اللورد موين ، فقد توفي مساء في المستشفى .

الاعتقال

ركب الارهابيان دراجتيهما ، وانطلقا باتجاه بولاق . في تلك اللحظة ، تبعهما شرطي عربي ، على دراجة نارية ، بعد أن نبهه خادم كان يقف على درج الفيلا بأنتظار اللورد . استطاع الشرطي اللحاق بهما ، فاستدار أحدهما اليه واطلق النار من مسدسه فاخرج الشرطي مسدسه ، واطلق النار عليه ، فاردى الياهو بن زوري على الارض ، وهجم الناس على الاخر وامسكوا به .

وهكذا ، وكما في كل الاغتيالات السياسية ، منذ عصر التوراة وحتى وقتنا الحاضر ، كانت حسابات الارهابيين بان الرأي العام سيثور ، ثم يتعاطف معهم .

رد الفعل

وكل ما حصل هو منع التجول بعد الساعة السادسة مساء ، بالاضافة الى خطاب جاد القاه رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل في مجلس العموم البريطاني قال في خطابه :

– «ان بريطانيا العظمى ، ستعيد تقييم موقفها من حركة الصهيونية ، اذا اثبتت حكومة جلالته ان الصهيونية تتبع الطرق الارهابية ، التي لاتختلف عن الطرق النازية» .

حاولت المراكز الصهيونية تبرئة نفسها من الحادث ، حتى ان الوكالة اليهودية اعلنت بانها تطالب بمعاقبة الارهابيين بشدة .

الاعتراف والاعدام

رفض الارهابيان الاعتراف بما قاما به ، طوال ثلاثة أيام وهي المدة المحددة لحمايتهما ، التي من المفروض ان يكون قد تمكن اعضاء المجموعة الارهابية ، – شتيرن ، من الاختفاء خلالها .

في التاسع من كانون الاول – ديسمبر ، طلب الشاب ذو الشعر الاشقر ، الذي كان يحمل اثناء الحادث ، اوراقا شخصية باسم سالزمان طلب الحارس ، ليقوده الى مكتب المحقق حسين ، الذي كان يحقق في الحادث . وقال له :

– «اسمي الياهو بن زوري ، عمري اثنان وعشرون عاما ، جئت من تل ابيب الى القاهرة لكي انفذ الاوامر ، صديقي الياهو حكيم طالب من حيفا ، عمره سبعة عشر عاما . كلانا عضوان في منظمة شتيرن» .

وقف بن زوري وحكيم امام المحكمة ، التي اصدرت حكما بشنقهما حتى الموت . ونفذ الحكم فيهما في ٢٢ اذار – مارس عام ١٩٤٥ .

بيغن قاد العملية بنفسه ولكن الوثائق ظلت سليمة

نسف مبنى فندق الملك داوود بالقدس لإتلاف الوثائق السرية الصهيونية

بعد ان انتهت الحرب العالمية الثانية بهزيمة الفاشية تلقت المنظمة الصهيونية شبه العسكرية والمسماة بالهاغانا في ١٩٤٥/١٠/١ امرا من بن غوريون بالقيام بنشاطات مسلحة ضد الوحدات البريطانية على ارض فلسطين وانه آن الاوان بأن تخلق دولة اسرائيل بالدم والحديد .

لم تكن تلك النشاطات نشاطات عابرة بل كانت مدبرة ومخططا لها بشكل جيد وكانت تشكل خطرا كبيرا على الوحدات البريطانية ، كما هي الحال في حرب العصابات .

وابتداء من ١٩٤٥/١٠/١ تقرر انهاء التعاون مع البوليس البريطاني ومنع دخول اي رجل بريطاني الى الكيبوتسات اليهودية كما ان الاسرائيليين سيعملون ضد السيطرة البريطانية بحسب قواعد المقاومة السلبية .

كان التدريب العسكري الصارم للشباب اليهود يجري على قدم وساق في فلسطين وفي الدول الاوربية المختلفة الذين كانوا يستعدون للهجرة الى «ارض الميعاد» ليتمكنو من الانضمام الفوري الى صفوف الارهابيين .

كون قادة الهاغانا لجنة خاصة تسمى «المعهد اكس» وهي عبارة عن القيادة المركزية للمجموعتين ارغون وشتيرن ومهمة هاتين المجموعتين تنسيق الهجمات التخريبية .

وخلال شهر واحد فقط نفذ الارهابيون الصهاينة عدة عمليات في غاية الخطورة ، ففي ميناء يافا اشعلوا النار بسفينتي حراسة تابعتين للبحرية الملكية البريطانية وفجروا في حيفا قاربا لحراسة الشواطيء كما دمروا تجهيزات للسكة الحديد واحرق اعضاء منظمة شتيرن مصفاة البترول في حيفا وسجل البوليس الحربي

البريطاني خلال شهر واحد اكثر من خمسمائة تفجير ودمر خط السكة الحديد الذي يربط غزة بالحدود السورية بمئة وستة وثمانين موقعا .

في ذلك الوقت افادت مصادر معلومات المخابرات السرية البريطانية بان المنظمات الارهابية الصهيونية «الهاغانا والارغون وشتيرن» قد توحدت ، فقررت لندن ان ترسل الى فلسطين واحدة من الفرق المجربة في الحرب العالمية الثانية والتي اثبتت مقدرتها في ساحة القتال في كل من نورماندي وارنهايم .

ازدادت موجة الارهاب الى حد لايطاق فلم يكن يمر يوم دون ان يقوم المخربون الصهاينة بقتل رجال الشرطة البريطانيين او باختطاف الضباط والجنود او بتفجير خطوط السكة الحديد او المطارات او المصانع .

وفي ليلة ١٨/ حزيران عام ١٩٤٦ دمر الارهابيون عشرة جسور استراتيجية هامة على الحدود الشرقية كما دمروا جسرا حيويا على نهر الاردن يربط اريحا بعمان .

اجراءات مضادة

على الصعيد الاخر اصدر القائد البريطاني في فلسطين الجنرال باركر امرا للقيام باجراءات مضادة واعدت قيادة اركانه عملية عسكرية اطلق عليها اسم «عملية اجاثا» ودبرت العملية بشكل محكم وسري كما هو الحال في كل العمليات العسكرية وكان الهدف من هذه العملية القاء القبض على قيادي ومنظمي واعضاء المجموعات الارهابية الصهيونية ، بعد عملية مداهمة سريعة ومفاجئة .

رتبت المخابرات السرية البريطانية جداول بأسماء الاشخاص المطلوبين وحشد لتنفيذ العملية مائة الف جندي والف وخمسمائة شرطي بريطاني وكان عليهم مداهمة بيوت المجرمين الصهاينة واعتقالهم قبل بزوغ الشمس وفي نفس الوقت سيقوم اخرون بتفتيش مكاتب المنظمات والاستيلاء على كافة الوثائق السرية .

اعتقال القادة ومصادرة الوثائق

ابتدأت عملية اجاثا يوم الاحد ٢٩ حزيران عام ١٩٤٦ في الساعة الثانية

صباحا ، وفي الساعة الثالثة وخمس واربعين دقيقة احتل الجنود البريطانيون كل الاحياء في المدن وقطعوا خطوط الهاتف وعزلت القرى والكيبوتسات عن المناطق الاخرى ، بدأ الهجوم في نفس اللحظة في كل المواقع وطرق رجال الشرطة ابواب الاف المشبوهين وبعد ساعات قليلة كان قادة الحركة الصهيونية يقفون خلف القضبان باستثناء بن غوريون الذي تصادف وجوده في ذلك الوقت في باريس .

واستطاعت الشرطة البريطانية الحصول على وثائق في غاية الاهمية والسرية في ادراج المنظمات الصهيونية الارهابية واصبحت البلاد في قبضة بريطانيا مرة اخرى .

كان في معتقلات رفح واللطرون وعتليت ٢٧١٨ ارهابيا صهيونيا وحملت مصفحة بريطانية الوثائق المصادرة الى فندق الملك داود في القدس حيث مقر دائرة التحقيقات الجنائية «سي . اي . دى» .

اما بقية قيادي الهاغانا وشتيرن وارغون الذين تمكنوا من النجاة من الشرطة البريطانية فقد اجتمعوا في بيت منعزل في تل ابيب واقروا بالخلل الذي اصاب ميزان القوى وان المنظمات الصهيونية قد ابيدت كما ان موشيه شاريت رئيس المخابرات المركزية للهاغانا والموساد ومشاى ، كان في السجن حيث لم يعلم شيئا عن تلك العملية التي نفذتها بريطانيا برغم ان رجاله كانوا مزروعين في طول البلاد وعرضها .

معلومات خطيرة

كانت الوثائق السرية التي اصبحت في يد دائرة التحقيقات الجنائية قنبلة سياسية من الدرجة الاولى ، فقد كانت تحتوي على كل النصوص السرية للاتفاقات بين الوكالة اليهودية ومنظمات الهاغانا وبريشا والموساد والشاي بالاضافة الى معلومات عن المخابرات السرية ريشيش واوامر موقعه من موشيه شاريت بتدمير الجسور على نهر الاردن ووثائق خطط المنظمات الصهيونية للاستيلاء على السلطة في البلاد .

كانت جميع هذه الوثائق على الطاولات البريطانية في احدى قاعات فندق ، الملك داوود في القدس ، ان وجود هذه الوثائق في ذلك المكان يشكل هزيمة ساحقة للمنظمات الصهيونية .

ظهور بيغن

في هذا الجو المتأزم ظهر مناحيم بيغن رئيس منظمة ارغون الارهابية والذي دخل تاريخ الاجرام بحادثة فيما بعد ، فبقيادته نفذت عصابة الارغون مجزرة جماعية في قرية دير ياسين القريبة من مدينة القدس حيث قتلت في التاسع من نيسان عام ١٩٤٨ مئتين واربعة وخمسين مواطنا عربيا من بينهم مئة وخمس واربعون امرأة كانت تلك المجزرة شبيهة جداً باعمال النازيين الفاشست في المانيا .

تدمير فندق الملك داود لاتلاف الوثائق

في تموز عام ١٩٤٦ توصل بيغن الى فكرة بسيطة وهي انه من غير الممكن لحفنة من الارهابيين الذين نجوا من الاعتقال ان يستعيدوا الوثائق المصادرة من مكاتب دائرة التحقيقات الجنائية البريطانية في فندق الملك داود لذلك يجب اتلاف هذه الوثائق ويعني ذلك ببساطة تدمير الفندق .

كان فندق الملك داود عبارة عن بناية ضخمة وواسعة مبنية من الحجر والطوب والاسمنت المسلح . وكان فيه مكتب هيئة الاركان ومقر مديرية التحقيق الجنائي ، لذلك كانت البناية محاطة بحاجز من الاسلاك الشائكة واكياس الرمل التي تتمترس خلفها المدافع الرشاشة ومختلف انواع الاسلحة وكانت الحراسة مشددة للشرطة العسكرية ليلا ونهارا لقد كان فندق الملك داود قلعة عسكرية بريطانية في قلب مدينة القدس .

العمليـــة

في ٢٢ تموز عام ١٩٤٦ وقفت سيارة الجيب امام مقهى ريجنسي الذي كان مفتوحا للزبائن ، قفز من السيارة بضعة رجال حملوا معهم جرار الجيب ودخلوا البناية .

في المقهى ظهر بضعة زبائن جدد مروا من بين الطاولات وتوزعوا قرب الجدار . واشهر كل واحد منهم مسدسه من تحت المعاطف واجبروا الخدم العرب على

رفع ايديهم وامام اعينهم اطلقوا النار على جنديين بريطانيين تصادف وجودهما في المكان اثناء العملية ، وكانت دورية شرطة عسكرية تمر من امام الفندق الا ان ، المجموعة الارهابية بزعامة مناحيم بيغن كانت مسلحة ايضا ففتحت النار على الشرطة في حين احضرت مجموعة جرار الجيب المملوءة بالمتفجرات التي تقدر بحوالي ٢٥٠ كيلو من مادة تربنتير وتولوين .

القى بيغن نظرة اخيرة على ترتيب المتفجرات ، وضبط خبير المتفجرات في منظمة ارغون امهاي بيجلبين ساعة التوقيت وخرجوا جميعا من البناية .

في مقهى ريجنسي كان الارهابيون ما يزالون يحتفظون برهائن من الزبائن والخدم وحينما مر بيغن صاح بهم :

اتركوهم دعوهم يخرجون بعد قليل سوف يفجر المبنى كله .

ركضوا جميعا نحو الشارع حيث كان اطلاق النار مازال مستمرا وامام المبنى كانت تقف سيارة اسعاف بريطانية وكان الجنود البريطانيون يحاصرون المبنى من كل جانب .

واصبح وضع بيغن حرجا للغاية لكن المخربين كانوا يتوقعون مثل هذا الوضع ، فاعطى خبير المتفجرات بيجلبين اشارة لاحد رجاله الذي القى قنبلة دخانية غطت انسحابهم .

في الساعة الثانية عشرة وعشر دقائق كان بيجلبين يتنفس الصعداء عندما طرقت احد الابواب ففتحت فتاة الباب متسائلة :

هل كل شيء على مايرام ؟

اجابها : نعم

اسرعت الفتاة نحو الهاتف وادارت القرص طالبة اعلى شخصية رسمية بريطانية في القدس وقالت له :

اتركوا الفندق فورا سوف يتفجر بعد لحظات ... ووضعت السماعة ، وادارت القرص مرة اخرى لتطلب القنصلية الفرنسية الموجودة في نفس الفندق لتخبرهم بنفس الحديث .

وفي الساعة الثانية عشر وسبع وثلاثين دقيقة دوى انفجار هائل تقول عنه الشاهدة سولينغ فاكليت سكرتيرة القنصل الفرنسي في القدس :

«سمعت من الشارع اطلاق نار لكنه توقف ، بعد الساعة الثانية عشرة بقليل قرع جرس الهاتف وتحدثت معي فتاة تتكلم الفرنسية بشكل سيء ونصحتني بأن نترك الفندق بسرعة لانه سينفجر بعد قليل ، ظننت الامر مجرد دعاية نزلت الى مقهى ريجنسي لتناول طعام الغداء حيث كان بانتظاري صديق كنت على موعد معه واشار لي نحو لوحة مكتوبة على المدخل بثلاث لغات – انتبه خطر» .

وتضيف الشاهدة قائلة : «كان رجال الشرطة يقفون امام بقع الدم وشظايا الزجاج المتناثرة فذهبنا ، وما كدنا ننعطف الى اول شارع حتى سمعنا دويا هائلا فسقطنا على الارض من شدة ضغط الهواء . نظرت الى الفندق فكانت بنايته تتراقص امامنا كما لوكان هناك هزة ارضية وارتفع عمود من الدخان الاسود وتحطمت الجدران والشرفات وكانت الطاولات والخزائن تتطاير في الهواء .

انهاركل شيء وبعد لحظة غطى المكان غبار كثيف » .

كان مناحين بيغن مرتاحا لهذه العملية واعلن بعد قليل بان الانفجار ، فاق التوقعات .

٨١ قتيلا .. والوثائق ظلت سليمة

تحت انقاض فندق الملك داود بقي حوالي مائتي شخص منهم واحد وثمانون فارقوا الحياة وقتل في العملية ثمانية ضباط بريطانيين ، اما الوثائق السرية الصهيونية التي كانت الهدف الرئيسي لبيغن فانها لم تمس بسوء حيث كانت في خزائن مصفحة بمكاتب الشرطة البريطانية .

اثارت هذه العملية الصهيونية الارهابية الرأي العام العالمي وادانها الجميع ، بما في ذلك اقطاب الحركة اليهودية في دول كثيرة . واعلن بن غوريون الذي كان موجودا في باريس ، اعلن للصحفيين بأن منظمة بيغن الارغون هي عدو للشعب اليهودي .

واصبحت عملية فندق الملك داود وصمة عار في جبين الارهابيين الصهاينة ، ووقفت الصحافة العالمية ضد المخربين ، وطالب بن غوريون بعد عودته من باريس باجراءات رادعة ضدهم وقدم ممثلوا الحركة الصهيونية لادارة التحقيقات الجنائية جداول بأسماء مئات من الارهابين المنظمين في مجموعة الارغون .

الم يكن ذلك سوى لعبة ومناورة خبيثة ؟ .. الم تكن هذه الجداول بما تحتويه من اسماء معروفة لدى الشرطة البريطانية وموجودة في الوثائق التي استولت عليها ؟

من المؤكد ان هذه الجداول لم تكن تحتوي على اسم مدير العملية والذي اصبح فيما بعد رئيسا للوزراء في اسرائيل الا وهو مناحيم بيغن .

وفي الساعة الثانية عشر وسبع وثلاثين دقيقة دوى انفجار هائل تقول عنه الشاهدة سولينغ فاكليت سكرتيرة القنصل الفرنسي في القدس :

«سمعت من الشارع اطلاق نار لكنه توقف ، بعد الساعة الثانية عشرة بقليل قرع جرس الهاتف وتحدثت معي فتاة تتكلم الفرنسية بشكل سيء ونصحتني بأن نترك الفندق بسرعة لانه سينفجر بعد قليل ، ظننت الامر مجرد دعاية نزلت الى مقهى ريجنسي لتناول طعام الغداء حيث كان بانتظاري صديق كنت على موعد معه واشار لي نحو لوحة مكتوبة على المدخل بثلاث لغات – انتبه خطر» .

وتضيف الشاهدة قائلة : «كان رجال الشرطة يقفون امام بقع الدم وشظايا الزجاج المتناثرة فذهبنا ، وما كدنا ننعطف الى اول شارع حتى سمعنا دويا هائلا فسقطنا على الارض من شدة ضغط الهواء . نظرت الى الفندق فكانت بنايته تتراقص امامنا كما لوكان هناك هزة ارضية وارتفع عمود من الدخان الاسود وتحطمت الجدران والشرفات وكانت الطاولات والخزائن تتطاير في الهواء .

انهاركل شيء وبعد لحظة غطى المكان غبار كثيف » .

كان مناحين بيغن مرتاحا لهذه العملية واعلن بعد قليل بان الانفجار ، فاق التوقعات .

٨١ قتيلا .. والوثائق ظلت سليمة

تحت انقاض فندق الملك داود بقي حوالي مائتي شخص منهم واحد وثمانون فارقوا الحياة وقتل في العملية ثمانية ضباط بريطانيين ، اما الوثائق السرية الصهيونية التي كانت الهدف الرئيسي لبيغن فانها لم تمس بسوء حيث كانت في خزائن مصفحة بمكاتب الشرطة البريطانية .

اثارت هذه العملية الصهيونية الارهابية الرأي العام العالمي وادانها الجميع ، بما في ذلك اقطاب الحركة اليهودية في دول كثيرة . واعلن بن غوريون الذي كان موجودا في باريس ، اعلن للصحفيين بأن منظمة بيغن الارغون هي عدو للشعب اليهودي .

واصبحت عملية فندق الملك داود وصمة عار في جبين الارهابيين الصهاينة ، ووقفت الصحافة العالمية ضد المخربين ، وطالب بن غوريون بعد عودته من باريس باجراءات رادعة ضدهم وقدم ممثلوا الحركة الصهيونية لادارة التحقيقات الجنائية جداول بأسماء مئات من الارهابين المنظمين في مجموعة الارغون .

الم يكن ذلك سوى لعبة ومناورة خبيثة ؟ .. الم تكن هذه الجداول بما تحتويه من اسماء معروفة لدى الشرطة البريطانية وموجودة في الوثائق التي استولت عليها ؟

من المؤكد ان هذه الجداول لم تكن تحتوي على اسم مدير العملية والذي اصبح فيما بعد رئيسا للوزراء في اسرائيل الا وهو مناحيم بيغن .

عملية الرعد .. والبرق في مطار عينتيبي !
مجموعة من منظمة بادر ماينهوف
تختطف طائرة وتطلب اطلاق سجناء باسرائيل
الموساد يتحرك لحظة
إعلان نبأ الاختطاف

« الجـزء الأول »

اقعلت الطائرة يوم الاحد ٢٧ حزيران «يوليو» عام ١٩٧٦ ، بعد الساعة السادسة صباحاً ، برحلة رقم ٧٦٣ التابعة للخطوط الجوية السنغافورية من البحرين في الخليج العربي .

جلسوا في قاعة الترانزيت بمطار هيلينيكون باثينا ، وتصرفوا كبقية الركاب .

كان عمر السيدة أوتيج حوالي عشرين عاماً ، ولم يكن شريكها السيد غارسيا يكبرها بكثير ، دخنوا ، قرأوا الصحف ، جلسوا حول البار لاحتساء فنجان من القهوة ، نظروا الىٰ البضائع في السوق الحرة ، وانتظروا بصبر طائرة الظهيرة ، التي كانوا سيواصلون الرحلة بها الىٰ باريس ، وحسبما هو مسجل في تذاكرهم ، فأنهم سيطيرون مع «اير فرانس» رقم ١٣٩ بطائرة حديثة ذات سعة كبيرة من نوع ايرباص ، والتي انطلقت من تل ابيب ، وحطت في اثينا بعد الساعة الحادية عشرة ، ويفترض ان تستمر بطيرانها ظهراً .

كان الطقس رائعاً ، وسارت الامور بحسب البرنامج المعد للطيران باستثناء قضية بسيطة حيث كان الطاقم الارضي لموظفي مطار اثينا ، في حالة اضراب ، لذلك لم يجر تفتيش شخصي أو مراقبة للحقائب اليدوية ، لأنه لم يكن هناك أحد ليقوم بهذه المهام ، وعليه فأن انهاء معاملة المسافرين كانت سريعة في ذلك اليوم .

صعد المسافرين ، وانطلقت الطائرة بعد بضع دقائق وحين كان الاير باص محلقاً في الفضاء ، سمع ضجيج في منطقة الدرجة السياحية ، ظهر رجلان في الممر ، تراكضا وسط المقاعد الىٰ الامام ، الىٰ منطقة الدرجة الاولىٰ ، كانت الساعة تشير الىٰ الثانية عشرة وعشر دقائق . كان شعر احدهم طويلاً ويرتدي قميصاً احمر ، وكان للثاني شاربان عريضان ، ويرتدي قميصاً اصفر ، كان مسجلاً في تذاكرهما أسماء حسني البويقي وفتحي الساطي .

وبعد دقيقتين ، علم المسافرين ان مجموعة فدائية ، قد استولت علىٰ الطائرة واجبرت طاقم القيادة علىٰ تنفيذ اوامرهم ، ومن غرفة القيادة سمع صوت نسائي ، يعلن بلغة انجليزية مكسرة واضح بها اللكنة الالمانية «ليرفع الجميع ايديهم ، وليبق الجميع في اماكنهم دون حركة» أنهت السيدة أوتيج بلاغها ، وضعت الميكرفون من يدها ، واخرجت من حقيبتها قنبلة يدوية ، ونزعت مسمار الامان ، دخلت الىٰ الدرجة السياحية مصوبة مسدسها نحو المسافرين ، كان شاب اخر يقف في الخلف يراقب المسافرين .

بدأ السيد غارسيا ، والرجل ذو القميص الاحمر بتفتيش الركاب واحداً واحداً . بحثاً عن الاسلحة . وكان علىٰ متن الطائرة اكثر من مئتين وخمسين راكباً ، واستمرت عملية التفتيش حتىٰ الساعة الثالثة ، في ذلك الحين ربما لم ينتبه احد الىٰ ان الطائرة قد غيرت اتجاهها ، وأنها غير متجهة الىٰ باريس .

الهبوط في بنغازي

بدأ الايرباص بالهبوط ، ناور الكابتن كثيراً فوق المطار المجهول واخيراً حطت الطائرة في مطار بنغازي الليبي ، بدلاً من الهبوط المفترض في مطار شارل ديغول في باريس . مرت ساعات من الخوف ، كان المختطفون يتبحاثون مع برج المطار لكن احداً من المسافرين لم يفهم فحوىٰ الحديث مع البرج ، ابتدأ الحديث همساً ثم بصوت عال ، عما سيحصل للطائرة والركاب .

استمرت المفاوضات بالراديو مع المطار ، ووضع المختطفون في مدخل الطائرة

عبوة ناسفة ، يمتد منها سلك اشتعال ، وتناوبوا علىٰ الحراسة وعلى الاقل كان واحداً يصوب مسدسه نحو المسافرين .

سيدة تغادر الطائرة

انتقلت السيدة أوتيج من مقعد الىٰ مقعد ، حامله بيدها حقيبة شراء جمعت بها جوازات السفر ، وقفت بجانب امرأة في المقعد الثاني ، تحدثت معها بصوت منخفض ، وتعود السيدة أوتيج الىٰ الامام لمنطقة الدرجة الاولىٰ حيث تتشاور مع رفاقها ثم يوضع درج عند مدخل الطائرة ، حيث تنزل عليه سيدة شابة مغادرة الطائرة تم الافراج عنها وحدها ، وعلىٰ بعد مئة وخمسين متراً كان بانتظارها موظفي المطار .

في الساعة التاسعة عشرة وخمس عشرة دقيقة ، قدمت المضيفات عشاء بارداً وكتب أحد طلبة الطب موشيه بيرس في دفتر يومياته ان العشاء كان جيداً . في حوالي الساعة التاسعة والنصف سمع صوت المحرك ، انطلقت الطائرة ولم يدر احد الى اين .

في اوغنـــدا

تقع اوغندا في شرق افريقيا ، تشتهر باجوائها الرومانسية ، وبجمالها الطبيعي ، ويقوم السواح من كل انحاء العالم ، بزيارة السفاري فيها حيث التلال القمرية لشلالات روينزوري ومورشيون على النيل الفيكتوري ومجموعات الفيلة والحمير الوحشية والزرافات والتي تشكل مسرحا جذابا وممتعاً يشد اليه الاغنياء الاجانب . كمبالا هي عاصمة اوغندا ، نمت علىٰ التلال الخضراء ، قرب بحيرة فكتوريا التي تقع على ضفتيها مدينة أوغندية هامة هي مدينة عنتيبي ، وهي تعتبر منطقة تقاطع الطرق الجوية الافريقية لذلك فقد بني هناك قبل بضع سنوات مطار جديد دولي يتسع لاكبر الطائرات في العالم ، بنى هذا المطار خبراء من تل أبيب ، حين كانت العلاقات الاسرائيلية – الاوغندية في تلك الفترة ، قوية ، وفي شهو تموز – يوليو

عام ١٩٧٦ ، كان مطار عنتيبي الجديد مركزاً لاحداث درامية .

في اجتماع مجلس الامن يوم ٩ تموز – يوليو ١٩٧٦ اعلن وزير خارجية اوغندا العقيد جوما اوريس ابدال قائلاً :

– يوم ٢٨ حزيران – يونيو عام ١٩٧٦ ، حوالي الساعة الرابعة صباحاً بتوقيت شرق افريقيا ، العاشرة بحسب توقيت وسط اوربا ، أبلغ سيادة الحاج مارشال الميدان الدكتور عيدي أمين دادا حامل الاوسمة البريطانية ، رئيس جمهورية اوغندا تلفونياً من برج المراقبة في مطار عنتيبي انه تحلق فوق المطار طائرة تابعة للخطوط الجوية الفرنسية ، علىٰ متنها (٢٥٠) مسافراً مزودة بالوقود لمدة خمس عشرة دقيقة طيران علىٰ الاكثر ، وتطلب السماح بالهبوط .

القرار الصعـب

وقف الرئيس أمين أمام قرار صعب ، كان بأمكانه الرفض وتعريض الطائرة لكارثة وموت جميع الركاب ، أو السماح لها بالهبوط ومنع عواقب وخيمة .

قرر السماح للطائرة بالهبوط بأمان في مطار عنتيبي ، اخذاً بنظر الاعتبار كل الظروف المحيطة ومنقاداً لدوافع انسانية . وتحركت قوات الامن لتجنب أي وضع طارئ ، ولمنع أي خطر قد يتشكل علىٰ حركة المرور الجوية الدولية ، ولتمكين الحكومة الاوغندية من اكتشاف جنسيات وشخصيات المختطفين .

كانت المرأة الحامل ، والتي أطلق المختطفون سراحها في مطار بنغازي تدعىٰ باتريسيا هيمان ، وتحمل جواز سفر بريطانيا ، لكنها تعيش في اسرائيل في بتاح تكفا ، وحينما حققت معها الشرطة الليبية ، رفضت الاجابة ووضعت في اول طائرة متجهة الىٰ لندن ، وفي مطار هثرو اخبرت موظفي سكوتلانديارد بكل ماتعرفه ، وصفت المختطفين بدقة ، حيث ثبت فيما بعد ان لها موهبة ممتازة في الفراسة .

المختطفـــون

كانت السيدة أوتيج الفدائية الالمانية واحدة من منظمة بادر ماينهوف التي كانت

تقوم بعمليات عديدة قدم بسببها اعضاؤها للمحاكمة ، وبرغم ان الفتاة كان عمرها اربعا وعشرين سنة ، الا انها قامت بمجموعة من العمليات العسكرية ، فقبل نصف سنة من هذه العملية شاركت بمهاجمة وزراء الدول المصدرة للنفط (اوبيك) في فيينا ، وأصابت شرطياً أثناء ذلك .

اما السيد غارسيا ، فهو ايضاً عضو في بادر ماينهوف ، كان اسمه في قائمة المطلوبين للانتربول ، كان اسمه ويلفريد بيسه ، وهو مواطن الماني غربي ، اشتهر باختطافه للسياسي البرليني بيتر لورنس ، بالاشتراك مع اوتيج . قام هذان الشخصان (أوتيج وغارسيا) والمعروفان لدىٰ الشرطة في كل البلدان الاوروبية بأختطاف طائرة ايرفرانس ، وقاد اثنان اخران لم يعرف عن عضويتهما في المنظمة الالمانية الغربية ، ولم يتمكن احد من معرفة اسميهما الحقيقيين فيما بعد ، كذلك لم يثبت ارتباط المختطفين بمنظمة التحرير الفلسطينية برغم تأكيدات الصحافة الغربية ذلك ، لكن من المؤكد أن اوتيج وغارسيا كانا عضوين في منظمة بادر ماينهوف .

مادام الأمر كذلك ، فلماذا اعلن وزير خارجية أوغندا امام مجلس الامن غير ذلك ، في حين يستطيع المختطفون ان ينسبوا أنفسهم لمن يشاؤون لاسباب واضحة .

مطالب الخاطفين

أعلن العقيد جوما اوريس ، انه مرت عدة ساعات حتىٰ تمكنت السلطات الاوغندية الاتصال بالمختطفين الذين اعلنوا انهم اعضاء في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، واعترفوا ان علىٰ الطائرة ٢٥٠ رهينة من جنسيات واعمار مختلفة ، وانهم حذروا كل من يقترب من الطائرة بالعقاب وان علىٰ وحدات الامن ان تراعي ذلك وتمنع كل انسان من الدخول الىٰ منطقة الخمسين متراً لأنهم سيطلقون النار عليه .

لم تكن المحادثات سهلة مع المختطفين ، وبعد الحاح متكرر سمحوا بادخال بعض المرطبات الىٰ المسافرين في الطائرة ، لأن المؤونة قد انتهت بالمقابل طلب المختطفون أن يعلن البلاغ الذي سلم للسلطات الاوغندية ، وقد اذاعه الراديو في بث خاص

وأعلن الالمانيان الغربيان فيه مرة اخرىٰ انتماءهما للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وأعلن المختطفون مطالبهم ، بأنهم سيطلقون سراح الرهائن حينما يتم اطلاق سراح رفاقهم المذكورين في القائمة من السجون الاسرائيلية وغيرها من السجون .

الموساد تتحرك

في اللحظة التي عرفت فيها تل ابيب عن اختطاف الطائرة بدأت المخابرات الاسرائيلية «الموساد» تعمل بكل طاقتها ، طلب السياسيون اخباراً ومعلومات جديدة وتحليلات وتوقعات عن الوضع ، وعلىٰ أية حال ، لم يكن واضحاً من ولماذا اختطفت الطائرة .

واعلن قادة الموساد ، حالما هبطت الطائرة الفرنسية في مطار عنتيبي أن هناك احتمالاً كبيراً للغاية ، بأن عملية أوغندا تجري بقيادة وخطة الدكتور وديع حداد ، البالغ من العمر ٤٦ سنة ، وهو واحد من القيادات السابقة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ويعمل الان علىٰ مسؤوليته . لماذا اعلنت تل ابيب ، ومنذ اللحظة الاولىٰ بأن عملية عنتيبي ليس لها علاقة بالقيادة الرسمية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ؟ ؟

كانوا يفهمون انه بدون تقديم ادلة حقيقية ، فأنهم لن يحصلوا علىٰ شيء ، وبالطبع فأن المستشارين العسكريين للحكومة الاسرائيلية لم ينصحوا بقصف جوي انتقامي علىٰ مناطق الحدود السورية ، كما كانوا يفعلون في معظم الحالات السابقة ، وكما اتضح فيما بعد ، بأن الاخبار الصادرة عن الموساد الاسرائيلية لم تكن حقيقية .

كان هدف الفدائيين معروفاً ، اختطفوا الطائرة وحجزوا الرهائن ، ليتم استبدالهم برفاقهم المساجين في اسرائيل وفي بلدان أخرىٰ . سواء كان اولئك سياسيين ، ام أنهم كانوا اعضاء في منظمات ارهابية دولية ؟

المطران كبوتشي

واحد من اشهر هؤلاء ، كان المطران هيلا ريون كبوتشي رئيس الكنيسة

الكاثوليكية في القدس الشرقية ، اعتقله الاسرائيليون في ١٨ آب – اغسطس عام ١٩٧٤ ، بناء علىٰ معلومات من الشرطة تفيد بأنهم وجدوا في سيارته – تحمل لوحة دبلوماسية – اسلحة ومتفجرات لايصالها الىٰ أحدىٰ المنظمات الفلسطينية في القدس المحتلة .

ولد كبوتشي عام ١٩٢٢ في مدينة حلب بسوريا ، وفي عام ١٩٤٧ رسم كاهنا في القدس ، واصبح بروفيسورا في علم اللاهوت ، وفي عام ١٩٦٥ أصبح مطرانا في بطريركية القدس ، وحينما احتل الاسرائيليون القدس العربية ، ناضل كبوتشي ضد المحتلين الذين ارتكبوا جرائم فظيعة ضد الشعب الفلسطيني ، دون أن ينالوا عقاباً علىٰ ذلك ، كان كبوتشي مسيحياً ، لكنه كان يقف الىٰ جانب المسلمين بكل حماس ويناضل ضد اعتقال واضطهاد رجال الدين ، وضد الاعتداءات علىٰ المساجد العربية .

قدموه للمحاكمة وأصدروا عليه حكماً بالسجن لمدة اثني عشرة عاماً نقلوه الىٰ سجن الرملة المعروف بسمعته السيئة .

وفي بداية عام ١٩٧٧ مرض كبوتشي ، وأصبحت حالته الصحية خطيرة جدا رفضت قيادة السجن تقديم مساعدة طبية له ، وبعد اضرابه الاول عن الطعام في اذار – مارس عام ١٩٧٧ بدأ اضراباً ثانياً في ايلول – سبتمر من نفس العام .

سجنوه بزنزانة ومنعوه من المغادرة حتىٰ الىٰ ساحة السجن ، ورفضت اسرائيل طلب الكنيسة لوضعه تحت الاقامة الجبرية ، في احد الاديرة ، وأدىٰ ذلك الىٰ غضب عالمي عارم وطلبت كثير من المنظمات العالمية اطلاق سراحه بعد عملية عنتيبي ، وكان ضغط الرأي العام العالمي قوياً هذه المرة لدرجة أن اسرائيل رضخت له ، وأطلقت سراح المطران كيوتشي .

... وآخـــرون

ومن هؤلاء المساجين ايضاً كان كوزو اوكاموتو الياباني الذي كان عضواً في المنظمة الفدائية اليابانية التي أطلقت علىٰ نفسها اسم «الجيش الاحمر» .

كان أوكاموتو واحداً من الذين قاموا بالعملية الفدائية في مطاربن غوريون في اللد ، حيث قتل أربع وعشرون شخصاً وجرح اثنان اخران ، ونتيجة لهذه العملية حكموا عليه بالسجن المؤبد .

ومن المساجين أيضاً فاطمة البرناوي ، التي كانت تعيش في القدس الشرقية في عام ١٩٦٨ وضعت عبوة ناسفة أثناء عرض فيلم في سينما زيون ، القي القبض عليها وأودعت في السجن .

وكذلك وليم جورج ناصر الذي أتهم بالقيام بأعمال فدائية ، وقتل أحد الحراس وحكم عليه بالسجن المؤبد . وأيضاً الممرضة مزينة كامل نقولا ، التي عادت الىٰ اسرائيل من لندن حيث عاشت سنين طولية القي القبض عليها بتهمة التجسس .

كذلك حكم علىٰ المهندس كامل النمري بالسجن المؤبد عام ١٩٦٨ لقيامه بأعمال فدائية ولانضمامه لحركة فتح . وأيضاً سمير درويش الذي حكم عليه بالسجن قبل وقوع حرب حزيران عام ١٩٦٧ ، بتهمة الاعداد لتهريب سجينين خطيرين من سجن الرملة .

عملية الرعد والبرق في مطار عينتيبي

تسجيل للمكالمات الهاتفية بين العقيد باراليف وعيدي امين

عيدي امين يترأس المباحثات مع الخاطفين

اسرائيل توافق على مفاوضة الخاطفين بواسطة فرنسا وتخطط لعملية سرية !

مجموعة من الموساد تتوجه الى كينيا وتتسلل الى اوغندا

القســـم الثاني

كررت الاذاعة الاوغندية مطالب المختطفين ، وطالبوا باطلاق سراح (٥٣) محكوما ، منهم اربعون محكوما في السجون الاسرائيلية ، وستة في السجون الالمانية وخمسة في السجون الكينية ، وواحد في السجون الفرنسية وواحد في السجون السويسرية .

وهدد المختطفون بقتل الرهائن وتفجير الايرباص اذا لم تنفذ مطاليبهم وضغطت عائلات الرهائن المحتجزين على الحكومة الاسرائيلية ، وحكومات الدول الاخرى التي لها علاقة بالعملية ، لتنفيذ مطالب المختطفين لانقاذ ارواح ابنائهم واقربائهم ، وكان على الحكومة الاسرائيلية ان تلبي مطالب المختطفين حتى الساعة الرابعة عشرة من يوم الخميس الاول من شهر تموز – يوليو عام ١٩٧٦ .

قال وزير خارجية اوغندا في خطابه امام مجلس الامن في نيويورك :

(بذلت السلطات الاوغندية في البداية كل جهدها لتقديم المحروقات للطائرة وطلبت من المختطفين ان يغادروا الى اي مكان اخر) .

الا ان الاقتراح رفض . ولم يقبلوا الانتقال الى مكان اخر قبل ان يتصلوا بقيادتهم ، وقبل ان يتم اعلان مطالبهم ودوافعهم ، واستمرت المحادثات يوما كاملا .

محادثات صعبة

في تلك الاثناء ترأس المحادثات عيدي امين وكان على الرهائن ، وتحت الرقابة المسلحة للمختطفين ان ينتقلوا الى بناية المعاملات .

لم تكن المحادثات سهلة ، فقد كانت تجري في وقت كان به المختطفون متهيجين وعصبيين ، ولايثقون بأحد ، اعتقدوا بأنها مناورة لكي يقوم رجال الجيش الاوغندي بالاستيلاء على اسلحتهم ، بالاضافة الى ذلك كان عليهم ان يسحبوا الطائرة الى اقرب مكان ممكن من البناية طلب المختطفون اولا ان يفحصوا قاعة المغادرين وبقية القاعات ليقتنعوا بانه ليس هناك خطر يتهددهم او يتهدد الرهائن .

فحصوا القاعات واحدة واحدة ، ثم عادوا الى الطائرة حيث وضعوا عبوات ناسفة وكانوا مستعدين لتفجيرها فيما لولم ينفذ رجال الشرطة الأوغندية شروطهم ، ثم اعطوا اشارة تدل على انهم جاهزون لنقل الرهائن ، لكنهم وضعوا شرطا بأن يبتعد رجال الشرطة لمسافة مئتي متر من البناية .

لنقرأ بيان وزير الخارجية الاوغندي حول تسليح الفدائيين لان هذا الامر بالذات كان مثار جدل واسعا ، قال الوزير :

«كان مع المختطفين بالاضافة الى المتفجرات الشديدة والقنابل اليدوية اسلحة ورشاشات اوتوماتيكية» .

من اين لهم كل هذا ؟

اكدت الصحافة الاسرائيلية انهم حصلوا عليها من رفاق لهم ، كانوا بأنتظارهم في مطار عينتيبي ، لكنهم كانوا يملكون هذه الاسلحة ، منذ اللحظة التي كانوا يتباحثون بها باللاسلكي ولم يكونوا قد التقوا باحد حتى تلك اللحظة ايمكن ان يكونوا قد جلبوها معهم بالطائرة من اثينا ؟ او ان لهم رفاقا في تل ابيب مكان انطلاق الطائرة الفرنسية ؟ ربما يكون احدهم قد اخفى هذه الاسلحة ، ثم اختفى فيما بعد مع الرهائن الذين تم اطلاق سراحهم .

اتصال بين عيدي امين وتل ابيب

في احدى ضواحي تل ابيب يملك باروخ بارليف محلا تجاريا يسمى بوركا ، كان رئيسا للملحقية التجارية ، حين كان الاسرائيليون ضيوفا يرحب بهم في اوغندا ، كان يعرف الرئيس الاوغندي عيدي امين ، بل يمكن القول بانه كان صديقه لذلك فقد ظهر في محله احد موظفي الموساد الذي طلب منه ان يرافقه الى المعهد ، وهناك تلقى امرا بان يتصل تلفونيا بصديقه عيدي امين ، لكي يساعد في الافراج عن الرهائن .

جرت المكالمة الهاتفية يوم ٢٠ حزيران – يونيو عام ١٩٧٦ في الساعة الرابعة عشرة ، وفيما يلي التسجيل الصوتي لهذه المكالمة :

– سأل بارليف : الرئيس ؟

* عيدي امين : من .

– العقيد بارليف :

* كيف حالك ايها الصديق ؟

– كيف حالك انت ، سيدي .

* انا سعيد ان اسمع صوتك ، خاصة هذا اليوم . انني اتكلم معك من بيتي ، لقد سمعت ماحدث هل يمكن ان اطلب منك طلبا ؟

* بالطبع فنحن اصدقاء

– انا اعرف سيدي وصديقي بان عندك الان مناسبة وحيدة ، لتدخل بها التاريخ كرجل عظيم يصنع السلام ، ليكتبوا عنك في الخارج ، في بريطانيا وامريكا واوربا ما يشاؤون من الامور السلبية ، لكن الان فقد جاءت المناسبة لتثبت بانك رجل عظيم اذا تمكنت من تحرير الرهائن فانك ستدخل كشخصية عظيمة وستوجه ضربة لاعدائك ، لقد فكرت بذلك منذ اللحظة التي سمعت بها الاخبار من الراديو .

* قال عيدي امين : مباحثاتي مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين جرت بشكل مرضي ، لقد افرجوا عن سبعة واربعون رهينة ، الان لديهم فقط مئة وخمسة واربعون اسرائيليا و«يهوديا» واخرون ، المجموع (٢٥٠) رهينة . «هذه كلمات عيدي

امين برغم التناقض الواضح فيها» .

واكد الرئيس عيدي امين بفخر : منذ لحظات حررت (٤٧) رهينة وطلبت نقلهم الى السفارة الفرنسية ، يستمع في الساعة السابعة عشرة لبلاغ من اذاعة اوغندا .

سأل بارليف : وماذا عن الرهائن الاسرائيليين ؟

* يسيطرون عليهم تماما ، يقولون بانه اذا لم تستجيب اسرائيل لمطاليبهم فانهم سوف يدمرون الطائرة مع الرهائن وقد اعطوا مهلة لظهر يوم غد بتوقيت وسط اوربا ، ارجوك ياصديقي ، ابلغ ذلك لرابين ، الجنرال رابين ، رئيس الوزراء ، انا اعرفه انه صديقي والجنرال دايان ، صديقي ايضا برغم انه ليس في الحكومة ، يجب على بلادكم ان تفعل كل شيئ تستطيعه لاطلاق سراح السجناء ، هذا شرط فلسطيني ، لقد فعلت ما اقدر عليه اعطيتهم فراشا وبطانيات وعناية طبية لزم احدهم عناية في المستشفى فقدمناها له ، وبناء على نصيحة الاطباء فانه سيغادر الى فرنسا ارجوك اعمل كل شيئ بمقدورك لقد تحدثت مع الاسرائيليين . انهم سعداء جدا جميع ما قالوه بثه التلفزيون ، لقد رجوني نقل تحياتهم لحكومتهم .

– سيدي الرئيس انت حاكم بلادك ، اعتقد ان عندك من السلطة ما يكفي لاطلاق سراح هؤلاء الرهائن ، ستدخلون التاريخ كرجل عظيم .

* اريدك ان تعرف انك صديقي للابد ، لقد تحدثت مع الصحفيين الامريكان وقلت لهم بان بارليف صديقي ، سأكون سعيدا لو التقينا لاننا نعرف بعضنا البعض جيدا ، انني على استعداد للتوسط في حل الخلاف بين اسرائيل والعرب اريدك ان تخبر حكومتك بذلك قل لي ماذا تريدون مني ان افعل قل لحكومتك ان تبلغ الفرنسيين بانني اريد ان يقبلوا شروط الفلسطينيين لانقاذ ارواح الاسرائيلين .

– هل تقدرون ان تتدخلوا وتمنعوا ذبحهم ؟

* استطيع ان افعل شيئا اذا وافقت حكومتكم على شروطهم فورا ، الان سيتصلون بي في الساعة الخامسة عشرة ، سوف يعلنون قرارهم النهائي لذلك عليكم ان تقرروا بسرعة كأبعد حد غدا ظهرا اذا كان جوابكم بالنفي فسينسفون **الطائرة**

ويقتلون كل الرهائن يجب على حكومتكم ان تفعل كل شيء يمكن ان يفعله بشر.

– سيدي الرئيس .. اتذكرون بان امكم قبل وفاتها قالت بان عليكم ان تساعدوا الاسرائيليين في الارض المقدسة ؟ اذن ارادت ان تصبح عظيما ومقدسا واذا اردت ان تدخل التاريخ وتحصل على جائزة نوبل يجب عليكم تحرير هؤلاء الرهائن عندكم فرصة وحيدة وان الله يقدمها لكم ، لكي ترى الدنيا بأكملها كم انت طيب وكبير.

* سأل الرئيس عيد امين : كيف حالك ياصديقي العزيز ؟ وكيف زوجتك ؟

– جيدة ، اتريدون ان ازوركم ؟

* يسعدني ان اقابلك.

– ايمكنكم ان تمنعوهم من قتل الرهائن حتى احضر؟

* أيمكنك ان تطلب من حكومتكم ان تعطي جوابا سريعا ؟ ..

– حسنا ، ساتصل بك بعد فترة.

* تستطيع ان تتصل بي وقتما تشاء سانتظرك انني اتحدث من المطار لم انم منذ ثلاثة ايام اريد ان انقذ الرهائن.

التخطيط في تل ابيب

كانت التقديرات في تل ابيب تجري على اعلى مستوى عن كيفية انقاذ الرهائن ويبدوا ان الحكومة الاسرائيلية في البداية لم تكن تميل الى الاذعان لفدائيي بادر ماينهوف ، الذين يعملون وحدهم ، او بالتعاون مع احدى الفصائل الفلسطينية.

بدأت المخابرات الاسرائيلية – الموساد – بعمليتها منذ لحظة وصول اول نبأ من عنتيبي ، ففي مطار بن غوريون ظهر عدة رجال كبار في السن بمظاهر جدية ومعهم حقائب دبلوماسية ، صعدوا الى اول طائرة متجهة الى نيروبي في كينيا كانوا يحملون جوازات سفر مزورة وبعد اربع ساعات ونصف الساعة وصلوا الى نيروبي حيث استأجروا سيارات قوية من شركة هيرتز ، وساروا على الطريق المحادي لوادي ريفت فاللي المعروف بالحيوانات البرية وبعد خمس ساعات عبروا حدود اوغندا دون ان يلفتوا انتباه حرس الحدود.

اتصال آخـــر

كما وعد بارليف فقد اتصل هاتفيا من تل ابيب بالرئيس عيدي امين في عنتيبي وذلك في الساعة الثالثة والعشرين وخمس دقائق مساء.

– قال بارليف : لقد ابلغت حكومتنا بالانباء واعلموني بانهم قد قبلوا اقتراحكم وسوف يدخلون في مباحثات بواسطة الحكومة الفرنسية كما اقترحتم سأحاول بأية وسيلة ان اصل اليكم.

* قال الرئيس عيدي امين : حينما تأتي الينا ستشعر كأنك في بلدك انك صديق جيد ولن يحصل لك شيء.

– اثق بكم وبالله ، ولا اثق باحد اخر.

* ابنتي شارون تهديكم السلام.

– (ربما حصل هنا خطأ في نقل الشريط ، اذ ان لعيدي امين ابنا يدعى شارون وليس بنتا وقد اسماه شارون باسم فندق سكن فيه عيدي امين ذات مرة).

– شكرا يافخامة الرئيس ، ارجو ان تعملوا كل ما في وسعكم لحماية الرهائن من اي مكروه حتى اجد طريقة اصل بها اليكم.

* انا على اتصال مع القائد ، لقد حضر ، اما الرجل الذي تباحث معه حتى الان فانه يتبوأ المركز ، الرجل الاول قال لي منذ اربعين دقيقة انه لن يغير موقفه اذا لم يحصل على رد حتى الساعة العاشرة من صباح الغد.

– سأعمل كل ما في وسعي ان اعمله ياصاحب الفخامة ، لكي احضر اليكم لربما اكون نافعا حينما سمعت الاخبار من الاذاعة قلت لنفسي : ان صديقي الحميم عيدي امين يملك الفرصة الذهبية الان ليعمل شيئا عظيما يتحدث عنه كل الناس ارجوكم ان تمنعوا نزيف الدم ساحاول الحضور لنجد حلا اخر.

* لكنهم جمعوا (١٤٥) يهوديا ، ويقولون بأنهم سيضعون متفجرات شديدة الانفجار حولهم لذلك يجب ان يكون الرد سريعا.

– انا شخص بسيط ، ولاتنسى انني قد قدمت لكم دائما النصائح الجيدة ، هذه بلادكم وانتم رئيسها ، وفي يدك كل السلطة ، اذا حصل شيء فستحملون

الخطيئة ، واذا انقذتموهم فسيجعلون منكم قديسا كيف يبدو الوضع ياصاحب الفخامة ؟

* رفضوا ،لقد حاصروهم وانهم يقولون بانهم يستطيعون قتل الرهائن جميعا والوحدات الاوغندية بالمتفجرات .

– افهم ذلك ، لكن لااستطيع ان اصدق بان لديهم هذه الكمية من المتفجرات ، كيف يمكنهم ادخالها الى الطائرة ، تصوروا يافخامة الرئيس ، انهم يريدون اطلاق سراح القتلة من السجن ، والذين قتلوا النساء والاطفال ، لا اصدق انكم ستسمحون للذين يحاولون القتل ان يهربوا عندما يصعب اقناع الناس بان يطلق سراح القتلة اقول لكم هذا كعسكري ، وانتم بالتأكيد لاتطلقون سراح القتلة ليس ذلك بالامر السهل انني مقتنع بانكم كرئيس للدولة لاتسمحون لاحد بان ينتقدكم ماذا يجب ان تفعلوا في بلادكم ؟

* هذا صحيح لكن ، الوضع الان معقد للغاية لان هؤلاء الاشخاص يملكون المتفجرات لقد احضروها حتى انهم استخدموا اجسادهم اماكن لوضع المتفجرات انها مسألة معقدة فعلا .

– سيدي ، انني احتاج ليوم او اثنين حتى اصل اليكم لاقدم مساعدتي هل تستطيع ان تؤجلهم لبضعة ايام ؟

* لقد رفضوا ، واعلنوا ان ظهر غد هو اخر موعد ، لن ينتظروا قالوا انهم سيموتون مع الرهائن وانهم سينتحرون ، لقد جهزوا كل شيئ ، يكفي الضغط على زر وسيتطاير كل شيئ في الفضاء بما فيه الرهائن .

– اين هم هؤلاء ؟ في الفندق ام في الطائرة اين ينامون ؟

* في بناية المطار القديم في عنتيبي ، لقد بنينا مطارا جديدا والمطار القديم لايوجد فيه سوى بناية المعاملات السابقة هنالك يسيطرون على الرهائن لايوجد هناك طائرات ولاطاقم ارضي وضعوا المتفجرات في كل مكان هناك صفان من المتفجرات واحد داخلي والثاني خارجي كان لديهم متفجرات في الطائرة كانت موجودة في صندوق كبير اعتقد بأن أناسا معينين في اثينا قد ارتشو ولم يفتشوا محتوى

الصندوق .

– واين الطائرة الفرنسية ؟

* انها قريبة مني ، وهناك ايضا وضعوا متفجرات وجهزوا كل شيئ لكي يفجروها ، اتمنى لو تستطيع حكومتك بان تطلق سراح هؤلاء الاشخاص الذين تسميهم مجرمين ، لانه من الافضل حماية ارواح مئتي شخص ، انهم يقولون بانهم سيقتلون الكل ، سيبدأون بالطائرة ثم يقضون على الباقي هذا ما قالوه انهم يريدون ان يتباحثوا بواسطة الفرنسيين لقد قلت لهم ان لدى في اسرائيل بضعة معارف مثلك ومثل الجنرال دايان وحتى رئيس الوزراء كان يمكن ان اتباحث معهم لكنهم يريدون ان يتباحثوا مع الحكومة الفرنسية .

– تذكروا ان لديكم فرصة وحيدة ، ارسلها الله لكم .

* قل لحكومتك عليها ان تضغط على حكومة كينيا لتطلق سراح المعتقلين الموجودين في سجونها والا فان شيئا رهيبا سيحصل في كينا قائد الفلسطينيين طلب مني ان اقول لكم ذلك واذا لم تقبل كينيا فستعاقب بشدة .

– حسناً ، سيدي ، سأعمل كل ما استطيع عمله ، لكنني شخص بسيط ، لقد رأيت ان الفرصة سانحة لتدخلوا التاريخ كرجل عظيم كقديس سأعمل كل ما في وسعي من عمل .

* قل لحكومتكم ، بأنه يسعدني ان اراك في منصب هام .

– شكرا وتصبحون على خير ياسيدي .

كسب الوقــت

يتضح من هاتين المكالمتين ان اسرائيل كانت تحاول ان تكسب الوقت اولا ، وثانيا معرفة ردة الفعل عند الرئيس عيدي امين من خلال اجوبته وحججه وتكرار المديح له .

وكأي جهاز للمخابرات فان الموساد لهم قسم لتجميع المعلومات عن الشخصيات السياسية ، عدة مجموعات وليس مجموعة واحدة تلقت اوامر بعمل

تحليل نفساني للرئيس الاوغندي وتسجيل برنامجه اليومي ومعرفة هواياته ونوع السيارات والطائرات التي يتنقل بها .

لم يكن ذلك مهمة صعبة فقد كان لدى الموساد مجموعة معلومات عن السياسي الاوغندي الذي اصبح بحسب رغبته رئيسا مدى الحياة للدولة وقبل فترة قصيرة فقط جاءه مستشارين تجاريون من تل ابيب وكان خبراؤه العسكريون اسرائيليون وكان ضباط من الجيش الاسرائيلي آمرين جويين في اوغندا اما الان فقد انقلب الوضع واصبحت اوغندا واسرائيل على طرفي نقيض .

ومع ذلك فقد اعلنت اذاعة اوغندا خبرا غريبا مفاده ان فخامة الرئيس عيدي امين قد تباحث مع العقيد الاسرائيلي بارليف الذي امتدحه ونصح رئيس الوزراء رابين بأن يعينه جنرالا لان بارليف عمل من اجل الرهائن اكثر مما عمله رئيس الوزراء نفسه .

كان ذلك ساذجا ، وغير تكتيكي ، وكان امام اسرائيل خيار واحد فقد اعلن المتحدث الصحفي باسم الحكومة الاسرائيلية بانه لايعرف شيئا عن مكالمات هاتفية للعقيد الذي يملك محلا تجاريا في تل ابيب .

عملية الرعد والبرق في مطار عنتيبي

اسرائيل تراوغ لاكتساب الوقت وتقيم مركزاً في نيروبي وترسل حاملة صواريخ لساحل افريقيا الشرقي

الموساد يقيم نموذجاً لمطار عنتيبي في النقب ويصنع دمية طبق الاصل عن عيدي امين

« القســم الثالث »

عملت الموساد في ورشاتها تمثالاً للرئيس الاوغندي ، وجه اسود ، وبذلة عسكرية مزينة بالذهب ، لم يعرف عملاء الموساد بماذا ستستخدم هذه اللعبة المكونة من القماش والمطاط ، ولم يعلموا شيئاً عن العملية التي تجري بعيدا عن تل ابيب ، ففي الصحراء المهجورة ، بنى الجنود نموذجا لمطار اوغندا ، وكان لديهم مخططات دقيقة ، اذ ان احدى الشركات الاسرائيلية هي التي قامت ببناء المطار ، وقام الخبراء الاسرائيليون بالاشراف الفني عليه ، كان النموذج يخدم تكتيك الموساد في خططها ويخدم قائد الوحدات المعنية بالتدريب والاستعداد .

خطط الموساد ، بالتعاون مع وحدات من الجيش الاسرائيلي ، لعملية تحمل اسم «عملية الرعد والبرق» والتي نزلت على الرأي العام العالمي كالرعد من السماء الصافية .

في اجتماع مجلس الامن في نيويورك ، قال وزير خارجية اوغندا موضحا احداث تلك الفترة :

طيلة يوم ٢٩ حزيران – يونيو عام ١٩٧٦ ، كنا نحاول ايجاد طريقة للمباحثات ، وفي نفس الوقت كنا ننتظر تفاصيل لشروط المختطفين ، في المساء اقترحوا ان يكون السفير الصومالي في اوغندا ممثلا للجامعة العربية . في النهار ،

وزعوا على الرهائن نموذجا ، وطلبوا ان يكتب كل منهم اسمه وعمره مهنته وجنسيته ، لم نعرف مطالب المختطفين ، في النهار وافقوا على اقتراح السلطات الاوغندية بتقديم الطعام للرهائن والرعاية الطبية عند الحاجة .

المهلة والتأجيل

وفي نفس اليوم اعلن المختطفون شروطهم ، قدموا لائحة بالمساجين الذين يجب الافراج عنهم من سجون اسرائيل والمانيا الغربية وفرنسا والسويد وكينيا ، واعلنوا في تهديد بانه يجب نقل جميع الاشخاص المذكورين في القائمة الى عنتيبي ، ليتم استبدالهم بالرهائن ، خلال مهلة اقصاها اليوم الاول من شهر تموز – يوليو عام ١٩٧٦ ، ولغاية الساعة الرابعة عشرة بتوقيت شرق افريقيا ، اي الساعة الحادية عشر بتوقيت وسط اوربا .

وبحسب اعلان ممثل اوغندا في اجتماع مجلس الامن تمكن الرئيس عيدي امين من اقناع المختطفين ، بان يؤجلوا الموعد حتى الرابع من تموز – يوليوا عام ١٩٧٦ ، وانه اي الرئيس امين ، تمكن من تحقيق اطلاق سراح مئة رهينة – اي جميع الرهائن الذين يحملون جنسيات غير الجنسية الاسرائيلية او الذين يحملون جنسيات مزدوجة .

وقال ممثل اوغندا : وكما ترون ايها السادة فقد عمل الرئيس حتى هذه اللحظة كل ما في وسعه ، حاول اقناع المختطفين بإطلاق سراح الرهائن لم ينم لعدة ايام ، ووصله عدة رسائل شكر وتقدير على جهده من مختلف الاقطار ومن بينهم الرئيس الفرنسي الذي ارسل خلال يومين فقط ، رسالتين اعرب فيهما عن تقديره العميق لجهوده في المساعدة على تحرير الرهائن وطلب منه ان يستمر في مباحثاته لتحرير الباقين .

اتصلات أمين

في يوم الثاني من تموز – يوليو ١٩٧٦ ، سافر الرئيس امين الى جزيرة

موريشيوس ، حيث افتتح الاجتماع الثالث عشر لممثلي بلدان منظمة الوحدة الافريقية ، واضطر الى ترك الرئاسة لنائبه ، واستغل الرئيس امين مدة اقامته القصيرة في جزيرة موريشيوس ، حيث اعلم زملاءه بجهوده لانقاذ جميع الرهائن ، ودعا كل الحكومات المشاركة لكي تبذل جهودها لانقاذ الرهائن ، وابلغ بالتفصيل الامين العام لمنظمة الامم المتحدة الدكتور فالدهايم ، وطلب منه في نفس الوقت ان يستغل علاقاته الطيبة مع البلدان التي يمسها الموضوع ، وان يوضح لهم خطورة الموقف .

عاد الرئيس امين من جزيرة موريشيوس في اليوم الثالث من تموز – يوليو لان الوضع خطير جدا .

مراقبـــة

تابعت المخابرات السرية الاسرائيلية لبضعة ايام ، كل خطوة للرئيس الاوغندي ، بمساعدة رجال الطيران والبحرية الحربية ، وحينما طار بطائرته الخاصة الى المؤتمر في موريشيوس لاحقته المقاتلات الاسرائيلية وحينما دخل الى صالة المؤتمر راقبه عملاء الموساد في كل حركة كان يقوم بها وسجلوا كل كلمة تفوه بها ، وأرسلوا معلوماتهم فورا الى «المعهد» عن خط كمبالا – نيروبي – تل ابيب .

وحتى لا تكون المقاتلات الحربية الاسرائيلية التي لاحقت الرئيس امين وحيدة فقد ارسلوا من تل ابيب ، حاملة صواريخ من نوع ريشيف ، وقد رست يوم الثلاثاء قرب السواحل الشرقية لافريقيا ، وكانت مجهزة بنظام الكتروني يمكن من خلاله التنصت للاخبار المرسلة وتحويلها فورا بعد تحليلها او تحويلها بالشيفرة الى مركز الموساد في تل ابيب .

اسرائيل أنقذت حياة أمين

لماذا لم تثق الموساد بالرئيس الاوغندي ؟ ولماذا لم يتحمله الاسرائيليون ؟ بغض النظر عن اي شيء ، فقد تعاونوا معه يوما ما ، ويظهر هذا التعاون من

خلال اقوال الضابط الاسرائيلي ، زيف شهام الذي كان عام ١٩٦٥ ضابطا شابا ومعروفا باسم «زونيك» ، وكان رئيس اللجنة العسكرية الاسرائيلية في كمبالا ، وكان عيدي امين في ذلك الوقت ، القائد الاعلى للقوات المسلحة الاوغندية ، ولكي يحافظ عيدي امين على ود العسكر ولكي يتاكد من أن الضباط كانوا يحافظون على تنفيذ اوامره ، وانهم لا يغادرون اماكن عملهم ، فقد كان عليه ان يراقب الوحدات العسكرية ولتحقيق هذا الامر فقد قدمت له اسرائيل طائرة حربية خاصة يقودها طيار اسرائيلي .

وفي احد الايام ، طار عيدي امين ليتفقد التشكيلات العسكرية على الحدود في منطقة روينزوري والنيل الفكتوري وقد علمت المخابرات الاسرائيلية في تلك الاثناء من احد عملائها ان ضباط الوحدات هناك يستعدون لاستقبال قائدهم باطلاق النار عليه ، وانهم استعدوا لعملية اغتيال والقيام بانتفاضة ، وانقلاب عسكري .

أبلغ الضباط الاسرائيلي «زونيك» ، هذه المعلومات الى الطيار ، الذي عاد بطائرته من منتصف الطريق ، دون ان يحقق الانقلابيون اية نتيجة ، وهكذا فقد انقذ زونيك حياة امين ، وقيده بجميله .

حول الاسرائيليون منذ البداية ، ان يحافظوا على تأثيرهم في الدول الافريقية الجديدة ، ومن اوائل العملاء السريين الذين اهتموا بالعلاقات مع السياسيين الاوغنديين ، كان اشر نعيم الموظف رسميا في وزارة الخارجية الاسرائيلية والموفد الى نيروبي في كينيا ، وقد اقام اتصالا مع الدكتور ميلتون اوبوتي ، الذي اصبح فيما بعد ، رئيسا لاوغندا .

بعد فترة وجيزة من استقلال اوغندا . جاء شمعون بيرس الى كمبالا كمبعوث لوزارة الدفاع الاسرائيلية ، ووعد بتقديم المساعدة في بناء الجيش الاوغندي ، الذي كان مكونا من ٧٠٠ رجل فقط ، وكان في ذلك الوقت جيش شكليات ، يقوم بالدوريات واستقبال الرسميين الاجانب ، ودربت اسرائيل الضباط الاوغنديين واعطت الجيش الجديد ست طائرات من نوع فوغا – ماجيستا .

بداية التناقض

لكن وقع التناقض بينهما بعد فترة قصيرة ، فقد طلب عيدي امين الذي كان يحترم الخبراء الاسرائيليين ، طلب من العقيد شهام الملحق العسكري الاسرائيلي ، ان تساعده اسرائيل ببيع كمية كبيرة من الذهب في السوق العالمية ، لكن اسرائيل رفضت القيام بهذه العملية التجارية المشبوهة التي نفذتها ، فيما بعد ، بعض البنوك العالمية .

كانت تلك اول نقطة سوداء في العلاقات الاسرائيلية – الاوغندية وفي عام ١٩٧٢ تم طرد المستشارين الاسرائيليين من اوغندا ، وتم قطع العلاقات بين البلدين .

لم تترك الموساد المركزية شيئا للصدفة ، تلقى المقيمون الدائمون امرا ، بان يتوجه كل العملاء المجرمين الى اوغندا وكينيا .

العملاء في نيروبي

نيروبي هي اليوم مدينة حديثة ، مع مركز استعراضي ، وعدة فنادق جيدة ، حيث يمكث السياح ، من كل انحاء العالم ، لمدة يومين او ثلاثة ولانهم بنوا فيها قاعة اجتماعات في غاية الجمال المعماري ، فان العلماء والسياسيين ، من بلدان مختلفة يكونون عادة في هذه الفنادق ، وبين هؤلاء الاجانب ، اندس عشرون او ثلاثون عميلا سريا اسرائيليا .

كان هؤلاء العملاء ينزلون في وسط المدينة ، في فندق نيوستانلي الفخم وفي فندق مايغلاور في حي الفيلات ، اما الفنيون الاخصائيون ، فانهم طاروا على متن الخطوط الجوية الاسرائيلية – العال – ال واي ٥٣٥ ، ونزلوا ضيوفا عند احد التجار الاسرائيليين ، الذي كان يملك فيلا واسعة في احد الاحياء الغربية من المدينة ، وكانت محاطة بسور عال ، ومحروسة بكلبين المانيين ، وبحرس خاص مسلحين بهراوات .

وهذه الفيلا اصبحت المركز الرئيسي لعملية الرعد والبرق ، ومنها قام عملاء

الموساد السريون باول اتصال مع مدير الشرطة النيروبية ليونيل برين دافيس ، ومع القائد البريطاني السابق للفرق الجوية الخاصة بروس ماكينزي .

وكان ماكينزي اصلا مزارعا ، وفي الريف عاش انتفاضة وصراع قبيلة ماو ماو ، وكان صديقا للرئيس الكيني جومو كينياتا ، ولعب دورا هاما في الحياة السياسية الكينية ، من وراء الكواليس ، لمدة خمسة وعشرين عاما ، كان طويلا ، وله شاربان اسمران لوحتهما الشمس ، وكان لوقت ما وزيرا للزراعة ، واحتل مكانه وطنية في قبيلة كيكوج ، وبقي مستشارا هاما للرئيس كينياتا ، واصبح الان واحدا من الذين تكرسوا لخطة المخابرات السرية الاسرائيلية .

كان شمعون بيريس ، وزيرا للدفاع ، ومستشاروه يدرسون المعلومات التي قدمتها الموساد ، قرأوا معلومات من الارشيف وتفهموا وضع الرئيس امين في بلاده .

كان عيدي امين محبا للمديح ، ومغرورا يهمه ان يكون اسمه في مقدمة الاسماء عند الرأي العام العالمي ، وكان يوميا يقوم بتصفح صحف العالم وبارتياح كان ينظر الى اسمه في الصفحات الاولى ، ولان الاهتمام به يزداد ، فانه من الصعب ان يستعجل اجراء المباحثات مع المختطفين لانه في هذه الحالة سيعود الى الظل .

تلقت الموساد في تل ابيب ، انباء مختلفة من عملائها ، ومن ضمنها نبأ انه في اليوم الثاني او الثالث بعد نزول الايرباص ظهر في مطار عنتيبي فدائيون جدد . وجاء مساعدون المان بالسيارة من الصومال .

كما سنرى فيما بعد ، فقد نفى ممثل اوغندا هذا النبأ بشكل قطعي ومع ذلك ، فقد ارسل العملاء الاسرائيليون ، من كمبالا ونيروبي ، هذه الانباء مع تقديرات عن هوية قائد الفدائيين ولانهم لا يملكون الادلة فقد لجأوا الى اللف والدوران ، وورد اسم الدكتور وديع حداد في انباء العملاء الاسرئيليين .

حساب قديم مع وديع حداد

كان للموساد ، مع الدكتور حداد حساب غير مسوى ، فقد عملوا كل ما في

مقدورهم ، لكنهم لم ينالوا منه ، ومات موتا طبيعيا ، وكان يفلت كل مرة من ايدي القتلة مما اثار في حركة التحرير الفلسطينية مفعولا منشطا وكان لكل هجوم تأثير معاكس لما افترضه عملاء الموساد .

في الحادي عشر من شهر تموز – يوليو عام ١٩٧٠ . وفي الساعة الرابعة عشرة وأربع عشرة دقيقة ، حدث انفجار في منزل الدكتور حداد ، في بناية تدعى قطرجي ، في بيروت ، منطقة الحمراء ، كان الانفجار نتيجة عدة صواريخ مدمرة موجهة من البناية المقابلة ، التي تبعد بضعة امتار ، اصابت ثلاثة صواريخ غرفة النوم وغرفة المعيشة ، واثنان لم ينفجرا ، دمر الانفجار التجهيزات وحطم الابواب والشبابيك ، واصاب السيارة الواقعة امام البناية ، واشتعل حريق في الشقة ، لكن الدكتور حداد لم يصب الا بجروح طفيفة ، ونقلت زوجته سامية ، وابنه الذي يبلغ ثماني سنوات الى مستشفى الجامعة الاميركية بيروت .

فتشت الشرطة المنزل الذي انطلقت منه الصواريخ ، كان يتكون من اثاث متواضع : سرير ، خزانة ، طاولة ، كراسي ، وكفوف جراحية ، لم يترك المجرم اية بصمات ، كما في حالات كثيرة اخرى ، كان وراءها عملاء الموساد .

كان الشخص الذي استأجر المنزل اسمه احمد بزرات ، جاء قبل عدة اشهر بجواز سفر ايراني ، اشترى قطعا من الاثاث الرخيص ، وسيارة فولكس فاغن قديمة .

كان عمره حوالي ثلاثين عاما ، له شاربان اسودان ، ويستعمل نظارة شمسية ، رفض الاستجواب ، واكد انه لايعرف اللغة العربية حاولت الشرطة ان تكتشف كيف عرف عنوان وديع حداد ، وكيف عرف ان ليلى خالد ستزوره في ذلك المساء .

بسهولة يمكن الافتراض بان المجرم كان مرتزقا ، وانه اخذ مبلغا من المال من الموساد التي امنت له المعلومات المطلوبة ، واعلن الدكتور حداد فيما بعد ، ان الصهاينة وبدعم من المنظمات الاميركية ، كانوا وراء عملية الاغتيال الفاشلة ، ومعروف بشكل جيد ان الموساد شاركت وكالة المخابرات الاميركية بعدة عمليات .

وجدت الشرطة في شقة احمد بزرات حقيبة لها قاعان ، مما يوضح كيفية تهريب المتفجرات في مطار بيروت ، كان على الحقيبة ملصقات شركة طيران يتضح منها انه جاء من اوروبا ، ويحتمل ان تكون هذه الاثار قد وضعت للتمويه ، فالعميل السري المدرب عنده من الخبرة بان لا تبقى اثار واضحة كحقيبة لها قاعان وملصقات شركة الطيران ، ارادت الموساد تضليل الرأي بعملية الاغتيال . لكن من يصدق ذلك .

في عملية عنتيبي ظهر مجددا اسم الدكتور وديع حداد في اخبار المخابرات الاسرائيلية فقط ، وعدا ذلك لم يظهر في اخبار اخرى لانه لم يجد احد دليلا على وجوده في عنتيبي او حتى اوغندا .

اتصال جديد

وفي يوم الخميس الاول من تموز – يوليو عام ١٩٧٦ ، وفي حوالي الساعة العاشرة من قبل الظهر ، اتصل بارليف بالرئيس عيدي امين ، وذلك قبل انتهاء الموعد الذي حدده المختطفون .

* قال الرئيس عيدي امين : ابلغوا حكومتكم لطفا ، انه في الساعة الحادية عشرة . اي الثانية بتوقيت شرق افريقيا ، سوف تصدر الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بيانا ، هذا ما استطيع ان اقوله لكم ، لقد وصلتني تعليمات من الجبهة الشعبية حتى هذه اللحظة كانت المفاوضات صعبة للغاية ، من الافضل ان تنتظروا البيان .

– سأل بارليف : هل لكم ان تخبروني ما الذي يجري ؟ ما النقاط الرئيسية لهذا البيان ؟

* ليس سرا ما اقوله ، كل كلمة اقولها يذيعها صوت اميركا .

– قال بارليف : هل يمكنكم تأخيرهم حتى اصل اليكم ؟ سوف احضر معي مقترحات جديدة .

* اتصل بي ، حينما تسمع نص البيان .

– سيدي ، كيف حصل انه وصل الى اوغندا اناس جدد من المنظمة الفلسطينية ففي الطائرة كان ستة ارهابيين كما نعرف ، عددهم الان اكثر من ستة انهم عشرون او اكثر ، كيف عبروا الحدود ؟

* قال الرئيس امين : كانوا في الطائرة ، لم يكونوا فقط ستة ، انهم حوالي الثلاثين ، لم يحضر احد الى اوغندا بطائرة اخرى ولمعلوماتكم حاولت ان اضع المسافرين في باص ، لكي يكونوا في امان ، لكن المختطفين اصروا على ابقاء جميع الرهائن في بناية المعاملات في المطار القديم ان هذا صعب علي ، وانا اعمل ما استطيع عمله ، لكنني اعتقد بان حكومتكم هي المسؤولية عن ارواح المواطنين الاسرائيليين وعن امن المسافرين ذوي الجنسية المزدوجة ، وكذلك الاخرين .

– ان حكومتي تحاول مساعدتكم ، لذلك سأتي بمقترحات جديدة ، اكرر لقد أعطاكم الله فرصة لعمل عظيم تدخلون به التاريخ ، لا تدعوا المنظمات الفلسطينية تؤثر عليكم ، لانهم عندكم ، ويتحدثون لكم باقوال مختلفة .

عملية الرعد والبرق
في مطار عنتيبي
عيدي أمين يحذر بارليف
من المخاطرة بحياة الرهائن
اتفاق اسرائيلي كيني للحصول علىٰ تسهيلات خاصة في مطار نيروبي

« القســـم الرابع »

تابع الرئيس الاوغندي قائلاً للعقيد بارليف انني اعمل كل شيء لانقاذ ارواح الاسرائيليين وبقية المسافرين ، والفت انتباهك الىٰ انه ليس ضرورياً ان تحضر الىٰ اوغندا ، اذا اردت ان تخبرني بشيء في غاية الاهمية ، استمع اولاً للبيان ثم اتصل بي هاتفياً ، انني اقول لك ماذا تفعل ، واؤكد مرة اخرىٰ ، لو لم اعمل كل مافي وسعي ، لما عاش الاسرائيليون حتىٰ الان ، ولاحتىٰ طاقم الطائرة ، يجب ان تفهموا الوضع الذي أنا فيه ولا أسمح لكم بأهانتي ، بأن تدعي انني اتعاون مع القراصنة الجويين ان وضعي صعب للغاية ، يجب ان تفهموا ذلك ، ويجب علىٰ العالم كله ان يقدر ذلك .

– قال بارليف : انني اعرف عنكم ثلاثة اشياء ياسيادة الرئيس ، انك جندي جيد اوغندي ، ومؤمن بالله ، لذلك فأنني اعتقد انك تستطيع منع وقوع مجزرة ، لا أحد يستطيع ان ينصحكم ، يجب ان تعملوا ماهو مناسب لبلادكم ، وما يريده الله ، ليس من حق المنظمات الفلسطينية ان تفعل شيئاً كهذا علىٰ تراب بلادكم .

* قال عيدي امين : لقد وضعوا المتفجرات حول الرهائن ، وابعدوا جنودي ، ان حياة الرهائن في ايديهم ، ماذا استطيع ان اعمل ؟

– تستطيع ان تشرح لهم ، انهم ضيوفكم ، وانهم قادوا بلادكم الىٰ وضع حرج . لو ان شيئاً كهذا حصل في اسرائيل ، وقد حصل سابقاً ، لكنا قد حررنا الرهائن ، لم تنجح الجبهة الشعبية في خططها ، ولاحتىٰ بالمتفجرات شديدة الانفجار ، لأننا لم نسمح لهم ان يفعلوا ما يشاؤون ، ان العالم لايتسطيع ان يغفر لكم هذا الادعاء ، بأنكم مع جيشكم الممتاز ، لاتستطيعون ان تواجهوا ستة أو عشرة اشخاص ، كيف يمكن تصديق ذلك ، بأن المنظمات الفلسطينية تستطيع ان تفعل في اوغندا ماتريد ، ويبقىٰ الجيش الاوغندي بأكمله واقفاً لايدري ماذا يفعل ؟

* انا اعرف انهم لم ينجحوا في بلادكم ، وانني قادر على قتلهم جميعاً .

– انكم تقدمون لهم الحماية ، انهم يعيشون في اوغندا ، كأنما هم في فندق ، انكم اصدقاء للفلسطينيين والعرب ، لذلك يجب عليهم ان لايسيئوا الىٰ وضعكم ، وان لايخلقوا لكم المشاكل ، يجب ان لايفكروا بأنهم يستطيعون القيام بأعمالهم في الاراضي الاوغندية ، دون أن يهتموا بالنتائج . يجب ان يأخذوكم بعين الاعتبار ، انني اعتقد انهم لايستطيعون عمل شيء لو طلب منهم مارشال الميدان عيدي امين ان يؤجلوا خطتهم يوماً ، حتىٰ استطيع الحضور واكون موجوداً .

* ليس صحيحاً انهم يعيشون هنا كما لو كانوا في فندق ، انهم مع الرهائن لو حاولنا شيئاً لخاطرنا بحياة الجميع ، انهم ليسوا ضيوفي ، صحيح انهم اصدقائي ، وانا مع السلام في فلسطين ، وان حكومتكم تتحمل المسؤولية ، لايسمح لكم بالاستمرار بالسياسة الصهيونية والنشاط الصهيوني .

مخططات اسرائيل

من انباء البيانات اللاحقة ، ومن محاضر جلسات الحكومة الاسرائيلية فأنه يتضح ، انهم في تل ابيب قد خططوا ، ومنذ البداية للقيام بعدوان مفتوح ،

وهجوم جوي علىٰ الاراضي الاوغندية المستقلة برغم ان الرئيس عيدي امين قد حقق تنازلات عديدة من المختطفين ، واطلق سراح اكثر من نصف الرهائن . طار المسافرون الذين انقذوا الىٰ باريس ، وتبعتهم حالاً مجموعة من عملاء الموساد ، لتحصل علىٰ معلومات اضافية وفي نفس الوقت كان فريق من العملاء يعد العدة لعملية قرب مكان الاحداث في كينيا ، الدولة المجاورة لاوغندا .

درس الاسرئيليون الهجوم علىٰ مطار عنتيبي ، وكان اكبر عائق في وجههم المسافة الشاسعة بين تل ابيب وعنتيبي . فالطائرات المقاتلة وطائرات النقل برغم انهم فيما بعد جهزوها بخزانات وقود اضافية من باب الاحتياط ، الا انه كان عليهم تعبئة الخزانات في الجو .

كان انسب مكان لهم هو مطار امباكاسي المدني في العاصمة الكينية نيروبي ، فهو مطار حديث تهبط به طائرات تابعة لشركات كثيرة في العالم وفيه حركة طيران مزدحمة ، وفي هذا الازدحام لايمكن لفت الانتباه لبضع طائرات كبيرة غير مسجلة في برنامج الرحلات ، وكانت ميزة اخرىٰ عند الاسرائيليون وهي وجود مقر لممثل شركة الطيران الاسرائيلية العال في نيروبي وكان له معارف بين كبار رجال الدولة .

هل خدعوا كينيا حقاً ؟

نشط عملاء الموساد فوراً . والذين انتحلوا شخصيات رجال الاعمال ، ففي ثاني او ثالث يوم ، بعد اختطاف الطائرة التقوا في صالة فندق نيوستانلي مع قائد الوحدات الكينية «جي . اس . يو» وحدة المهام العامة ، وكان قائد هذه الوحدة جيفري كاريتي ، وعلموا منه ما أرادوا ان يعلموه ، وهو ان الرئيس جومو كينياتا لايمانع بأن تهبط الطائرات المدنية الاسرائيلية لتملأ الوقود في مطار امباكاسي ، اذا التزموا بضرورات الطيران الخاص لشركة العال .

كان هذا الموقف لاينطلق من اطار التعليمات القانونية ، بل انطلق من افتراض خاطئ ، هل قال عملاء المخابرات الاسرائيلية لممثلي كينيا انها عملية نقل لجنود في لباس مدني ، مسلحين حتىٰ اسنانهم ، وان هناك طائرات حربية سيلصقون عليها

الاشارات المدنية ، ويضعون في مكان الحقائب المدنية سيارات مصفحة ، ومخزناً ضخمة من الاسلحة والمعدات العسكرية ، لقد خدع الاسرائيليون السلطات الكينية .

الم يخطر ببال الكينيين ماذا كان يجري ؟ أمن الممكن انهم لم يتبلغوا بذلك ؟ ليس ذلك محتملاً ، فقد كان هناك ومنذ البداية مكان مهيأ خاص للطائرات الاسرائيلية ، في مكان جانبي بعيد عن حركة الطيران المستمرة وكانت الوحدات الخاصة «جي . اس . يو» وشرطة المطار ، جاهزة لفصل الطائرات الاسرائيلية ومنع اي شخص من الاقتراب منها ، واعرب شارلز نجومو المدير العام الكيني عن قناعته بأن عملية موضوع المباحثات قانونية ، مادامت لاتخل بالقوانين الدولية للطيران المدني . ألم يخطر بباله هو ايضاً ان عملاء المخابرات الاسرائيلية يهيئون لعدوان عسكري مسلح ؟

استعملت قيادة الموساد في تخطيطها للهجوم علىٰ مطار عنتيبي العملاء السريين المتطوعين ، وهذا أسلوب عادي وعملي ، فالحكومة الاسرائيلية تفترض ان كل رجل أو أمرة ذي معتقد يهودي في مكان مافي العالم ، يجب ان يكون جاهزاً لمساعدة اسرائيل في اي وقت يطلب منهم ذلك بما في ذلك الاعمال التي تكون موجهة ضد مصالح البلد التي يعيشون فيها .

من يقف وراء الاحداث

من كان يقف وراء الاحداث في عنتيبي ؟ ومن تمكن من الاتفاق مع السلطات الكينية ؟

من الممكن ان يكون جورج هيتي ، رئيس تحرير صحيفة الديلي نيشن النيروبية ومستشار الرئيس ، وراء هذه الاحداث . فقد كان في تلك الفترة في تل ابيب ، وفي اليوم الثالث من شهر تموز – يوليو عام ١٩٧٦ عاد الىٰ نيروبي مع طيران العال ، بعد ان اشترك في تل ابيب بمشاورات علىٰ مستوىٰ عال .

بعد وصوله بفترة وجيزة الىٰ العاصمة الكينية ، تلقىٰ ممثل شركة العال هناك امراً

بسحب مبلغ نقدي يسير من البنك وان يبقيه جاهزاً . فيما بعد تبين ان هذا المبلغ قد صرف في رشاو لموظفي المطار ولسد نفقات الوقود .

أبي ناثـــان

كان الشخص الاخر في اللعبة هو الطيار الرياضي أبي ناثان ، كان معروفاً وغريباً ، ظهر أحياناً تحت شعارات دعائية بأسم «طيار السلام» في طائرة رياضية في أماكن مختلفة من العالم ، وكان يظهر في كل مرة بمهمة سرية ، وعندما هبط في مطار عنتيبي ، لم يعرف جنود عيدي امين كيف يتصرفون معه ، لماذا جاء ، وماذا يريد ؟ كان الرئيس في تلك الاثناء في جزيرة مورشيوس وكان علىٰ السلطات الاوغندية ان تتصرف معه بغياب الرئيس . طلب ناثان ان يتحدث مع قائد المختطفين ، تحدث معه لكنه لم يره ، وكل واحد كان يجلس في جهة ، برغم انه تحدث بملء فمه فيما بعد عن مهمته ، الا انه لم يقل شيئاً عن نتائج الحديث .

عاد الىٰ نيروبي التي تبعد «٣٨٠» ميلاً ، واتصل مع تل ابيب ، وبعد ان نصحه محاميه اريه مارينسكي بأن لايتدخل في أي شيء عاد فوراً الىٰ اسرائيل .

معلومات من باريس

في تلك الاثناء ،كانت هيئة اركان الخبراء في باريس ، تتحقق من افادات الرهائن المحررين والذين جمعوا معلومات عن الوضع في مطار عنتيبي ، كان التحقيق يتم علىٰ اعلىٰ مستوىٰ تخصصي ، وقام خبراء نفسانيون رفيعوا المستوىٰ بأستجواب الرهائن ، بعد تنويم مغناطيسي ، الذي يعتبر افضل من جهاز الكذب ، حيث يقول المستجوب كل شيء بدون تحفظ .

كان عملاء الموساد علىٰ اتصال مباشر مع السفارة الاسرائيلية في باريس والتي كانت بدورها تقوم بنقل كل المعلومات بالشيفرة واللاسلكي الىٰ تل ابيب .

تحتفظ الموساد الاسرائيلية علىٰ علاقات صداقة مهنية مع وكالة المخابرات الاميركية ، وعند العدوان علىٰ عنتيبي ، قدم العملاء الاميركيون الخرائط اللازمة

لمطار اوغندا ، وصوراً لكل المنطقة ، مأخوذة بواسطة القمر الاصطناعي التجسسي .

بريجنسكي في اسرائيل

في تلك الاثناء ، كان في اسرائيل البروفيسور «ز . بريجنسكي» مستشار السياسة الخارية لمرشح الرئاسة الاميركية جيمي كارتر ، وفي مساء يوم الجمعة دعاه وزير الدفاع الاسرائيلي شمعون بيريز الى مأدبة عشاء وحضر المأدبة مدير المخابرات الاسرائيلية ، وبما ان بيريز وبريجنسكي ينحدران من أصل بولوني فقد تحدثا باللغة البولونية ، كان لدىٰ وزير الدفاع الاسرائيلي شعور بالثقة بأن خليفة هنري كيسنجر المحتمل يجلس أمامه في حين كانت تجري في الصحراء علىٰ بعد اميال عديدة من تل ابيب تمرينات نهائية كاملة لعملية الرعد والبرق .

بالطبع ، تطرق بروفيسور السياسة العالمية في جامعة كولومبيا بريجنسكي بالحديث عن مشاكل الارهاب الدولي ، وعن امكانات انقاذ الرهائن في عنتيبي ، ولكن كان هذا الحديث حديثاً نظرياً برغم ان كلا السياسيين وضعا بعين الاعتبار احد الاحتمالين وهما : التراجع او الهجوم ولم يفهم بريجنسكي كلمات الوزير الاسرائيلي الا يوم الاحد ، عندما اتصل هاتفياً بعائلته في نيويورك وعلم ماذا جرىٰ في الليل في عنتيبي ، فهم متأخراً كيف هيأه بيريز للحل دون أن يقوله مباشرة .

في نفس اليوم كان يزور اسرائيل رئيس الوفد الاميركي الدائم في الامم المتحدة باتريك موينهان ، الذي تناول طعام العشاء مع وزير الخارجية الاسرائيلي ايغال آلون ، الذي اعلن فيما بعد :

مثل امامي آلون مسرحية ، شربنا القهوة ، وكان يتحدث بدون أية هموم ، كما لو لم يكن هناك شيء ، وتصرف بهذا الشكل عن قصد ، لكي لايفضح ماكان يحضر ، انني اعرف بأنه قد نجح تماماً في ذلك .

من ارادوا ان يخدعوا ؟

الخاطفون ، الرهائن ، عيدي أمين ؟

ولماذا كانت مسرحيات الوزراء الاسرائيليين ؟ اما كانوا يحسبون أن الرأي العام العالمي سيعرف بعد قليل كل شيء ! قال باتريك موينهان : كان لديهم سبب آخر ، وهو خطر التأخير كانت القوات الجوية قد انطلقت ، وكان قادتها في الطريق الىٰ الهدف بأنتظار الاوامر ، لتنفيذ عملية الرعد والبرق .

كانوا في اسرائيل مايزالون يحسبون امكانية حل المشكلة بالمفاوضات وكانت كل دقيقة في الفضاء تكلف اطناناً من الوقود الثمين وكانت مخاطر الظروف غير المتوقعة تزداد مع مرور الوقت .

يوم الجمعة الثاني من تموز – يوليو عام ١٩٧٦ كتب احد المسافرين وهو طالب الطب موشيه بيريز في يومياته :

– «في الثامنة والنصف مساءاً ، قدمنا كتاباً للفلسطينيين ، نشكر فيه الرئيس عيدي امين علىٰ موقفه ، ونطلب فيه من الحكومة الاسرائيلية الافراج عن المساجين السياسيين . وقد صاغ هذا الكتاب بعض المواطنين الاسرائيليين ، وكان المختطفون مرتاحين لما جاء في هذا الكتاب» .

العمليـــة

من اضخم طائرات النقل الجوي في العالم ، طائرة لوكهيد سي ١٣٠ هيركيوليس ذات المحرك الرباعي ولها اثناء الطيران ميزات عديدة ، بالاضافة الىٰ الحمولة الضخمة وقدرتها علىٰ الطيران البعيد المدىٰ ، تزن هذه الطائرة «٧٠» طناً ، ومدىٰ انطلاقها «٤٠» متراً ، ويبلغ ارتفاع اشارتها بيت من عشرة طوابق ، ويمكنها ان تنطلق او تهبط علىٰ مدرجات سيئة ، وهي مجهزة بصواريخ للانطلاق السريع علىٰ مدرج قصير ، ويقال بأنها ترتفع في الجو قبل طائرة الهيليوكوبتر ، عدا عن ذلك يمكن ان يوضع بها مركبات عسكرية وادوات ومعدات مختلفة ، وسيارة مرسيدس صالون .

عندما انتهىٰ عصر الاستعمار القديم في افريقيا ، وحصلت الدول المختلفة علىٰ استقلالها ، جهدت الدول الاوروبية والاميركية في كسب مودة الحكام الجدد ،

وكما يقال فأن الهدية الصغيرة يمكن أن تجلب صداقة كبيرة ، وكان اهتمام السياسيين ، منذ العهود القديمة ، متجهة نحو ميزانية الدولة .

سيارة المرسيدس !

كان عيدي أمين يحب الطائرات السريعة والسيارات الفخمة فقد حصل من اسرائيل علىٰ مقاتلات معترضة من نوع فوغا – ماجيستا ؟ وعلىٰ سيارة مرسيدس فخمة من المانيا الغربية ، وكانت هذه السيارة المفضلة لديه ، وتبين لعملاء الموساد انه يذهب بها الىٰ مطار عنتيبي ، لمفاوضة المختطفين او رهائنهم .

اقترح قسم الموساد الخاص ان تحمل احدىٰ طائرات الهيركوليس سيارة مرسيدس مشابهة ، وان يجلس فيها عسكري شبيه بعيدي امين ، بعد اجراء المكياج اللازم له ، وكان عليه ان يتقدم السيارات المهاجمة المنقولة بالطائرة ، فعندما يرىٰ المختطفون والجنود الاوغنديون السيارة السوداء المعروفة ، لن يخطر ببالهم انهاسيارة لمجموعة اسرائيلية مقاتلة .

بدأ بحث عيدي أمين المزيف فوري في اسرائيل عن سيارة مرسيدس مشابهة لسيارة الرئيس وجدوا سيارة ، لكنها كانت بيضاء ، قاوم مالكها ان يعبث بها عملاء الموساد ، لكنهم اخذوها وطلوها باللون الاسود ، واختاروا رجلاً طويلاً وقوياً من المظليين ، واستدعوا احدىٰ مجندات القوات الجوية الاسرائيلية كانت تسمىٰ زعوما ، كانت سابقاً موظفة مكياج في التلفزيون ، اعطوها صورة عيدي امين لاجراء مكياج لرجل المظلات كي يصبح شبيهاً بعيدي امين حين يجلس في سيارة المرسيدس ، وخلف المقود يجسل سائق بالباس الاوغندي ، وبوجود الاضاءة الخافتة ، سيتمكنون من لعب الدور غير العادي عن بعد ، أما عن قرب فأن الحيلة ستنكشف .

اختاروا للعملية افضل رجالهم من الفرق التي اشتركت سابقاً بهجمات علىٰ مناطق مختلفة ، ألبسوا ستة منهم لباس الجنود الاوغنديين بعد اجراء المكياج اللازم لهم .

اما الاخرون ، وكان عددهم «٥٠٠» جندي فلم يرتدوا اللباس العسكري فقد تلقوا أوامر بالحضور بلباسهم المدني ، وجاؤوا بالجينز وبالقمصان المخططة ، والبنطلونات القصيرة والاحذية الخفيفة ، كانوا يبدون كالسياح حينما جلسوا للاستماع الىٰ اوامر القائد ، وحينما تلقوا اوامر الحضور قرأوا ملاحظة تفيد بأن عليهم ان يذهبوا الىٰ مكان اللقاء بسياراتهم الخاصة كالمدنين ، أو بواسطة وسائل النقل العام ، أو سيراً علىٰ الاقدام ، ويمنع استعمال السيارات الرسمية أو العسكرية .

وحينما قال لهم العميد جوناثان نيتانياهو عما يجري اصيبوا بالدهشة فهم لايعرفون شيئاً عن وغندا ، وامتلأت قلوبهم بالرعب ، لأن هذه العملية بعيدة عن مساكنهم ، وفي ارض مجهولة لهم تماماً .

وصلت اوامر ايضاً لممثل شركة الطيران العال في نيروبي ، فعليه الانتظار في المطار ومعه مبلغ احتياطي كبير من العملة المحلية ، وسوف تطير طائرات برحلات استثنائية وسيستدعي ذلك دفع ثمن المحروقات وخدمات المطار .

من باب الاحتياط حملوا معهم في احدىٰ طائرات الهيركوليس براميل من بنزين الطائرات ، ومضخات خاصة بقيمة مليون دولار ووضعوا للطائرات خزانات اضافية تحت الاجنحة ، فماذا يجري لو لم يحدث كل شيء بحسب الخطة في مطار نيروبي ؟ قال الطيار الذي كان اسمه الحركي لعملية الرعد والبرق ارئيل قال فيما بعد للصحفيين ان امر الالتحاق بالوظيفة جاءه وهو علىٰ ظهر اليخت ثم علم اين وبأية ظروف سيطير ، وأنه سيكون هناك عشرون طناً من وقود الطائرات خلف ظهره ، امتعض قليلاً ، ثم قال انه لن يكون وحيداً فسيكون معه طيار اخر ، وخلفهما سيجلس مهندس طيران ، وفي طائرة الهيركولس يمكن نقل كل شيء في كل الظروف .

وقفت الناقالات الضخمة بجانب المدرج ، وبالقرب منها كانت مقاتلات الفانتوم ، والسكاي هوك جاهزة ، اصطفت طائرات الهيليوكبتر وقفز منها المظليون باللباس المدني ، حملوا صناديق معبأة بالقنابل والمتفجرات والاسلحة الرشاشة واجهزة الاتصال ، ووضعوها في طائرات الهيركوليس ، ثم اضافوا سيارتي جيب

حربيتين ، كل واحدة مجهزة بمدفع «١٠٦» ملم غير مرتد ، بالاضافة الىٰ صناديق البنادق وسيارة نصف مجنزرة .

جرىٰ كل ذلك بحسب ماهو مخطط له ، لم يتكلم احد فكل واحد يعرف مهمته ، وبصمت نفذوا مهامهم ، وحرست الشرطة العسكرية المجال المحيط بالمطار ، لكي لايقترب اي شخص غير مسموح له بالاقتراب ، لم يكن احداً يدري ماذا يجري .

اربعة اشخاص فقط ، كانوا يعرفون عن عملية الرعد والبرق في تلك اللحظات وهم : قائد القاعدة ، وضابط العمليات التابع له ، والجنرال دان شومرون ، والعميد جوناثان نيتانياهو وبرغم ان الخطة قد نوقشت علىٰ اعلىٰ مستوىٰ حكومي ، وفي الكنيست ، ورئيس الوزراء اعطىٰ الامر بعد مشاورات مع الوزراء ، الا ان العملية كانت سرية للغاية ، واشترك في تحضير العملية اثنان من العملاء السريين للموساد اللذين قدما قبل العملية لرجال المظلات رسوماً للمختطفين ولبعض الرهائن ، وهي مرسومة بحسب نظام (INDENTI KIT) بناء علىٰ وصف المسافرين الذين اطلق سراحهم .

كيف نفذت اسرائيل عملية مطار عنتيبي .. ؟

الموساد تذيع معلومات مشكوك بصحتها عن مراحل العملية

– زعموا انهم قتلوا «غبرييلا كرايخر» وثبت اعتقالها بعد ١٨ شهر في سويسرا
– هل يعقل هبوط اربعة طائرات ضخمة فجأة دون ان يعلم بها احد ؟
– القتال استمر ١٥٠ ثانية .. والعملية كلها استغرقت ٩٠ دقيقة !
« القســـم الخامس »

جرت التحضيرات للعدوان على الدولة المستقلة وذات السيادة ، كما لو كانوا في حالة حرب ، فقد اجتمعت هيئة الاركان العامة لقوى الدفاع الاسرائيلي ودعي للاجتماع قائد القوات الجوية الجنرال بيتي بيلد ، ورئيس قسم العمليات الجنرال ميجر يكوئيل ادم ، صادق الجميع على خطة العملية ، وعلى الزمن المحدد لمراحل العدوان ، وقام الجنرال دان شومرون بتوزيع المهام ، كان على الوحدة المهاجمة التي يقودها نيتا نياهو الاهتمام بالرهائن ، وعلى المجموعة الضاربة «فورس ٦٢٩» ابادة الدوريات الاوغندية ، وعلى مجموعة الرجال المدربين على الاعمال التخريبية تفجير مقاتلات الميغ التابعة للقوات الجوية الاوغندية الرابضة على جوانب المطار المدني .

كان ٢٧٠ مظليا محترفا جاهزين بلباس مدني ، ووجوههم مدهونة باللون لاسود لكي يظهروا في الظلام وعن بعد ، وكأنهم كالسكان المحليين ، وبما ان ميدان العملية كان بعيدا عن القواعد العسكرية الاسرائيلية ، فان الاركان العامة ارسلت طائرات النقل الحربية المموهة كالطائرات المدنية الى المطار القريب من مومباسا ،

وطائرات اخرى كان عليها تغطية الجو فوق مطار عينتيبي بارتفاع عشرة كيلو مترات ، كغطاء جوي في حالة فشل العملية الارضية ، وكان على طائرة القيادة المحافظة على الاتصال بتل ابيب ، وماعدا ذلك يجب ان تتم العملية دون استعمال الراديو لاسباب امنية .

اثناء الطيران ، تم تنفيذ امر الصمت اللاسلكي ، ولكن اثناء الهجوم كانت الميكروفونات الشديدة الحساسية التابعة للمخابرات الاميركية المركزية والموجودة في قمر تجسس ، تلتقط الاوامر من الوحدات الارضية ومحادثات القادة مع الوحدات المهاجمة ، وقامت الاذن الالكترونية للمخابرات الاميركية التي تتنصت في كل مكان من ارجاء العالم ، قامت بتحذير موظفي المخابرات المركزية ، بأن شيئا غير عادي يجري في اوغندا وبعد ترجمة عدة جمل عبرية كان واضحا ان هناك عملية هجومية .

خلال دقائق قليلة ، وصلت الانباء الى طاولة وزير الخارجية الاميركي هنري كيسنجر ، تفيد بأن الطائرات العسكرية الاسرائيلية ، ذات المدى البعيد وعلى متنها ٥٠٠ جندي ، قد حلقت فوق البحر وهبطت في مطار عنتيبي .

من كان المسؤول عن هذه العملية ؟ هل هو رئيس الوزراء اسحق رابين أم وزير الدفاع شمعون بيريز ؟ أم رئيس الاركان العامة الجنرال غور ؟

امر البدء بالعمليـــة

يوم السبت الثاني من تموز – يوليو عام ١٩٧٦ ، وفي الساعة الخامسة عشرة وثلاثين دقيقة ، تلقى طيارو الهيروكوليس أمرا بتنفيذ العملية في حين كان رجال المظلات بلباسهم المدني ، يجلسون على مقاعدهم في الناقلات بكل هدوء ، ألم يكن الامر مزعجا بالنسبة لهم ؟ اذ ان عشرة من المختطفين الذين يحرسون الرهائن في عنتيبي ، وثمانين جنديا اوغنديا يتبادلون المناوبة لذلك فان الاسرائيليين يشكلون فرقاً عدديا كبيرا ، وتفوقا تكنولوجيا هائلا .

امام تشكيلة طائرات الهيركوليس طارت طائرة القيادة من نوع بوينغ ٧٠٧

مموهة كطائرة مدنية تابعة لشركة العال مع ارقام تسجيل واشارات اسرائيلية وجلس فيها ، بالاضافة الى كبار الضباط ، قائد القوات الجوية بيني بيليد ونائب هيئة الاركان العامة يكوئيل أدم ، كانوا بلباس مدني ، ومعهم حقائب يدوية واخرى سفرية ، كان شكلهم يوحي بأنهم رجال اعمال .

سار الطيران دون اشكالات ...ولم لا ؟

لقد كانت الطائرات الحربية مموهة وكأنها طائرات مدنية ، وسارت في الطرق الجوية الدولية الطبيعية بمحاذاة البحر الاحمر ، ثم انعطفت الى الجنوب فوق اثيوبيا ، وغرب بحيرة نايفاشا ، انخفضت واتجهت نحو مطار امباكاسي النيروبي .

في نيروبي

كان مع قائد القوات الجوية بيليد اوراق ثبوتية مزورة باسم سيدني كوهين ، تاجر يتعامل بالفراء من جنوب افريقيا ، وكان معه ومع رفاقه حقائب اكثر من اللازم ، وكان بها ادوات اتصال وعدة لازمة لقيادة العملية ، لكن احدا لم يتنبه لذلك ، لان عملاء الموساد جهزوا الارضية المناسبة في نيروبي ، واعلموا مسبقا قائد شرطة المطار ليونيل ديفيس الذي كان واحدا من الموظفين القلائل الذين عرفوا بما كان يجري .

كانت تتبع طائرة القيادة ، طائرة اخرى من نوع بويغ ٧٠٧ ، مموهة أيضا بشكل مدني ، كانت الطائرة الثانية مجهزة بمستشفى ميداني مع غرفة عمليات ، بالاضافة الى عدد من امهر الاطباء والممرضين .

وهبطت الطائرتان ، وتزودتا بالوقود واهتم بتيسير الخدمات الفنية مقيم الموساد في نيروبي ممثل الخطوط الجوية «العال» موردخاي بن اري .

الطيران الليلي الصامت

ان الطيران فوق الارضي الاجنبية بدون اتصالات لاسلكية ، ليس بالامر السهل حتى لامهر الطيارين ، خاصة اذا كان الطيران فوق الغيوم أضافة لعتمة

الليل .

لم تكن الهيركوليس تستطيع استعمال الراديو ، لانه من الممكن اكتشاف وجودها بسهولة ، لذلك فان القيادة الاسرائيلية اختارت اسلوب الطائرة القائدة ، لتقوم بوظيفة الدليل وهي مجهزة برادار متطور وفعال ، كان الكشاف يدور بانتظام ويرسل حزمة من الاشعة الضوئية ، لتكشف الجبال أو السفن أو الطائرات الاخرى ، وكان هناك كشاف اخر له ذراع كبير ، يشير الى العوائق في الطبقات السفلى ، وكان جهاز اخر يقوم بتزويد طاقم الطائرة عن تجمع الغيوم والمطار ومناطق العواصف .

اما طائرات الفانتوم الاسرائيلية التي كانت تطير فوق مجموعة طائرات الهيركوليس ، فقد كانت مزودة بجهاز ارسال ذبذبات تبطل مفعول الرادار المعادي ، كما انها تستطيع تغيير اتجاه الصواريخ المعادية من نوع «جو - جو» والموجة بالرادار .

هبوط في عنتيبي

كانت كل طائرة عبارة عن وحدة مستقلة تطير على عاتقها فوق وديان ريفت فاللي ، بمساعدة خرائط الطائرات وأجهزتها وصلت فوق بحيرة فكتوريا ، وحل الظلام ، عن بعد كانت تظهر أنوار الشاطئ وعنتيبي ، خفف قائد الطائرة الاولى ديفيد سرعته الى ٧٥ ميلا في الساعة ، ثم بدأ بهبوط حاد ضربت العجلات بالارض بقوة واتجه الطيار بطائرته الكبيرة الى المبنى القديم كما لو كان معتادا على المنطقة ، او كأنه قد هبط بها مرات ومرات ، توقفت الطائرة وفتح الباب الخلفي ، نزل المظليون وسيارات الجيب المسلحة اجتمعوا على ارض المطار ، في الامام كانت سيارة المرسيدس المطلية باللون الاسود يقودها سائق اسود ، وفي المقعد الخلفي كان يجلس شبح اسود .

اخبار الموساد تثير الشك

قاد العملية شخصيا الجنرال دان شومرون ، وبحسب افادة المشاركين التي كتبها الصحفي الاسرائيلي اوري دان ، فان العملية سارت بكل سلاسة بحيث اقترب الجنود الاسرائيليون المموهون باللون الاسود وبلباس الجيش الاوغندي من بناية المطار القديم ، وهذا بحد ذاته يثير الشك في نفس القارئ فبعد ان حل الظلام بقليل ، وقفت طائرتان ضخمتان في المطار الهادئ دون تبليغ مسبق ، وخرجت منهما سيارات جيب ، ومركبات مصفحة هجومية ، وتحرك مئات من الجنود مسلحين حتى اسنانهم ، ولم يتنبه الحرس أو كادر المطار الى أي شيء ، وذكرت الانباء الاسرائيلية أن فئة الطيارين الحربيين ، الذين شاركوا في حالات سابقة ، كان عليهم ان يهبطوا في ليل معتم بدون اضاءة في مطار معاد ، وكان الهبوط رائعا لدرجة ان طائرات الهيركوليس ذات المحركات الاربعة النفاثة هبطت على الارض كالعصفور في هدأة الليل الاستوائي دون أن يسمع اي صوت ، ومن سمع هبوط طائراة ذات أربعة محركات وزنة سبعين طنا ، وبقوة عدة الاف حصان ، فأنه يستطيع ان يحكم على صحة هذا الخبر وحده ، كما ان الاحداث التالية تثير الشك بأخبار الموساد .

اقترب المظلي «الان ، وهو مدرب تدريبا خاصا ، اقترب من بناية المطار حيث يوجد الرهائن ، افاد فيما بعد انه لمح قرب مدخل البناية المرأة الالمانية التي تمسك قنبلة بيد ومسدسا بيد اخرى ، صوب البندقية نحوها ومن مسافة قريبة اطلق الرصاص عليها حتى افرغ كل الطلقات ، كانت هذه المرأة هي غبرييلا كرايخر – تيدمان وبسهولة وسرعة قتل زميلها ويلفريد بيسيه ، الذي كان بحسب شهادة جندي اسرائيلي ، واقفا وظهره نحو المطار ، اي انه لم يكن لديه أية فكرة عن وجود اربع طائرات ضخمة ، والتي هبطت على بعد عشرات الامتار من البناية ، وكان يبلغ طول جناحي الواحدة أربعين مترا .

وبالنسبة للمظليين الذين كانوا ينتعلون أحذية خفيفة بنعل مطاطي فانهم على حد الزعم الاسرائيلي . لم يتعرضوا لأية مشكلة باقترابهم اليه الى درجة قصوى ليطلق

احدهم النار من البندقية .

وبحسب المعلومات التي اعطتها الموساد الى الصحافة ، فان المعتدين الاسرائيليين قد تصرفوا مع فدائيين اخرين بنفس الطريقة ، اذ كانا يحرسان الرهائن ، وهما : فايز عبد الرحمن ، وجابر عبد اللطيف ، اللذان وقفا لحراسة الصالة ، قاوما قليلا ، ثم تمت السيطرة عليهما .

غبرييلا اعتقلت بعد ١٨ شهراً من قتلها !

ما الذي يجعلنا لانصدق الانباء الاسرائيلية عن عملية الرعد والبرق ؟

هناك حقيقة بسيطة تثبت عدم صدق الانباء الاسرائيلية ، ففي ٢٠ كانون اول – ديسمبر عام ١٩٧٧ ، ألقت الشرطة السويسرية القبض على شخصين المانيين غربيين ، بالقرب من الحدود السويسرية – الفرنسية ، الالمانية الغربية لقتلها شرطيين ، كان المعتقلان يحملان ثلاثة جوازات سفر المانية غربية وثلاثة جوازات سفر نمساوية ، وجواز سفر قبرصي كانا مسلحين ، ومعهما ٢٠ الف دولار اميركي .

المعتقل الاول يدعى كريستيان ميلر ، اما المعتقلة الثانية فهي غبرييلا كرايخر – تيدمان الفدائية المعروفة التابعة لمجموعة بادر – مانهوف اي انهم ألقوا القبض عليها بعد سنة ونصف السنة من ادعاء قتلها .

أما بيني دافيد سون ، فانه يدلي بشهادته قائلاً :

لم اكن اعلم انهم جنود اسرائيليون ، بدأ أطلاق النار فجأة ، ركضنا نحو المرافق الصحية وركض الجميع بهذا الاتجاه ، القينا انفسنا على الارض ، ارتمى ابي فوق اخي ، والقت امي نفسها علي لحمايتي صليت صلاة شخصية قائلا : يا الهي ارحمنا .

امتلات صالة المطار القديم بالدخان ، وشخص ما صرخ – تيكافو – اي الى الارض باللغة العبرية ، واندفع المظليون الاسرائيليون الى القاعدة وانقذوا الرهائن .

في تلك اللحظات فقط ، تنبه الجنود الاوغنديون – على حد الزعم

الاسرائيلي – وبدأوا باطلاق النار على المعتدين الاسرئيليين من برج المراقبة وهجم الجنود الاسرائيليون بمدفع البازوكا والرشاشات الاوتوماتيكية على البرج .

استمر القتال – اذا جاز لنا ان نسمي الغدر الليلي قتالا مدة ١٥٠ ثانية واستغرقت العملية كلها منذ هبوط الطائرات وحتى مغادرة اخر طائرة ٩٠ دقيقة .

دمر الفنيون المقاتلات الاوغندية من طراز ميغ على ارض المطار الجديد وبحسب المعومات الاسرائيلية فقد قتل سبعة فدائيين من اصل عشرة ، صوروا القتلى واخذوا بصمة اصابعهم ، وبحسب ما قالته الموساد ، فانهم اسروا عدداً من المختطفين ، وتم نقلهم الى اسرائيل حيث استجوبوهم ، لم تنشر الموساد اسماءهم مما اثار الشكوك حول عددهم وشخصياتهم ، بخاصة في نهاية عام ١٩٧٧ ، عندما تبين ان غبرييلا كريخر – تيدمان ، ما زالت على قيد الحياة .

العــودة بالرهائن

نفذت القوات الاسرائيلية المهاجمة مهمتها ، وانطلقت اول طائرة تحمل الرهائن عائدة وهي تتعرض لاطلاق النار من القوات الاوغندية ، وقرر قائد الهجوم الجنرال دان شومرون ان تطير طائرات الهير كوليس الى نيروبي للتزود بالوقود من مطار امباكسي ، فلدى الطيارين في خزانات الوقود ، مايكفي لتسعين دقيقة طيران ، لذلك فقد اتجهت الطائرات الى نيروبي على بعد ٥٠ دقيقة طيران .

اتصال بعيدي أميـن

من يدري ، لماذا اتصل بارليف مع الرئيس عيدي امين ، بعد تنفيذ عملية الاعتداء على مطار عنتيبي ؟

قرع جرس الهاتف في عنتيبي حوالى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل بعد انتهاء عملية الرعد والبرق بنجاح .

– قال بارليف : اردت ان اشكركم على تعاونكم .

* قال عيدي أمين ؟ الذي اوقظه حارسه من النوم : تعرف بأنني لم اتمكن من

عمل شيء .

– لماذا لم تتمكن من عمل شيء ؟

* قال عيدي أمين متشككاً : هل فعلت شيئاً ؟

– انا عملت ما تمنيته انت بالضبط .

* قال أمين مرتبكاً : هل حدث شيء ؟

– ماذا يمكن ان يحدث .

* نعم ؟

– قال بارليف كاذباً : لا أدري شيئاً لم يعلم عيدي أمين بالحقيقة ، حتى بعد ان انتهى كل شيء . وعلم بالهجوم متأخراً ومن مصدر آخر من ضباطه .

عملية الرعد والبرق .. كانت عدواناً على أوغندا

كينيا كانت على علم بتفاصيل العمليّة وسهلت لإسرائيل احتياجاتها في المطار

القسم الأخيـــر

وصف وزير خارجية اوغندا الهجوم في تلك الليلة ، امام اعضاء مجلس الامن فقال : «في الوقت الذي به وضع رئيسي رأسه لينام ، حطت الطائرات الاسرائيلية في عنتيبي ، وقد اخبركم السيد الرئيس عن الحادث «يقصد رئيس مجلس الامن» ورئيسي في كتابه يوم ٤ تموز – يوليو والذي سلمُ اليكم في الساعة الحاديةوعشرين دقيقة بتوقيت وسط اوروبا ، بدون توقع وبدون استئذان من الحكومة الاوغندية ، هبطت ثلاث طائرات صهيونية كبيرة في مطار عنتيبي الدولي بالقرب من بناية المطار القديمة ، حيث كان رهائن الاير باص الفرنسي .

تفاصيل العدوان

وخرجت من الطائرات سيارات الجيب ، كان المعتدون يحملون القنابل اليدوية والبنادق والبازروكا والمتفجرات . داهموا بناية المطار ، والجنود الاوغنديين الذين كانوا يحرسون البناية عن بعد مئتي متر وبحسب شروط المختطفين كانوا مسلحين باسلحة خفيفة فقط ، اسفر عن الاعتداء قتل سبعة مختطفين وبعض الجنود الاوغنديين ، وجرح كثيرون اخرون ، وفجر المعتدون البناية القديمة ، واصابوا باضرار بالغة مدرجات الطائرات ، كما دمروا الطائرات الاوغندية وتجهيزات ثمينة اخرى .

وقال وزير خارجية اوغندا : اود ان انبه الى بعض جوانب الاعتداء

الاسرائيلي ، الذي يتضح منه ان اسرائيل لم تستعد للعدوان دون معرفة وتعاون ودعم بعض الدول الافريقية ، اذكان على افريقيا الا تسمح لاية دولة فيها ان تنقاد للاسرائيليين الصهاينة واسيادهم الامبرياليين في الاعتداء على دولة شقيقة ، وبحسب المعلومات التي بين ايدينا ، والتي اثبتت صحتها الصحافة العالمة ، فان اسرائيل كانت ستهاجم مطار عنتيبي في بداية الشهر ، اي في اليوم الذي كان فيه الرئيس عيدي امين يبذل غاية جهده ليقنع المختطفين بتاجيل مدة انذارهم لتحقيق مطالبهم ، مع العلم ان الرئيس تمكن من اطلاق سراح رهائن اخرين .

علم الوفد الاوغندي حقيقة ، وهي ان خطة الاعتداء على عنتيبي كانت جاهزة قبل ان تهبط الطائرات على الاراضي الاوغندية ، ومن الطريف أن نشير الى ان اذاعة صوت اميركا اعلنت نبأ نجاح العملية بعد ساعة واربعين دقيقة فقط من هبوط القوات الاسرائيلية في عنتيبي ، وذلك في نشرة اخبار الساعة الثانية صباحا بتوقيت شرق افريقيا ، اي الساعة الثالثة والعشرين بتوقيت وسط اوروبا ، كما ان صحف الاحد البريطانية التي تصدر منذ منتصف الليل وتباع بشكل عادي في الشوارع ، نشرت تفاصيل عما أسموه بالعملية الناجحة في عنتيبي وكتبت «الصنداي اكسبرس» في نفس اليوم بطبعة الساعة الثانية والنصف تقول :

«اعلن المتحدث الاسرائيلي في تل ابيب ان الوحدات الاسرائيلية قد حررت صباح هذا اليوم جميع الرهائن ، الذين اختطفتهم احدى منظمات الفدائيين الفلسطينيين في مطار عنتيبي في اوغندا ، كما تم تحرير طاقم الاير باص الفرنسية ، وذلك بعد هبوط الطائرات الاسرائيلية وتفجير المطار .

لم تؤيد اوغندا ابدا اسلوب القرصنة الجوية ، ولن تؤيدها ابدا واعلان المسؤولين الاسرائيليين عن تعاون اوغندا مع المختطفين غير صحيح البتة ، لان اوغندا انجرت الى هذه الحادثة ، ومن المفيد الاستماع لطاقم الطائرة المخطوفة عن سبب اختيار اوغندا لهبوط الطائرة فيها ، فقد رفض طلب الهبوط في الخرطوم ، فتوجهت الطائرة الى عنتيبي ، حيث كان فيها من الوقود ما يكفي لخمس عشرة دقيقة طيران ، نلاحظ ان المختطفين ارادوا الهبوط في الخرطوم اصلا .

تقع نيروبي ، عاصمة كينيا ، على بعض المرتفعات ، وبين المدينة ومطار امباكاسي يمتد متنزه قومي مليء بالحيوانات الافريقية ، وحينما يجد المسافرون انفسهم في الترانزيت بمطار امباكاسي ، فانهم يستغلون اوقاتهم لبضع ساعات في السفارى بسيارة مستاجرة او بباص صغير مع دليل ، ويعج المطار بالحركة الجوية فالاهتمام بالسفاري في شرق أفريقيا ينمو ويزداد ، وفي نيروبي تتوقف الكثير من طائرات الخطوط الجوية العالمية ، ومن غير المعتقد ان يثير الانتباه هبوط بعض الطائرات الضخمة من نوع خاص ، وعليها ملصقات بارقام ومختصرات لشركة الطيران الاسرائيلية العال .

تسجيلات من مطار عنتيبي

كانت اول طائرة لم توضع رحلتها في برنامج الطيران ، وبحسب اعلان الاذاعة الداخلية ، رحلة العال الخاصة بوينغ ٧٠٧ رقم ال واى ١٦٧ ، والتي هبطت في الساعة الثالثة والعشرين وثلاث وعشرين دقيقة ، بحسب التوقيت المحلي على مدرج رقم «٤» والذي يستعمل للطائرات المهددة بالخطر وبمساعدة السلطات الكينية والكادر الارضي وممثل شركة العال في نيروبي ، استطاعت الطائرة ان تقف جانبا ، لم يتطابق رقم التسجيل «٤» اكس بي واي «٨» مع الرقم المسجل في دفتر قيادة الطائرة ، وفي عقد التامين سجلت الرحلة تحت رقم ١٦٩ .

بعد اقل من ساعتين اعلن برج المطار في نيروبي عن وصول طائرة اخرى من تل ابيب ، كانت طائرة بوينغ ٧٠٧ رقم ١٦٧ ، مما اثار دهشة قيادة المطار لكن قائد الطائرة ابلغ قيادة المطار ان خللاً فنيا قد اصاب الطائرة ويحتاج الى التوقف ، وفي الساعة الثانية وست دقائق وصلت طائرة بوينغ ٧٠٧ اخرى وفي نفس الوقت وصلت طائرة من نوع هيركوليس قادمة من عنتيبي ، وفي الثلاثين دقيقة اللاحقة ابلغ المطار بوصول ثلاث طائرات من نوع هيركوليس وبحسب الاوامر ، كانت جميعها تهبط في المدرج رقم «٤» وكانت طائرة من نوع البوينج ٧٠٧ مجهزة كمستشفى طائر مع غرفة عمليات ، وقد تم نقل الجرحى الى هذه الطائرة ، لكن

عشرة من المصابين بجروح بالغة تم ارسالهم بسيارات اسعاف الى مشستشفى كينياتا الحكومي ، واندهشت الممرضة الكندية المناوبة حينما رأت في سيارة الاسعاف عدة شباب أقوياء يلزمهم دم للتعويض عما فقدوه ، وكانوا جميعا يعرفون عن ظهر قلب نوع فصيلة دمهم .

الخدمات مؤمنة مسبقا

في الوقت الذي جاهد به الاطباء لانقاذ حياة الجنود الاسرائيليين ، كانت الصهاريج تملأ خزانات الهيركوليس الضخمة ، وكان متوقعا ان الوقت الاضطراري سيستمر اكثر من ساعة ، لذلك ذهب بعض من الركاب الى بوفيه المطار ، وعلى غير المعتاد كانت البوفيه مفتوحة في هذه الساعة المبكرة واستطاع المسافرون ان يحصلوا ليس فقط على شاي وقهوة وكوكا كولا مبردة ، بل ايضا على ساندويشات طازجة ، وتبين فيما بعد ، ان موظفي البوفيه تلقوا امرا بملأ الثلاجات بالساندويشات ، وان يستمروا في تقديم خدماتهم دون توقف طيلة الليل ، ويقال ايضا انه جرت في كينيا عدة حوادث قتل غير مفسرة وكان القتلى من موظفي المطار «امباكاسي» الذين كانوا مناوبين في تلك الليلة ، وساعدوا في تجهيز الطائرات الاسرائيلية ، فهل اصبح هؤلاء شهوداً غير مرغوب فيهم ؟

طارت الهيركوليس الاخيرة من المدرج رقم «٤» قبل ساعتين من فجر اليوم التالي ، وبعدها انطلقت البوينغ ٧٠٧ والمستعملة كمستشفى .

بقي اثنان من الجرحى الاسرائيليين ، وامرأة من الايرباص المختطفة والذين كانوا مصابين بجروح بالغة في مستشفى نيروبي الحكومي ، وبمساعدة الكادر الارضي للمطار عبأت الطائرات الوقود بكل هدوء ، وانطلقت الى تل لبيب .. وهكذا تمت عملية الرعد والبرق .

الدور الاميركي

هل كانت عملية الرعد والبرق عملية اسرائيلية مستقلة ؟

في ليلة العملية ، وفي الصباح حينما ملئت طائرة الهيركوليس بالوقود في امباكاسي ، كانت تقف بجانب مدرجات المطار ، وفي حالة استعداد طائرة بعيدة المدى تابعة للقوات الجوية الاميركية من نوع بي ٣ اوريون ، لم يكشف أحد لماذا ومنذ متى تقف في مطار نيروبي ، كما أنها أقلعت بعد قليل من أنتهاء العملية ، وقد اكد الصحفيون على ان جودها كان مؤقتا ، فهل من المصادفة انها كانت تقف ومحركها يعمل في نفس الوقت الذي تمت به العملية ؟

عادت الصحافة العالمية للحديث مطولا عن عملية الرعد والبرق ، وكتب الصحفيون عن العدوان من جميع جوانبه .

احاديث الخاطفين

ونشر حديث اوزى ديفيدسون مع زعيم المختطفين الالماني ارنست ويلفريد بيسيه ، والذي قتل اثناء الهجوم ، اما اوزى ديفيد سون كان واحدا من الرهائن .

– وسأل ديفيد سون : لماذا انتم هنا ؟

* تردد زعيم المختطفين قليلا ، ثم شرح باسهاب ، انه يؤمن بحقوق الشعب الفلسطيني المضطهد الذي فقد وطنه ، وانه قرر مساعدة هذا الشعب .

– قال ديفيد سون : حسنا ، لنفترض ان الجبهة الشعبية وبقية اعدائنا في العالم العربي ، استطاعوا تدمير اسرائيل ، وانتشر اليهود في العالم مرة اخرى ، ماذا ستفعلون حينئذ ؟ هل ستخطفون الطائرات من اجل ان يعود الشعب اليهودي الى وطنه ؟ ام انكم تدعمون الشعب الفلسطيني فقط ؟

* اجاب زعيم المختطفين : اتفق معكم بانه يجب ان يكون لليهود وطن قومي .

– اذن انتم مع وجود دولة اسرائيل ؟

* طبعا ، لكن بشرط ان يكون بجانب اسرائيل دولة فلسطينية مستقلة او العيش في دولة واحدة مع الفلسطينيين .

– لكن هذا ينافي رأي الناس الذين تعملون معهم ، والذين من اجلهم تخاطرون بحياتكم ، اذ انهم لاينوون الاعتراف باسرائيل كدولة .

* لست ممثلا للجبهة الشعبية ، لي ارائي الخاصة ، هل رأيتم في اية ظروف يعيش الفلسطينيون في مخيماتهم ؟ هل رأيت اطفالهم ؟

– سينتهي ذلك يوما ما ، سيوجد حل لكل مشاكل الشرق الاوسط ، لن تستمر الحرب الى ما لا نهاية ، ماذا ستفعلون بعد ذلك ؟ اين ستذهبون ؟

* انني الماني واحب وطني ، لكنني اطمح لالمانيا مختلفة ، انني اعيش بسرية ، وانني مطارد باستمرار من قبل البوليس ، واعرف ماذا ينتظرني اما طلقة في راسي ، او الجلوس خلف القضبان لسنوات طويلة .

العلاقات الاوغندية الكينية

لنعد الى النتائج السياسية العالمية للعدوان ، الى قضية دعم الوحدات الاسرائيلية المهاجمة ، فقد ساءت العلاقات الاوغندية الكينية الى درجة ملحوظة علما بانها لم تكن ممتازة قبل العملية ، وقد قال وزير خارجية اوغندا في اجتماع مجلس الامن :

«لقد حاولت ان اتجنب الحديث عن كينيا ، لانها دولة شقيقة ومجاورة لكن للاسف ، فقد ذكر مندوبها اسم اوغندا في بيانه ، لذلك فانني ارجو ان يتابع السادة اعضاء مجلس الامن تقريري .

ماذا كان دور كينيا في الغزو ؟ في الاول من تموز جاءت لجنة عسكرية اسرائيلية خاصة الى نيروبي ، ناقشت واتفقت مع السلطات الكينية على قرار التدخل ، واخذت موافقة ووعدا بالمساعدة ، لدينا ادلة كافية على ذلك لدينا مصادر معلومات خاصة بنا ، ومع ذلك نشر في الغارديان اللندنية يوم الاثنين الخامس من تموز – يوليو عام ١٩٧٦ اذ كتب يقول :

«برغم ان السلطات الكينية لم تعرب عن موقفها من الحادث ، ولا يبدو انها ستعرب عنه يوما ما ، الا ان الدوائر الرسمية تحاول التغطية على اشتراكها ، وبحسب البلاغات من نيروبي ، فقد جرى ما يلي : في الساعة الحادية والعشرين بالتوقيت المحلي ، اي الساعة التاسعة عشرة بتوقيت بريطانيا من مساء يوم السبت رأى شهود

عيان ثلاث طائرات نقل عسكرية ، يعتقد انها اسرائيلية من نوع سي – ١٣١ تقف في مطار نيروبي المدني ، وبعد فترة قصيرة غيروا احدى قاعات المطار الى مستشفى ميدان مع طاولة عمليات كاملة مزودة باجهزة التخدير واسطوانات الاوكسجين ، قبل ذلك وصلت الى المطار قوات من الجيش مع وحدات خاصة تابعة للجي – سي – يو واحتلت الموقع » .

من افادات الشهود تلك نستنتج ان الطائرات الاسرائيلية التي قامت بالعدوان لم يكن لديها سماح بالمرور عبر الاراضي الكينية وحسب ، بل استطاعت ان تقف وتستعمل تجهيزات وخدمات المطار للاعتداء على واغندا .

وكتبت صحيفة الفايننشال تايمز في عددها يوم الاثنين الخامس من شهر تموز – يوليو عام ١٩٧٦ :

«بحسب الاخبار الواردة من نيروبي ، فقد وصل الى المدينة عدد كبير من رجال الامن الاسرائيليين ، وبالتعاون مع الشرطة الكينية اشتركوا في العملية في مطار امباكاسي ، حيث تم تزويد الطائرات بالمحروقات ، وتقديم المساعدات الطبية اللازمة .

عـــدوان

كانت عملية الرعد والبرق عدوانا بحسب كل الاعراف الدولية ، ولكن دخول القوات الاسرائيلية الى اراضي دولة مستقلة ، كان من وجهة نظر الاسرائيليين عملية ناجحة للموساد ولاسرائيل ، التي ارادت ان تعيد اعتبارها بعد مفاجاة حرب تشرين عام ١٩٧٣ ، لكن النتيجة كان مشكوكا بها .

لم يحصل للفدائيين ما كان مخططا له في تل ابيب ، ولم يحصل الفدائيون وهم على الارجح من جماعة بادر مانهوف ، على ما كانوا يبغون ، كان لديهم معلومات خاطئة ، وكانوا اثناء خطف الطائرة ، واثناء وضعهم للشروط يتهجسون وفي تل ابيب كانوا يعرفون كيف اخطا الفدائيون ، حينما طالبوا باطلاق سراح المساجين في نيروبي ، وقدر موظفو الموساد ، بسهولة ان مختطفي الطائرة هم من الطراز الثاني أو

الثالث ، ولم يكونوا من الطراز الاول .

كان قادة مجموعة بادر مانهوف ، اندرباس بادر وثلاثة اعضاء اخرين من الطراز الاول هم : غوردون انسلين ، ويان كارل رأسبيه وارمجارد ميللر كانوا يوم ٢٨ نيسان – ابريل عام ١٩٧٧ محكومين بالسجن المؤبد ، لقيامهم بعملية اختطاف فاشلة لطائرة لوفتهزا الالمانية الغربية الى مطار موغاديشو الصومالي ، حيث طالبوا باطلاق سراحهم مقابل الرهائن ، وفي يوم ١٨ تشرين الاول – اكتوبر عام ١٩٧٧ قام المساجين بعملية انتحارية في سجن ستامهايم في شتوتغارت ، ومات الجميع باستثناء ميللر .

كان رئيست فيلغريد بيسيه ، الذي عرفه الاسرائيليون كزعيم للمختطفين كان اصلا رئيس تحرير مطبعة في فرانكفورت ، وكان يقوم باخفاء الارهابيين وتعاون مع اولريكا ماينهوف ، كان يقوم بتأمين جوازات سفر مزورة ، بالاضافة الى الاسلحة والمتفجرات التي حصل عليها ، حين هجم على مخزن ذخيرة تابع للجيش الاميركي في الاراضي الالمانية الغربية ١٩٧٤ ، وكان عملاء الموساد على يقين بانه تعاون مع اعضاء منظمة ايلول الاسود الفلسطينية بعملية قتل الرياضيين الاسرائيليين في ميونخ .

وقام اعضاء من منظمته في كانون الثاني – يناير ١٩٧٥ بنسف طائرتين تابعتين لشركة العال الاسرائيلية في مطار اورلي الباريسي . وجهزوا لعملية مشابهة ضد طائرة اسرائيلية اخرى في مطار نيروبي ، لكن المخابرات الاسرائيلية الموساد ، كان لها عملاؤها في مطار امباكاسي ، الذي قاموا بابلاغ الشرطة الكينية بنوايا الفدائيين ، وهم اربعة مواطنين المانيين وعربي واحد ، وقامت السلطات الكينية بتسليمهم للموساد ، وانتهى المطاف بالفدائيين الى سجن الرملة ، وكان من بين هؤلاء بريفيتا شولتز ، وثوماس رويتر ، لم يسمع عنهما شيئا لفترة طويلة ، وفي اذار – مارس وصلت انباء لابائهم بانهم في السجون الاسرائيلية في زنزانة مجاورة لزنزانة مونيكاهاس ، التي هي الاخرى عضو في مجموعة بادر مانهوف ، اما اسماء الاخرين فلم يتمكن احد من معرفتها .

من الملفت للنظر ظروف الاعتقال نفسها ، فقد وصلت معلومات من مجهول للشرطة الكينية عن الفدائيين . عن رقم الرحلة التي سيصلون بها الى نيروبي ، بل وحتى ارقام المقاعد داخل الطائرة ، فمن كان مهتما باعتقال فدائيين اوربيين يتحركون في اقطار كثيرة ، في نيروبي بالذات ؟ بالطبع ان المخابرات السرية الاسرائيلية – الموساد – وبالتعاون مع اجهزة المخابرات الاوربية الغربية والاميركية ، هي صاحبة هذا الاهتمام ، وليس في هذا شيء غير عادي ، لكن الشيء الغريب الذي يبقى دون تفسير هو : لماذا لم يعرف الفدائيون اين يسجن زملاؤهم ، وانهم طالبوا السلطات الكينية بان تطق سراحهم ، لم يكن لديهم معلومات كافية ، مما يؤكد الرأي القائل بانهم مجموعة غير متكاملة ، وبانها بالتاكيد لا يمكن ان تكون تابعة للدكتور وديع حداد «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» .

وهذا الرأي ثبت بعد حوالي نصف سنة ، ففي احد ايام كانون ثاني – يناير عام ١٩٧٧ ، اعتقلت الشرطة الاسرائيلية في مطار بن غوريون المواطنة الهولندية لودفينا جانسين والبالغة من العمر ٢٤ سنة ، استجوبها عملاء الموساد ، وقدموها للمحاكمة في مدينة القدس ، وحكم عليها بالسجن لمدة ست سنوات مما ادى بها الى الانهيار ، فاعترفت بانها جاءت الى اسرائيل لتدرس امكانية اجراء عملية انتقام لعملية عنتيبي ، وقد خططت لها مجموعة فدائية تطلق على نفسها اسم «المساعدة الحمراء» كانت هذه المنظمة تتعاون مع مجموعة بادر – مانهوف ، وكان على لودفينا جانسين ان تنفذ مهمة بسيطة وهي تمرير صندوق معدني عبر اشعة المطار التي تعطي اشارة على وجود المواد المعدنية في جيوب المسافرين لمعرفة امكانية صلاحيتها وقدرتها على ذلك .

واعترفت لودفينا بكل شيء كانت تعرفة ، مما مكن البوليس الهولندي من القيام باجراءات ضد المنظمة ، فاعتقلوا في امستردام ستة من قيادي «المساعدة الحمراء» الذين لم يكونوا على علاقة مع مجموعة بادر مانهوف او الجيش الجمهوري الايرلندي والقوا القبض ايضا على عضو آخر هو ماريوس نيويورغ في مدينة نيودلهي الهندية .

واكتشفت الموساد أن اعداء اسرائيل منتشرون في بلدان كثيرة اخرى اما

المفكرون الحقيقيون ، والقادة الفعليون الذين كانوا وراء عملية الاختطاف في عنتيبي ، فلم يتمكن احد من معرفتهم حتى الان .

فضيحة لافون

شاب يحترق على مدخل سينما الريو

مسحوق أصفر .. كان مفتاح اكتشاف مخطط تخريبي اسرائيلي في مصر

هدف المخطط كان إثارة عداء اميركا وبريطانيا لمصر

مدينة الاسكندرية مدينة كبيرة حين تغيب الشمس وتنخفض درجة الحرارة تمتلئ الارصفة والمقاهي بالناس .

حوالي الساعة الثامنة مساء ٢٣ تموز – يوليو عام ١٩٥٤ كان الامتلاء مضاعفاً فقد كان المصريون يحتفلون بالذكرى الثانية للثورة ، فقبل عامين وبقيادة مجموعة الضباط الاحرار وعلى رأسهم جمال عبد الناصر تمت الاطاحة بالنظام الملكي القائم وبدأ تاريخ الثورة المصرية .

كان تيار الرجال بالجلابيات يعبر الشوارع وامام سينما «ريو» اصطفت مجموعة من الشباب وفجأة اندفع من المدخل الرئيس للسينما شاب يحترق ركض في الشارع وخلفه ذيل من الدخان المتصاعد القى نفسه في أحضان الشرطي زكي المناوي الذي سحب عنه الجاكيت المشتعلة واطفأها بقدميه .

قال الشاب : لاتخف والدي طبيب وسيعالجني ، اطمأن الشرطي ولم يفكر بسبب احتراق الجاكيت لم يسأله متى وكيف اشتعلت النار رفع الشاب الجاكيت عن الارض وشكر الشرطي وهم بالذهاب ، لكن الشرطي ناداه قائلاً له : انتظر لقد سقطت نظارتك تناول الشرطي غلاف النظارة واعطاه للشاب لكنه لاحظ انه ليس في الغلاف نظارات نظر في داخلها رأى مسحوقاً شمه فوجد انه فسفور .

في الايام الاخيرة اندلعت في الاسكندرية عدة حرائق وعبثاً حاولت الشرطة ان

تعرف مشعليها ، لكن تبين في جميع الحالات انه تم استعمال الفسفور في هذه الحرائق .

ربط الشرطي المناوي علاقة الفسفور بالحرائق فأمسك بيد الشاب واقتاده الى قسم البوليس .

سأله الشرطي وهو يكتب محضر الضبط : ماأسمك ؟

– أجاب : فيليب هيرمان ناثانسوف .

* هويتك ؟

– ليس معي هوية .

* اين هويتك ؟

في البيت .

* اذن لنذهب سوية لاحضارها .

كان اسم الشاب البالغ من العمر تسع عشرة سنة ناثاسوف فعلاً اقسم ان لاعلاقة له بالمخربين الذين اشعلوا عدة حرائق في الايام الاخيرة بالاسكندرية ، فتشت الشرطة غرفة ناثاسوف وجدت بعض الادلة ، وبعد بضعة صفعات اعترف بأنه عضو في منظمة شيوعية تديرها موسكو التي تعد لانقلاب عسكري .

وحدة تخريبية

لم تكن الشرطة المصرية غبية . فقد عرفت عدم صحة هذا الكلام ، كما انها وجدت بعض الاشارات التي يمكن من خلالها معرفة اتجاه الاثر وعادوا مرة اخرى للتحقيق . قاوم المعتقل قليلاً لكنه انهار واعترف انه عضو في وحدة تخريبية تابعة للمخابرات السرية الاسرائيلية .

– صرخ المحقق : من هم الشركاء ؟ ما أسماؤهم ما عناوينهم ؟

* أجاب ناثانسوف : روبرت داسا وفيكتور ليفي وفيكتوريا نيني .

كان روبرت وفيكتور اول شخصين في مركز الشرطة قبل منتصف الليل اما فيكتوريا فقد تم اعتقالها بعد بضعة أيام في فيلا على الشاطيء قرب مونتازا .

حاولت المعتقلة ان تنتحر فقد قفزت من الشباك المفتوح لمركز الشرطة فكسرت ساقها فقط ووضعت منذ ذلك تحت المراقبة .

كان من المعتقلين الياهو كوهين الذي اشتهر فيما بعد كجاسوس في دمشق كان كوهين من نفس المجموعة لكنه اثناء التحقيق أعطىٰ انطباعاً لدىٰ المحقيقين من خلال كذبه المقنع لدرجة انهم طلبوا منه التوقيع علىٰ الافادة والعودة الىٰ بيته .

وهكذا انتهىٰ نشاط المجموعة الارهابية التابعة للمخابرات السرية الاسرائيلية والمعروفة بأسم الوحدة ١٣١ بالخزي والعار والفشل ، وأدىٰ أعتقال الجواسيس الاسرائيليين الىٰ عواقب سياسية خارجية وداخلية كبيرة وكانت بداية لفضيحة لافون التي لم يستطع احد أن يمحوها .

بناء الموســاد

بعد اعلان دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ بدأوا في اسرائيل ببناء جهاز المخابرات الذي وجهت نشاطاته اساساً ضد الدول العربية المجاورة ، مصر وسوريا والاردن ولبنان والعراق وكذلك ليبيا وتونس والمغرب والجزائر وغيرها من الدول العربية وامتد النشاط التجسسي والتخريبي الىٰ اراضي دول اخرىٰ في العالم .

قد يبدو للوهلة الاولىٰ ان بناء جهاز المخابرات الجديد سوف يعاني من نقص في الكوادر المدربة وانهم سوف يواجهون مشكلة في البحث عن جواسيس مناسبين ومتخصصين ، لكن الامر ليس كذلك فقد كانوا موجودين قبل عقود من الزمن ليسن في فلسطين وانما في بلدان اخرىٰ وحتىٰ في الدول الاوروبية حيث كانت المنظمات السرية الصهيونية هاغانا وارغون زفاي ليومي ولوهامي حيروت اسرائيل تهيئ الهجرة الىٰ فلسطين ونظموا بطريقة عسكرية المتطوعين للهجرة الىٰ ارض الميعاد وأهتم القادة بتدريب الشباب اليهودي علىٰ ظروف الحياة الصعبة في الكيبوتسات المنتشرة علىٰ اطراف الصحراء واصبحت احدىٰ فصائل المنظمة الصهيونية العالمية ، المخابرات ، المركزية شيروت اسرائيل حجر الاساس لبناء جهاز المخابرات فيما بعد .

عمل اليهود ومنذ القدم في اجهزة التجسس لدول اخرىٰ خاصة وأنهم كانوا يتكلمون اللغات الاجنبية بطلاقة كما انهم كانوا يدعون الانتماء لتلك البلدان دون صعوبة وهكذا اكتسبت المنظمة التجسسية الحديثة جواسيس لهم خبرة وكفاءة من وكالة المخابرات الاميركية ومن المخابرات البريطانية . كان اول رئيس للمخابرات السرية الاسرائيلية سيلان عميلاً في جهاز المخابرات البريطاني لمدة طويلة كذلك فأن الجنرال مائير الذي حل مكان ايسار هاريل كان جاسوساً في المخابرات الاميركية .

التسلل الىٰ مصر

بعد عام ١٩٤٨ حاولت المخابرات السرية الاسرائيلية جاهدة ارسال عملائها الىٰ الدول المجاورة وبخاصة مصر الملكية ، وكانت الطرق ممهدة فعلىٰ الاراضي المصرية كانت تتواجد مؤسسة يهودية غير مشروعة مدعومة من الوكالة الصهيونية عملت علىٰ تأمين هجرة اليهود بطرق غير شرعية من مصر الىٰ فلسطين .

كانت المؤسسة تعمل تحت قناع مكتب جروند بيرغ للسفر وكان مقرها موجوداً ، في احد المكاتب الجديدة في قلب القاهرة وكان لها فرع في الاسكندرية .

في وقت ما من عام ١٩٥١ أي في عهد الملك فاروق ظهر في ميناء الاسكندرية شاب يحمل جواز سفر بأسم جون سي دار لينغ ، مر من قسم الجوازات وبدون توقف عبر الجمارك وركب في سيارة أجرة واختفىٰ في شوارع المدنية القديمة هذا الشاب نظم علىٰ الاراضي المصرية خلال عامين متتالين أول خلايا عاملة لشبكة التجسس الاسرائيلية .

كان لجون دار لينغ جواز سفر متقن تماماً ، أما اسمه الحقيقي فقد كان ابراهام دار ، وكان ضابطاً في الوحدة الخاصة ١٣١ في الجيش الاسرائيلي .

في ذلك الوقت كان رئيس الموساد ايسرهارئيل وكان رئيس الاستخبارات العسكرية العقيد بنيامين منذ عام ١٩٥١ وكان بنيامين ذا سمعة سيئة وكان ذا طاقات كبيرة لكنه مغرور ومشتعل دائماً .

ومن خلال وظيفته الجديدة تصور بأنه سوف يصبح محط انظار العالم لكنه

اكتشف بسرعة ان الاستخبارات العسكرية مودين تعيش فترة افلاس فتوصل الىٰ فكرة عجيبة لاتصدق . وصل الىٰ القاهرة واحد من أفضل عملاء الموساد وهو الكاتب ماكس بنييت حمل عدة رسائل توصية ، فقد ذهب كرجل اعمال ممثلاً لاحدىٰ الشركات الالمانية التي تنتج الاطراف الاصطناعية كان ابوه يهودياً وأمه كاثوليكية المعتقد والمنشأ .

قال عنه بعض الصحفيين انه كان يبدو ويتصرف كما لو كان بريطانياً حقيقياً وبحسب الصورة في تلك الايام كان يبدو وكأنه رجل من اليمن أو العراق أو الاردن .

ولد في بولونيا وهاجر والده الىٰ فلسطين حينما كان صبياً لكنه لم يكن طفلاً بحيث يهتم به احد فيما اذا كان مطهراً أم لا .

انضم الىٰ منظمة الشباب في الهاغانا واثناء الحرب العالمية الثانية عمل في الطيران الحربي البريطاني وحين عاد الىٰ تل ابيب ارسل ثانية الىٰ لندن لكي يبني شخصية ذات تاريخ مختلف ، ونفذ مهمته بنجاح لدرجة انه تزوج في بريطانيا .

كان أول مكان لنشاطه هو طهران تقمص شخصية تاجر يتعامل بالسجاد العجمي ونظم عملية هجرة اليهود من إيران الىٰ فلسطين .

وحينما أرسلوه فيما بعد الىٰ العراق نظم عدة عمليات تخريبية ضد المواقع العسكرية للجيش العراقي ، لكن تم اكتشافه ، وفي اللحظة الاخيرة تمكن من الفرار . واضطر أن يتقمص من جديد شخصية جديدة .

وجد نفسه في المانيا بعد أن تحول اسمه من ماكس بنييت الىٰ أميل ويتباين وبعد أن ترك مهنة التجارة تحول الىٰ التعامل مع الاطرف الاصطناعية .

ظهر في مصر عندما تولىٰ محمد نجيب السلطة . اهتم عن طيبة خاطر بمآسي الحرب وبمهنته توصل الىٰ المجتمع الراقي حيث اصبح محبوباً ومؤثراً وكان يرسل يومياً معلومات الىٰ المركز حول الوضع السياسي في البلاد وكان يحصل علىٰ المعلومات من اشخاص يتبوؤن مراكز مرموقة .

جاء الكابتن ابراهام دار القاهرة كجون دارلينيغ واتصل مع الرياضية ذات الاربعة والعشرين عاماً والمشاركة في الاولمبياد في لندن فيكتوريا نيني والتي عملت

بأسم حركي هو مرسيل .

كان يتزعم المجموعة في الاسكندرية ابن الحاخام صموئيل باخور عازر وكان يعمل معه التاجر فيكتور ليفي والموظف روبرت حايم داسا وابن تاجر ربطات العنق الياهو كوهين الذي اصبح فيما بعد عميلاً مقيماً للموساد في دمشق بالاضافة الىٰ ناثانسوف الذي تحدثنا عنه .

اما المجموعة الثانية والتي كان مقرها في القاهرة تكونت من رئيسها الدكتور الجراح موسىٰ مرزوق والموظف نعيم والمعماري سفران والممثل التجاري ميوهاس وموظف البنك كوهين .

اختار جون دارلينيغ «مرسيل» فيكتوريا نيني كحلقة اتصال واعطاها الف دولار للمصروفات الضرورية وعاد الىٰ تل ابيب .

بالطبع ان المجموعة المشكلة من هواة والذين لايعرفون عن اصول وقواعد العمل في الجاسوسية الا من كتب المغامرات لم يتمكنوا من الوصول الىٰ نتائج مرضية ، وبالرغم من ان اعضاء المجموعة كانوا ينقلون مجموعة من الاخبار السرية الا أن هذه الاخبار لم تكن ذات نوعية هامة فقد كانت تتعلق في كل شيء ماعدا الموضوع الذي كان يجب أن يهتموا به .

مدرسة الجواسيس

لايخلق الانسان جاسوساً ولكنه يتعلم من التجسس وحينما عمت فوضىٰ المعلومات القادمة من الجبهة غير المنظورة علىٰ الاراضي المصرية قرروا في تل ابيب أرسال بضعة عملاء الىٰ مدرسة التجسس ووصل هؤلاء العملاء الىٰ اسرائيل عن عدة طرق باريس وميونخ وبوسائل نقل مختلفة في الطائرة أو الباخرة والتقوا في بيت منعزل قرب يافا وحينما انهوا دراستهم عن كيفية التعامل باللاسلكي والشيفرة عادوا الىٰ مصر لكي ينظموا سيل المعلومات بالاضافة الىٰ ذلك فقد تعلموا كيفية تحضير القنابل الموقوتة من المواد المتوفرة دائماً .

عميـلاً لـلادارة

بحثت المخابرات السرية الاسرائيلية عن عميل مناسب لادارة النشاط التجسسي . وكان عليه ان ينسق العمل بين المجموعتين التخريبيتين ويقوم وحده بالاتصال مع تل ابيب وعليه ايضاً توزيع الادوار ومراقبة تنفيذ الاوامر دون أن يتصل مباشرة مع اعضاء المجموعتين .

وجدت المخابرات افري العاد ويسينفيلد لهذه المهمة ، كان عمره ثمانية وعشرون عاماً كان مقاتلاً سابقاً علىٰ الجبهة وحصل علىٰ رتبة ميجر ، وفي الوقت الذي عاد فيه العملاء السريون من الدراسة الىٰ القاهرة والاسكندرية كان امراً اعلىٰ في المدرسة الحربية .

سافر الميجر ويسينفيلد الىٰ زيورخ أولاً وظهر هناك برفقة ضابط اتصال الموساد في اوروبا المدعو سالينجر الذي ورد ذكره في قصة الياهو كوهين . ذهبا معاً الىٰ عيادة خاصة في فيلا علىٰ تلة قرب بحيرة زيورخ حيث اجرىٰ الميجر اليهودي عملية تجميلية غريبة من نوعها ، فقد قام اخصائي الجراحة التجميلية والمعروف في الاوساط الاوروبية تحت الارضية باجراء استئصال لاثار الطهور عند ويسينفيلد .

بعد فترة النقاهة حصل علىٰ شهادة عماد من كنيسة في فرانكفورت بأسم باول فرانك وجواز سفر الماني غربي وبعض هويات لنواد محلية وتذكرة اشتراك في الترام ، بعض الوثائق كانت مزورة اما تلك التي استعملت لجواز السفر فقد كانت مسروقة لكنها حقيقية .

شـخصية جـديدة

وبدأ افري ويسينفيلد يتقمص جزئياً الشخصية التي يحمل اسمها وكانت لشخص قاتل ضد رومل في صحاري افريقيا وقتل في فلسطين عام ١٩٤٢ ، كانت تلك الطريقة قديمة ومجربة ومازالت تستعملها كل اجهزة التجسس في العالم .

ركب المواطن الالماني الغربي الجديد فيليب جريموني الباخرة من ميناء جنوا ، وأبحر الىٰ الاسكندرية وقدم نفسه للمسافرين باعتباره ممثلاً تجارياً لأحد المصانع

الالمانية التي تقوم بأنتاج الادوات الكهربائية المنزلية . كان علىٰ ظهر الباخرة بضعة اشخاص مرموقين لكن أكثر من أثار اهتمامه هو سفير المانيا الاتحادية في القاهرة الدكتور جينوبا فيلك . تعارف الاثنان انسجما منذ اللحظة الاولىٰ ودعا السفير الالماني صديقه الجديد فرانك الىٰ مقر اقامته علىٰ حفل عشاء فكان ذلك هو النجاح الاول الذي حققه الجاسوس ، وهكذا بدأت انطلاقته بين الرجال المهمين الذين يستقي منهم الاخبار والمعلومات وقد توفرت للجاسوس شخصية ممتعة ومحببة للناس وهذه الصفات يجب توفرها في العميل السري الناجح .

معروف عن المصريين انهم شعب طيب يثق بالاخرين وهكذا اصبح بأمكان فرانك وبعد فترة وجيزة من وصوله أن يحصي عدداً لابأس به من الاشخاص المهمين في دائرة اصدقائه ومن ضمنهم الملكة ناريمان وصديقاتها وفي تلك المجالس تعرف بالاميرال سليمان ووزير الداخلية زكريا محي الدين الذي اصبح فيما بعد رئيساً للوزراء ، ونائباً لرئيس الجمهورية والعقيد عثمان نوري رئيس المخابرات المصرية .

كان فرانك يسلك سلوك الالمان حيث تعرف علىٰ ابناء بلده في مصر وكجاسوس حقق نتائج هامة ولعب دوره باتقان وكأي عسكري سابق يرغب بزيارة ساحات القتال فذهب فرانك لزيارة المواقع العسكرية في الصحراء حيث مازالت المعدات الحربية الصدئة موجودة ، وحمل معه اشياء تذكارية صغيرة وتحدث مع الالمان والمصريين حول الهزائم والانتصارات القديمة ، وبدون ان يثير الانتباه وبشكل منطقي تشعب الحديث حول المشاكل الحالية واستطاع ان يعرف مايريد .

تجمعت المعلومات التي أرسلها الىٰ تل ابيب مع معلومات قادمة من اماكن أخرىٰ من العالم لاتقل اهمية عن تلك المعلومات ونبه الملحقون العسكريون ومقيمو المخابرات السرية والموظفون الديبلوماسيون الاسرائيليون في لندن وواشنطن نبهوا اسرائيل من تطور سلبي في السياسة الخارجية المصرية .

معلومـات

لنطلع علىٰ المعلومات التي قدمها مصدر مباشر وهو أبا أيبان الذي كان سفيراً

لاسرائيل في واشنطن من عام ١٩٥٠ الىٰ عام ١٩٥٩ والذي اصبح فيما بعد وزيراً للخارجية يقول أبا أيبان :

قوىٰ عبد الناصر مواقعه حتىٰ عام ١٩٥٤ لدرجة انه أصبح قادراً علىٰ الدخول في المرحلة الاخيرة من المفاوضات مع بريطانيا علىٰ شرط ان تغادر كل الوحدات ، البريطانية منطة قناة السويس .

أثارت هذه المعلومات مخاوف كبيرة في اسرائيل تتعلق بالعواقب الاستراتيجية لانسحاب الوحدات البريطانية من منطقة القناة عدا عن هذا فأن عبد الناصر قد يحصل علىٰ كمية ضخمة من الاسلحة ، كما ان الوحدات البريطانية كانت تشكل واقياً بين الفصائل المسلحة لمصر واسرائيل وستصل هذه الفصائل الىٰ مرحلة المواجهة المباشرة بعد الانسحاب البريطاني وحكمت اسرائيل علىٰ الانسحاب بأنه اخلال بالتوازن القائم .

واحتوت المعلومات التي حصل عليها رئيس الاستخبارات العسكرية العقيد جيفيلي من عملائه اشارات تحذير بأن الجيش المصري سيحصل على كميات كبيرة من الاسلحة والمعدات الحربية من الولايات المتحدة الاميركية كان العقيد جيفيلي يلهث وراء النجاح فشعر بأن الوقت اصبح ملائماً لكي يدخل التاريخ .

فكر بأن يحرض الاميركيين والانجليز المقيمين في مصر ضد الجمهورية المصرية من خلال هجمات تحضرها المخابرات السرية ومجموعاتها التخريبية علىٰ الممتلكات الاميركية والبريطانية بل علىٰ مواطني هاتين الدولتين وسيقوم العملاء بترك أثار تثبت ان المصريين هم الذين يقومون بهذه الاعمال ، وستكون النتيجة المنطقية لذلك ان تغير الولايات المتحدة وبريطانيا قرارهما وستقفان ضد الارهاب المصري وتتخذان اجراءات امنية لحماية ممتلكاتهما ورعايا بلديهما ولن يبقىٰ لهما خيار سوىٰ ابقاء القوات البريطانية في مصر .

كانت الفكرة بسيطة لكنها غير مدروسة ، فلماذا يقوم المواطنون المصريون ، بالاعمال التخريبية في اللحظة التي يتحقق بها حلمهم القديم بالاستقلال ؟

كان العقيد جيفيلي يعلم بأنه لايمكن تقديم هذا الاقتراح الىٰ وزير الدفاع

بينكاس لافون ولا الىٰ رئيس الوزراء شاريت لأنهما يؤيدان التطور السياسي الهادئ لذلك قرر المضي في خطته علىٰ عاتقه نفسه ربما لأنه كان معمياً عن ابعاد الخطة أو انه لم يدرك انه يسير علىٰ طبقة رقيقة من الثلج كما أن التوازن السياسي في اسرائيل كان في حالة فوضىٰ لدرجة ان الطموحين ركضوا واحداً تلو الاخر نحو السلطة دون أن تكون لديهم الوسيلة .

كان مدير قسم العمليات الاستخبارية العسكرية يدعىٰ ابن زار استدعاه العقيد جيفيلي وسلمه مخططاً .

في بداية حزيران – يونيو ١٩٥٤ التقىٰ ابن زار واريٰ ويسينفيلد الذي استدعي بسرعة من القاهرة الىٰ باريس التقىٰ الاثنان في مقهىٰ دي دو ماجوتس في سان جرمان في باريس .

قال ابن زار : الباقي يعتمد عليك ياارىٰ يمكنك اختيار الاهداف بحسب تقديرك ولكن لاتنسىٰ بأنه يجب ان لايلقي القبض علىٰ احد اثناء العمليات .

قال ارىٰ : القول في ذلك سهل وكل ماعندي بضعة رجال فقط .

– هذه قضيتك منذ هذه اللحظة انت القائد ، المعلومات الدقيقة ستصلك فيما بعد .

* كيف ؟

– بالراديو في برنامج المرأة تابع وصفة اليوم .

* لايبدو لي ذلك ممكناً .

– هذا امر لن نتناقش فيه .

التفجيرات والفضيحة

بدأت حرب الغرور الشخصي لرئيس الاستخبارات السرية العسكرية بهجوم علىٰ صندوق بريد احد المنازل التي كان يسكنها تاجر اميركي ، احترقت الرسائل والصحف الموجودة في الصندوق ووضعت قنبلة موقوته في مكتب المعلومات الاميركي في القاهرة .

واستعد الارهابيون للهجوم علىٰ صالة الانتظار في محطة قطارات القاهرة وفي سينما ريفولي وريالتو. وانتهت الهجمات بالانفجار الفاشل للعلبة التي تحتوي علىٰ الفسفور في جيب الشاب ناثانسوف الذي كانت مهمته ان يقوم بتفجير استفزازي في دار السينما لكن العبوة اشتعلت اثناء المناظر قبل بداية الفيلم في جيبه وركض خارجاً الىٰ يدي الشرطي وانتهىٰ أمره في قسم البوليس.

اعتقلت الشرطة المصرية يوم ١٤ تموز – يوليو عام ١٩٥٤ جميع المخربين الاسرائيليين الاحد عشر بما فيهم فيكتوريا نيني لكن واحداً فقط تمكن من الاختفاء هو رئيس المجموعتين اري ويسينفيلد باول فرانك وعندما اعتقل هذا ايضاً كانت لديه حجج مكنته من اطلاق سراحه بعد ثمان واربعين ساعة من الاعتقال ، وعند محاولة اعتقاله مرة ثانية تبين انه قد غادر علىٰ ظهر باخرة يونانية في رحلة سياحية وفي واقع الامر انه قد سافر في ٦ كانون أول ديسمبر بالطائرة الىٰ روما حيث اختفىٰ.

وقدم الباقون الىٰ محكمة القاهرة في ٧ كانون أول – ديسمبر عام ١٩٥٤ وتبين خلال المداولات مدىٰ التخريب الذي خططوا له ونوعية الوسائل التي كانوا سيستعملونها ودفع ماكس بينت ثمناً غالياً لهذه العملية العشوائية وحينما القي القبض عليه وحققوا معه ايقن ان ليس له أمل وقبل اصدار الحكم عليه انتحر في غرفة التوقيف ، أما مرزوق وعازر فقد حكم عليهما بالموت . ونفذ بهما الحكم وبقي فيكتور ليفي وناثانسوف في السجن مدىٰ الحياة كما حكم علىٰ روبرت داس وفيكتوريا نيني بالسجن لمدة خمسة عشرة سنة.

في الوقت الذي تمت فيه الهجمات التخريبية علىٰ مصر لم تكن المخابرات السرية الاسرائيلية مأوىٰ للمتطوعين الهواة بل بالعكس اذ كان لها سمعة المنظمة التي تضم العملاء المؤهلين والمدربين ولم يكونوا كالابطال المشكوك بهم في افلام المغامرات.

كان عملاء الموساد موظفين حكوميين يتقاضون خمسمائة الىٰ خمسمائة وخمسين دولاراً في الشهر بينما كان راتب الجواسيس المبتدئين ثلث هذه القيمة ، وتم استبعاد اولئك الذين أرادوا الحصول علىٰ المال من هذه المهنة الخطرة.

وكانت المخابرات السرية الاسرائيلية تؤكد ان عملاءها يعملون بدوافع وطنية

وانها تعتمد في جميع الاحوال علىٰ دعم وتضحية اليهود الذين يعيشون في الخارج.

هذا الكلام صحيح جزئياً فتاريخ المخابرات الاسرائيلية السرية مكون من حالات ابتزاز واحتيال وخطف وقتل وكانت تل ابيب تجبر الاشخاص من أصل يهودي علىٰ التعاون بطرق ووسائل رهيبة ففي باريس عام ١٩٦٧ تم اكتشاف جثة مترجم الاركان الحربية العامة لحلف الناتو ميخائيل سافير شتلين في منزله.

جريمة قتل تكشف السر الكبير !

من اغرق السفينة المحملة باليهود في مياه البوسفور

عمليات نقل اليهود الألمان الى فلسطين وصفقة ايخمان مع الصهيونية لبيع مليون يهودي

يوم الاحد ٣ اذار/مارس عام ١٩٥٧ ، وقفت سيارة خصوصية في شارع ، باحد الاحياء المترفة في تل ابيب ، نزل منها رجل كبير في السن لكنه وسيم ، كان الناس يعرفونه باسم شوك كارميل ، باشارة من يده ، رد على تحية السائق ، واتجه نحو مدخل بيته الجديد ، صعد درجات المدخل توقف ليلتقط انفاسه ، نظر الى اعلى ، ففي مكان ما سمع صوت باب يغلق بشدة وسمع صوت جلبه ، امسك شوك كارميل بحافة واقي الدرج ، افسح مجالا للرجل المجهول ، كي يعبر ، اثناء ذلك لاحظ ان الرجل يتأبط صحيفة ، خلال لحظة كانت تطير عبر الدرج ، اطلقت عليه عيارات نارية مكتومة ، هرب القاتل مع رجلين اخرين عبر الشارع ، سقط شوك كارميل على الارض ، وتوفي في المستشفى في ١٢ اذار – مارس . القت الشرطة القبض على القتلة في نفس اليوم ، وقدموا للمحكمة بسرعة ملحوظة ، وحكم عليهم بالسجن مدى الحياة .

كان شوك كارميل يسمى اصلا رودلف كاستنر ، كان دكتورا في الحقوق وصحفيا سابقا من بودابست ، بعد الحرب اصبح واحدا من قادة المفاوضات مع النازيين الالمان ، من فرق الاس . اس ، لشراء اليهود المجرمين بالدولارات ، ونقلهم الى فلسطين ، والمشاركة في هذه المفاوضات الفاشية كانت هي السبب في عملية الاغتيال بعد اثنى عشر عاما .

قبل ذلك بعامين ، عقد في تل ابيب محاكمة ، كانت مزعجة كثيرا للحزب الحاكم ، فقد اتهم مالكيل جرونوالد ، مستشار رئيس الوزراء الاسرائيلي بن غوريون واحد قادة الحزب السياسي القوي ، ماباي ، اتهم كارميل بتهمة التعامل مع النازيين الالمان .

اخذ المعلقون الصحفيون ، في تل ابيب يبحثون عن دوافع الجريمة اختاروا الدافع الاكثر احتمالا ، فقد وجد المنتقم الذي عاقب الخائن ولم يكونوا بعيدين عن الحقيقة ، رغم ان العلاقة ظهرت بعد سنوات طويلة .

كان رييف ايكشتاين هو الذي اغتال كاستنر ، واعترف بأنه نفذ الجريمة ، بأمر من المخابرات السرية ، ورفض الافصاح عن السبب ، لكن الصحفين كانوا متأكدين بأن كاستنر اصبح شاهدا غير مرغوب فيه .

عودة الى الوراء

كان صيف عام ١٩٣٣ حارا وشوارع برلين اقل امتلاء بالناس فقد ذهب الى شاطئ بحيرة فانسي ، كل من استطاع الذهاب ، اقترب شاب من مكتب موظف الاستعلامات ، في مقر المخابرات السرية النازية المخيفة فسأله الموظف :

– ما اسمك ؟

– اجاب : بينو جينسبورغ .

وماذا تريد ؟

– اريد مقابلة مسؤول قسم اليهود .

رفع الموظف السماعة وتكلم مع شخص ما ، ثم اشار الى الشاب بأن يرافقه الى غرفة في الطابق الثاني ، قدم نفسه كمندوب من منظمة صهيونية سرية تحدث مع ضابط نازي حول امكانية التعاون ، لتنظيم نقل اليهود الى فلسطين .

كان في المانيا النازية وضع خاص فقد سعى مساعدو هتلر ، الذين ينادون بنظرية «العرق النقي» الى تصفية اليهود الالمان ومنعهم من الهجرة الى (ارض الميعاد) وكان اليهود الالمان يعيشون منذ فترة طويلة في برلين وشتوتغارت وهامبورغ ، وكانوا

يعتبرون انفسهم المانا ، ولم يرغبوا بترك ممتلكاتهم وارتباطاتهم الاجتماعية ، وتشبثوا في البقاء في المانيا حتى جاءت «الليلة الكريستالية» التي لاتنسى ، على ايدي رجال الاس – اس . ففهم اليهود ان النظام النازي جاد كل الجدية معهم في تهديداته ، ومع كل ذلك لم يرغبوا بالهجرة بواسطة النقل المنظم .

قدرت المنظمة الصهيونية شيئا اخر ، وهو ان ارهاب هتلر سوف يخلق عند اليهود وعيا قوميا ، وسيقررون الهجرة مما سيزيد عددهم في فلسطين وسيكون ذلك اكبر مبرر لقيام دولة صهيونية مستقلة .

تلقى جيسبورغ سماحا بالرحيل الى بناية المنظمة الصهيونية البرلينية في شارع مينيكية رقم ١٠ وبدأ ينفذ مهمته اتصل مع مقيم المخابرات السرية في فينا ، موشيه اورباخ ، وهكذا اصبح للجنة الرايخ لهجرة اليهود ، معاونين اخرين ، هدفهم نقل ما لايقل عن اربعمائة يهودي اسبوعيا ، واتفق هيدريخ الذي بمبادرته تكونت لجنة هجرة اليهود مع قبطان يوناني من اصل الماني ، لتوفير السفن ، واخذ رجال الاس – اس ، بتنظيم معسكرات تدريب سرية ، لتهيئة الاف اليهود ، لنقلهم الى «ارض الميعاد» في المستقبل .

اول عملية نقـل

كانت اول عملية نقل مسجلة رسميا الى المكسيك في آذار – مارس ١٩٣٩ عبر فيينا الى سوشاك في يوغسلافيا ومن هناك ابحر مئة وخمسون رجلا وامرأة على متن الباخرة كولورادو ، وتحت جنح الظلام ، في مكان ما على شاطئ كورفو ، انتقل المسافرون الى باخرة اسرع تدعى اوتراتو ، وبعد يومين ارست السفينة عند شواطئ فلسطين .

كان الانجليز ، الذين يسيطرون على فلسطين يقاومون الهجرة غير المشروعة ، ولم يكتفوا بمذكرات الاحتجاج للحكومات المرفوعة اعلامها على السفن ، بل ارسلت القيادة البريطانية في لندن وحدات من سلاح الجو الملكي لمراقبة المياه الاقليمية ، واكتشفوا السفينة التي تنقل اليهود وانتشر رجال المخابرات السرية البريطانية في

موانئ جنوب اوروبا لمراقبة طرق النقل ، وامسك الانجليز ، خلال شهرين من صيف عام ١٩٣٩ حوالي ثلاثة آلاف مهاجر ، لكن عددا اكبر تمكن من الابحار والوصول الى فلسطين .

اصدرت الحكومة البريطانية في ١٧ آيار – مايو عام ١٩٣٩ كتابا ابيض حول مشكلة الهجرة غير المشروعة الى فلسطين ، في الوقت الذي اخذ فيه هتلر يستعد لابادة الجنس غير الاري الاوروبي ، وكان هتلر واعوانه سعداء بما يسببونه من اشكالات للبريطانيين ، ومنذ صيف عام ١٩٣٩ ، بدأت قوافل اليهود تنطلق مباشرة من نفس هامبورغ ، ثم اشعل هتلر نيران الحرب العالمية الثانية ، وتسلم مسؤولية المشكلة اليهودية في الرايخ النازي الثالث ، ادولف ايخمان ، الذي نظم عمليات القتل الجماعي لليهود .

ظروف غامضة

في شتاء عام ١٩٤٢ ، جرى حادث بحري في مضيق البسفور ، فقد غرقت سفينة النقل الرومانية ، ستروما ، بقيادة القبطان بيتريسكا ، في ظروف غامضة ، وكان على متنها حوالي ثمانمائة مهاجر يهودي ، كانوا متجهين الى فلسطين ، كانت «ستروما» سفينة قديمة وغير آمنة ، وكان الطقس سيئا على غير عادة .

بعد ذلك ، ظهرت اصوات تدعي بأنه لا الحالة الفنية ، ولا أي شيء من هذا القبيل كان السبب في الحادث ، بل كان السبب قاربا سريعا رآه الكابتن بيتريسكا وسط الضباب ، اطلق صاروخين على السفينة ، ولم يكن القارب يحمل أية اشارة تدل على جنسيته .

لم يكن بامكان الثمانمائة يهودي ، الذين كانوا على ظهر السفينة ان يحافظوا على قواعد النظافة الاساسية ، ولم يكن لديهم مايأكلونه ، لان السفينة وقفت لمدة ثمانية اسابيع في ميناء استنبول ، وبعد يومين من عيد الميلاد ، القى الكابتن بيتريكا المرساة في المرفأ التركي ، وبدأ قادة المهاجرين محادثات تلغرافية لطلب السماح بالرحيل للعائلات اليهودية ، التي تم انقاذها من معسكرات الاعتقال النازية ، وحتى ٢٤

شباط – فبراير عام ١٩٤٢ ، لم يصل الى الحاكم العسكري البريطاني ماك مايكل ، أي جواب ، في نفس اليوم ، اعطى الاتراك امرا للكابتن بيتريسكا ، بمغادرة المرفأ مع سفينته ، وحينما ابحر الى المضيق تلقى برقية اخرى تؤكد بأن تعود الباخرة الى كونستنته ، ثم حصل ماحصل ومات في امواج البسفور الهائج ٧٤٦ يهوديا .

سـر اغـراق السـفينة

بالنظر لاجابة واحد من قتلة الدكتور كلستنر ، وهو زييف ايكشتاين امكن اعادة بناء قصة الحادثة البحرية ، فقد فقدت المخابرات السرية النازية كثيرا من عملائها في الشرق الاوسط ، واصبحت هذه المنطقة بيضاء على خارطة التجسس ، وكانت القضية ، كيف يمكن تهريب العملاء الى الاراضي العربية .

يقال ، ان الذي قدم الاقتراح شخص يدعي ، فيبيل بوكليس ، احد قادة المنظمة شبه العسكرية الهاغانا ، الذي عمل لسنوات طويلة مع النازيين ، وكان عليه ان يكون وسيطا بين الارهابي الصهيوني ابراهام شتيرن »الذي باسمه سميت منظمة شتيرن» ، والضابط النازي المسؤول عن القسم المعني .

كانت اهتمامات هتلر بالشرق الاوسط ، مشابهة لاهتمامات الحركة الصهيونية ، لذلك تم الاتفاق ، على ان ينظم الوسطاء الصهاينة نقل اليهود الاوروبيين الى فلسطين ، وان يدس النازيين الالمان جواسيس بينهم ليصلوا الى المنطقة العربية ، ليجددوا اقامة شبكة تجسس وفي رومانيا كان يهيء لعملية النقل شخص يدعى ياكوف .

على متن السفينة ، ستروما ، كان بين اليهود بعض العملاء النازيين ظهرت بعض الخلافات في صفوف الصهاينة وتكونت في منظمة شتيرن بعض الاجنحة ووضع الانجليز جائزة مالية للذي يقبض على ابراهام شتيرن ، وعندما ابلغ عنه شخص ، قامت مجموعة عسكرية بريطانية ، بقيادة الكابتن مورتون في ١٢ شباط – فبراير بالقاء القبض عليه ، حيث وجد مختبئا في خزانة موجودة في احد المنازل .

عمليات نقل اليهود الالمان الى فلسطين وصفقة إيخمان مع الصهيونية «لبيع» مليون يهودي

قبل ذلك بقليل جرت حادثة اثارت انتباه الكابتن مورتون ، قامت بها مجموعة شتيرن ، فقد تلقت وحدته التي كانت موكلة بالقاء القبض على ابراهام شتيرن ، رسالة من مجهول ، يبلغ فيها عن المكان الذي يختبئ به الارهابيون ، لكن الكابتن مورتون كان حذرا ، فارسل شرطيين يهوديين الى البيت المبلغ عنه كاستطلاع ، وحينما طرق الباب حصل انفجار ذهب ضحيته الشرطيان اليهوديان على الفور ، وتم القاء القبض على ابراهام شتيرن ، وانتصر مورتون بذلك مرتين .

علم النازيون باعتقال قائد منظمة شتيرن ، لم يصدقوا بانه سيظل صامتا ولن يكشف السر المشترك ، ولكي يبقوا واثقين بأن احدا لن يعرف شيئا اعطوا الاوامر باغراق السفينة .

وقام الانكليز بقيادة مورتون بتصرف غير تكتيكي ، اذ اطلقوا النار على الخزانة التي يختبئ فيها شتيرن ، دون ان يحققوا معه ، ورآى ، بعض الناس جثته المغطاة بقطعة قماش ، وقد حمله رجال البوليس البريطاني لكن الصحف في اليوم التالي تحدثت عن قتل شتيرن اثناء محاولته الهرب .

وهكذا سقط شتيرن ، لكن منظمته استمرت ، واستعدت لعمليات ارهابية جديدة ، وفي بداية عام ١٩٤٤ حاولت اغتيال الحاكم العسكري البريطاني ماك مايكل ، خمس مرات ، وفي شهر آب سقط مايكل اخيرا في الفخ ، واطلقوا النار على مصفحته ، لكنه خرج بجروح بسيطة .

اجتمـاع فـي اسـطنبول

كانت اسطنبول ، مثل انقرة ، مرتعا للجواسيس من كل الجنسيات ، كانت تركيا باجواء شوارعها الملتوية ، ومقاهيها الصغيرة ، ووجوه الناس الذين يلتفتون فيها

تعكس اجواء الخلافات الدولية في ذلك الحين .

مساء يوم سبت ، من احد ايام خريف عام ١٩٤٣ جلس اربعة رجال ، لم يبلغ احد الثلاثين عاما ، حول طاولة رخامية ، واخذوا يشربون القهوة التركية وعلى الطاولة كانت توجد اوراق تسجل عليها الملاحظات ، احضر النادل كؤوس الكونياك ، انحنى وانسحب بهدوء ، واستمر الرجال في حديثهم دون خوف ، لم يكونوا يتحدثون عن بضاعة مهربة ، او عن مسرات الليلة السابقة ، لقد كانوا يهيئون لعملية نقل ، كان يمكن ان تدخل التاريخ لو نجحت .

كان الاول ليفي شفلرز ، من بولونيا ، وعاش شبابه في وارسو وقد نظم عام ١٩٣٤ عمبية نقل اليهود الى فلسطين ، أما الرجل الثاني ، فقد كان بارجيلاد ويعمل باسم حركي هو موشيه اورباخ ، وهو مقيم المنظمة اليهودية في فيينا ، وتعاون على نقل اليهود . مع إيخمان وغيره ، وكان عضوا مجربا في المنظمة الصهيونية السرية .

كان الرجل الثالث ، هو ايهود افريل ، كان يعيش قبل الحرب في النمسا ويوغسلافيا ، ويعمل على تنفيذ مهمة مشابهة .

اما الرجل الرابع ، فكان تيد كوليك ، الذي عمل مع زملاء ذوي خبرة طويلة ، وبعد سقوط هتلر وامبراطوريته ، اصبح عمدة لمدينة القدس .

بعد حادثة السفينة في شهر شباط – فبراير عام ١٩٤٢ ، اضطرت الحكومة البريطانية لتغيير موقفها ولو جزئيا تجاه الهجرة غير المشروعة الى فلسطين ، وارسل اللورد كرانبون ، الى السفير البريطاني في انقرة السير هوغ كان كتول هوجسين مذكرة اعرب فيها عن موقف اكثر تسامحا من قبل حكومته ، فاذا استطاع أي يهودي الوصول الى تركيا برغم كل الاحتياطات ، يجب اعطاؤه تأشيرة دخول الى فلسطين .

علمت المخابرات السرية الصهيونية بمحتوى هذه المذكرة ، فأرسلت الى اسطنبول اربعة شبان ، وهم الذين جلسوا يحتسون القهوة ، ويتشاورون حول امكانية نقل المهاجرين .

تهجير يهود المجر

في كانون الثاني – يناير عام ١٩٤٣ تكونت في بودابست اللجنة اليهودية «واداح» وكانت مهمتها مساعدة اليهود في المجر وفي سلوفاكيا كانت بودابست ، في ذلك الوقت ، المدينة التي يتجمع بها النازحون من الدول الاوربية الواقعة تحت الاحتلال الالماني ، وكانوا يحضرون لعملية الهجرة الى فلسطين .

كانت المستلزمات المالية لتنفيذ مثل هذه المهمة باهضة التكاليف ولم يكن المهربون الذي ينقلون اليهود عبر الحدود يعملون مجانا ، بل بالعكس ، لذلك على الرجال الاربعة في المقهى الاسطنبولي محاولة تأمين عملية النقل بالمال ، أي ارسال الدولارات الى بودابست ، للحصول على اوراق ثبوتية مزورة ، وتأمين تكاليف السفر لذلك كان من المنطقي ان يتصلوا بعملاء كناريس ابو سير ، لانهم كانوا الاكثر حركة في اوروبا ، لكنهم كانوا خطرين ويصعب الثقة بهم .

قام جول براند ، وصديقه صموئيل سر نجمان بتأمين ايصال الدولارات من اسطنبول الى بودابست .. وشارك في العملية مهربو المجوهرات ، وتجار السوق السوداء ، وعملاء ابو سير، وعملاء الاس – اس . ذوي الرتب العالية الذين حاولوا الحصول على ربح وفير ، وقدرت المبالغ التي ارسلت بهذه الطريقة بالملايين .

منذ بداية عام ١٩٤٣ حاول رئيس قوات الامن المجرية ، استيفان اويزازي بأمر من الدكتور هورتي ، ورئيس وزراء الحكومة المجرية كالي اقامة علاقات مع الحلفاء الغربيين ، فقد كان قادة المجر يعرفون جيدا ، بأن الاستسلام كان بانتظارهم لذلك ارادوا تمكين الحلفاء الغربيين من ايصال طائراتهم الى المطارات المجرّية ، قبل دخول قوات الجيش الاحمر السوفياتي الى ابواب بودابست وانتقلت مقترحات المجريين في حقائب العملاء الاسرائيليين الى مقيم المخابرات الاميركية في اوربا ، الن دالس في مقر اقامته في هير بخاسيه في مدينة بيرن السويسرية ، وكان من المقرر ان يصل وفد من المخابرات الاميركية – مكتب الخدمات الستراتيجية – الى بودابست لتهيئة الظروف المناسبة ، لهبوط الطائرات الاميركية على الاراضي المجرية .

نزلت مجموعة مكونة من ثلاثة اشخاص من بودابست ودونا يوفارس ، وكان

الثلاثة هم : العقيد فلوريموند دوكي ، والكابتن جي نون ، والميجر الفريد سواريش ، وذلك في ليلة ١٥ اذار – مارس عام ١٩٤٤ ، وبعد عدة ايام القى الالمان القبض عليهم بعد ان علموا بتلك المقترحات ، مما حدا بهتلر ان يسرع باحتلال الاراضي المجرية .

وصلت الى ايدي عملاء كناريس ابو سير ، ووحدات الاس – اس ، الكثير من وثائق المخابرات الاسرائيلية ، التي كانت موجودة في بيت جول براند ووصلتهم ايضا مبالغ ضخمة من الدولارات المخصصة اصلا لنقل اليهود كما تمكن هؤلاء العملاء من الوصول الى ارشيف «واداح» .

وتمكن فريق كوماندوز نازي من الاس – اس بقيادة اوتو كلاجيس ، من اكتشاف طريقة اتصال المخابرات الاسرائيلية باسطنبول وبالدول الغربية وتوصل هذا الفريق الى فكرة استغلالهم لخدمة الرايخ الثالث .

في ١٩ اذار – مارس ١٩٤٤ ، اي يوم احتلال الاراضي المجرية من قبل فيهر ماخت وصل الى بودابست رجلان رفيعا المستوى من رجال الاس – اس ، وهما هيرمان كرومي وديتر فيسلتشيني ، وكانا مرسلين من قبل رئيسهما ادولف ايخمان ، وفي اليوم التالي لوصولهما اتصلا بممثلي المنظمة الصهيونية المختصة بالهجرة ، وكانا يحملان معهما رسالة توصية من حاخام براتسلافا ويساندیل وباشرا بمفاوضات تجارية هامة .

في اليوم الخامس من شهر ابريل – نيسان عام ١٩٤٤ عقد اجتماعا سريا في منزل يوزى فينينغر ، مع ممثلي المنظمة الصهيونية وطلبا منهم مليوني دولار مقابل ايقاف ارسال اليهود المجريين الى معسكرات الاعتقال والتعهد بتمكين ما لا يقل عن مئة الف يهودي بالهجرة ، وطلبا تأمين مئتي الف دولار ستدفعها المنظمة الصهيونية كعربون واتفقوا على تسليم المبلغ خلال اسبوع على ان يحصل الالمانيان على عمولة عشرة بالمئة لوساطتهما .

صفقة ايخمان

بدأ عملاء المنظمة الصهيونية بالبحث عن الدولارات ولم يكن ذلك سهلا ،

كما ان تفوق زملائهم كان واضحا وخلال اسبوع دفعوا اول مبلغ وتبعه مبلغ اخر حتى ٢٥ نيسان – ابريل وفي الساعة الثامنة والنصف من صباح ذلك اليوم جاء عميل «كناريس اويهر» فينينغر الى مقهى اوبرا حيث كان جول براند يتناول طعام الافطار فابلغه بهدوء :

* يريد ايخمان ان يلتقي بك ، اتعرفه؟

– اجاب جول براند : اعرفه وبالتأكيد لم يكن مسرورا بتغيير البرنامج .

* بعد قليل ستأتي سيارة مرسيدس رسمية ستكون بانتظارك في فندق ماجستيك

دفع جول براند الحساب وذهب الى الفندق حيث جاء رجل بلباسه الرسمي وقاده الى السيارة وبعد زمن قليل كان يقابل ايخمان في مكتبه .

* سأل ايخمان : هل تعرفني ؟

– اجاب براند : نعم .

* قال ايخمان : اريد ان اقدم لك عرضا تجاريا مغريا سابيعك مليون يهودي تستطيع ان تأخذهم من المجر او بولونيا او غيرهما رجال ونساء واطفال ... ماذا تقول ؟

– لم يجب براند لم يصدق هذا العرض الذي يسمعه لكن ابتسامة ايخمان شجعته .

واضاف ايخمان قائلا : لانريد مالا نريد بضاعة من الدول الاخرى اذهب الى رؤسائك وابلغهم بهذا العرض ، تستطيع ان تتفق مع مندوبي الحلفاء بعد فترة وجيزة ذهب الى برلين حيث تلقى اوامر محددة ومفصلة .

سوف تعطونا عن كل مئة يهودي سيارة شاحنة ستكون تجارة مربحة اليس كذلك ؟ عشرة الاف شاحنة جديدة ومجهزة للعمل في اسوأ الظروف ساقدم لكم وعدا اقسم عليه بشرفي اننا لن نضعها على الجبهة الغربية بالاضافة الى ذلك نريد مئتي طن من الشاي وثمنمائة طن قهوة ومليوني قطعة صابون اذهب الى اسطنبول واخبر رؤسائك بهذا ، اذا وافقوا على هذا العرض سوف الغي معسكر الاعتقال في

اوسفينتشسين ، وسأجهز لكم دفعة بعشرة بالمئة اي مئة الف يهودي مقابل الف شاحنة وبعد هذا ستستمر العملية على هذه الطريقة .

لم يكن هذا الاقتراح في رأس ايخمان فقط ، فقد صادق عليه بالتأكيد رئيسه هتلر .

كانت هذه الوعود بالطبع كاذبة ويمكن معرفة ذلك من حقيقة عدد اليهود في اوسفينتشسين ، وقد ازداد عددهم بناء على اوامر من ايخمان نفسه .

استعد براند للسفر وحصل على رفيق ومغامر يرافقه بالسفر هو باندي جروش ، واسمه الاصلي اندريه جيرجي ذهب الاثنان برفقة الضابط الالماني هيرمان كرومي الى فيينا حيث نزلا في مقر الجستابو في فندق ميتروبول وفي اليوم التالي حصلا على جوازات سفر المانية مزورة واصبح جول براند يدعي بأسمه الجديد وهو المهندس ايوجين باند من ايرفورت وفي ١٩ ايار – مايو عام ١٩٤٤ وصلا الى اسطنبول .

كان جول براند مقتنعا بمهمته لكن شريكه ايقظه من احلامه فقد كان واضحا لباندي جروش ان هيملر كان يطمح باقامة علاقات مع الحلفاء وهذه هي مهمته باللعبة وكان عليه ان يتصل مع ممثلي بريطانيا او امريكا ليعرب لهم عن رغبة هيملر باقامة سلام منفرد وكانت التجارة باليهود تغطية لذلك .

كان مقر المخابرات الاسرائيلية في اسطنبول في فندق بير بالاس ، اتصل براند مع رئيس الوكالة اليهودية ، واتفقا على ابلاغ الاقتراح الى السفير الاميركي في انقره ، شتاينهارت ، الذي عمل سفيرا لاميركا في براغ فيما بعد . كان السفير يهوديا وبالتأكيد سيبلغ هذا الاقتراح الى القدس وكما هو متوقع فقد كان رد شتاينهارت حول الاقتراح ايجابيا فاستدعى براند الى انقره فورا .

حكاية حب في بوينس ايريس كشفت مكان وجود «ايخمان»

محضر أول استجواب يكشف قصة هروب «ايخمان»

لايعرف حتى اليوم ، ان كانت مصادفة أم فخا مدبرا ، لما حصل لبراند ، فحين وصل في اليوم التالي الى محطة قطارات حيدر باشا كان رجال الشرطة التركية بانتظاره ، يحملون امرا باعتقاله لان لديه سماحا بالاقامة في اسطنبول ، ولا يجوز له ان يذهب الى انقرة ، قادوه الى الفندق ، ثم أخذوه الى مسؤول قسم الاجانب في الشرطة ، الذي ابلغه أن عليه أن يغادر في نفس اليوم الى بلغاريا الواقعة تحت الاحتلال الالماني ، لكن براند لم ينفذ الامر ، وأخذت الشرطة تلاحقه في الوقت الذي كان يرسل البرقيات ويتصل بالهاتف طيلة أربعة عشر يوما ، وينتظر ان يحضر رئيس القسم السياسي في الوكالة اليهودية ، موشيه شاريت ، الى اسطنبول .

كان رد فعل الرئيس الاميركي ، روزفلت اسرع ، فبعد بضعة أيام ، من حادثة محطة القطارات ، وصل الى اسطانبول المندوب الاميركي مطلق الصلاحية ابراهيم شامان ، وقيل له ان يتصل مع براند ، الذي سافر الى حلب برفقة ايهودا افريل ، وفي القطار اتصل معه عميل سري بريطاني ، ومباشرة من المحطة أخذه الى فلا منعزلة ، حيث كان بانتظاره عدة ضباط بريطانيين وموشيه شاريت .

– قال الرئيس : تحدث يابراند .

– واضاف احد البريطانيين قائلا : تستطيع ان تتكلم بصراحة .

(تحدث براند مدة اثنتي عشرة ساعة ، ثم انتحى به موشيه شاريت جانبا) .

– قال له شاريت : يبدو انني ساخيب املك ، سوف تذهب الان الى الجنوب يابراند ، هذا قرار من اعلى المراكز ، لا استطيع ان اغير في ذلك شيئا .

القي القبض على جول براند ، وفي نفس اليوم ذهب معه ضابط بريطاني الى القاهرة ، وسلمه الى قيادة السجن العسكري .

لم يكن للأستجواب نهاية ، ولم يأخذ أحد كلامه على عمل الجد ، فيما يتعلق بالخطة الكبرى لحماية اليهود المجريين ، ليس لأنهم لم يصدقوه ، بل لأنهم أعتبروا أن هذه العملية غير قابلة للتنفيذ . فلا يوجد أماكن كافية على السفن ، ولا يمكن أيجاد وسائل نقل كافية لمليون يهودي ، ولم تسفر المحادثات عن شيء ، وضاع رجاء وتوضيح وشرح براند للعملية هباء .

وفي أحد الايام ، عندما عاد من الاستجواب الى زنزانته أحضروا له بذلة مدنية ، وقام حلاق السجن بقص شعره ، ونقله بسيارة الى البيت أحد الضباط البريطانيين . وهناك التقى مع الممثل الشخصي ، المطلق الصلاحية للرئيس روزفيلت التقى مع أبراهيم شمان .

تحدث ثانية عن مهمته ، وحاول جاهداً أن يقنع الامريكي بالفرصة الذهبية المتاحة لليهود المجريين ، ولم يقنع المندوب الامريكي لهذه الفكرة . وهكذا عاد براند ، مرة أخرى الى زنزانته المجاورة للزنزانة التي ينزل فيها باندي جروش ، وبقي الوضع كما هو عليه الحال حتى بدأ يتغير في شهر ايلول ، فتم أطلاق سراحه ، وأعلنوا أنهم سيوصلونه الى مصح تابع للمخابرات الامريكية .

قال له الضابط : (انس كل شيء ، لا تتحدث عن مهمتك ، هذه اوراق ، ثبوتية لك ، ايها المقدم جاكسون) .

اصبح جول براند ضابطا باسم جاكسون ، واصبح مرتزقا حربيا يتحرك بحرية ، انتظر حتى نهاية الحرب ، ثم ظهر امام الناس بعد سنوات كشاهد في محاكمة ادولف ايخمان .

في تلك الاثناء استمر رودلف كاستنر في مباحثاته مع ايخمان ومساعدة بيخير وكرومي ، وفيما بعد كتبت الصحافة السويسرية عن صفات كاستنر بانه (عاجز عن اقامة اتصال مع الناس العاديين ، وانه يثير النفور لدى زملائه بغروره الذي كان لا يطاق ، وانه انتهازي من الطراز الاول) .

ربما كان هذا هو السبب الذي جعل كاستنر يتفق مع ايخمان وشركائه وحقق هدفه بأن حصل على سماح لـ «١٣٦٨» يوهوديا مجريا ، من ضمنهم كل افراد

عائلته ، بمغادرة الاراضي الالمانية الى سويسرا ، انتظره خمسة اشهر في معسكر الاعتقال ، برغن – بلسن ، وفي ٦ كانون الاول / ديسمبر استطاع ان يتخطى بنقلهم الحدود السويسرية .

هاجر رودلف كاستنر من زيورخ الى اسرائيل ، واصبح مواطنا هاما هناك ، وعضوا قياديا في حزب ماباي ، ومستشارا اقتصاديا لرئيس الوزراء بن غوريون ، أما زملاؤه النازيون ، فقد مرت الحرب عليهم بسلام .

عضو الاس . اس ، كورت الكسندر بيخير ، الذي ارسله هيملر شخصيا الى المجر ، ليحصل على ما يمكن الحصول عليه من اليهود ، اسقطت عنه صفة النازية بعد الحرب ، واعتبر نازيا بغير ارادته ، وانه كان مناهضا للنازية ، واصبح كورت مليونيرا ، بعد أن ملك شركة كبيرة للاستيراد والتصدير ، تتعامل بتجارة الحبوب ، عاش في فيلا فخمة ، في احد الاحياء البرجوازية في شفاخها وسر هيرشتراوس ١٨٩ .

كاستنر .. والتهمة

صعد الدكتور رودلف كاستنر في تل ابيب سلم الحياة السياسية والاجتماعية ، ووصل الى اعلى درجة ممكنة ، وفي عام ١٩٥٣ اصبح رجلا مرموقا في اسرائيل ، لكن جرونفالد اتهمه بالتعامل مع النازيين قائلا :

«لم يحذر الدكتور كاستنر معظم اليهود المجرمين من المصيرالذي كان ينتظرهم ، لو انه حذرهم ، لكان بالامكان انقاذ قسم كبير من نصف مليون يهودي ، في الفترة ما بين ابريل و يونيو عام ١٩٤٤ ، اما بالهرب أو بالمقاومة وحين كان الجيش الاحمر السوفياتي يقترب ، فان مقاومة اليهود للنازيين كان يمكن أن تنجح ، بخاصة أن الالمان كان لديهم عدد من وحدات الحراسة التي يتناقص عددها يوميا» .

كانت تلك تهمة خطيرة ، بالاضافة الى ذلك ، فقد اكد ان كاستنر (لاسباب شخصية انخرط في عملية انقاذ اليهود المجريين ، ذلك ان ممثل الغستابو ، ايخمان ، قد وعده بان ستمائة يهودي ، بينهم افراد عائلة كاستنر ، سيتم تهجيرهم الى سويسرا) .

وافق كاستنر على اقتراح ايخمان . واستطاع زيادة عدد المشمولين بالسماح في الهجرة الى الضعف ، ولم يوقع ايخمان وكرومي ، وبيخير على تصريح الهجرة بدافع حب اليهود ، ووعدهم رودلف كاستنر بخدمة مقابلة فعند الحرب يجب تقديم هؤلاء للمحاكمة كمجرمي حرب ، لكن المواطن الاسرائيلي كاستنر ساعدهم باسقاط صفة النازية عنهم بان قدم شهادة لصالحهم .

المحاكمـــة

دافع رودلف كاستنر عن نفسه ، ورفض التهمة الموجهة اليه ، والقى ثقله السياسي والاجتماعي لتكذيب التهمة ، لدرجة ان المدعي العام اتهم مايكل جرونفالد بالتشهير لسمعة كاستنر ، واستمرت المحاكمة اكثر من ثمانية اشهر ، وارتكب دكتور الحقوق ، كاستنر ، اثناء المداولات خطأ جسيما فقد ادعى بانهم لم يشهدوا امام اللجنة الالمانية الغربية لاسقاط صفة النازية عن كرومي وبيخير .

وبعد المداولات تبين ان كاستنر ، قد أقسم كاذبا ، وقدم محامي جرونفالد للمحكمة اثباتا ، ان كاستنر قد شهد في نو ريمبريخ دار ستاتيه لصالح النازيين بيخير وكرومي ، وان شهادته قد انقذتهما من العقاب على جرائمهما .

بدأت محاكمة جرونفالد – كاستنر في شهر شباط / فبراير عام ١٩٥٤ ، وتم استجواب ثلاثة وخمسين شاهدا ، وفي ٣ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٥٤ انهى القاضي هالفي من محكمة القدس ، المداولة وغرق لمدة ثمانية اشهر في ثلاثة الاف ورقة ، هي مجموع صفحات البروتوكول ، لكي يصدر حكمة في ٢٦ جزيران / يونيو عام ١٩٥٥ ، قبل انتخابات الكنيست بخمسة اسابيع وتوصلت المحكمة الى قناعة بان الدكتور المحامي رودلف كاستنر قد تعاون مع النازيين ، وانه باع نفسه للشيطان ، وجاء في حيثيات القرار بأنه حينما اتفق مع العدو ، على انقاذ مجموعة صغيرة من الناس ، فأنه بطريقة غير مباشرة ساعد على قتل ستين الف يهودي .

وهكذا عرف الاسرائيليون ، ان واحدا من المقربين لرئيس الوزراء الاسرائيلي

بن غوريون قد كان عميلا للنازيين ، وانه كان مسؤولا عن قتل الكثيرين من اليهود .

البراءة بعد الاغتيال

وامتدت الفضيحة السياسية التي لحقت بكاستنر ، وهو العضو القيادي في حزب ماباي الحاكم الى خارج اسرائيل واثارت اليهود في العالم ، وانتقل حزب بن غوريون الى حالة الدفاع ، وتكررت قصة اسرائيل بيير لذلك فقد ارتاح الاسرائيليون عندما تم اغتيال رودلف كاستنر في اذار / مارس عام ١٩٥٧ .

بدأ النشاط السياسي المكثف خلف كواليس حزب الماباي الحاكم ، وفي شهر شباط / فبراير عام ١٩٥٨ ، الغت المحكمة العليا قرار محكمة القدس ، وبرأت كاستنر بعد وفاته ، وحكمت على جرونفالد بالسجن لمدة سنة مع وقف التنفيذ لاتهامه كاستنر دون وجه حق ، وبسبب التشهير الذي قام به ، ورغم ذلك ، فان القيادة الاسرائيلية اصيبت بحرج بالغ ، واخذ رئيس الوزراء يبحث عن وسيلة لتهدئة الرأي العام ، ومن هنا نشأت فكرة تنظيم محاكمة لعدو اليهود الاول ادولف ايخمان ، للحصول على مكسب سياسي جديد امام الناخبين .

قرار بمحاكمة ايخمان

يبدو قرار اسرائيل عام ١٩٥٨ بمحاكمة ايخمان غريبا ، فهل كان هذا النازي بين ايديهم ؟

لقد اختفى ايخمان بعد الحرب ، ومنذ ذلك الوقت لم يسفر البحث عنه شيئا ولم يكن اليهود يتركوه يعيش بسلام ، لو عرفوا مكان وجوده ، لكن بعض السياسين كانوا مستعدين بعدم ملاحقته ، ومن المحتمل أن تل أبيب كانت تعرف منذ عام ١٩٥٣ ، أن ايخمان كان يعيش في بوينس ايرس ، لماذا اذن اخفوا هذه الحقيقة الهامة ؟

كان موقف بون معروفا تجاه مجرمي الحرب ، وكانت قيادة المانيا الاتحادية في

تلك الوقت ، تعمل جاهدة على اخفاء وتخبئة المطلوبين مباشرة منها ، وقد اثار ذلك استياء شديدا لدى الرأي العام العالمي .

وكان الارتباط الوثيق بين الحكومة الاسرائيلية ، وحكومة بون ، معروفا وكان معروفا ايضا ان بن غوريون يستعد لتوقيع اتفاقية حول جرائم النازيين .

ورئيس المخابرات الاسرائيلية السرية نفسه ، علم بمكان اقامة ايخمان في الارجنتين في نهاية عام ١٩٥٧ ، وذلك من المدير العام لوزارة الخارجية والترايتان .

اتصل ايتان من القدس هاتفيا برئيس المخابرات السرية وقال له :

– سوف احضر الى تل ابيب غدا ، اريد أن التقي بك فورا ، عندي خبر هام ، حسنا في الساعة الخامسة في مقهى رامات غان .

التقى كلاهما في الموعد المحدد ، وعلم رئيس المخابرات السرية الاسرائيلية أن ادولف ايخمان ، مازال حيا ، وان عنوانه معروفا في بوينس ايريس .

هذه المعلومات قدمها المحامي الالماني الغربي الدكتور فريتر باوير بواسطة الدكتور شينار ، الى وزارة الخارجية الاسرائيلية لانه لم يكن يثق بالمؤسسات الالمانية في ملاحقة النازيين وأرسل رئيس الموساد هارئيل في ٧ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٥٧ عميلا موثوقا به الى بون هو شاوول داروم .

قال له الدكتور فريتز باور : انني اخبركم بهذا ، لانه يهمكم ويمسكم واعتقد انكم ستباشرون بالعمل فورا .

مصدر المعلومات

في ضاحية أوليفوس في بوينس ايرس ، كان يعيش عجوز اعمى ، يهودي مهاجر يدعى لوثر هيرمان ، استطاع الهروب مبكرا من أوروبا ، والنجاة من ايدي النازيين ، كانت معه زوجته وابنته روزا ، التي ولدت في بيت صغير متواضع ، كان عمرها سبعة عشر سنة ، جميلة ولها معجبون كثيرون منهم نيك ايكمان ، وهو شاب طويل نحيف ، وهادئ ، هاجر الى الارجنتين ، عندما كان عمره اربع عشرة سنة ، التقى بروزا ، عندما كان يذهب الى المدرسة في المدينة ، حدثها مرة ان اباه كان

ضابطا في الجيش الالماني ، وربما لانه لم يعرف ان اصلها يهودي ، قال لها بانها خسارة كبيرة ان هتلر لم يتمكن من ابادة اليهود .

ارتحلت عائلة هيرمان ، فيما بعد ، الى بلدة صغيرة هي كورونيل سواريش تبعد حوالي مئة وخمسين كيلومترا جنوب غرب بوينس ايريس ، وتعاهد نيل ايكمان وروزا هيرمان بأن يتراسلا ، لكن الشاب لم يعطها عنوانه ، وطلب منها ان تكتب له على عنوان صديقه .

حدثت روزا هيرمان والدها عن نيك ايكمان ، بانه شاب لطيف ، استمع لها الاب بينما كانت زوجته تقرأ اعلانا في الجريدة يطلب فيه المحامي فريتز باور اية معلومات تدل على ادولف ايخمان .

انطلق هذا العجوز ، كما لو ان الشباب بعث فيه من جديد ، في صباح اليوم التالي الى بوينس ايرس ، وعن طريق صديق نيك ايكمان ، الذي كان يوصل رسائل روزا عرف عنوان ايخمان الذي يسكن في منزل رقم ٤٢٦١ ، شارع شاكا بوكو في حي أوليفوس ، اي نفس الحي الذي كان يسكنه هيرمان .

كان بيتا عميقا ، ذا مدخل قذر وعلى الباب لوحتان باسماء واجوتو ولكيمنت ، قرعت روزا الجرس ، ومرت فترة طويلة دون ان يفتح احد الباب ثم ظهر رجل نحيف اصلع وكبير في السن ، يضع على عينيه نظارة .

– سألت روزا : صباح الخير سنيور ، هل يمكنني ان اقابل نيك ؟

– أجاب الرجل ذو النظارة : انه ليس في البيت ، انه يعمل عملا اضافيا .

– سألته : هل حضرتك السيد ايخمان ؟

– (لم يجب الرجل ، فسألته ثانية) أعني ، هل حضرتك والد نيك ؟

– أجاب بعد لحظة : نعم .

في نفس اليوم ، ارسل لوثر هيرمان برقية للمحامي باور في فرانكفورت وبعد وقت قليل ، اتصل باور بالسفارة الاسرائيلية ، لانه لم يكن يثق بالدوائر الالمانية الغربية ، ومن خلال تجربته ، يكفي أن يعرف احد رفاق ايخمان ، مسؤولا أو موظفا ، فيختفي التبليغ .

اذن كان لمخاوف المحامي باور اساس ، وكان نفسه يهوديا ، وثبتت قناعته بان ايخمان هرب من اوروبا الى بوينس ايريس .

هـروب ايخمان

في ٥ أيار / مايو ظهر ايخمان في مدينة باد أوسي النمساوية ، حيث رحل اليها مع افراد عائلته ، هذه المدينة الصغيرة في جبال الالب النمساوية كانت في نهاية الحرب ملاذا للنازيين الفارين ، بعد أن شعروا بنهاية الرايخ الثالث .

علم ايخمان ، انه لا يمكن البقاء مع زوجته واولاده ، فودعهم ، وارتدى لباسا عسكريا واختفى ، وفي بافورسك استسلم لوحدة اميركية ، وأدعى ان اسمه ادولف بارث ، وانه جندي في الجيش الالماني ، وفقد هويته العسكرية لذلك فليس معه اية وثيقة تثبت شخصيته ، وفيما بعد ارسلوه الى روسنهايم .

نجحت أولى خطواته ، لكنه لم يكن مرتاحا ببذلة الجندي العادي التي كان يرتديها ، فقد كان على جسمه دليل واضح ، بانه ليس جنديا عاديا ، فقد كان وشم تحت ذراعه الايسر يدل على فصيلة دمه ، كباقي اعضاء الاس . اس ، ولو انتهت قيادة معسكر الاعتقال لاثارت لديهم الشبهة ، لذلك كان حذرا ، وأخذ يبحث عن وسيلة للهرب .

وفعلا بعد بضعة أيام ، تمكن من الهرب ، وظهر كعضو من الاس . اس أوتو ايكمان ، في معسكر الاعتقال لاعضاء الاس . اس في اوبر داخستيتينة ، وسجل في دفتر المعسكر على انه ولد في ١٩ اذار / مارس عام ١٩٠٥ في برسلو وكان ذلك ذكاء منه ، فبدلا من مكان ولادته الحقيقي سولينجين ، سجل مكانا اخر ، وقدم تاريخ ميلاده سنة ، لكن لماذا اختار اسم ايكمان ؟ الم يكن هذا الاسم يذكر باسمه الحقيقي ؟

أول استجواب

اول من استجوب ايخمان في بوينس ايرس ، عميل الموساد ، كينيت وسأله :

* لماذا اصررت عندما اسروك على ان يكون اسمك أوتو هينينجر ؟

– لانني عشت بهذا الاسم اربع سنوات .

* أيـــن ؟

– في كولمباخ ، في تسيلية ، في المانيا ، حيث عملت نجارا قبل أن أذهب الى الارجنتين .

* كيف وصلت الى هناك ؟

– لقد هربت من معسكر الاعتقال الاميركي في اوبر داخستيتنة .

* هل اطلق الاميركيون سراحك ؟

– لا ..

* هل عرف الاميركيون من انت ؟

– لا لم يعرفوا اسمي الحقيقي أبدا .

* هل كان اسمك في المعسكر اوتو هينينجر ؟

– لا ، سجلت بإسم ايكمان .

* ايكمان ، هذا مشابه لايخمان ، هل اخترت بنفسك هذا الاسم ؟

– نعم ، وعن قصد ، فاذا ، عرفني احد وناداني باسمي الحقيقي ، فان وقعه سيكون بالنسبة للاميركيين كأيكمان .

* وماذا قلت لهم عن الخدمة في الجيش ؟

– قلت لهم بأنني خدمت في الاس . اس في فرقة الخيالة الثالثة والعشرين .

* الم يسألونك عن نشاطاتك كضابط في الاس . أس ؟

– لقد قلت لهم ، انني خدمت في وحدة الاس . أس المقاتلة ، لم يهتم الاميركيون كثيرا برجال الاس . أس وانما اهتموا أكثر برجال الغستابو .

* لكن ، لماذا اعترفت بانك ضابط في الاس . أس ؟

– لانني ككل الاخرين ، عندي تحت الذراع الايسر وشم يدل على فصيلة دمي .

* الوشم ليس موجودا ، فمتى أزلته ؟

– لقد حاولت ازالته ، قبل الهرب من المعسكر ، وقد ساعدني الاسرى في ذلك ، لكنني لم انجح في ذلك .

* كم بقيت في المعسكر ؟

– حوالي ستة اشهر .

* هل كان هناك أحد من وحدتك ؟

– مساعدي يانيش .

* هل اسرتما سوية ؟

– نعـم .

* ايـن ؟

– قرب ايـن أولم .

* ومن هناك نقلوك الى اوبر داخستيتينة ؟

– لا نقلونا اولا الى معسكر اخر ، حيث بقينا هناك أربعة اسابيع ، ولم يكن المكان مناسبا لنا .

* ماذا تعني ؟ الم تكن هناك ظروف جيدة ، هل كان المكان مليئا بالبق ؟

– لا ، فقد بدأ الاميركيون بالكشف عن الاسرى الذين لديهم وشم .

* ولماذا اخافك ذلك ؟ فقد قلت بانك اعترفت لهم بأنك من ضباط الاس . أس .

– لا هناك قلت لهم انني مساعد ضابط في الطيران .

* باسم ايكمان ؟

– باسم اخر ، ادولف كارل بارث .

* متى كان ذلك ؟

– في أيار / مايو عام ١٩٤٥ .

* ماذا فعلت في اللحظة التي اعتقلوك بها ؟

– لا شيء قبل ذلك اخذت زوجتي واطفالي الى النمسا وذهبت انا الى التوسيه كان هناك أيضا كالتين بروند ، رئيس مكتب أمن الرايخ ، لم يكن احدنا يعرف ماذا

يفعل ، كانت الفوضى سائدة ، وحينما ذهب مع مساعدي بانيش الى بادايش اسرنا الجنود الاميركيون .

* متى اسروكما مرة ثانية ؟

– في نهاية شهر يوليو ، أوائل اغسطس .

* في ذلك الوقت ظهرت كضابط الاس . أس ، ايكمان .

– نعـم .

* لماذا قررت الهرب من معسكر أوبر داخسيتينة ؟

– خوفا من محاكمات نورميرغ ، فقد تكرر اسمي هناك عدة مرات ، لقد خفت ان يتعرفوا علي عندما يدققون ، لقد اخافتني شهادة ديتير فيسليسيني الذي اتهمني بكل شيء ممكن .

* وكيف تمكنت من الهرب ؟

– ذهبت الى المسؤول عن الاسرى ، وطلبت منه السماح لي بالهرب ، فاستدعى مجلس الضباط ، وناقشوا طلبي ، ووافقوا عليه ، وبالطبع ساعدوني ، فقد امنوا لي وثائق باسم اوتو هيننجر ، وكتب لي أحدهم رسالة توصية لاخيه في لولمباخ ، طلب منه ان يهتم بي ، وأن يجد لي عملا في مديرية الاحراش وفي بداية عام ١٩٤٦ ، وصلت الى تسيلية ، ومكثت فيها أربع سنوات .

* ثـم ؟

– كنت طيلة هذه الفترة بدون عائلتي ، أردت أن التقي بزوجتي وابنائي لقد مللت من الاختفاء ، كنت اعرف أن علي ان انتظر هدوء العاصفة حتى لا ابقى محط الانظار ، لقد ظهر اسمي في الصحف والاذاعة والكتب ، لقد سمعت عن منظمة تساعد الراغبين بمغادرة المانيا ، فاتصلت بهذه المنظمة عام ١٩٥٠ .

رجل في شارع غاريبالدي

معلومات للموساد :

«ايخمان» في دمشق
ويبيع السلاح للعرب !
التفاصيل الكاملة لعملية الاختطاف

من الغريب انه لم تذكر كل التفاصيل في محاكمة ايخمان في القدس ولم يذكر اسماء مساعدي ايخمان ولا المنظمات او الافراد الذين ساعدوه ودعموه اثناء اقامته في المانيا من الهرب في أحد الايام .

قام اعضاء منظمة اوديسا غير المشروعة والتي تهتم بتهريب مجرمي الحرب ، بنقله عبر سويسرا الىٰ ايطاليا حيث اقام في دير فرانتشكاني وارسلوا له جواز سفر من فاتيكان باسم ريكادو كليمنت من مواليد ٢٣ ايار – مايو عام ١٩١٣ في بولزان ، حالته الاجتماعية اعزب كاثوليكي ومهنته ميكانيكي ، وقام ايخمان بجواز سفره المزور بالسفر من جنوا الىٰ الارجنتين علىٰ متن السفينة جيوفانارسي وقد ساعدته في ذلك منظمة اوديسا .

في الارجنتين بدأحياة جديدة وبعد فترة زمنية قصيرة استطاع ان يحصل بمساعدة نازيين اخرين علىٰ هوية ارجنتينية وتصريح عمل ووجدوا له عملاً في شركة الابنية كابري التي تعود ملكيتها الىٰ نازيين قياديين سابقين وكان الكثير من الموظفين فيها من النازيين الذين تمكنوا من الهرب الىٰ هذا المكان الامن .

عمل ايخمان كمساعد مساح في منطقة توكومان لمسح الاراضي ، وعندما شعر بالامان كتب الىٰ زوجته في اوروبا لكي تلحق به .

الزوجة والاولاد

عاشت فيرا باسمها قبل الزواج فيرا ليبل مع اولادهما في لينز النمساوية وحينما طلبت من الدوائر المعنية منحها جواز سفر في ربيع عام ١٩٥١ اصدروا لها جواز سفر بأسم فيرونيكا ليبل وسجلوا به الاطفال الصغار : كلاوس وعمره ستة عشرة عاما هورست وعمره اثنا عشر عاماً وديتر وعمره عشر سنوات ومنحتهم حكومة الارجنتين تأشيرة هجرة وفي عام ١٩٥١ اصبحت عائلة ايخمان مجتمعة . عادت الحياة العائلية الىٰ مجراها السابق وهاجر ايخمان وعائلته من توكومان الىٰ بوينس ايرس ، وآشترىٰ مزرعة ارانب تبعد ثمانين كيلو مترا عن العاصمة تقريباً . لم تعجبه عملية السفر اليومي من المنزل الىٰ المزرعة فقرر تغيير مهنته واصبح رئيس قسم المواصفات في مصانع «مرسيدس بنز» التي كانت تعود ملكيتها للنازي «فيك» وفي عام ١٩٥٦ ولد لايخمان ابن رابع اسمه ريكاردو فرانسيسكو كليمنت .

الموساد تتحرك

حينما اتصل لوثر هيرمان وابنته روزا مع والد نيك تأكدا من ان واحداً من الرجلين المدون اسميهما علىٰ اللوحة المعلقة علىٰ الباب هو ايخمان ، وتوصل هيرمان الىٰ معرفة ان البيت المعني في شارع شاكابوكو بناه مهاجر نمساوي هو فرنسيسكو سميث وبناء علىٰ ذلك استنتج ان سميث هو ايخمان وان الاسمين المذكورين علىٰ اللوحة ماهما الا للتمويه .

معلومات ان ايخمان في دمشق

حينما علم رئيس الموساد هارئيل في تل ابيب بهذه المعلومات لم يأخذها علىٰ محمل الجد ، ففي نفس الوقت وصلت معلومات اخرىٰ من اماكن اخرىٰ في العالم ، والتقط عملاء الموساد الذين يعملون في الشرق الاوسط معلومات عن ان ايخمان موجود في دمشق وأنه موظف في شركة كونكورديا الشقيقة لشركة اردیل التي لها علاقات تجارية مع هذه المنطقة في مجال السلاح . اي ان ايخمان يبيع السلاح للعرب

ويعمل مع نائبه السابق عضو الاس ، اس لويس برونير الذي ينتحل اسم الدكتور جورج فيشر وصاحب شركة استيراد ناجحة في شارع جورج حداد رقم ٢٢ وابلغ العميل السري بمعلوماته منذ ٢٦ اذار – مارس عام ١٩٥٩ . وهكذا انطلق الصحفي الالماني الغربي هيرمان شيفر في اثر ايخمان .

ارسل رئيس الموساد علىٰ اول طائرة الىٰ دمشق عميلين سريين وبعد اسبوع تلقىٰ بلاغاً بأن معلومات الصحفي الالماني الغربي غير صحيحة باستثناء ان شخصاً يدعىٰ الدكتور فيشر يعيش في العنوان المذكور الا انه ليس المانيا بل تشيكي .

لم يهتم عملاء الموساد بذلك كثيراً . والنجاح الذي اصابهم بالغرور فيما بعد كان مشكوكاً به . ففي عام ١٩٥٧ دلت الدلائل علىٰ وجود ايخمان ومع ذلك لم يتقدموا خطوة واحدة في ايجاده حتىٰ نهاية عام ١٩٥٩ .

هل كانوا عاجزين ؟ الم يطالبوا في تل ابيب بتقديم ايخمان الىٰ المحاكمة الم تكن هذه اللامبالاة نابعة من اسباب سياسية تدور خلف الكواليس ؟

لتكن الاسباب ماتكون فأن المخابرات السرية الاسرائيلية ذات السمعة الكبيرة لم تحقق ماحققه المحامي الالماني باور من فرانكفورت .

هذه المرة طار باور الىٰ تل ابيب شخصياً وقدم لرؤساء الموساد هذه المعلومات ان ايخمان يعيش بأسم ريكاردو كليمنت في بوينس آيرس حيث كانت له مصبغة لبعض الوقت لكنه اضطر لاغلاقها لأنها لم تكن مربحة وفي عامي ١٩٥٢ و ١٩٥٣ عمل في بنك مولدنر وشركاه في بوينس آيرس وكان صاحب البنك المانيا مهاجراً اسس شركة شقيقه هي كابري حيث عمل كليمنت فيها كموظف في ضواحي توكومان كما ان كليمنت مازال يعمل في نفس الشركة .

بعد عامين اجبر المحامي باور قيادة الموساد الاسرائيلية علىٰ الاهتمام بايخمان بعد وقت كهذا لم يكن معروفاً فيما اذا لم يضع اثر ايخمان وقد اكد ايسر هارئيل في كتابه عن ايخمان «اصبح الان واضحاً ماذا يجب ان نفعل يجب ان نبحث في الارجنتين عن عائلة ايخمان وان نكتشف فيما اذا كان ريكاردو كليمنت هو نفسه ايخمان .

ان تصريح رئيس الموساد هذا في غاية الغرابة فقد احتاجت الموساد الىٰ عامين

كاملين حتىٰ تقرر ان تعمل شيئاً !

ومع ذلك كان مازال وقت لديهم في تل ابيب فقد وصل عملاء الموساد الىٰ مطار ازيزا في بوينس آيرس بعد ثلاثة اشهر في الاول من اذار – مارس عام ١٩٦٠ وعين ايسر هارئيل رئيساً للمجموعة العميل المجرب في مجال الاجرام يوسف كانيت وكان تحت تصرفه الزوجان ديفيد وهيدا كورنفيلد والمحامي لوبينسكي واتصل هؤلاء حال وصولهم الىٰ بيونس ايريس بطالب مقيم يدعىٰ بريمو . اذا اردنا ان نحكم علىٰ العملية بمنظار عادي ومن زاوية التجربة فأن القوة الضاربة الاسرائيلية قد عملت ببطء وان افرادها عملوا كهواة .

البحـــث

اقترب كانيت ومساعدوه من الهدف ففي اليوم الاول من الوصول جلس كانيت وبريمو في تاكسي وانطلقا الىٰ عنوان ايخمان .

لم يصدق عميل الموساد عينيه ففي اوروبا ، وكذلك في اسرائيل كان يسود اعتقاد بأن مجرمي الحرب النازيين قد هربوا من وجه العدالة الىٰ دول اميركا اللاتينية ومعهم خزانات اسطورية من الذهب والمجوهرات وفي معظم الحالات كان ذلك صحيحاً لكن ايخمان مستثني من ذلك فقد كان منزله في شارع شاكابوكو مزرياً حتىٰ ان قصارته كانت متساقطة ومملوءة جدرانه بالفطريات في ضاحية من ضواحي المدينة حيث بنيت قصور بنصف مليون وبيوت اخرىٰ بالف دولار .

اقترب الاثنان وتأكدا من الرقم . كان في البيت دهان يطلي النوافذ وكان واضحاً ان المالك او المستأجر قد رحل من البيت لكن الىٰ اين ؟ هل عليهما ان يسألا الدهان مباشرة ام يقوما بعملية التفاف طويلة ؟

اشترىٰ عميل الموساد قداحة ثمينة من متجر كبير في الشارع الرئيسي ونزلت هيدا كورنفيلد لمدة يومين او ثلاثة في فندق ضخم وضعت القداحة في علبة وبطاقة مكتوب عليها الىٰ صديقي الغالي نيك مع اطيب تمنياتي القلبية بعيد ميلادك . لم توقع البطاقة كتب عليها عنوان نيكولاس كليمنت ٤٢٦١ شكابوكو اوليفوس . استدعت

هيدا خادم الفندق وأعطته الهدية والرسالة وطلبت منه ان يسلمها شخصياً الىٰ كليمنت .

ذهب الخادم الىٰ العنوان المذكور بالباص بحث عن البيت رقم ٤٢٦١ ورأىٰ ان الدهان يعمل في البيت وكذلك عمال الطراشة . دخل الىٰ البيت وعلم منهم ان عائلة كليمنت قد رحلت الىٰ ضاحية سان فرناندو لكنهم لايعرفون العنوان علىٰ ان الباص رقم «٦٠» يوصل الىٰ هناك . لكن أمرأة جاءت وسألت :

* أتبحث عن ذلك الالماني ؟

– قال الخادم : نعم ..

* لا أدري اين يسكنون لكن أبنه يعمل قريباً من هنا في احدىٰ الورشات ..

شرحت له الىٰ اين يذهب فأنطلق يحاول معرفة العنوان الىٰ ورشة تصليح السيارات حيث استدعوا له شاباً نحيفاً طويلاً ذي شعر اشقر .

* قال له الخادم : كلفت ان اسلمكم هذا الطرد وقد قيل بأنكم رحلتم

– اجاب الشاب : نعم لقد رحلنا .

* الىٰ اين ؟

– الىٰ دون توركواتا ، ما الذي معك ؟

* لاادري يجب ان اسلمه .

– ممن هذا ؟

* هذه رسالة هل لك ان تخبرني بالعنوان ؟

– في دون توركواتا لايوجد للشوارع اسماء بعد اعطني هذا الطرد ساوصله انا .

كان عمل العملاء السريين بقيادة كانيت يسير ببطء وكان سان فرناندو ودون ، توركوتا من الاحياء الواسعة في بوينس آيرس .

بالطبع تابع العملاء ابن ايخمان عدة أيام كان يذهب من العمل الىٰ البيت علىٰ دراجة نارية لكنه كان دائماً يضيع بسبب سرعته الكبيرة وبسبب الازدحام . وذهب لوبينسكي مرة اخرىٰ الىٰ منزل ايخمان السابق حيث طمأن عامل الطراشة ان المالك السابق للبيت هو ريكاردو كليمنت وقرروا ان يبعثوا خادم الفندق مرة اخرىٰ

الىٰ البيت الموجود في شارع شاكابوكو .

العنـوان

نجح الخادم بيدرو هذه المرة فقد كان الدهان الذي تحدث معه راغباً في الكلام والثرثرة وعندما شرح له الخادم عن مشكلته في توصيل الطرد لم يعطه العامل العنوان لكنه شرح له بالضبط كيف يصل الىٰ بيت كليمنت الجديد وقال له تنزل من الباص رقم ٢٠٣ قرب محطة القطارات في سان فرناندو في موقف افيلاتيدا ثم تذهب الىٰ الجهة المقابلة من الشارع حيث تجد بيتاً غير جاهز بعد وله سقف مستو . ذهب كانيت في المساء نفسه الىٰ العنوان المذكور ووجد البيت بسهولة كبيرة بحسب الوصف ، وقف في ساحة تبعد حوالي مئة متر عن البيت ، لم يكن البيت جاهزاً بعد بدون كهرباء علىٰ الشرفة قرب المدخل كانت تجلس امراة في الخمسين من عمرها تقريباً مع طفل صغير في الخامسة من عمره تقريباً .

في الساعة العاشرة من صباح يوم الاربعاء ١٦ اذار – مارس ظهر كانيت في حي سان فرناندو دخل عدة بيوت ثم دخل الىٰ بيت كليمنت الجديد تقمص شخصية مندوب احد مصانع الات الحياكة ويرغب بشراء قطعة أرض . خرج بعد ماوضحوا له بأن البيت جديد ولايرغبون ببيعه ، لكنه تمكن بواسطة كاميرا خفيه في حقيبته من التقاط عدة صور للبيت ولفيرا كليمنت وابنها الصغير .

عاد لوبنسيكي من قسم الابنية حيث اكتشف ان المنزل رقم ١٤ مسجل بأسم فيرونيكا كاترينا ليبل دي فيخمان ٤٢٦١ شاكابوكو اوليفوس وتقارب اسمي فيخمان وايخمان يمكن ان يكون مقصوداً ، لكن من الممكن ان الموظف قد اخطأ اثناء التسجيل واستبدل حرف الألف بحرف الفاء .

المراقبـة

منذ ذلك اليوم بدأ العملاء السريون الاسرائيليون يراقبون البيت في شارع غاريبالدي واخذوا يصورون كل من يظهر اما البيت بواسطة كاميرات ذات

عدسات بعيدة المدىٰ .

في يوم الاثنين ٢١ اذار – مارس يوم الذكرىٰ الخامسة والعشرين لزواج ايخمان لاحظوا ان رجلاً طويلاً أصلع بأنف كأنف الصقر ونظارة علىٰ عينيه قد نزل من الباص في المحطة القريبة ويحمل في يده باقة ورد وتم تصويره حينما وصل الىٰ مدخل البيت .

وحينما ارسل العملاء تبليغاً مع الصور الىٰ تل ابيب لم يشك ايسر هارئيل رئيس الموساد بأنه قد اكتشف مكان وجود ايخمان .

الخطـــة

وتم ترتيب خطة بسيطة للقبض علىٰ ايخمان واحضاره الىٰ اسرائيل لتقديمه الىٰ المحكمة . لكن بوينس آيرس بعيدة جداً عن اسرائيل فالمسافة بينهما حوالي خمسة عشر الف كيلو متر . فكر ايسر هارئيل بنقله بالباخرة لكن ذلك كان حلاً معقداً من الناحية الفنية .

اما شركة الخطوط الجوية الاسرائيلية العال والتي ساعدت الموساد في عمليات كثيرة في الخارج فلم تكن لها رحلات الىٰ بوينس آيرس ومن غير المعقول ، ارسال طائرة سرية الىٰ الارجنتين .

نشرت الصحف فيما بعد أن الارجنتين ستقيم احتفالات كبيرة بمناسبة الذكرىٰ المئة والخمسين لاستقلالها وان وفوداً من جميع انحاء العالم ستفد الىٰ بوينس آيرس للمشاركة في هذه الاحتفالات وأن وفداً اسرائيلياً سيكون من ضمن هذه الوفود .

اتصل رئيس الموساد ايسر هارئيل بالمكتب المعني في وزارة الخارجية الاسرائيلية وقدم له اقتراحا وهو أن يسافر الوفد الحكومي الاسرائيلي بطائرة خاصة وافق ممثلو الخارجية وحدد موعد الانطلاق من تل ابيب في ١١ ايار – مايو بينما الاحتفالات ستبدأ في ٢٠ ايار – مايو .

فرقـة الموســاد

كان يتزعم الفرقة الضاربة للموساد العميل المجرب غابي الداد خطط للعملية واختار معاونيه ايهود ريفيفي صديقه وله ماض حافل وتجربة كافية ، واليا يوفال البولوني الاصل له هواية مميزة وهي قدرته علىٰ تغيير شكله وكان قادراً خلال دقائق ان يغير معالم وجهه بحيث ان امه نفسها لاتستطيع معرفته وزيف كيرين الايطالي الاصل عاش في اسرائيل منذ ان كان طفلاً وكانت له يدان خفيفتان . بحيث انه لايستعصي عليه فتح اي قفل واصبح بعد الحرب مباشرة عضواً في فريق العقاب اليهودي الذي لاحق مجرمي الحرب النازيين وحينما كان يمسك بهم كان يسوي معهم حسابه علىٰ طريقته الخاصة .

وسمي ايسر هارئيل الاعضاء الفنيين المساعدين للمجموعة الذين كان عليهم ان يهتموا بجوازات السفر المزورة وتجهيز الميدان لعملية الاختطاف وايجاد البيوت اللازمة واستئجار فيلا واسعة ومنعزلة في طرف المدينة والتي ستسخدم كسجن مؤقت .

لم يسمح لافراد المجموعة بالسفر الىٰ الارجنتين مباشرة بالطائرة أو السفينة فعلىٰ كل واحد منهم ايجاد طريق غير مباشرة ثم يلتقون في بوينس آيرس .

وفي المدينة كان يعمل في تلك الاثناء المدعو يتحسان نيشير الذي قال عنه ايسر هارئيل مرة :

لم يكن نيشير عميلاً موهوباً ولم تكن له قدرات تقنية بل كان صعلوكاً ولم يكن سريع البديهة لكنه كان يتمتع بهداية ربانية خاصة ، كان يتمتع بثقة اي شخص يقابله كان خالياً من التعابير وله وجه بريئ وكانت كل كذبة يتفوه بها توحي بالصدق لم يكن أحد يستطيع ان يغير نفسه واوراقه باستمرار ويتصرف بشكل طبيعي تماماً مثله .

كانت مهمته استئجار بيوت وتأمين سيارات وشراء فيلا واسعة والسكن فيها مع دينا رونو التي كان عليها القيام بدور الزوجة وانتظار الضيوف .

وصل رئيس فريق الاستطلاع ميناش تالمي الىٰ بيونس ايريس في ٢٢ نيسان – ابريل نزل في فندق رخيص وبعد ثلاثة ايام عاد كانيت الىٰ تل ابيب ليقدم تقريراً

لرئيس الموساد فقد حمل معه كل ماحصل عليه من معلومات عن ايخمان طول قامته قياس حذائه وقبعته وحتىٰ فصيلة دمه .

كانت بوينس آيرس في تلك الاثناء تتهيأ للاحتفالات وكان مقرراً للوفد الاسرائيلي برئاسة وزير الخارجية ابا ايبان ان يهبط في مطار ايزيزا في ١١ ايار – مايو وفي المساء التقىٰ رئيس الموساد مع رجاله ليعطيهم الاوامر النهائية .

العمليـــة

وعلم في نفس اليوم ان طائرة خاصة تابعة لشركة العال سوف تغادر بعد عشرة ايام اي في ١٩ ايار – مايو ومع ذلك سوف يقومون بالعملية بحسب الخطة في ١١ ايار – مايو وحتىٰ يحين موعد الاقلاع فأن عليهم حراسة ايخمان في الفيلا المستأجرة .

في ١١ ايار – مايو دفع مدير الموساد حساب الفندق واستدعى سيارة تاكسي ونزل في محطة القطارات لكنه لم يسافر وضع الحقائب في غرفة الامانات ثم عاد الىٰ المدينة وتناول طعام الغداء مع عملائه ..

بحسب الخطة المرتبة والتي تم التدريب عليها عدة مرات وصلت سيارتان اميركيتان كبيرتان الىٰ محطة الباص في الساعة التاسعة عشرة وخمس وعشرين دقيقة كان مقدراً للباص الذي تعود ايخمان ان يعود به للبيت ان يصل بعد ثلاث دقائق .

كانت السيارة الاولىٰ تحمل زيف كيرين وكانيت واليايوفال وغابي الداد ووقفت بجانب الرصيف في شارع غاريبالدي علىٰ بعد عشرة امتار من تقاطع الشارع الذي يوجد فيه منزل ايخمان .

نزل زيف كيرين ورفع غطاء المحرك وانحنىٰ فوقه كمن يصلح عطلاً في السيارة وقف اليايوفال لحظة علىٰ الرصيف ونظر هو الاخر الىٰ المحرك واختفيا خلف غطاء المحرك من الجهة التي يتوقعون مجيء ايخمان منها . وضع كانيت علىٰ عينيه نظارة سوداء وبقي جالساً خلف المقود اما غابي الداد فقد القىٰ بنفسه علىٰ المقعد الخلفي بحيث لم تكن رؤيته ممكنة .

وقفت السيارة الثانية بين الجسر وزاوية شارع غاريبالدي علىٰ بعد ثلاثين متراً

من السيارة الاولىٰ ونزل من في هذه السيارة منها ، ايضاً وفتح غطاء المحرك وبدأ الرجال يصلحون المحرك وعلىٰ بعد عدة امتار وقفت شاحنة نزل منها السائق وبدأ يأكل ، كان يرىٰ السيارتين بشكل جيد وكان شاهد عيان للعملية لكنه بالطبع لم يكن يشك بذلك .

كان علىٰ السيارة الثانية أن تلعب دوراً هاماً في عملية الاختطاف ففي اللحظة التي سيقتربون بها من ايخمان سوف يشعل السائق الكشافات الامامية ليبهر انظار المارة .

برغم كل الافتراضات السابقة فأن الرجل المنتظر لم يحضر وجاء الباص الثاني والثالث لكن احداً لم ينزل منهما ، مما اثار اعصاب الرجال الواقفين قرب المحرك وقرروا ان ينتظروا حتىٰ الساعة العشرين ونصف ثم يذهبون حتىٰ لايلاحظهم احد ...

في الساعة العشرين وخمس دقائق وقف باص اخر علىٰ محطة افيلا نيدا ونزل – منه اخيراً الرجل المنتظر ريكاردو كليمنت .

الخطـــف

اغلق الرجال غطاء المحرك بسرعة وانار السائق الكشافات الامامية للسيارة كان عابر سبيل في تلك اللحظة علىٰ زاوية في شارع غاريبالدي .

لم ينتظر ركاب السيارة الاولىٰ أيخمان وفجأة انتبه كانيت فقال :

– هاهو .

– اتعتقد انه هو؟

– نعم .

في تلك الاثناء اقترب ايخمان لم يخطر بباله ماينتظره كان ينظر الىٰ الارض ، يده اليمنىٰ في جيبه .

* قال كانيت : ماذا لو كان يحمل مسدساً ؟

وحذر غابي زميله اليايوفال الذي كان علىٰ الرصيف قرب السيارة قائلاً له :

/ اليايو انتبه فقد يطلق النار .

هز الاخير رأسه وفي تلك اللحظة اصبح ايخمان بجانب السيارة .

قال اليايو : لحظة ! وخطا لليسار وهجم علىٰ الرجل تراجع الاخير لكن اليايو كان محترفاً فقد كان مدرباً علىٰ الهجوم ومع ذلك لم يتمكن منه . وحينما تراجع ايخمان خطوة للوراء وجد الاثنان نفسيهما علىٰ الارض مما دعا زيف كيرين الىٰ التدخل وامسك بساقي ايخمان الذي لم يحاول المقاومة لانهم فاجأوه ولم يستطيع حراكا . تراكض بقية العملاء للمساعدة علىٰ وضع الرجل في السيارة استمرت العملية عشرات الثواني لم ينتبه احد لما جرىٰ كان سائق الشاحنة مستمراً بالاكل والشرب انطلقت السيارتان . قام احد العملاء بوضع شريط لاصق علىٰ فم أيخمان وقال له بالالمانية ولا كلمة والا سأطلق عليك النار .

قيدوه من يديه وساقيه ووضعوا علىٰ عينيه نظارة سوداء كي لايرىٰ شيئاً ثم وضعوه علىٰ ارضية السيارة وغطوه ببطانية .

نقلوا إيخمان إلى طائرة العال بجواز إسرائيلي وتقرير طبي

لماذا لم تبلغ عائلة ايخمان الشرطة الأرجنتينية عن اختفائه ؟

أعدموا أيخمان شنقاً وأحرقوا جثمانه ثم ذروا رماده في البحر !

سارت السيارتان حتى وصلتا بعد بضعة اميال من الفيلا في حي تيرا حيث توقفتا فاخذ العملاء لوحتين موجودتين معهم وقاموا بتغيير لوحتي الارقام المعلقتين على السيارتين بسرعة البرق ثم دخلت السيارتان الى حديقة الفيلا .

حملوا الاسير الى اعلى ووضعوه على سرير حديدي وفكوا رباط يديه وقدميه البسوه بيجاما ونظروا في فمه فقد خافوا ان يكون قد اخفى فيه كبسولة سامة ، دققوا في ملابسه وحذاءه وقارنوا الوصف التفصيلي الذي تلقوه من مركز الموساد مع الحقيقة .

* وسأله كانيت : ما مقياس القبعة التي ترتديها ؟
- اجاب ايخمان : واحد وستون .
* ومقياس البذله ؟
- اربعة واربعون .
* ورقم الحذاء ؟
- تسعة .
* ماذا كان رقم هويتك في الحزب الاشتراكي النازي ؟
- ٨٨٩٨٩٥ .

تطابقت جميع المعلومات فقروا ان كليمنت هو ايخمان لكن كانيت اراد ان يتحقق اكثر فسأله :

* متى جئت الى الارجنتين ؟

– عام ١٩٥٠ .

* ما اسمك ؟

– ريكاردو كليمنت .

* يوجد على صدرك اثر جرح هل هو من الحرب ؟

– نعـــم .

* اذن قل لي اسمك الحقيقي .

– ادولف ايخمان .

انتفض الجميع وبعد لحظة قال : انكم تدركون مدى توتري ايمكنني ان اشرب قليلا من النبيذ حتى امتلك نفسي ؟ انني افضل النبيذ الاحمر .

قلق الموساد من عملية مضادة

احست قيادة الموساد بانها انجزت عملا كبيرا لكن ايسر هارئيل رئيس الموساد خاف من الضجة التي قد تحدثها عائلة ايخمان او من عملية مضادة تقوم بها الجماعات النازية السرية التي كان لها نفوذ كبير في الارجنتين في ذلك الوقت لذلك كان مهم الحفاظ على قواعد العمل السري والاختفاء باسماء اجنبية وحمل وثائق شخصية مزورة .

ركب ايسر هارئيل سيارة تاكسي وانطلق الى محطة القطارات حيث جلب حقائبة من الامانات وركب سيارة تاكسي اخرى وذهب الى فندق جديد وادعى انه حضر للتو الى بوينس آيرس قدم لهم جواز سفر باسم جورج برنارد استأجر غرفة .

تبين للطبيب الذي حضر من تل ابيب مع القواة الضاربة ان الاسير يتمتع بصحة جيدة وانه لم يكن بحاجة لشيء سوى الطعام وغسل جسمه وحلاقة ذقنه .

كان ايخمان يعلم بانه ليس له امل في المقاومة فاستسلم وتصرف بلا مبالاة . لكن عملاء الموساد لم يصدقوه واعتقدوا بانه واثق بان منظمة نازية ما سوف تقوم

بانقاذه ، وبما انه على الاراضي الارجنتينية فانه يكفي ابلاغ الشرطة باختفائه من قبل عائلته ..

نجل ايخمان توقع شيئا

لكن كان كل شيء مختلفا كما تبين بعد عدة سنوات عندما قدم نيك ايخمان شهادته لمراسل المجلة الاسبوعية الالمانية – «كويك» الذي سأله عما اذا كانت العائلة او ايخمان توقعوا ان يهدده خطر فأجاب نيك :

«هو لم يتوقع ذلك اما انا فقد كنت اتوقع فقد سمعت زوجتي مرة في عام ١٩٥٩ في بيتنا في اوليفوس من الراديو أن الانتربول يبحث عن ادولف ايخمان وقد ارعبني ذلك فقد كنت اعلم ان الانتربول لا يبحث الا عن المجرمين من الطراز الاول لذلك فقد ذهبت مسرعا الى سان فرناندو وايقظت والدي وقلت له ان الانتربول يبحث عنك فبقي هادئا بل انه قال : «لهذا توقظني من النوم ؟ ألم تستطيع الانتظار حتى الصباح ؟ اذهب الى بيتك ونم مستريحا وبعد عدة ايام لم تتغير حالته الطبيعية ، ولكنه قدم تقرير لمجموعته طالبا أن يتحققوا من النبأ وبعد عدة ايام قالوا له انه يستطيع ان يكون مطمئنا لان الراديو لم يبث خبرا كهذا وبالطبع كذبوا عليه واوهموه بان ليس هناك خطر على حياته» .

يقول ابن ايخمان : انني اعتقد انه تصنع الهدوء لقد كان يسير يوميا لمدة ساعتين الى العمل ومثلها في طريق العودة الى البيت كان انذاك يعمل في ونزاليس كاتان التي تبعد اربعين كيلو مترا تقريبا من بوينس آيرس وقبل يوم من اختطافه في ١٠ ايار – مايو اخبرنا بالسيارة السوداء الكبيرة التي وقفت قرب البيت وقد سأله السائق كيف يمكن الوصول الى بيونس آيرس برغم ان السيارة كانت تحمل لوحة ارقام مدينة بوينس آيرس .

رفض نصيحة زوجته

لم تثر هذه الحادثة اهتمام ايخمان فيما بعد ، عرض ابنه عليه بأن يأخذ مسدسه

لكنه رفض لأنه لم يرد ان يدخل في اشكالات مع البوليس الارجنتيني فإن زوجته نصحته بأن لايذهب الى العمل في اليوم التالي خوفاً من ان وقوف تلك السيارة بقرب البيت ليس مجرد صدفة لكن ايخمان رفض ذلك وذهب الى العمل وعاد بالباص لكنه لم يصل الى البيت بعد ذلك .

احتمالات الاختفاء

ويتابع ابن ايخمان حديثه قائلا : في ٢ ايار – مايو كنت اعمل في احدى البنايات الجديدة وكنت واقفا قرب المصعد احاول اصلاح شيء فيه بواسطة مفك بيدي : دخل فجأة اخي ديتير وقال لي بان الوالد لم يعد . سقط المفك من يدي وخطر ببالي الاسرائيليون فورا . وانطلقنا فورا الى سان فرناندو عبر شوارع بوينس آيرس وفي الطريق توقفنا عند احد قادة الاس . اس الذي لن اذكر اسمه كان افضل اصدقاء ابي وبدأنا بتقدير الموقف وكان هناك ثلاثة احتمالات : أما ان الشرطة اعتقلت ابي لمخالفة ما او ان حادثا وقع له ويرقد في احدى المستشفيات او ان الاسرائيليين قبضوا عليه وبقينا طيلة يومين نستفسر عنه في مراكز الشرطة والمستشفيات لكننا لم نكتشف شيئا عنه فبقي الاحتمال الثالث وهو «الاسرائيليون» .

البيرونيون عرضوا خطف سفير اسرائيل

ويضيف ابن ايخمان قائلا قدم لنا ممثلو الشبيبة البيرونية عرضا بالمساعدة وفي بعض الاحيان تجمع امام بيتنا اكثر من ثلاثمائة رجل وقمنا بالبحث في كل سنتمتر حول البيت للوصول الى اثار عراك لكننا لم نتوصل لشيء وخيب البحث امالنا وفكرنا في خطط مختلفة واقترح رئيس الشبيبة البيرونية اختطاف السفير الاسرائيلي واخفاءه في مكان ما خارج المدينة وتعذيبه حتى يفرج عن الوالد . رفضنا الخطة فاقتراحوا تفجير السفارة الاسرائيلية لكننا ايضا رفضنا ذلك .

اعلن الاستنفار العام في صفوف منظمة النازيين القدامى بعد ان اصيبوا بالرعب لان ذلك قد يحصل لكل واحد منهم رغم ان البعض له حارس شخصي وزودت

المصانع العائدة للنازيين الاغنياء بوحدات من رجال المسلحين وحاولت عائلة ايخمان الاختفاء .

هروب الى باراغواي

ويقول ابن ايخمان رحلت امي واخي الاصغر الى بيت صديق من الاس . اس وقام عضو اخر من الاس . اس صديق للوالد ايضا بتنظيم دوريات في الموانئ والمطارات بحيث لم يكن هناك ميناء او مطار او سكة حديد او تقاطع شوارع لم يكن به احد من رجالنا للحراسة كانت تلك مساعدة من ذوي المراكز الاقل اهمية اما ذو القوة والنفوذ فقد رحلوا الى بر الامان لقد حصل هروب جماعي الى باراغواي .

لم يتمكن احد من معرفة عدد النازين الهاربين الى باراغواي من الارجنتين لكن العائلات باكملها ومكاتب وشركات ارتحلت .

وكان متوقعا ان تقوم منظمة نازية غير مشروعة بالاهتمام بعائلة ايخمان لكن ايخمان يؤكد انهم تركوهم في وقت المحنه حيث قال :

لم يصل منهم شيء رغم انهم وعدوا ابي سابقا بالاعتناء بعائلاتنا في حالة الضرورة وانهم سيقومون بتأمين محام متنفذ للدفاع عنا وكان ابي يعرف عنوان ذلك المحامي فقد كان حيوانا كبيرا في الاس . اس وكان عليه تقديم المال اللازم لنا هو يعيش في ميلانو وله مصنع هناك يعرف جيدا انه كان عليه ان يعمل ذلك لكنه لم يفعل . لا اريد ان اتحدث عن ذلك لكن اصدقاءنا الارجنتينيين ساعدونا اكثر بكثير من الالمان وكان علينا ان نتعاون مع الارجنتينيين اكثر من تعاوننا مع الالمان .

وفي هذه الحالة لم يكن ابي ليقع في ايدي الاسرائيليين لا اعرف فيما اذا كان يوجد صندوق لدعم عائلات النازيين المصابه ؟ لكننا لم نحصل على شيء حينما اردت ان احصل على اسلحة اضطررت لرهن ساعتي واشياء اخرى . فقد اشتريت مسدسا عيار ٢٢ ثم عيار ٣٨ ثم عيار ٤٥ .

نقل ايخمـان

في تلك الاثناء كان الاسرائيليون يناقشون امكانية نقل ايخمان من الارجنتين بطريقة لاتلفت الانتباه ، فقد كانوا يعرفون ان توصيله الى الطائرة ليس بالامر الهين لذلك قرروا ان يقوموا بنقله كمريض في حالة خطره وبأوراق مزورة حينما ظهر على مسرح الاحداث العميل رافائيل ارنون .

افتعلوا حادثة سير وقام أرنون بتصنع الغيبوبة فنقلوه الى المستشفى بعد ان أعلمه الطبيب الاسرائيلي في القوة الضاربة عن الاعراض التي يجب ان يظهرها لخداع الاطباء الارجنتينيين ، وبينما كانوا يعالجون بها ارنون قاموا بتصوير ايخمان في الفيلا واستبدلوا الصورة في جواز سفر ارنون بصورة ايخمان وهيأ الاقارب المزورون للمريض الاطباء الارجنتينيين باحتمال نقله بطائرة العال الخاصة الى اسرائيل لاستكمال العلاج .

تخديـر ايخمـان

كان كل شيء يوحي بنجاح العملية فالمستشفى سيقوم باعطاء تقريرطبي عن حالة ارنون مع صور الاشعة وسيقوم مرافق المريض بعرض الوثائق على رجال الامن في المطار حتى لا يستغربوا وجود المريض في حالة غيبوبة وكان مقرراً أن يعطي أيخمان حقنة منومة لكي لا يكون قادرا على استيعاب مايجري حوله وحتى لايتمكن من طلب المساعدة .

بقي رافائيل يوهم من حوله بانه فقد ذاكرته من جراء الحادثة وانه لا يستطيع ان يتذكر شيئا . جلس في المقعد الخلفي في السيارة وسمع صوت الكوابح «الفرامل» ثم احس بالصدمة ولم يذكر شيئا .

كان مقررا لطائرة العال الاسرائيلية التي وصل بها الوفد الاسرائيلي برئاسة وزير الخارجية ابا ايبان ان تغادر بوينس آيرس في ٢١ ايار – مايو في الساعة الخامسة صباحا وستهبط في البرازيل في الساعة الثانية عشرة وعشرين دقيقة وبعد رقابة فنية لمدة ساعة ستواصل الاقلاع الى داكار حيث تهبط في الساعة التاسعة عشرة وثلاثين

دقيقة حسب التوقيت المحلي .

وبعد ساعة ستنطلق الى روما حيث كان مقررا وصولها في الساعة الرابعة وخمس واربعين دقيقة من صباح يوم ٢٢ – ايار – مايو ، ثم تنطلق بعد استراحة لمدة ساعة يتم خلالها تزويد الطائرة بالوقود لتهبط في مطار اللد في الساعة التاسعة وخمس واربعين دقيقة ، وكان طاقم الطائرة مكونا من الطيارين الاسرائيليين .

التقريـر الطبـي

وجهز اطباء المستشفى في بوينس آيرس تقريرا لرفائيل ارنون هذا نصه : «ادخل المذكور المستشفى يوم ١٧ ايار – مايو عام ١٩٦٠ اثر حادث سير كان يجلس على المقعد الخلفي في السيارة التي اضطرت للتوقف المفاجئ ارتطم المذكور بالمقعد الامامي لا توجد جروح منظورة في رأسه ، بقي المريض عدة دقائق في حالة غيبوبة اصيب بدوار متكرر خلال اربع وعشروين ساعة ، عدا عن ذلك فانه يحس بان وضعه جيد لم يتقيأ ، كما ان الاعصاب طبيعية كما تبين من الفحص الذي اجري له في اليوم التالي لم يتبين وجود كسور او اي شيء غير طبيعي وبحسب رأينا ليس هناك ما يمنع ركوب المريض الطائرة . نعتقد أنه من المناسب استمرار الرقابة الطبية لاكتشاف اية مضاعفات فورا في حالة حصولها بعد ارتجاج الدماغ .

تجهيز ايخمان للرحلة

في المساء اغتسل ايخمان وحلق ذقنه وقام اليايوفال باجراء المكياج اللازم على هيأته والبسوه بذله مضيف في الخطوط الجوية الاسرائيلية العال لم يحتج ولم يقاوم وعرف انهم كانوا يستعدون لنقله من بوينس آيرس الى اسرائيل .

جهز طبيب القوة الضاربة الاسرائيلية حقنة من ابرة خاصة يمكن تركها بعد حقنها في جسم المريض ليتم اضافة مواد اخرى .

حقنوا ايخمان بمادة منومة مما ازال عنه اية امكانية للمقاومة عدا انه يبقى بمقدوره السير اذا اتكا على كتفى رجلين كان يبدو كسكران فاقد لارادته . لم يقاوم فقد وصل

الى وضع نفسي متدن لدرجة انه لم يبال بشيء . كانت حركاته توحي برغبته في التعاون ، وحينما اراد الطبيب ان يحقنه بالابرة قال له ان ذلك ليس ضروريا وانه سيتصرف بهدوء ولن يقوم باي عمل لكنهم لم يصدقوه ..

اجلسوه في احدى السيارات الثلاث وجلس بجانبه رجال بلباس الطيران بالاضافة الى الطبيب الذي حافظ على حالة شبه الغيبوبة التي يغرق بها ايخمان وتمت عملية النقل المحلي دون صعوبة .

مرت السيارات الثلاث وفيها طاقم الطائرة الاسرائيليين بوابة المطار الى القسم المخصص للكادر ، كان ايخمان يجلس في السيارة الثانية وكانت الشهادة الطبية جاهزة في يد جاره ، كان طاقم السيارة الاولى مستغرقون في الضحك ويؤشرون الى الحارس بأيديهم فقد كان يسود الفرح شوارع بوينس آيرس بمناسبة احتفالات الذكرى المئة والخمسين لاستقلال الارجنتين لذلك لم يستغرب الحارس سعادتهم لكنه قال ملاحظة «اود ان اعرف كيف ستقودون الطائرة» ؟ .

اجابه احدهم لن يقود هؤلاء الطائرة انهم الوردية الثانية سينامون الى ان يتم تغيير الوردية . تعرف ياسنيور لقد نسوا ان يعودوا تحيا الارجنتين .

نظر الحارس الى السيارة الثانية حيث جلس ثلاثة رجال نائمين ثم سمح للسيارات الثلاثة بالعبور الى المطار .

مروا بطريق دائرية الى الطائرة ونزلوا . قادوا ايخمان الى منطقة الدرجة الاولى في الطائرة لم ينتبه احد واجلسوه على المقعد وجلس حوله الطاقم الاحتياطي نام ايخمان وتناوب الاخرون النوم ، اطفأوا الاضواء حتى لا تزعجهم ، جاء الكابتن ليطمئن وقال :

كل شيء على مايرام ؟

قال كينت يمكننا الانطلاق .

جلس رئيس المخابرات الاسرائيلية ايسر هارئيل الذي قاد الترتيبات الاخيرة للطيران من مطعم المطار وقام بنفسه بالمرور عبر معاملات الجمارك والجوازات ، جلس في الدرجة الثانية في الطائرة وعاش اللحظات الاخيرة من التوتر .

بدأت المحركات بالدوران وتحركت الطائرة «بريستول بريطانيا» ذات المحركات الاربعة وهي من اكبر الطائرات في ذلك الوقت وحينما تحركت عجلاتها على مدرج المطار كانت الساعة تشير الى الثانية عشرة وخمس دقائق من صباح يوم ٢١ ايار عام ١٩٦٠ .

لم تكن مخاوف رئيس الموساد بدون اساس فقد عملت القوة الضاربة الاسرائيلية على اراضي دولة اجنبية بصورة غير مشروعة وارتكبت جريمة اختطاف بالقوة ، ولو القت الشرطة الارجنتينية القبض على عملاء الموساد لانتهوا بالسجن كمجموعة من الارهابيين ، بالاضافة الى ذلك كانت تل أبيب تعرف مدى قوة المنظمات النازية في بوينس آيرس لذلك لم تكن نتيجة العملية معروفة مسبقا .

لقد كشف كلاوس نجل ايخمان فيما بعد ، ما لم يكن واضحا ومعروفا في ذلك الحين وقال :

لقد توقعنا ان تتم عملية اختطاف للوالدة والاخ الاصغر كرهائن ، لذلك فقد أردنا نحمي أنفسنا بأغلى ما يمكن ، وفي نفس الوقت استمرينا في البحث عن الوالد ، وقد نبهنا أصدقائه القدامى من الاس . اس انه من الممكن أن يكون موجودا في سرداب تحت الارض في أحد المعابد اليهودية في بوينس آيرس .

تبين ان المنظمة النازية لا تملك المعلومات الدقيقة أو أنها كانت تقوم بلعبة غير شريفة مع عائلة ايخمان ، وحاول كلاوس وديتير مع اصدقائهما من منظمة الشبيبة البيرونية أن يجدوا المخبأ ولكن عبثا كانت محاولاتهم .

ويقول كلاوس : كان عمر أخي في ذلك الحين ثمانية عشر عاما ، وعمري أربعة وعشرون عاما . تناوبنا الحراسة كل أربع ساعات ، استمر ذلك الى فترة طويلة ثم انضم الينا الشبيبة البيرونية ، حرسوا بيتنا وواصلنا نحن البحث عن أبينا ، كنا نعرف انه ما زال في الارجنتين كان لدينا معلومات موثوق بها .. حاولنا استفزاز الطرف الاخر للقيام بعمل ما ، وفي أحد الايام أعلنوا ان مختطفي أبي هم مجموعة فدائية اسرائيلية ، خاصة مما أدى الى استنفار عام في الجيش الارجنتيني .

بعد سنوات من هذه الحادثة يمكن أن نشك كثيرا بصحة أقوال ابن ايخمان ،

لان بعض اجاباته كانت غير صحيحة تماما .. وبعضها كان افتراضا لعدم توفر المعلومات ، وكان البعض الاخر منها أمنيات .. فوصف عملية الانقاذ التي قيل ان عائلة ايخمان قامت بها لاتحتوي على اية معلومات محددة وتبدو انها اضافة لاحقة لاحداث تلك الفترة أثارتها اسئلة الصحفيين .

نجل ايخمان يختلق قصة

يقول ابن ايخمان : ساعدنا صديق للوالد من الاس . اس كان عنده سيارة شيفروليه سوداء .. عبرنا الشوارع الرئيسية في بوينس آيرس وتوقفنا في المستشفيات والمطارات الصغيرة .. ولكنهم لم يخبرونا بشيء ايضا .. لكن اكثر من ساعدنا كان البيرونيون الشباب ، كان لدى بعضهم دراجات نارية قوية ، لكننا لم نتمكن من القبض على المختطفين ، ربما لان الارجنتين كانت تحتفل بعيد استقلالها المئة والخمسين ، وجاءت وفود من جميع انحاء العالم لتشارك بالاحتفالات .. واكبر وفد كان الوفد الاسرائيلي الذي حضر على متن الطائرة «بريستول بريطانيا» التابعة لشركة العال الاسرائيلية حيث هبطت في مطار ازيرا ، وبقي الطاقم في غرفة القيادة ، وبعد يومين نقلوا أبي الى الطائرة وقد وصلتنا معلومات بذلك بعد نصف ساعة من اقلاع الطائرة ، ولولا ذلك لمنعناها من السفر ، كذلك فان خطأ اخر قد حصل فالطائرة ما زالت في البرازيل في ريو دو جانيرو للتزود بالوقود ، وهذا ما علمناه متأخرين ، اتصالاتنا مع المخابرات السرية البرازيلية باءت بالفشل ، ومع ذلك فقد كدنا نوقف المختطفين ، ففي ريو دو جانيرو دخلت لجنة صحية الى الطائرة وتنبه الطبيب الى وجود مريض في احد مقاعد الدرجة الاولى في حالة نوم غير طبيعية ، كان أبي أحد أفراد الطاقم ، سحب الطبيب الغطاء عن أبي حيث كان يغطيه حتى وسطه فرأى أنه مقيد ، فأمر بمنع الطائرة من متابعة السفر مما أخرهم عدة ساعات ، وفي النهاية طلب الاسرائيليون المساعدة من وزير الداخلية البرازيلي تيسكير لوت للاستمرار في الرحلة .

اختلق كلاوس ايخمان كل هذه الحلقة عن الهبوط في البرازيل ، فالطائرة لم تهبط

أبدا في ريو دو جانيرو ، فلماذا اختلق هذه القصة أمام الصحفيين .. هل لكي يريح ضميره ؟

لماذا لم يبلغوا الشرطة ؟

لقد حاولت عائلة ايخمان وبعض اصدقائه النازيين في الارجنتين أن يساعدوه بكل طريقة ممكنة الا الطريق التي تؤدي الى النجاح فلم يفكروا بها ، فلو ابلغوا الشرطة بالاختطاف لاصبح من الصعب جدا على الاسرائيلين أن يتموا عملية تهريب ايخمان على متن طائرة اسرائيلية .

لماذا لم يختاروا هذا الحل المناسب ؟

– ربما لأن ذلك سينقل ايخمان من البلل الى الغرق فلو انقذته الشرطة الارجنتينية من الاسرائيلين لما تمكنت من انقاذه من المحاكمة ، فلم يكن الوضع في الارجنتين مواليا للنازية الى هذا الحد كما كان يقال .

ايخمان في اسرائيل

هبطت الطائرة التي تحمل ايخمان على متنها في اسرائيل يوم ٢٢ ايار – مايو عام ١٩٦٠ في ساعات الصباح الباكر وبعد ذلك بفترة وجيزة قدمت الحكومة الارجنتينية احتجاجا على خرق قوانين السيادة على أراضيها وحاولت الحكومة الاسرائيلية أن تعتذر عن عملها قائلة :

قام المتطوعون اليهود بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بالبحث عن المتهم الرئيسي بأبادة اليهود الاوروبيين ، ومرت خمس عشرة سنة من البحث الفاشل في مختلف الاقطار الاوروبية والعربية والاميركية اللاتينية وقبل عدة أشهر تلقت المجموعات تحذيرا بأن ايخمان يختبئ في الارجنتين باسم مستعار ومدعوما من النازيين المقيمين في البلاد دون معرفة الدوائر الارجنتينية .

لم تعرف المجموعة مدى صحة المعلومات لكنها علمت ان عددا كبيرا من النازيين يعيشون في الارجنتين ، وبدأ بحث مكثف ، وتم الكشف عن ايخمان الذي يعيش

بأسم مستعار ، واتصلت به المجموعة وسألته فيما اذا كان لايمانع أن يتقدم الى المحاكمة ، وحينما تبين لايخمان أنهم اكتشفوه اعترف أنه يعيش في الارجنتين بأسم مستعار ووثائق مزورة .. وفي اليوم التالي أعلن انه على استعداد للتقدم الى المحاكمة ، وفي نفس الوقت وقع محضرا أكد فيه انه سوف يتحمل مسؤولية أعماله في السنوات الاخيرة من خدمته في المانيا ، بعد ذلك قامت المجموعة بنقله ، وبموافقة من الارجنتين ، وسلمته الى الامن الاسرائيلي .

وفي ٢٣ آيار – مايو ابلغت قوات الامن الحكومة الاسرائيلية بأن أيخمان في يدها فأعطت الحكومة أمرا للشرطة وللمدعي العام لتقديمه الى المحاكمة .

جاء ذلك تبريرا للوسيلة التي اختطف بها العملاء الاسرائيليون ايخمان وتفسير للاهمية التاريخية والاخلاقية للحادثة .

لم تقتنع الحكومة الارجنتينية بهذا التوضيح وطلبت تسليمها ايخمان خلال ثمانية أيام .. ولكن لم يحصل ما تريده الحكومة في الارجنتين فقدمت شكوى الى هيئة الامم المتحدة .

من خلال السرد السابق يمكننا معرفة ما كان صحيحا ، وما لم يكن . وناقش مجلس الامن الشكوى في ٢٢ حزيران – يونيو في مقر الامم المتحدة في نيويورك ووافق على قرار انذار بعدم تكرار مثل هذا العمل . وفي بداية شهر آب – اغسطس أعلن المندوبان الاسرائيلي والارجنتيني بأنهما يعتبران الحادثة منتهية .

حكم على ايخمان في ١٥ كانون الاول – ديسمبر عام ١٩٦١ بالاعدام وفي ٢٦ ايار – مايو رفضت المحكمة العليا طلب الاستئناف ، وفي ٣١ آيار – مايو أعلن الرئيس الاسرائيلي بانه لا ينوي استعمال حقه بالرأفة وتخفيض الحكم . وفي نفس اليوم ، في الساعة الثالثة والعشرين وثمان وخمسين دقيقة تم شنق ايخمان ، ثم احرق جثمانه ، وفي صبيحة اليوم التالي أبحرت سفينة من ميناء يافا ، وحينما وصلت المياه الدولية ذرت رماد جثمان ايخمان في البحر .

أما الاعمى الالماني – الارجنتيني لوثر هيرمان ، الذي ابلغ عن مخبأ ايخمان فقد كان له الحق بالجائزة التي اعلن عنها لمن يدلي بمعلومات عن مكان ايخمان وقيمتها

ثلاثون الف مارك الماني ، وانتظر ثلاث عشرة سنة حتى استلم الجائزة وكان ذلك في شهر نيسان – ابريل عام ١٩٧٣ .

الخطأ القاتـــل

عملية «صيد الأمير الأحمر»
جزء من الإنتقام لعملية ميونخ

الموساد تجند فرقها في أوربا وترسل أحد قادتها للبحث عن على حسن سلامة

– القسم الاول –

قال القاضي ارلينغ هوجين : «استدعوا المتهمة مريانا جلادينكوف» .

كانت في الخامسة والعشرين من عمرها ، شقراء ، وشعرها مسرح فوق جبينها كما لو كانت تريد اخفاء وجهها . لم تكن جميلة وجذابة .

– قالت : هاجرت الى اسرائيل منذ عامين .

* وسألها القاضي ، واين عملت ؟

– اجابت في مركز الحاسب الالكتروني ، وكنا نقيم المعلومات للمخابرات السرية .

* القاضي : وكيف وصلت الى مركز الكومبيوتر ؟

– مريانا : كانوا محتاجين لشخص يعرف اللغة السويدية .

* القاضي : وهل تأكدوا منك ؟

– مريانا : طويلا .

* القاضي : هل اردت ان تصبحي جاسوسة ؟

– مريانا : نعم لذلك بدأت في دراسة كورس مسائي للموساد .

* القاضي : كم استمرت مدة الدراسة ؟

– مريانا : سنة واحدة ، وبعدها تمكنت من الالتحاق بالمخابرات السرية .

* القاضي : حينما اتصل بك ابراهام جيهمر ، هل كنت قد اتممت الدراسة ؟

– مريانا : نعم وطلب مني ان نجتمع عند الملاك ، وسألني مباشرة ، فيما اذا كنت ارغب في الاشتراك بعملية هامة .

* القاضي : هل وافقت ؟

– مريانا : نعم قال لي بأنني سأعرف التفاصيل في الوقت المناسب .

* القاضي : وهل شرحوا لك هذه التفاصيل في ١٨ تموز ٧٣ ؟

– مريانا : لم يشرحوا لي كل شيء ، وفي ذلك الوقت انتظرت في الساعة ٢/١٥ في موقف سيارات بوسط المدينة .

* القاضي : هل تعيشين في تل ابيب ؟

– مريانا : لا انني اعيش في ضاحية «بات جام» لقد جئت بسيارتي ، ثم ظهر باص صغير ، اخذ السائق حقيبتي ، ووضعها في الباص ، وطلب مني مفاتيح سيارتي ، وقال بأنه سيهتم بها .

* القاضي : من كان في الباص ؟

– مريانا : لا احد ، ذهبنا الى احدى البنايات ، نزل السائق وقرع الجرس . فجاءت امرأة جميلة جداً ، في الثلاثين من عمرها تقريبا جلست بجانبي وعرفت نفسها بأسم باتريسيا روكسبورغ .

* القاضي : لقد كانت في الحقيقة سيلفيا رفائيل .

– مريانا : نعم : ولم اعرف ذلك في حينه .

«كانت مريانا جلادينكوف متوترة الاعصاب ، لم تكن تدري ماذا تقول فبقيت صامتة ، كذلك شريكتها ، نظرت في المرآة ، الى الظلال الموجودة تحت جفونها ، اشعلت سيجارة ، مر السائق عبر شوارع خالية على الشاطئ ، مر بجانب فندق الهيلتون ، ومطار الخطوط الداخلية ، توقف في حي الفيلات المسمى «هيرتسيا» حيث يسكن التجار الاغنياء والسياسيون المتنفذون» .

– وتابعت مريانا قائلة : كان ابراهام جيهمر ينتظر امام احدى الفيلات تقدم وعرف بنفسه باسم ليستلي أورباوم .

* القاضي : هل كنت تعرفين اسمه الحقيقي ؟

– مريانا : نعم ، وكذلك باتريسيا ، لكننا بقينا صامتين .

* القاضي : هل كنت تعرفين ان ابراهام جيهمر ، كان يتبوأ مركزا هاما في المخابرات الاسرائيلية ؟

– مريانا : لا ، لم اعرف ذلك ، الا فيما بعد ، فقد كان يعمل في السفارة الاسرائيلية في باريس ، كسكرتير اول ، قال لي في الاجتماع الاول انه يدرس في جامعة تل ابيب ، وبدا ذلك غريبا ، فهو في الثلاثين من عمره لكنه لم يكذب . ، فقد كان طموحا ، ودرس العلوم السياسية في الجامعة .

«ذهب الثلاثة الى المطار الدولي في اللد ، والمسمى بأسم رئيس الوزراء الاسرائيلي الاسبق بن غوريون ، ومروا من الجوازات والجمارك دون ان يسألهم احد عن شيء ، ودخلوا الى صالة الزيارات الحكومية حيث كان الباقون بانتظارهم » .

مطلـوب ايجـاده

«كان ميكي قائد المجموعة الذي لم يتمكن احد من معرفة اسمه الحقيقي ، قسم المهام ، واعطى التعليمات ، تحدث باختصار وحزم ، كما يجب ان يفعل رجل عملي مثله ، اعطى لكل واحد الف دولار ، والف مارك الماني غربي والف فرنك فرنسي ، ثم اراهم صورة رجل ذي شعر اسود وقال لهم : انه يجب ان نجده وسنعرف اسمه في الوقت المناسب» .

* القاضي : اذهبتم الى اوسلو ؟

– مريانا : نعم : انا وجيهمر ، وجوناثان انجليبي ، وباتريسيا روكسبورغ عن طريق زيورخ .

* القاضي : هل كانت جوازات سفركم مزورة ؟

– مريانا : نعم ، ماعداي فقط ، سافرت بأسمي الحقيقي ، وبجواز سفر سويدي عادي .

السفـر واللقـــاء

سافرت المجموعة الثانية ، والتي يقودها ميكي الى اوسلو ، عن طريق امستردام ، توقفت ماريا وجيهمر وانجليبي ، وباتريسيا في زيورخ لكنهم لم يذهبوا الى قاعة الترانزيت ، كان عليهم اولا ان يؤمنوا تذاكر السفر ، فقد كانت رحلة شركة دوغلاس «ساس» س . ك ٩٩٧ تقلع في الخامسة والنصف مساء . لكنهم لم يصلوا ، فقد ضاعت حقائب جوناثان انجليبي في الطريق من تل ابيب الى زيورخ ، ولانه لم يكن لديه الوقت الكافي ليراجع قسم المفقودات ، فقد ذهب الى شارع «بانهوف» واشترى بذلة وقميصين ، وقامت سيلفيا رفائيل في هذه الاثناء باستئجار سيارة من شركة هيرتز العالمية لكي تكون باستقبالها في مطار فورنيو في اوسلو .

هبط الجميع في مطار اوسلو في الساعة التاسعة وعشرين دقيقة مساء وكانت السيارة بانتظارهم ، وكذلك ضابط اتصال ، لاعطائهم تعليمات جديدة كان ضابط الاتصال رجلا قصير القامة ، غير مميز ، له شاربان ابيضان ، واسمه زفي شتاينبرغ ، وقدم نفسه باسم زفيكا ، وكان الجميع يعرفونه باستثناء مريانا جلادينكوف ، هبطت طائرته قبل بضع ساعات من وصولهم الى المطار وكان لديه الوقت الكافي لينقل الاوامر الى مجموعة ميكي التي جاءت من امستردام ، وذهبت من المطار الى الفندق .

قال لهم : لدى لكم اخبار من جوسي ، وهو اسم مستعار لميكي ، وكان معرفا للجميع ما عدا مريانا .

وقال : مريانا وجوناثان سوف يذهبان الى فندق بانوراما ، وهو فندق صيفي وهو عبارة عن سكن للطلاب في الجهة الشرقية من المدينة ، اما سيلفيا وابراهام سيأخذان السيارة المستأجرة ويلحقان بهما ، وذا احتاج احدكم لشيء فاتصلوا بالرقم ١٤١٥٨٩ .

اخذت باتريسيا روكسبيرغ مفتاح غرفتها من قاعة الاستقبال ، وحمل النادل حقائبها ، القت نظرة الى الحمام ، فتحت الخزانة واذا بجرس التلفون يرن :

انا دان ، اهلا بك ، يسعدني ان ادعوك على كأس ، انا في الغرفة رقم ٢١٢

كان دان ، الذي وصل ايضا الى فندق بانوراما ، والذي يدعى ايربيل ، كان صديقا قديما لباتريسيا ، وعاش كلاهما معا اكثر من دراما في عالم التجسس بأشراف الموساد .

دان والعمليـــة

بدا دور دان ايرابيل في بداية هذه العملية ، والتي اطلق عليها الصحفيون اسم «صيد الامير الاحمر» الا انه لم يستطيع ان يقوم بالمهمة وعاد الى تل ابيب مهزوما بوضع لايحسد عليه كعميل للموساد .

ولد دان في عام ١٩٣٧ ، في الدانيمارك ، كان والده تاجرا غنيا له علاقات دولية واسعة ، رحل اثناء الحرب العالمية الى السويد المحايدة ، وذهب ابنه دان الى اقارب له في الولايات المتحدة الاميركية حيث انهى المرحلة الثانوية والجامعية هناك ، وكان دان في ذلك الوقت يدعى بإسم والده «أيرت» وعندما هاجر الى اسرائيل عام ١٩٦٣ غير اسمه الى ايربيل ، تزوج وكان عنده ثلاثة اطفال ، بنى فلة ، لتوفر النقود معه دائما ، وحصل بعد وصوله الى تل ابيب على مركز اجتماعي مرموق ، برغم انه كان يعيش حياة مزدوجة ، كان عميلا للمخابرات السرية المعروفة بـ «الموساد» وكان عضوا فعالا في واحد من اكبر المصانع الاسرائيلية المتخصصة بالاغذية ، والذي كان يصدر منتوجاتها الى الكثير من دول العالم .

في الثامن من تموز – يوليو عام ١٩٧٣ ، اجتمع مع ضابطه المسؤول وابلغه بأن الموساد تريد ارساله الى السويد ، كمترجم لمجموعة من العملاء السريين ، الذين عليهم منع هجوم على ممتلكات اسرائيلية هناك .

وهز رأسه موافقا ، واكتشف فيما بعد ان الموساد لاتلعب معه لعبة نظيفة ، فلم تكن المهمة تتعلق بالترجمة او بهجوم على ممتلكات اسرائيلية ، لكنها كانت عملية ارهابية لطخت سمعة الموساد في دول كثيرة في العالم .

عملية انتقاميـــة

كانت عملية انتقام للهجوم الذي قامت به احدى الفصائل الفلسطينية المقاومة ضد الرياضيين الاسرائيليين في ميونخ ، ذلك الهجوم الذي اثار ضجة عالمية واسعة ، برغم ان قيادة منظمة ايلول الاسود اوضحت بأنها لم تكن تهدف القتل ، بل كانت تريد اختطاف الرياضيين الاسرائيليين المشاركين بالالعاب الاولمبية ، لينبهوا العالم الى الوضع الذي يعيشه الشعب الفلسطيني ، واعلنوا : «لن يضير احد حينما يعرف شباب العالم عن مأساتنا ، بعد ساعات سيعرف انه يوجد شعب يتعامل معه الجميع منذ اربع وعشرين سنة ، بطريقة غير عادلة ، نحن لسنا ضد احد ، ولكن لماذا يجب ان نركض في هذه الالعاب تحت علم المحتلين ؟ لماذا يتسلى العالم كله في الوقت الذي نعاني فيه ، ونتحدث عن معاناتنا دون ان يسمعنا احد» .

اعطت غولدا مائير ، رئيسة الحكومة الاسرائيلية ، بعد احداث ميونخ الضوء الاخضر للموساد ، للقيام بعمليات انتقامية ، العين بالعين والسن بالسن .

بدأت المجموعات الضاربة التالبعة للمخابرات الاسرائيلية بتنفيذ هذا القرار وحتى اللحظة التي ذهبت بها ماريانا جلادينكوف مع جماعتها ، في مهمة سرية ، كان العملاء السريون الاسرائيليون قد قتلوا اثنى عشر شخصا بإعتبارهم مشاركين في عملية ميونخ ، وفي جميع هذه الحالات تمكنوا من الهرب ، والاختفاء دون ان يتركوا آثارا خلفهم .

البحث عن علي حسن سلامة

مع ذلك ، لم يكونوا مرتاحين في تل ابيب ، فقد اعلن الانتقاميون الصهاينة ان القائد والمنظم لعملية ميونخ ، علي حسن سلامة ، قد اختفى دون ان يتمكنوا منه ، لقد اصبح شخصية اسطورية وجدارا ليليا صلبا ، امام عملاء الموساد السريين ، لذلك ارادوا رأسه بأي ثمن .

ومن الجدير بالذكر انه لم يثبت في اي يوم من الايام انه كان وراء عمليات منظمة ايلول الاسود ، لكن المخابرات الاسرائيلية ، كانت مقتنعة بدور علي حسن

سلامة واكثر ما أثار حنق قيادة الموساد ، انهم صفوا حسابهم مع كل من ارادوا ، إلّا علي حسن سلامة ، فقد كانوا دائما يخطئونه .

المعلومات قليلة عنه كان يعيش في «أولم» في المانيا الغربية مع صديقته الالمانية ، كانت كما يقال جميلة جداً ، وكذلك كان يقال عنه انه من اجمل الرجال وانه فوق ذلك دونجوان !

سافر من أولم الى شتوتغارت ، فرانكفورت ، وهناك اختفت آثاره ، كان للموساد موقع في المانيا الغربية ، وكان لها عملاء سريون من الدرجة الاولى بل يمكن القول بأنها كانت قلعتهم الاوروبية ، رقم واحد لكنهم لم يستطيعوا الايقاع بسلامة .

لم يكن معروفا . فقد فرّ منهم بمهارة ، او انه عرف اصلا انهم كانوا يطاردونه ، او انه عملاء الموساد كانوا مصابين بسوء طالع ، فمجموعة من ستة عملاء اعلنت استسلامها ومما أثار الاهتمام في تل ابيب حينما تلقوا خبرا من عميلهم المقيم في المانيا الغربية بأن علي حسن سلامة قد ظهر في فرنسا .

في تلك الليلة سافرت من تل ابيب مجموعة من العملاء ذوي الكفاءة العالية جداً ، وانطلقت في باريس تبحث عن أثر «علي الجميل» لكن بدون نتيجة ، فقد كان يغير الشقق والفنادق اكثر مما يغير قمصانه ، اختفى في احدى الشقق ثم ظهر بعد يوم او يومين في فندق في الطرف الثاني من المدينة طاردوه الى مدينة ليل ، في شمال فرنسا ، لكنهم فيما بعد وجدوا أثرا له في هامبورغ ، وحينما علموا انه سيذهب الى استوكهولم جهزو شبكة واسعة لاصطياده .

هرب دان ايربيل من وجه الالمان الى السويد ، ثم الى الولايات المتحدة وبعد ذلك هاجر الى اسرائيل ، لكنه بقى مواطنا دانمركيا ، وبقى معه جواز سفره ، كان ذلك حسنة ، واستغلتها الموساد ، فلم يكن هناك داع لاسم مستعار او لشخصية بديلة ، لم يكن معرضا للخطر ، من ان يكتشف رجال الحدود التزوير في الوثائق الشخصية ، طلب من مديره اجازة لبضعة ايام ، وفي ١٠ تموز – يوليو ، سافر على متن الخطوط الجوية الالمانية الغربية الى فرانكفورت ، ورافقه رجلان مجربان من

عملاء الموساد بوثائق مزورة وهما : النمساوي جوستاف بيستير ، والفرنسي جين لوك سيفيتر .

اقاموا في فندق جراند ، امام القصر الملكي في ستوكلهولم ، وطلب باستير من دان ايربيل ان يستأجر شقة كبيرة ، وحينما دفع الاجرة واستلم المفتاح ، عمل ايربيل خمس عشرة نسخة منه ، من هنا يمكن الحكم على ان الشقة كانت ستستعمل كمعسكر لمجموعة ارهابية كبيرة ستظهر على مسرح الاحداث ، عندما يتوصل الرجال الثلاثة الى اثر الضحية ، لكنهم لم يصلوا ابدا .

في التحقيقات التالية التي قامت بها الشرطة بمساعدة السكان في ستوكهولم ، تبين انهم اهتموا كثيراً بكيفية قضاء الليالي الحمراء اكثر مما كانوا مهتمين بتنفيذ مهمتهم اليومية .

تعرف ايربيل وسيفيتر ، في احد المطاعم ، على فتاتين هما : جوللي وآن كريستين ، وهما موظفتان في شركة التأمين سكاتريا ، وفي نفس الليلة كانتا تجلسان حول زجاجة نبيذ في شقتهما .

واتضح ان الفتاتين لم تكونا سعيدتين تلك الليلة لانهما لم تحضرا في الموعد المحدد في اليوم التالي ، كما انهما هربتا من حلبة الرقص حينما رأتهما يوم السبت ، ومن جهة اخرى ، فشل العملاء الثلاثة في ايجاد اثر لعلي حسن سلامة ، وبدأت الشكوك تنشأ ، عما اذا حاولا في العثور عليه وانهما اثبتا وجودهما في النوادي الليلية .

خبر من سويسرا

كان مركز الموساد ، في تل ابيب ، ينتظر خبرا من ستوكلهولم ، لكنه حصل عليه من سويسرا ، فقد تنبه احد العملاء السريين ، والذي يراقب مطار جنيف الدولي ، الى وجود سيارة تحمل لوحة هيئة دبلوماسية ، وصل بها عربي مجهول ، وحينما بحثوا عن صاحبها ، وجدوا انها تعود الى الوفد الدائم للملكة العربية السعودية في منظمة الامم المتحدة ، وان العربي الذي اختفى في بناية المطار يبلغ من العمر خمسة وعشرين عاما جزائري الجنسية ، واسمه كمال ابن امان الذي اهتمت به

الموساد كثيراً .

كان ابن امان في نهاية ١٩٧٢ في جنيف ، ولم يعرف احد من اين جاء وبأية مهمة ، اكد انه سافر كثيراً في السنوات الاخيرة ، وكانت له علاقة مع الهبيين ذوي الشعر الطويل ، ومن المؤكد انه كان يقابل الدبلوماسيين العرب ، ومنذ فترة قصيرة تزوج فتاة من اعرق العائلات في جنيف ، كان كل شيء حوله يثير الشبهة ، لذلك قررت تل ابيب ، ان كمال ابن امان ، هو حلقة الوصل للمنظمات الفدائية العربية ، اي انه رجل خطير ويجب متابعة كل خطوة يخطوها .

جلس في احد مقاعد الدرجة السياحية في طريقه الى يودان ، وحينما هبطت الطائرة ومر كمال من نقطة تفتيش جوازات السفر ، طار النبأ الى تل ابيب ، واصبح لدى كبار الموظفين في الموساد قناعة بان هناك شيئا كبيرا يعد في الدول الاسكندنافية ، وتيقنوا ان كمال ، سيقابل سلامة وانه سيقود عملاء الموساد الى اثره ، لذلك تلقى ايربيل وشريكيه امرا بان يتحولوا الى يودان ، وفي نفس الوقت ، قررت تل ابيب تغيير طاقمها في اسكندنافيا ، وهكذا تشكلت مجموعة جديدة قادها ميكي ، وكان من ضمن هذه المجموعة القاتل المحترف والمجرب ، جوناثان انجليبي ، ومريانا وسيلفيا ، وابراهام جيهمر والباقون ، وقد وجد دان ايربيل نفسه ، في نفس الفندق الذي تقيم فيه سيلفيا ، وبعد الوصول دعاها لشرب كأس حيث تذكرا ايامها القديمة ، عندما سافروا كسائحين الى الدول الاوروبية وصورا الاهداف العسكرية ، وانهما في مونت كارلو ، استأجرا بأموال الموساد يختا ، ابحرا به في البحر الابيض المتوسط ، لكي يعطيا تل ابيب اخبارا عن السفن الراسية في الموانئ السورية والتركية واللبنانية وعلى ظهر اليخت قضيا اجازة رائعة لا تنسى ، وعندما جاءتهما الاوامر بأن يتصرفا كعاشقين ، نفذا الامر الى اقصى حد ممكن وبطيبة خاطر وهكذا سعدا ، في اوسلو باستعادة ايام جميلة قضياها معا .

مهمة مريانـــا

* سأل القاضي مريانا جلادينكوف : ماذا كانت مهمتك في اوسلو بعد

وصولك ؟

– اجابت : عجيبة غريبة ، ارسلوني مع جوناثان انجليبي للمشتريات ، من اللحظة الاولى ، لم يعجبني ، كان غير متحدث وعابسا ، طلب مني ان استدعي سيارة تاكسي ، لانه يريد ان يشتري بعض الحاجيات ، ذهبنا الى محل لبيع الادوات الحديدية في السوق الرئيسية ، حيث اشترى قطعة حديدية وحينما سألته لماذا يحتاجها قال انه يريدها لفتح بيت شخص عربي ، لانه متأكد بانه سيجد فيه وثائق وخطط منظمة ايلول الاسود .

* قلت بيت شخص عربي ، هل تقصد بيت كمال بن امان ؟

– نعم .

– لكنكم لم تعرفوا عنوانه .

لذلك الحين لم نعرفه ، لكن جوناثان كان متأكد بانها مسألة وقت ، وعندما عدنا قال لنا جيهمر ، انهم وجدوا غرفته ، وتمكنوا من فتحها ، وتبين لهم انه رحل ، وان غرفته خالية .

هل بحثوا عنه ؟

بحثوا عنه فورا ، وانا ساعدتهم ، لم يكونوا يعرفون اللغة النرويجية او السويدية ، كان جيهمر متأكد ان ابن امان لم يغادر المدينة ، بل انه غير الفندق فقط ، لذلك ذهبت مع جوناثان الى البريد المركزي وسألنا بواسطة الهاتف جميع الفنادق فيما اذا يقيم لديهم شخص عربي ، لقد تحدثت مع ستة وثلاثين فندقا ، ولم يكن فيها اي عربي .

كانت مريانا جلادينكوف تعترف بكل شيء ، بدون ضغط او حتى دعوة وتكونت لدى القاضي والحضور قناعة بانها تريد التخفيف من عذاب الضمير لانها ادركت بانها تورطت في تراجيديا ، لم تكن تريد ان تشارك بها ولكن الوقت قد فات .

وتابعت مريانا حديثها قائلة : حينما وجدنا انفسنا لم نحقق شيئا عدنا بعد منتصف الليل الى المطعم ، حيث موعدنا مع جيهمر ، وابلغنا ان كمال بن امان سافر في اليوم

السابق الى مدينة ليليهمر ، وقد عرف ذلك جوستاف بيستير الذي تبعه الى محطة القطارات ، ووقف خلفه في الصف وسمعه حينما اشترى تذكرة للسفر الى ليليهمر .

ترتيب الاحـــداث

من خلال اعترافات مريانا جلادينكوف ، يمكن اعادة ترتيب الاحداث التالية :

ففي اوسلو تعرفت على بقية المشاركين ، وتعرفت جزئيا على ماضي كل منهم ، وحينما علم ميكي انهم فقدوا اثر كمال ابن امان ، استدعى مجلس العمليات الى غرفته في الفندق ، حيث كان يسكن في افضل الفنادق باعتباره رئيس الفريق ، ولم يكن وحده ، فقد كانت معه تمارى التي بقى اسمها الحقيقي غير معروف ، كما هو الحال بالنسبة لميكي ، ولكن المؤكد انها كانت تعمل لصالح المخابرات الاسرائيلية منذ ان كانت طالبة .

«هيت» تعني بلغة الاميركيين ضربة و «هيت تيم» تعني الفريق الضارب لمجموعة من القتلة المدربين ، والذين يعملون بحسب طرق الارهاب المجربة ، وبأحدث الوسائل التكنولوجية وبخلفية تنظيمية عالية ، وعندما قررت قيادة الموساد الاسرائيلية ، في تل ابيب ، تشكيل مجموعة لإبادة اعضاء حركة التحرير الوطني الفلسطيني ، قامت بتعيين ميكي رئيسا للمجموعة بإعتباره مدير قسم المهام الخاصة .

كان ميكي يجيد صنعته ، وكان محنكا ومجربا ، ويتمتع بصيت العباقرة في المخابرات السرية ، وقد كتب الصحفي الاميركي ديفيد ب . تنين والذي يكتب للتايم ، ان ميكي «كان من دائرة الاشخاص الضيقة ، التي تحدد مسار السياسة العامة للدولة الاسرائيلية ،

كان يعرف كيف يختار شركاءه ، وكيف يتعامل معهم ، كان يرسلهم في البداية ، الى معسكر تدريبي ، في احد الموانئ الرومانية القديمة والذي يبعد حوالي ٨٠ كم شمال تل ابيب ، حيث يتعرفون على خطة العملية بأحدث الوسائل

التكتيكية ، بعد ذلك يتم اخذ الادوار بحسب برنامج مسبق وكان العملاء يأتون الى مكان العملية بمجموعات صغيرة دون ان يعرف احدهم شيئاً عن الاخر ، وفي لحظة الصفر يهجمون ، مرة واحدة ثم يختفون ، حيث تكون مجموعة من الاخصائيين قد دبرت عملية انسحابهم ، وفي معظم الاحوال كانت الامور تسير بسهولة ويسر ، لذلك كان لميكي موقع جيد ، ولم يمانعوا بان ترافقه تمارى .

تمـــاري

كانت تمارى ، كما يقال ، موهوبة ، مثقفة ، وجميلة كانت تتحرك في الاوساط الديبلوماسية ، منذ كانت طالبة ، وتصادقت مع اعضاء وفد منظمة الامم المتحدة وحينما علم رؤساء الموساد بذلك ، جهدوا لكي ينظموها في صفوفهم .

عملت في المجموعة التي كان يقودها ميكي ، واصبحت عشيقته ، كان الاثنان زوجا غريبا ، عجوز خبيث ، وشابة حاذقة وجميلة ، تستطيع ان تجذب بأصبعها عشرات المعجبين ، لكن تأثير ميكي عليها كان كبيراً ، اذ كان الجميع يقدرونه ويعجبون به ، لذلك لم تقاومه ما دام يمكن ان تضيئ اشعة الشهرة وجهها الجميل .

يتطلب عمل المخابرات السرية رجالا كاملين ، وقوى كبيرة بخاصة اذا كان الامر يتعلق بالموساد ، وبأعضاء القوة الضاربة (هيت تيم) ، التي تتحرك في العالم ، مهددة بخطر مستمر ، ممن يكتشفون جرائمها ، وهؤلاء العملاء يحاولون التقاعد أبكر من موظفي التأمين مثلا ، وكان بامكان ضابط المخابرات السرية ميكي ان يودع نشاطه وهو في الخمسين من عمره الا انه لم يرد ان يجلس في احدى المتنزهات العامة بين المتقاعدين ، لذلك اخذ القيادة مرة اخرى واصطحب معه تماري التي طلبت بنفسها ان ترافقه .

متابعة كمال بن أمـان

أقام ميكي مع تماري في اوسلو ، في الفندق الفاخر ، كونتيننتال ، في الصباح اتصل هاتفيا بمسكن الطلاب بانوراما ، وطلب من مريانا جلادينكوف ان تقابله في

مقهى الفندق ، وحين وصلت ، كان ميكي ودان ايربيل وجوستاف بيستير ، ونورا هيفيند ، التي وصلت الى الدنمارك بجواز سفر الماني غربي مزورا ، كانوا جميعا منهمكين في العمل ويتداولون في الخطوة التالية .

قررت المجموعة متابعة كمال بن امان في مجموعات ، وبعد ان عادوا الى غرفهم وجمعوا اشياءهم ، وجوازات سفرهم المزورة ، انطلقوا اثنين اثنين أو ثلاثة ثلاثة ، ركب بعضهم السيارات ، وبعظهم الاخر ركب القطار السريع ، وفي نفس اليوم والساعة التقوا في ليليهمر ، وكان ذلك مناورة غير مقدرة العواقب ، ومخاطرة وتسرعا .

ليليهمر ، بلدة عدد سكانها عشرون الفا تقريبا ، تقع في وسط النرويج في منطقة مرتفعة وجميلة ، عند مصب نهر ميسن ، الذي يصب في بحيرة ميسن ، في الشتاء تجري تدريبات التزلج ، وفي الصيف يذهب السواح الى متنزه مايهوجن بابنيته الخشبية .

وصل الى هذه المدينة الناعسة عشرة جواسيس سريين اسرائيليين لمطاردة شخص عربي ، وكانوا مدربين على القتال على الجبهات غير المنظورة للعملاء السريين ، لم يستطيع احد ان يلحق بقناصة ميكي ، لكنهم كانوا يعملون في وسط كله ضجيج وحركة ، في المدن الكبيرة والموانئ المليئة بالشوارع الضيقة والمعتمة ، اما الان فقد وجدوا انفسهم في محطة قطارات ليليهمر تلك البلدة الصغيرة حيث يعرف كل مواطن فيها الاخر ، وبسهولة كانوا يعرفون الاجانب حال مجيئهم الى البلدة .

كانت لوحات سياراتهم تحمل اسم اوسلو ، وكان بإمكان الجميع معرفة ذلك حتى الاطفال وكل من كان في الشارع ينظر الى الفتاتين الجميلتين سيلفيا ، وتمارى ، فمن يعش تحت شمس فلسطين ، صيفا او شتاء يكون لونه برونزيا ، اما النرويجيون ، سكان المرتفعات ، فهم ذوو شعر اشقر وبشرة بيضاء شاحبة ، وعيون زرقاء ، لذلك فأن عشرة من ذوي الشعر الاسود والبشرة البرونزية بين أناس شعرهم اشقر ، وبشرتهم بيضاء يعني بادرة سيئة بالنسبة لعملاء سريين ، جاءوا بهدف القتل .

وصل كمال بن امان الى المدينة ، واكتشف العملاء وصوله بسهولة فقد سأل جوستاف عنه ، حال وصوله ، في المكتب السياحي الذي يؤمن السكن للسياح ، وحصل على اجابة واضحة ، ان كمال بن امان يسكن في بنسيون سكوت ، لم يكن ذلك فندقا بخمس نجوم لانه لايوجد في ليليهمر فنادق مثل هيلتون وشيراتون .

ليس من الضروري ، متابعة حركة العملاء السريين ، رغم انه امكن فيما بعد معرفة كل خطوة خطوها ، فقد اقتفوا كل اثر للضحية ، لكن بن امان ضاع منهم في بركة السباحة مرة ، ومرة اخرى في المطعم ، حيث ذهب لتناول طعام الغداء ، واضطر رجال ميكي الى تنظيم عملية بحث واسعة ليجدوه ثانية جلسوا بجانبه في قاعة الفندق ، حيث كان يشاهد التلفزيون ، كما ان اثنين رحلا الى البنسيون فأصبحا جيرانه ، اما بن امان فقد أكل وشرب ونام وذهب في نزهات حتى اصابه الملل ، ثم عاد الى اوسلو ، ولكن قبل مغادرته اثار حالة من الاستنفار لانه قاد مجموعة ميكي الى اثر الرجل الذي بحثوا عنه عبثا في كل ارجاء اوروبا ، وهو علي حسن سلامة .

كان اسم المقهى ، كارولينا ، وبحسب الطريقة الفرنسية ، فانه في اشهر الصيف تفتح الساحة التي امام الممر ، ويوضع فيها عدة طاولات ، وفوقها مظلات شمسية ، ومقابل المقهى كان مخفر الشرطة والبلدية ومحل تجاري حكومي للمشروبات الروحية ، في ذلك المقهى ، جلست مريانا جلادينكوف مع داني الذي حمل جواز سفر فرنسي بأسم رؤول كوسين ، جلسا على بعد عشرة أمتار من كمال بن امان وضيفه ، ثم انضم الى العميلين الاسرائيليين جوستاف بيستير واخرج الصورة التي كانت معه .

الخطأ القاتل (٢)

العثور علىٰ حسن سلامة وملاحقته إلىٰ مقر سكنه في أوسلو عمليات اغتيال زعيتر، الهمشري عبد الخير والقبيسي نفذتها فرق الموساد دون أي أثـــر!

من خلال الاحداث اللاحقة يمكن الاستنتاج بأن صورة علي سلامة كانت ملونة ، لكنها مكبرة عدة مرات ، لذلك لم تكن واضحة ، اخذ بيتسير ينظر الىٰ الصورة والىٰ الشخص العربي ، صحيح انه لم يكن له شاربان ، كما في الصورة لكن يمكن ازالة الشاربين بسهولة ، ودعا داني للتعرف علىٰ الرجل العربي بالمقارنة مع الصورة .

فيما بعد ، قالت ماريانا جلادينكوف : «لا أدري لماذا لم يرغبا بأن يُرياني الصورة ، لكنني بالرغم من ذلك لمحتها ، بعد عشر دقائق من التعرف قررا بأن الرجل العربي هو علي حسن سلامة ، وقد اثر علىٰ قرارهما تصرفات الشخصين العربيين ، ضحكا كما لو كانا صديقين قديمين ، تحدثا كما لو انهما يتكلمان عن شيء مهم ، كتب كل منهما علىٰ ورقة ثم تبادلا الورقتين ، اقتنع الكل بأن كمال بن أمان اجتمع مع رئيسه ، واخذ منه معلومات هامة ، وانهما يدبران عملية جديدة ضد المخابرات الاسرائيلية» .

* سألها القاضي : ماالذي قاد الىٰ هذه الخلاصة ؟

– أجابت : كل شيء .. حتىٰ الامور الصغيرة فسرورها علىٰ طريقتهم جلسنا علىٰ مقعد مقابلهما ، دفع ابن أمان الحساب ، نهض الاثنان ، تصافحا وودع

بعضهما البعض ، لم نكن نتوقع ان سلامة سيركب ، دراجة هوائية ، لم تكن لدينا سيارة في تلك اللحظة لذلك لم نستطع اللحاق به ، وتابعنا البحث عنه ، فقد رافقه شاب كان يدل مظهره علىٰ انه اوروبي ، جلس طيلة الوقت وحيداً الىٰ الطاولة المجاورة ، ذهب الىٰ فندق فيكتوريا ، حيث اضعناهما .

* القاضي : هل دخلا من الباب الخلفي ؟

– قالت : هذا ما لم نعرفه ، وجدناه ثانية بعد الظهر عندما ركب القطار السريع الىٰ اوسلو .

ملاحقة الى أوســـلو

بالطبع لاحقوه ، عندما خرج في الساعة الرابعة والنصف من محطة القطارات في اوسلو ، توقف بجانب مكتب سياحة ، لطلب استئجار غرفة وراقبوا فندق ستيفان ، حيث سكن ، وصل بلاغ من ليليهمر بأن يتبادلوا المراقبة ، ثم جاء امر غريب «اتركوا كمال بن آمان ، زملاؤكم اكتشفوا مخبأ سلامة» .

كان ميكي يعرف اكثر مما يعرف زملاؤه ، لم يقل لهم ان كمال بن أمان هو عميلهم ، وليس احد أفراد منظمة ايلول الاسود ، ضغطت المخابرات السرية الاسرائيلية في ظروف مناسبة ، على كمال بن أمان ، فقد كانت لديها وثائق تدينه ، وبالتهديد والابتزاز أجبروه ان يكون عبدا لسيدين ، وبذلك عمل لصالح الموساد .

كما هو الحال بالنسبة لكل عضو في المخابرات السرية ، فقد كان لكمال ابن أمان رجل اتصال ، يتلقىٰ منه الاوامر ويعطيه المعلومات ، ويطمئنه انهم لن يستخدموا الوثائق ضده ، الا اذا خانهم ، لم يكن لابن أمان أية علاقة مع اخرين ، ظهر ميكي في أوسلو فجأة ، اطلعه علىٰ هويته وكلمة السر فعرف ابن أمان انه يتحدث مع رئيسه الذي يجب أن يسمعه .

قال كمال بن أمان ، فيما بعد ، ان هذه القصة عارية من الصحة ، من أولها الىٰ اخرها ، وأنه لم يعمل للموساد ، وأن شخصاً اسمه ميكي ، لم يتحدث معه ، في تلك الامسية ، عندما عاد الىٰ اوسلو ، وكل ما قام به اتصل بالهاتف ببيته في

جنيف ، أراد أن يحادث زوجته ، لكن أحداً لم يرفع السماعة ، فغضب لأنه كان مقتنعاً بأن زوجته تقضي وقتها مع رجل بحري .

بينما كان تفسير الموساد مختلفاً تماماً ، اجتمع ميكي مع ابن أمان الذي أكد له بدون تحفظ ، بأن الرجل العربي الذي جلس معه في مقهىٰ كارولينا كان علي حسن سلامة .

* سأل ميكي : هل انت متأكد ؟

– أجاب أبن أمان : نعم .

* وكيف تفسر أنه يعرف ليليهمر جيدا ؟

– لا أدري ، اعرف انه علي حسن سلامة ، عضو منظمة ايلول الاسود ، ومنه كنت أتلقىٰ الاوامر .

هذا التفسير ليس مؤكداً ، بل ان وجود ميكي في أوسلو ، يوم الجمعة ليلاً ، كان مشكوكاً فيه ، رغم أن مريانا جلادينكوف ، تؤكد ذلك ، اذ انه في الساعة الثامنة صباح يوم السبت ٢١ تموز – يوليو كان في ليليهمر .

اما الشاهدة توريل ماتريو ، والتي تدرس في جامعة بيرغن ، فقد قالت في ٢١ تموز – يوليو عام ١٩٧٣ ، كنت مناوبة في قاعة الاستقبال بفندق فكتوريا ، حيث كنت اعمل خلال العطلة الصيفية ، بعد الساعة الثامنة بقليل جاء شخصان فرنسيان : رجل كبير وامرأة صغيرة وجميلة جداً لها شعر رائع ، وقعا بأسم لاسكيير ، اراني الرجل جواز سفر فرنسيا بأسم ادوارد لاسكيير سألتهما عن مدة اقامتهما ، فأجاب السيد لاسكيير : ثلاثة أو أربعة أيام وأعلماني بأنهما في اجازة ، يسافران خلالها في الدول الاسكندنافية ، وقالا بأنهما سعيدان في النرويج ، اما السيدة لاسكيير ، فقد كان شعرها عسليا تصورت انه باروكة ، لكنني الان اعترف بأنه شعر طبيعي ، كانت مميزة وجميلة جداً ، لكنها كانت حزينة .

تابع عملاء الموساد ضحيتهم ، لكن بدون نجاح ، كما كان الحال بالنسبة لكمال بن أمان ، كانت قيادتهم الرئيسية في موقف السيارات المقابل لمحطة القطارات حيث تواردت المعلومات وصدرت الاوامر والتوجيهات لميكي ، وفي الساعة العاشرة جاء

سيمينير لاهثاً ، وابلغهم ان حسن علي سلامة يتناول طعام الافطار في مقهىٰ كورنين ، وحالا سعوا وراءه .

تفاصيل المطاردة ، في هذه الحالة ليس مهماً فقد كانت النتيجة فشلاً جديداً ، فعشرة من العملاء المدربين ، لم يستطيعوا ان يبقوا رجلاً عربياً واحداً تحت انظارهم ، والاسوأ من ذلك ، ان هذا العربي لم يكن يخطر بباله أن احداً يطارده ، ضاع منهم في الازدحام ، فقد كان الشارع الرئيسي مزدحماً للغاية ، كما هو العادة في ايام السبت قبل الظهر ، كانت ليليهمر مملوءة بالوافدين من المناطق المجاورة للشراء ، وحينما وجدوا اثره مرة ثانية اكتشفوا أنه ذهب الىٰ بركة السباحة .

مريانا مع علي سلامة في حمام السباحة

ربما كانت فكرة عبقرية أن يلتقي عميلان سريان في الماء ، لذلك أرسلوا مريانا جلادينكوف الىٰ البركة ، لكن لم يكن معها مايوه للسباحة ، ركض أحد العملاء الىٰ أقرب متجر ، والاخرون احتلوا مداخل المسبح ، عاد العميل مسرعاً ، وهو يحمل مايوهاً ، نظرت اليه مريانا ، فاكتشفت انه اصغر من مقياسها بنمرتين علىٰ الاقل ، لم يكن في المتجر قياس اكبر ، فذهبت مريانا الىٰ المحاسبة ، لتستأجر مايوهاً أكبر ، ثم قفزت الىٰ الماء واقتربت من علي حسن سلامة .

كان يقف بزاوية البركة ، والماء يغطيه الىٰ ماتحت الكتفين ، ويتحدث مع رجل ذي شاربين ، يوحي شكله بأنه اوروبي ، حاولت مريانا أن تقترب بقدر استطاعتها ، كان الرجلان يتحدثان بالفرنسية ، لم تفهم كلمة واحدة مما كانا يقولانه ، لان البركة مملوءة بالاطفال ، يصرخون ويقفزون ، وبعد فترة قصيرة خرج الرجلان من الماء وذهبا الىٰ غرفة تغيير الملابس .

في الطريق تابع اخرون ملاحقته ، ارتدت مريانا ملابسها ، وذهبت الىٰ الفندق ، ألقت نفسها علىٰ السرير ، وراحت في نوم عميق .

سكن علي سلامة

اكتشفت مجموعة ميكي ، التي استمرت بمتابعة علي حسن سلامة ، بأنه ليس وحيداً ، فقد ذهب مع أمرأة حامل ، بدت كأنها نرويجية أو سويدية صعدا الىٰ الباص ، وذهبا الىٰ ضاحية فورباكن ، وفي شارع روجدوفين ٢ أ دخلا الىٰ بناية من تسعة طوابق وبذلك عرف العملاء الموساد أين يسكن علي حسن سلامة .

عندما قرر ميكي انه سيقود العملية مباشرة ، لم يكن ذلك يعني أنه حدد أستراتيجية وتكتيك قوته الضاربة وحيدا ، ففي تل ابيب ، وكانوا يعرفون كل خطوة هامة ، فقد قيموا المعلومات ، وارسلوا أوامرهم الىٰ ليليهمر للخطوة التالية .

كانت الاتصالات تتم دون أي خطأ ، كان ميكي غالباً يتصل هاتفياً بزفيم شتاينبرغ في أوسلو ، ويقوم هذا الاخير فوراً بنقل المعلومات الىٰ المركز في بروكسل ، حيث تحول بالشيفرة عن طريق الارسال الدبلوماسي الىٰ تل ابيب كان الاتصال موثوقاً وسريعاً ويثبت ذلك حقيقة ، ان مدير المخابرات السرية الاسرائيلية الجنرال زفي زامير ، ظهر في اللحظة المناسبة علىٰ بعد كيلومترات من مكان العملية .

انطلق زامير من تل ابيب بجواز سفر وأسم مزورين ، يرافقه حارسه الشخصي وأقام في استراحة السيارات اسو أولدورد ، علىٰ الطريق الدولية اي ٦ ، والتي تبعد ستين كيلومتراً تقريباً من ليليهمر .

مائير أقرت خطة الاغتيال

كان هذا دليلاً علىٰ الاهمية البالغة التي أعطتها تل ابيب لهذه العملية والتي كان هدفها اغتيال علي حسن سلامة ، وابلغ الوزراء بخطة القتل ، واعطت رئيسة الوزراء غولدا مائير موافقتها علىٰ العملية .

فما الذي دفع بالسياسين الاسرائيليين الىٰ التورط بقرار هام وبنفس الوقت خطير ، هل كان علي حسن سلامة فعلاً مهماً ، أو رجلاً خطيراً لدرجة أن تخاطر اسرائيل بسمعتها ؟

تابعت اسرائيل علي حسن سلامة ، منذ عملية ميونيخ ، وكان دائماً يفلت

منهم ، ظهر في برلين ، وبعد ذلك في بيروت ، وبعد اسبوع في اوروبا الغربية ، ولم يستطع أحد الاقتراب منه ، لذلك أصدرت تل ابيب أمراً لعملائها السريين بابادة الاشخاص الموجودين في القائمة السوداء .

وهكذا بدأ الصراع علىٰ الجبهة غير المنظورة ، والتي لم يعرف عنها عامة الناس كثيراً ، كان الصراع قاسياً لايرحم ، لم يرحم اللعبة النظيفة هاجم الاسرائيليون في الليل والضباب ، واطلقوا النار من مخابئهم ، ومرت جميع تلك الاحداث دون الكشف عن هوية القتلة ، فبعد تنفيذهم للجرائم ، كان يأتي خبراء يعرفون مسح كل أثر لهم .

ملاحقة زعيتر في روما

في بداية تشرين أول – اكتوبر عام ١٩٧٢ ظهرت في روما فتاة شقراء ملفتة للنظر ، دخلت احدىٰ البنايات ، نظرت لوحة الاسم علىٰ الباب ، وفي الطابق الارضي ، قرعت الجرس ، خرجت الخادمة سألتها : «هل يسكن هنا السنيور زعيتر ؟» ، أجابت : نعم سنيورا .

جلست الضيفة ، قدمت سيجارة للخادمة ، واخذت تطرح عليها الاسئلة معروف ان الخادمات في كل العالم يثرثرن كثيراً ، ومن يعرف كيف يتعامل معهن يتوصل لمعرفة الكثير ، إنهن وسيلة النجاة للمباحث السرية ، وبذلك توصلت الشقراء الىٰ أن العربي وائل زعيتر يستعمل المدخل «سي» وانه يعود لمنزله في ساعة متأخرة بالليل ، وأن أصله فلسطيني ، لكنه يعيش في روما ، منذ خمس عشرة سنة ، وأنه فنان وكاتب وشيوعي ، قدمت الشقراء شكرها ، وذهبت لتعاود الكرة بعد بضعة أيام .

لم يكن زعيتر كاتباً ، لكنه ترجم للايطالية قصص الف ليلة وليلة ، وله صداقات في دائرة الاشتراكيين ، وأهتم بكل مايتعلق بنضال حركة التحرر الوطني الفلسطيني ، كانت الشرطة الايطالية التي وضعته تحت رقابتها مقتنعة بأنه لايتعامل فقط مع حركة التحرير الفلسطينية – فتح ، بل كان ايضاً يتعامل مع منظمة ايلول

الاسود ، عندما تم تفجير خط البترول في بلدة تريستا عام ١٩٧٢ ، اقتادوه الىٰ مديرية الشرطة ، حيث حققوا معه كانت لديه حجة دامغة ، فقد اثبت انه كان في روما ، كان لزعيتر أخ في ميونخ بعد عملية ميونخ اعتقله الالمان الغربيون ، وحققوا معه .

كان ميكي مقتنعاً أن زعيتر هو رئيس منطقة ايطاليا في منظمة ايلول الاسود وأكد أن له أصابع في عملية الطائرة الاسرائيلية التابعة لشركة العال في آب – اغسطس عام ١٩٧٢ ، فقد غادرت الطائرة بوينغ ٧٠٧ من مطار ليوناردو دافنشي من روما الىٰ تل ابيب وكان علىٰ متنها فتاتان بريطانيتان ، رافقهما الىٰ المطار شابان عربيان ، تعرفتا عليهما أثناء اقامتهما في المدينة ، قدم الشابان لهما هدية وداع ، كانت عبارة عن شريط تسجيل كاسيت .

احدىٰ الفتاتين وضعت الشريط في حقيبتها قبل السفر ، مما انقذ حياة ركاب الطائرة ، كان الشريط عبارة عن قنبلة موقوتة ، تنفجر حالما ترتفع الطائرة الىٰ حد معين ، فلو انفجرت داخل الطائرة كما افترض الشابان لدمرت الطائرة بأكملها ، اما الانفجار في مكان وضع الامتعة ، فلم يكن يشكل خطراً ، اذ أن شركة الطيران الاسرائيلية العال ، وضعت في كل طائراتها جدرانا مصفحة في الامكنة المخصصة للامتعة .

حينما انفجرت العبوة ، ظهرت اشارة ضوئية في غرفة القيادة ، اتصل كابتن الطائرة حالاً ببرج المراقبة في روما ابلغه ماحصل طمأنوه ، وابلغوه انهم سيخلون احد الممرات ، وتوجه الكابتن بالبوينغ الضخمة ، الىٰ المكان المحدد بهبوط رأسي حاد ، حيث كان رجال الاطفاء مستعدين وقاموا باطفاء الحريق الناشئ عن الانفجار ، اعترف الطيار للصحفيين بأنه كان طياراً حربياً ، وكان يقود طائرات سكاي هوك ، مما مكنه من انزال الطائرة بشكل جيد .

لم يثبت ابداً ان وائل زعيتر كان له صلة بهذه العملية ، ولم يجد احد أية اثباتات عن اشتراكه في عمليات اخرىٰ ، موجهة ضد اسرائيل ، ومع ذلك فقد اصبح ضحية للضربات الارهابية الاسرائيلية التي نفذتها الموساد .

الاغتيـــال

في ١٦ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٧٢ ، زار صديقته الايطالية ، ومكث عندها حتىٰ الساعة العاشرة ليلاً ، ثم ذهب الىٰ بيته ، في طريق عودته عرج علىٰ احد المقاهي حيث استعمل الهاتف ، تكلم باللغة الايطاليه ، في الساعة العاشرة والنصف دخل الىٰ البناية التي يسكن فيها من المدخل «سي» ودخل بعده حالاً اثنان من السكان ، لمحا في ردهة البناية اشخاصاً مجهولين مختبئين في العتمة ، مما اثار شكوكهما ، عادا خارجين وقررا الدخول من مدخول اخر ، في اللحظة التي كان فيها في الشارع ، سمعا صوت اطلاق رصاص حينما جاءت الشرطة كان زعيتر ملقىٰ علىٰ الارض في بركة دم مصاباً بطلقات عيار ٦٫٣٥ .

تبين من تحقيقات الشرطة في جريمة القتل ان سيارات فيات ١٢٥ زيتية كانت تقف بالقرب من البناية ، كان فيها رجل وأمرأة شقراء ، فيما بعد تبين ان الشقراء كانت تماري وشريكها ميكي ، وحتى/ لايثيرا الشبهة تعانقا مما لفت أنتباه الذين خرجوا من دار سينما قريبة وقف بعضهم ، واخذ يطلق التعليقات علىٰ العشيقين ، في تلك اللحظات ركض رجلان من المدخل (سي) حيث كان يسكن زعيتر .

في محضر شرطة روما قدم بعض شهود العيان افادتهم حيث قالوا : كانت يد احدهما في جيب جاكيته ، كما لو كان يمسك بها شيئاً ، مرا بين مجموعة من الناس الىٰ الرصيف ، وقفزا الىٰ السيارة التي انطلقت فوراً ، علىٰ تقاطع الشارع الثاني ، كادت السيارة الفيات التي تسير بشكل خطر وبدون اضواء ان تصدم باصا صغيراً ، ثم اختفت في الظلام .

في نفس الليلة وقفت سيارة اخرىٰ ، كان فيها رئيس الموساد ، الجنرال زفي زافير وحارسه الشخصي ، حيث كان يراقب مايجري ، وجدت الشرطة الايطاليه حوالي منتصف الليل سيارة فيات ١٢٥ زيتية اللون ، في شارع قريب من الشارع الذي تمت به جريمة القتل ، ولم يجدوا علىٰ السيارة بصمات اصابع لكنهم وجدوا طلقات غير مستعملة من عيار ٦٫٣٥ صنعت في المانيا الغربية ، وهي نفس الطلقات التي اغتيل بها وائل زعيتر .

لم يكتشفوا القتلة الذين طاروا من مطار رواما بجوازات سفر مزورة وبحسب اعلان الشرطة ، لم يمكثوا في ايطاليا بعد الحادث اكثر من مئتين وخمسين دقيقة .

هذه الجريمة تذكر بافلام الجريمة الاميركية ، لكن هذه الجريمة الرهيبة لم تكن الوحيدة ، فالفلسيطينيون الذين استنكروا الجريمة ، خرجوا في مظاهرات عارمة ، تؤيدهم قوىٰ السلام العالمي ، لكن الموساد الاسرائيلية قررت المضي في طريق الارهاب والجريمة .

..**وأغتيال محمود الهمشري** كان الدكتور محمود الهمشري يعيش في روية دي اليسيا ١٧٥ ، في باريس كان رجلاً في الستين من عمره ، ومعروفاً كممثل غير رسمي لمنظمة التحرير الفلسطينية ، اكدت الموساد ان له علاقة واتصالات مع منظمة ايلول الاسود واتهموه بتنظيم عمليات فلسطينية أودت بأرواح العشرات .

جاءت المجموعة (ى) من تل ابيب الىٰ باريس لدراسة الميدان ومعرفة عادات الضحية المطلوبة ، كان الدكتور الهمشري متزوجاً وله طفلة ، كانت زوجته ترسل الطفلة الىٰ مدرستها كل يوم ، وتعيدها الىٰ البيت بعد انتهاء الدوام المدرسي ، وخلال ذلك يبقىٰ محمود الهمشري وحيداً في البيت ، هذه هي كل المعلومات التي بنت عليها الموساد خطتها .

كان الدكتور الهمشري علىٰ اتصال دائم بالصحفيين كممثل فلسطيني لمنظمة التحرير ، وكانت الصحافة العالمية ترغب بسماع ارائه ، لذلك لم يستغرب ذات يوم ، حينما اتصل به صحفي ايطالي لاجراء مقابلة صحفية معه تقابلا في مقهىٰ قريب ، في حين كانت زوجته وابنته خارج البيت في طريقهما الىٰ المدرسة .

في هذه الفترة ، دخل فنيو الموساد الىٰ بيت الهمشري ، وركبوا في جهاز الهاتف متفجرة صغيرة بينما كان ستة عملاء اسرائيليين يغطون مهمتهم في الشوارع المحيطة .

كانت المتفجرة الصغيرة اكتشافاً شيطانياً ، فلم تكن قنبلة عادية تنفجر عندما ترفع سماعة الهاتف ، فقد بقيت يومين دون ان تنفجر ، رغم ان الهمشري استعمل الهاتف مرات عديدة ، واستقبال مكالمات عديدة ايضاً .

في ظهيرة اليوم الثامن من شهر كانون اول – ديسمبر ، وبينما كانت زوجة الهمشري ذاهبة لاحضار الطفلة من المدرسة ، قرع جرس الهاتف ، وسأل الصحفي الايطالي مرتين فيما اذا كان الدكتور الهمشري يرد علىٰ الهاتف وتبع ذلك اشارة صوتية عالية ، كان ذلك اخر ماسمعه الدكتور ، لأن العبوة الصغيرة قد انفجرت .

كتب الكثير حول هذه الجريمة ، في الصحافة العالمية ، لأنها جريمة منفرة ودنيئة ، لكن الكثير من الصحفيين لم يخفوا اعجابهم بهذه الاعجوبه التقنية الصغيرة التي يمكن ان تتفجر عن بعد .

اراد رؤساء الموساد ارهاب الرأي العام العالمي ، والدوائر العربية والفلسطينية وارادوا استعراض قدراتهم ، وتحذير الجميع بأنهم قادرون علىٰ الوصول الىٰ اعدائهم ، حتىٰ ولو اختبأوا في خزنة البنك المركزي الفرنسي ولم تكن هذه الجريمة اخر جرائمهم .

.. **وحسين عبد الخير**

جاء ميكي وجوناثان انجليبي في كانون الثاني – يناير عام ١٩٧٣ الىٰ نيقوسيا في قبرص ، ونزلا في فندق اولمبيك ، وقبل ذلك ببضعة اسابيع وصل الىٰ الجزيرة الفريق الضارب الاسرائيلي ، لكي يجهزوا ارضية الجريمة .

وصل حسين عبد الخير في ٢٤ كانون الاول – يناير ، في ساعة متأخرة من الليل الىٰ غرفته في نفس الفندق ، اتهمته المخابرات السرية الاسرائيلية بالاتصال بمنظمة التحرير الفلسطينية ، وبحسب المعلومات التي وردت الىٰ الفصائل الفلسطينية المقاتلة .

خلع ملابسه ، وارتدىٰ بيجامته ، والقىٰ نفسه علىٰ السرير ، ومد يده لاطفاء النور بجانب السرير ، في تلك اللحظة دوىٰ انفجار اودىٰ بحياته .

من خلال التحقيقات التي قامت بها الشرطة القبرصية تبين أن العبوة التي قتلت حسين عبد الخير ، لم تكن موصولة بالنور وانما فجرت باللاسلكي من مكان قريب من الفندق ، فقد كان عميل الموساد ينتظر في مخبئه ويراقب شباك غرفة حسين عبد

النور ، وعندما اطفأ النور ضغط علىٰ زر اللاسلكي وحدث الانفجار .

.. وباسل القبيسي

كانت شوارع باريس مملوءة بالناس في ١٦ نيسان – ابريل عام ١٩٧٣ ، مر رجل في الاربعين من عمره ، انيق الملبس ، ذو شعر اسود ، أنه البروفسور العراقي باسل القبيسي ، الذي كان يحاضر في الجامعة الاميركية ببيروت ، كان في باريس لقضاء اجازته ، كان الطقس جميلاً وحاراً في شهر نيسان – ابريل وكانت الشمس تضيء كنيسة القديسة مجدولين .

عاد البروفسور القبيسي من مطعم مكسيم ، كان معجباً بالاثار التاريخية وفي بيته ببيروت توجد صورة كنيسة القديسة مجدولين ، لذلك ذهب ليتنعم بالفن المعماري التاريخي ، كان البروفسور رجلاً مثقفاً ، وكانت الموساد مقتنعة بأنه عدو خطير ، وكان كما قالت الموساد مسؤولاً عن مخازن الاسلحة والمتفجرات في سفارات عربية كثيرة في معظم الدولة الاوروبية ، وقيل انه كان ينقلها بالحقيبة الدبلوماسية .

لو كان قادة الموساد مقتنعين بأن البروفسور القبيسي يقوم بنشاط محرم ولديهم الاثباتات لأبلغوا السلطات الفرنسية ، التي ستتصرف بحسب القواعد القانونية الدولية المعمول بها ، وتطلب منه مغادرة الاراضي الفرنسية ، أو تقوم بتقديمه الىٰ المحكمة ، لكن مجرمي المخابرات السرية الاسرائيلية ، قرروا ان يمضوا في غيهم ، واخذوا يراقبون باسل القبيسي ، وتوصلوا الىٰ معرفة الاشخاص الذين يقابلهم ، وقرروا ان يقتلوه علىٰ مسرح مكشوف .

كان يقف امام الكنيسة ثلاثة سياح بالاضافة الىٰ اخرين ، راقبوا سير القبيسي وعندما رآهم هم بالافلات منهم ، فركضوا خلفه ، ولحقوا به بضعة خطوات ، سحبوا من تحت معاطفهم المسدسات ، ومن مسافة متر أو اثنين اطلقوا عليه النار .

تسع طلقات قتلت البروفسور الجامعي ، في عشية احد الايام العادية في وسط باريس ، وفي شارع من اكثر الشارع حركة ، وبين مئات من الباريسيين ومع ذلك فأن احداً لم يمسك بالقتلة الذين تمكنوا من الفرار .

المسؤولون عن التحقيق بالحادث وقعوا في حيرة شديدة ، استمع المحققون لاقوال عشرات من شهود العيان ، لكن لم تتطابق اية شهادة مع شهادة اخرىٰ كان القتلة ثلاثة ، وربما كانوا خمسة ذهبوا بسيارة من نوع ستروين ، وربما بسيارة فيات أو سيارة مرسيدس ، وبعضهم أكد أنها سيارة بمقعدين من نوع رياضي ام . جي . كان استراتيجيو الموساد يستغلون عدم وضوح افكار الشهود وبقيت الجريمة غامضة . لم يبحث عن القتلة ، وغرقت الشرطة الفرنسية بالعار ، ووصفها الصحفيون بالفاشلة والعاجزة .

الخطأ القاتل (٣)

عملية بيروت .. أسفرت عن ١٢ شهيداً و ٢٩ جريحاً ..

٢٢ طلقة .. في جسد الشهيد علي حسن سلامة

الشهـــداء

كان الضحية الاولى لهم ، محمد يوسف النجار ، المعروف بأبي يوسف ، والذي كان يقال عنه بأنه الرجل الثاني في اللجنة التنفيذية بعد ياسر عرفات . فقد وضعوا عبوة ناسفة صغيرة في مدخل شقته ، وبعد تحطيم الباب بالعبوة اقتحموا الشقة ، واطلقو االنار على النجار وزوجته وقتلوهما أمام اعين اطفالها ، وعندما ارادت امرأة تسكن في شقة مجاورة معرفة مايجري قتلوها ايضاً .

أما الضحية الثانية ، فقد كانت الشاعر الفلسطيني المعروف ، وأحد قادة منظمة التحرير ، كمال ناصر ، عندما اندفع الارهابيون الى شقته واغتالوه بينما كان جالسا خلف طاولة المكتب ، يحضر كلمة سيلقيها .

أما الضحية الثالثة ، فقد كان كمال عدوان أحد قادة فتح ، واحد أعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية .

وبعد أن نفذ القتلة جريمتهم ، انسحبوا حالا لتظهر مجموعة اخرى من العملاء السريين لاسرائيل ، الذين قاموا باغتصاب كل الوثائق المكتوبة وأكد مكتب المطبوعات الاسرائيلي ، انها غنيمة لا تقدر بثمن .

في تلك الاثناء ، هاجمت مجموعة اخرى من القتلة مكتبا للجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين في جنوب بيروت قرب مخيم للاجئين اندفع الارهابيون الى المكتب بعد أن قتلوا رجلين كانا يحرسانه ، نبهت الطلقات فدائيي الجبهة الديموقراطية الموجودين في الداخل ، فتحوا النوافذ ، واخذوا يطلقون النار على الارهابيين ،

واندفعت مجموعة رجال من المخيم ، لدعم الفدائيين ، ولم يتمكن الاسرائيليون سوى وضع عبوة تفجرت فيما بعد ، وغطوا انسحابهم باطلاق نار كثيف ، حاملين معهم قتيلين وجريحين .

وفي الجزء الشمالي من مدينة بيروت ، دخل المظليون الاسرائيليون الى مخازن منظمة التحرير الفلسطينية بالمتفجرات ، وأكد شهود عيان ان الهجوم كان مدعوما بطائرات هيلوكبتر عسكرية لنقل القتلى والجرحى والوثائق التي نهبوها ، وفي الوقت الذي انطلقت بها سيارات الارهابيين الى الشاطئ ، ألقت طائرة مسامير حديدية خاصة في الشوارع المجاورة ، لكي لا يتمكن أحد من ملاحقتهم .

وأسفر الهجوم عن اثني عشر شهيدا ، وتسعة وعشرين جريحا من الفلسطينيين واللبنانيين .

لم تخف اسرائيل ارتياحها للعملية ، فحتىٰ ذلك الحين ، كانت اسرائيل تنفي اشتراكها بعمليات الاغتيال ، خاصة وانه لم يتمكن احد من القبض على القتلة ، ولم تثبت التهمة على الموساد ، لكن هذه المرة كان الشيء مختلفا .

عندما عاد الارهابيون الى حيفا ، كان بانتظارهم قائدهم الجنرال ديفيد اليزار لكي يحييهم ، ويشكرهم على عملهم تحت جنح الظلام ، وقال للصحفيين :

«لا نستطيع كسب الحرب اذا كنا سندافع فقط ، ولاننا لا نستطيع منع الحرب فسوف نعمل بسرعة وقوة ، لكسب الانتصار ، كما فعلنا في الماضي» .

كان ذلك تصريحا غريبا لموظف اسرائيلي رسمي ، بعد هجوم على اراضي دولة اخرى ، خرقت بها اسرائيل كل القوانين الدولية ، وأعلنت رئيسة الوزراء غولدا مائير بفرح أمام الكنيست الاسرائيلي ، وقالت ، لقد كان ذلك رائعا ، لقد قتلنا القتلة قبل أن يقتلونا ..

انطلقت في بيروت مظاهرات كبيرة ، ضمت اكثر من نصف مليون شخص ، وفي القاهرة تجمع مئات الالوف من المصريين الغاضبين في صلاة على أرواح الشهداء .

أثناء تلك المجزرة ، والتي أثارت العالم كله ضد اسرائيل ، ظهرت على مسرح

الاحداث امرأتان ، كانت الاولى غولدا مائير ، التي أعلنت ، بعد أحداث ميونيخ «العين بالعين والسن بالسن» وبذلك فتحت الطريق أمام القوة الضاربة للموساد ، لارتكاب الجرائم .

اما المرأة الثانية ، فقد كانت مونيكا برونو ، سكرتيرة البلجيكي جلبرت ريمبرت ، رآها الشهود اثناء العملية تصرخ بحقد اسود : «اقتلوا ، اقتلوا» ، كانت تشبه الى حد كبير تلك الشقراء التي انتظرت قتلة وائل زعيتر في روما ، وتذكر بتماري في عملية ليليهمر ، أما الرجل الذي رافقها ذلك البلجيكي ، يفترض أن يكون ميكي .

ولنعد الى ليليهمر ، لقد عرضنا طريق الاتصال ، التي أرسل بها ميكي المعلومات الى تل أبيب ، وبناء عليها تلقىٰ الاوامر ، كانت الاتصالات تجري دون أية صعوبة ، ويؤكد ذلك انه في ٢١ تموز – يوليو ، وفي الساعة الثانية بعد الظهر ، أي في اليوم الذي اكتشف فيه عملاء الموساد علي حسن سلامة في ذلك الحين جاء الى فندق أوبلاند ، بالاضافة الى القاتل انجليبي قناصان محترفان من اعضاء المجموعة الضاربة ، وسجلا اسميهما في الفندق باسم رولف بيهو وجيراردر اميل لافوند .

حافظ العملاء على رقابة متواصلة للبيت الذي اختفى فيه علي حسن سلامة مع المرأة النرويجية الحامل ، جلسوا في سيارات واقفة ، وداروا حول البيت وتناوبوا الحراسة .

بحيرة ميسا ضيقة ، وتمتد عدة كيلومترات في واد يقع في منتصف الطريق بين أوسلو وليليهمر ، في منتصفها لسان تقع عليه بلدة صغيرة هي هامر ، يبلغ عدد سكانها حوالي خمسة عشر الفا ، فيها بضعة فنادق ، وكثير من الابنية القديمة والجميلة ، في فندق واقع على الطريق الدولية نزل مدير الموساد الجنرال زفي زامير ، بجواز سفر مزور واسم مستعار هو تاهل ، نزل في ذلك الفندق ليتابع العملية عن قرب .

أن الذي يصلح كرئيس الموساد ، يجب أن يكون ذئبا أو اسدا ، لكن نتائج مجموعات الموساد الارهابية بقيادة زامير تنفي ذلك ، فعدد القتلى الذين سقطوا بين

انه رئيس قاس ومجرم محترف .

وفي حادثة ليليهمر ، تلقى زامير أمراً شخصيا من رئيسة الوزراء غولدا مائير ، لتحضير جريمة اغتيال علي حسن سلامة ، وهذه الجريمة تمت على أعلى مستوى ، ويتحمل مسؤوليتها كل القادة الصهاينة .

لماذا كان كل ذلك ؟ ولماذا خاطرت اسرائيل بسمعتها السياسية والاجتماعية ؟ ولماذا عرضوا انفسهم لهذه الفضيحة الكبرى ، أكان على سلامة خطيراً لدرجة تنظيم عملية اصطياد كانت مساحتها نصف الكرة الارضية ؟

لقد وقف علي حسن سلامة كشبح رهيب ، أمام الاعين التي عماها الحقد والثأر وأقلق نوم قادة اسرائيل .

خطف الطائرة اليابانية

في ٢٠ تموز – يوليو عام ١٩٧٣ ، اي قبل يوم من معرفة عنوان علي حسن سلامة في الوقت الذي جلس فيه مع كمال بن أمان في المقهى ، أعلن عن اختطاف طائرة جديدة من نوع جمبو جيت بوينغ ٧٤٧ ، وتتسع لـ ٣٥٠ راكبا وتابعة الى الخطوط الجوية اليابانية «جال» .

انطلقت الطائرة الضخمة من مطار امستردام ، وعلى متنها ١٢٣ راكبا فقط ، طارت الى طوكيو ، مع الهبوط في الاسكا للتزود بالوقود بحسب البرنامج .

حرك الكابتن الطائرة في الساعة الخامسة عشرة وثلاثين دقيقة ، وبعد نصف ساعة اندفع الى غرفة القيادة فدائيون عرب ويابانيون ، وتحت تهديد السلاح ، وأملوا شروطهم على قائد الطائرة ، غيروا ، قبل كل شيء ، اشارة النداء وطلبوا الاتصال ببرج المراقبة لاعلامه بأن بقية الرحلة سوف تتم باسم «عملية جبل الكرمل» .

أثار هذا الخبر الذعر في تل أبيب ، فالكرمل جبل تقوم عند سفحه مدينة حيفا ، وفسر قادة الموساد الذين لم تبق لديهم ضمائر حية ، فسروا ذلك على طريقتهم ، فقد سمعوا بأن منظمة أيلول الاسود تعد لعملية ضد اسرائيل ستهز الرأي

العام العالمي ، وتنبه الى البؤس الذي يعيشه الشعب الفلسطيني الذي شرد في المخيمات منذ عشرات السنين . واقتنع قادة الموساد بفكرة تقول : ان الفلسطينيين يستعدون لخطف طائرة واسقاطها فوق حيفا ، واسم العملية عملية جبل الكرمل توحي لهم بذلك .

بناء على أوامر المختطفين ، غير قائد الطائرة الاتجاه الى الشرق الادنى ، واثناء الرحلة طلب المختطفين من اسرائيل اطلاق سراح الياباني المسجون في اسرائيل كوزا أوكاموتا ، وهو أحد افراد المجموعة المكونة من ثلاثة فدائيين أعضاء في الجيش الاحمر الياباني والتي قامت بعملية فدائية في مطار اللد ، وبحسب الاعلان اللاحق للموساد ، أكدوا ان الطائرة المختطفة تتجه الى احدى المدن الاسرائيلية ، على طريقة كاميكادزا الانتحارية اليابانية .

وعندما وصلت الطائرة الاجواء القبرصية ، أعلن المختطفون انهم مستعدون للنضال ضد الامبريالية حتى اخر قطرة دم .

استنفار في اسرائيل

اعلنت قيادة الجيش الاسرائيلي حالة الاستنفار ، وانطلقت من القواعد العسكرية الجوية مقاتلات الفانتوم ، مجهزة بصواريخ جو – جو لتعترض الطائرة المدنية ، وطوقت الدبابات والسيارات المصفحة جميع الممرات تحسبا من هبوط مفاجئ ، كما ان بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات كانت في حالة استعداد لاسقاط الطائرة المدنية .

لكن كل شيء انتهى خلاف ذلك ، فقد طارت الجامبو بمحاذاة الحدود الاسرائيلية ، ثم بناء على طلب المختطفين ، حاول قائد الطائرة ان يهبط في بيروت ، لكن اللبنانيين رفضوا ذلك ، كذلك الامر في البصرة والبحرين وأخيراً تلقى الكابتن سماحا بالهبوط في مطار دبي .

بقيت الطائرة واقفة في طرف المطار ، وعندما سأل البرج المختطفين بماذا يفكرون ، اجابوا بانهم ينتظرون التعليمات ، وفي تل ابيب فسر الاسرائيليون هذا الرد

على طريقتهم ، بأن المختطفين سينزلون الركاب وطاقم الطائرة ، وبالتأكيد كان بينهم طيار محنك ، سوف يطير ويتوجه بالطائرة كقنبلة مدمرة الى حيفا .

أمر بالقتل !

في هذا الوضع الحرج ، وفي لحظات التوتر العام ، كما هو الحال في حالة الاستنفار ، تلقى ميكي أمرا بقتل علي حسن سلامة .

هل كان انتقاما ؟ أن هذه الذريعة كانت حجة واهية . فلم يتم أي هجوم وقد حصلت تراجيديا على متن الطائرة في اللحظات الاولى من انطلاقها .

كان قائد المختطفين امرأة اسمها بحسب جواز السفر المزور الصادر في الاكوادور ، كاترين جورجي توماس ، ولم يعرف من اين جاءت ، وما جنسيتها الحقيقة ، وبحسب قواعد العمل ، فأنها وحدها كانت تعرف خطة وهدف العملية أما الاخرون فكان عليهم تنفيذ الاوامر .

في البوينغ ٧٤٧ ، والمسماة جامبو ، طابقان ، في الطابق العلوي بار فسيح ومقاعد عالية ، وبضعة مقاعد مريحة يمكن ان تدور حول نفسها .

صعدت كاترين الى البار ، حيث قدم لها المضيف قدحا من الشمبانيا شكرته وسألته كيف يمكنها ادارة الكنبة وضعت حقيبة اليد على الارض ، سحب المضيف يد الكنبة وادرها ، فاصبحت الحقيبة خلفها ، لم تقف بل سحبتها بيدها كان فيها مسدس وقنبلة يدوية ، ونتيجة للحركة غير الحذرة سقط مسمار الامان دون ان تنتبه ، وضعت الحقيبة في حضنها ، فانفجرت القنبلة ومزقت جسدها .

حدث ذلك قبل أن يعرف طاقم الطائرة بوجود مختطفين عليها ، وبعد انفجار القنبلة في الطابق العلوي ، اندفع اعضاء المجموعة المختطفة الى غرفة القيادة ، واشهروا مسدساتهم ، واجبروا الكابتن على تغيير وجهته دون معرفة الهدف والوسيلة .

وبذلك لم يحصل هجوم على حيفا ، ولا يستطيع احد أن يجزم بأنه كان مخططا له .

اما ميكي ، فقد بدأ عملية ضد علي حسن سلامة .

– سأل القاضي ارلينغ هوجين المتهمة مريانا جلادينكوف : ما علاقتك بداني الذي ظهر بأسم راؤول كوسين ؟

* أجابت : اذا كنتم تقصدون علاقة غرامية ، فلا يوجد .

– لقد نزلتما في غرفة بسريرين .

* ولا شيء اكثر من ذلك .

– هل كنت تعرفينه من قبل ؟ وهل كنت تعرفين شيئا عنه ؟

* لا ، تلقيت امرا بالعمل معه ، وكان علينا ان نبدو كعاشقين .

– وتابع كلاكما مراقبة الضحية ؟

* جلسنا في سيارة يابانية من طراز مازدا ، وراقبنا رقم ٢ أ في شارع روجيفين ، كنا هناك وحيدين ، أما الباقون فقد ذهبوا للعشاء .

– كم كانت الساعة ؟

* السابعة والنصف ، بعد ذلك بوقت قصير خرج علي حسن سلامة ، ومعه المرأة النرويجية الحامل ، مرا عبر الحشيش ، واتجها الى المدينة .

– ماذا كانت تريدي النرويجية ؟

* كانت ترتدي معطفا ضد المطر ، لونه اصفر فاتح ، شغل داني السيارة وسار بضعة عشرات من الامتار ، حتى لا يختفيا عن اعيننا ، وقال لي بأنه سيذهب وراءهما سيرا على الاقدام ، بينما اذهب انا الى ميكي وابلغه بما يجري .

– هل نشبت هنا المشاجرة ؟

لم أعرف قيادة المازدا اليابانية ، لم اجلس في حياتي خلف مقود سيارة كهذه ، لقد خفت ان اتسبب في حادثة لذلك رفضت ، شتمني داني وأراد ان يصفعني على وجهي ، لكنه هدأ قليلا ، في تلك اللحظة مر الاثنان من جانبنا ، قفز داني ، وذهب خلفهما وبقيت وحدي في السيارة بعد قليل تمكنت من تشغيل السيارة وذهبت الى المدينة ، لكني في الطريق التقيت بميكي وتمارى في سيارتهما الفولفو الخضراء .

– هل كان ذلك في شارع مارتين سيبس ؟

* في ذلك الحين ، لم اكن اعرف ان ذلك الشارع بهذا الاسم .

عاد ميكي الى مجموعته ، وقبل ذلك اتصل هاتفيا من فندق اوبلاند مع رجل الاتصال ستاينبرغ زفايك ، وتم الاتصال بتل أبيب بواسطة عميل اخر وصل منذ فترة قريبة الى السفارة الاسرائيلية في اوسلو ، كان اسمه مايكل دورف ، ، كان يحمل لوحات الكود الجديد ، أرسل بالشيفرة المعلومات الجديدة الى تل أبيب بواسطة الهولندي دين هاغ ، وبنفس الطريقة جاء امر قتل علي حسن سلامة .

من هـو علي حسن سلامة

من كان علي حسن سلامة الذي وضع اسمه في رأس القائمة الاسرائيلية السوداء ؟ لم يكن ارهابيا ، وانما كان استراتيجيا وتكتيكيا في منظمة التحرير الفلسطينية ، لم يكن حسن سلامة اسما فقط ، بل كان شبحا خطيرا ، يمكن ان يهجم في اية لحظة واي مكان ، وان يختفي في الوقت المناسب دون ان يترك اثرا ، كان حسن سلامة ، والد علي في الثلاثينات والاربعينات يقود الفدائيين الفلسطينيين كان يسكن في منطقة الرملة ، في قرية مرتفعة على الطريق ما بين تل ابيب والقدس ، وهو الذي راقب المنطقة وحاصر تموين القدس واصبح كالشبح المرعب بالنسبة للصهاينة .

عام ١٩٤٨ تمكنت احدى فصائل الهاغانا ، بعد صراع طويل ، أن تضع قنبلة في خيمة الشيخ حسن سلامة ، التي دمرت كل شيء وقتلت والد علي حسن سلامة .

هربت الام ومعها ابنها علي البالغ من العمر خمس سنوات الى مخيم اللاجئين في نابلس في الضفة الغربية لنهر الاردن ، وهناك نشأ وترعرع علي بين الاطفال اللاجئين المشردين الذين حرموا من الارض والبيت ، عاش البؤس والمعاناة ويأس الابرياء في المخيم .

لكن عليا لم يكن طفلا جبانا ، فقد نما منه رجل مثقف ، جميل وواثق من

نفسة ، وكان ، وهو طفل يتصرف كشيخ مثل ابيه ، وبعد أن انهى الثانوية العامة درس في الجامعة الاميركية ببيروت ، وانضم الى حلقة المناضلين الفلسطينيين الذين اضاءوا طريق النضال للعودة الى الوطن وقيام دولة فلسطينية مستقلة .

لقد خلقت التقاليد العائلية من ابن الشيخ حسن سلامة شخصية قيادية في حركة المقاومة ، بالاضافة الى انه تزوج فتاة من عائلة الحسيني وهي من اكثر العائلات احتراما في العالم العربي ، كان جد زوجته مفتي القدس والذي كان في الثلاثينات والاربعينات شوكة في اعين المهاجرين اليهود .

كان طبيعيا أن يلتقي بياسر عرفات وقد حصل ذلك في الستينات اهتم قائد الثورة الفلسطينية بقدرات ومواهب وشجاعة هذا المناضل ، ذهب علي لفترة ما ، الى مدرسة الاستخبارات ، وعندما عاد ظهر بجانب قيادي الثورة الفلسطينية ، وبسرعة حصل على سمعة عالية كسمعة والده ، واصبح شبحاً مرعبا للاسرائيليين كما كان والده ذات يوم .

* استمرت مريانا جلادينكوف في اجابتها قائلة : لقد قلت لميكي أن الاثنين غادرا الى المدينة ، لكنه لم يبد اهتماما ، ربما لانه كان يعلم بذلك لكنه فاجأني حينما أمرني بالعوده الى الفندق وان اجهز حقائبي لاننا سنغادر .

– القاضي : ذهبت أذن الى فندق كرونين ؟

* نعم ، لكن فرانسوا قال لي بانهم وضعوا حقيبتي في السيارة .

– كم كانت الساعة ؟

* حوالي الثامنة ، ولم اكن قد تناولت طعام العشاء بعد ؟

جمع العملاء السريون الاسرائيليون ، امتعتهم من فندق كورنين ، وفندق اوبلاند ايضا ، دفع جوناثان انجليبي الحساب وغادر .

قالت الطالبة توريل ماتريه في شهادتها ، حيث كانت تعمل في الاستقبال في فندق فيكتوريا : (ابلغني لاسكير انه سيترك الفندق هو وزوجته ، كان ذلك غريبا) ، اذ ليس من المعتاد ان يترك الضيوف الفندق مساء ، لكن السيد لاسكير شرح لي بأن مشاجرة وقعت بينه وبين زوجته . قلت له بأنه ليس من الضروري ان

يدفع اجرا كاملا عن الغرفة ، ما دام انهما لن يناما فيها ، لكنه اشار بيده بأن ذلك ليس مهما .

ذهب علي حسن سلامة مع المرأة الحامل الى دار السينما الوحيدة في ليلهمر ، وفي تلك الليلة ، عرضوا فيلما حربيا اميركيا طويلا على غير العادة ، فقد كانوا عرضوا فيلما لمدة ساعة ونصف الساعة الا ان فيلم «الصقور الشجعان» استمر عرضه ساعتين ونصف ، وبذلك خرج المشاهدون من دار السينما في الساعة العاشرة والنصف .

كانت محطة الباصات تقع امام مقهى بيرجسن ، صعد علي حسن سلامة والمرأة الحامل الى الباص في الساعة العاشرة وسبع وثلاثين دقيقة ، تابعهما داني بسيارته ، وبعد محطتين فقط ، وفي الساعة العاشرة واربعين دقيقة نزلا من الباص ، وعلى بعد مئة واربعين مترا وقفت سيارة مازدا بيضاء تحت ضوء النيون .

كان عملاء الموساد على اتصال مستمر بالراديو ، وكان رولف بيهر يعلم واجبه ، نزل ببطء من المرتفع ، كان علي حسن سلامة يسير بصمت بجانب المرأة ذات المعطف الاصفر ، لم يهتما بالسيارة البيضاء التي تسير ببطء .

وفي لحظة اختفاء الباص ، ضغط السائق المحترف بقوة على الفرامل فتوقفت السيارة وقفز على الرصيف جوناثان انجليبي وتماري شاهرين عليهما المسدسات ، واطلق النار عن بعد ست خطوات ، واطلقت تماري النار عن بعد خطوة واحدة .

سقط علي حسن سلامة وبجانبه المرأة الحامل ذات المعطف الاصفر ، استقرت في جسمه اثنتان وعشرون طلقة ، فقد كانت تماري تطلق النار كالمجنونة ولكن بدقة ، استغرقت العملية عشر ثوان ، وعلى اكثر حد خمس عشرة ثانية ، ثم قفز القتلة الى سيارة المازدا البيضاء التي انطلقت بسرعة هائلة .

وكان يراقب العملية جيرارد لافوند من سيارة أخرى تقف بمكان ليس بعيدا وعندما تيقن من موت الضحية انطلق بسيارته مبتعدا .

تقول داغنا يرنغ ، التي كانت تعمل ممرضة وتبلغ من العمر اثنتين وعشرين سنة في شهادتها كشاهد عيان : «كنت اجلس وصديقتي نشاهد التلفزيون ، ونحيك الجرازي ، وكنا نتابع المسلسل الانجليزي – لصوص البنوك – تخدرت ساقاي من

الجلوس ، فقمت اتمشى في البلوكون ، في تلك اللحظة سمعت اطلاق نار ، نظرت الى اسفل ، ورأيت كيف يطلقون النار عليه صرخت بأعلى صوتي : جريمة قتل ، وناديت على صديقتي ، التي ضحكت مني وقالت بأن الافلام البوليسية التي يعرضونها في التلفزيون قد اثرت على عقلي ، امسكتها من يدها وشددتها الى البلكون فرأت هي الاخرى ما رأيت» .

في الساعة العاشرة وخمسين دقيقة ابلغت الفتاتان الشرطة بما شاهدتا وبعد ثلاث او اربع دقائق من الجريمة وصلت سيارتا شرطة الى المكان ، وفي الساعة الحادية عشرة وصلت سيارة الاسعاف ، قام الطبيب عبثا بمحاولة اسعاف اولية ، فقد كان الرجل الذي اخترق جسمه كل هذا العدد من الطلقات ميتا حينما انطلقت سيارة المجرمين ، اتكأت داغنا الممرضة مصادفة او عن قصد على كوعها ورأت السيارة البيضاء ، ولاحظت ان لوحتها نرويجية ، لكنها لم تلحظ الرقم .

اوقف بيهمر السيارة امام متحف مايهرغن ، وقام الجميع بمسح بصمات الاصابع ، واخذ الوثائق وتنظيف منفضة السجائر ، واغلقوا الابواب وذهبوا وهم على ثقة : انهم لم يبقوا أي اثر . ولكن يبدو انهم تركوا ورقة مخالفة سير للوقوف في مكان ممنوع في اوسلو .

جاءت نورا هيفنز بالمرسيدس الخضراء ركب الجميع فيها ، في تلك الاثناء ، جاء ميكي وسلموه الاسلحة ، وتحركت السيارتان باتجاه اوسلو .

وقامت باتريشيا روكسبيرغ – سيلفيا بمهمتها ، فقد ذهبت بسيارة البيجو البيضاء ، وعندما اصبحت بجانب ابراهام جيهمر اخلت له المكان وراء المقود واخذا معهما دان ايربيل ومريانا جلادينكوف ، وخرجوا الى الطريق الدولية .

الخطأ القاتل (٤)

مريانا تعترف بكل ما تعرف ودان يتفاخر بأن دولة اسرائيل أعدت العملية !

وقعت حادثة اغتيال علي حسن سلامة ، ورجال الشرطة في ليليهمر غير مستعدين ، فقبل اسبوعين تعطل جهاز الاتصال عندهم لذلك لم يتمكنوا من الاتصال بعضهم ببعض ، مضت ساعة كاملة قبل ان يبلغوا نقطة الشرطة في همر بالحادث ، كان ضابط الشرطة بيير ايريك روستاد ، قد عاد لتوه مع زميله من دورية روتينية ، حينما اتصلوا به من ليليهمر ، ولأن رجال الشرطة في النرويج لا يحملون السلاح ، فقد ركضوا مسرعين الى المخزن ، ليجلبوا مسدسات وعيارات نارية ، فقد افترضوا ان القتلة الهاربين من مكان الحادث سوف يحاولون الدفاع عن انفسهم .

كانت طريق واحدة للهرب من ليليهمر الى اوسلو ، وهي طريق تمر من همر ، لذلك قرر الضابط روستاد اغلاق الطريق فوراً ، ووضعوا نقطة تفتيش قبل التقاطع الكبير للطرق ، وفي مكان قريب كان الجنرال زفي زامير مع حارسه ينتظر نتائج العملية .

قال الضابط بيير روستاد ، فيما بعد : خرجنا بأسرع ما يمكن ، الى بعد عشرة كيلومترات ، على الطريق الدولي ، لم يكن لدينا وقت حتى لنلبس واقيات الرصاص ، علمت ان السيارة والمجرمين سيمرون من عندنا اذا لم يمروا بعد ، وقفت على جانب الطريق ، واعطيت الاشارة للسيارات لكي تقف ثلاثة سواقين بسياراتهم اهملوا الاشارة ، كانت السيارة الرابعة من نوع بيجو بيضاء ، اعطيت الاشارة للوقوف ، وببطء مرت السيارة الى مكان الدورية انتبهت الى وجود شقراء بجانب السائق ، كانت جميلة جداً ، تفحصتني بنظرها ، لم اتمكن الا من تسجيل

رقم السيارة دي . اي .٩٧٩٤٣ .

كان ابراهام جيهمر مجرماً عريقاً ، وكانت لحظة صعبة عليه ، لكن الخطر زال ، عندما سمح له بالانطلاق ، كان الضابط روستاد يبحث عن سيارة مازدا بيضاء ٦١٦ ، كما ان السيارة البيجو ٥٠٤ بدت له مثيرة للشبهة ، لون السيارتين ابيض ، وهما متشابهتين في شيء ما ، لكن الاشتباه شيء والاثبات شيء اخر ، لكن ذلك اثار اهتمامه ، لم يكن لديه جهاز ارسال ، لذلك لم يستطع أن يشارك احدا في اشتباهه ، وبقي حتى الصباح ، حيث جاءت دورية شرطة همر ، طلب من زملائه ان يبلغوا اوسلو برقم السيارة وستقوم مديرية الشرطة بمعرفةصاحبها ، والتأكد من مكان وجوده في تلك الليلة .

– قالت مريانا جلادينكوف : كان الوقت متأخراً ، وكنت تعبة للغاية ، مررنا ببلدة على الطريق ، وتابعنا المسير الى اوسلو ، ولم انتبه لنقطة البوليس الاولى ، بعد ذلك مررنا بنقطتين على الاقل .

– سألها القاضي هوجن : هل اوقفوكم ؟

* لا ، ولا مرة .

– كيف كانت المعنويات داخل السيارة ؟

* سيئة ، كنا صامتين جميعاً ، كان دان ايربيل يمسك بيدي ، وكانت كفه مليئة بالعرق ، جلست سيلفيا بجانب السائق ، كانت تدخن كان في حقيبتها زجاجة ويسكي ، شربت منها حتى افرغتها ، لم اطق سجائرها السوداء التي كانت تدخنها .

– ماذا كانت تدخن ؟

* فظاعة ، جيتان الفرنسي .

– وكيف وصلتم ؟

* وصلنا بدون صعوبة الىٰ مدخل بيروم ، حيث كان دان ايربيل قد استأجر شقة كبيرة قبل بضعة أيام من جنزال نرويجي ، ذهب جيهمر بالسيارة الىٰ الكراج ، وذهبنا نحن الىٰ الشقة ، اتجهت سيلفيا الىٰ غرفة النوم مباشرة كما لوكانت تعيش في

الشقة منذ ولادتها ، القينا بأنفسنا علىٰ الاسرة وما هي الا لحظات حتىٰ ذهبنا جميعاً في نوم عميق .

تساؤلات

لعله غير مفهوم كيف تمت العملية بهذه السهولة ، وليس مفهوما ايضا عجز البوليس النرويجي ، والذي يبدو لنا غير معقول ، ألم يكن مفيدا في مثل هذه الحالة ، ان يغلقوا كل الطرق من ليليهمر ، وان يفتشوا كل السيارات المارة بدلاً من انتظار سيارة المازدا البيضاء ؟

كانت تلك الليلة ليلة السبت يليها يوم الاحد ، وكان رجال الشرطة قليلين في ليليهمر ، وكان الاتصال معطلا ، كماانه لم تحدث مشكلة قتل في هذه المنطقة منذ اربعين عاما ، كما ان الضابط الشاب بيير روستاد عرف مثل هذه الجرائم من القصص .

عملت المجموعة الضاربة الاسرائيلية الهيت تيم ، بحسب الخطة الموضوعة خصوصا فيما يتعلق بانسحاب القتلة ورؤسائهم من مكان الجريمة ، واول دفعة من المجرمين الارهابيين كان مجهزا لها طريق عبر اوربا ، لكي يصلوا الى تل ابيب دون مخاطرة او انتباه .

غادر جيرارد لافوند ، اوسلو بالطائرة الى امستردام ، اما ميكي وتمارى فقد عرفا كيف يهتمان بنفسيهما ، واختفيا دون ان يتركا لهما اي اثر .

حينما تلقى الموظفون العاملون بالمطار التعليمات ، وعرف رجال الجمارك والجوازات انه من الممكن ان يحاول الارهابيون مغادرة البلاد عن طريق المطار ، مر لافوند بجميع نقاط التفتيش دون ان يثير اية شكوك ، او ربما مر لانه اثار الشكوك .

عندما وصل المطار ابرز وثيقة ما ، للموظف الذي عندما رآها انحنى واعادها له ، وهذه الوثيقة هي جواز سفر دبلوماسي ، وبغض النظر ، ان كان حقيقيا او مزورا ، فقد مر به الى الامان على متن الخطوط الجوية ساس رحلة رقم ٥٤٥ ، وبعد بضع ساعات غادر رولف بيهر .

كان بامكان العملاء السريين ان يناموا بطمأنينة ، لانه كان هناك من يعتني بهم ، ففي اللحظة التي نفذوا بها عمليتهم واخذوا بالانسحاب ، كان هناك فريق كبير من العملاء المدربين يؤمن لهم العودة السريعة الى تل ابيب وحينما جلسوا في الطائرة التي انطلقت من مطار اوسلو عرفوا انهم قد نجحوا .

نزل العميل من الطائرة وفوراً في قاعة المطار اصطدم به رجل مجهول اعتذر منه ، وبنفس اللحظة وضع في يده مفتاحا عليه رقم صندوق الامانات الاوتوماتيكي ، اتجه العميل الى الصندوق وفتحه ، فوجد فيه حقيبة مشابهة تماما للحقيبة التي في يده ، استبدلها واغلق الصندوق ، أعطى المفتاح لاول موظف في الخطوط الجوية الاسرائيلية ، وربما انه وضعه في مغلف وأرسله الى عنوان متفق عليه ، وكان في الحقيبة أوراق ثبوتية جديدة كاملة ، وتذكرة طائرة مع لائحة بأقرب الرحلات الى تل أبيب ، وهكذا وصلت المجرمة تمارى الى بر الامان مع عشيقها ميكي ، ومن المؤكد أن نورا هيفتير قد سافرت معها .. سافرا الى كودان بالسيارة التي أوقفوها في أحد المواقف في فندق سكندنافيا واختفوا ، وفي اليوم التالي كانوا في تل أبيب .

* قالت مريانا جلادينكوف : لقد استيقظت على رنين الهاتف ، نظرت الى الساعة ، فكانت بعد التاسعة ، رفعت سيلفيا السماعة ، كان ميكي على الهاتف ، وقال بأن زفي شتاينبرغ المسمى زفيكا سوف يزورنا ، وبعد قليل جاء بسيارة الفولفو الخضراء ابلغنا بتوصية من ميكي ، بأن نعيد السيارة المستأجرة ، وقال دان ايربيل انه سيذهب معه الى مطار فورينيو ، أما أنا فكان علي أن أذهب بسيارة البيجو لاعيد ايربيل ، هكذا ذهبنا .

الملاحقـــة

في تلك الاثناء حصلت أشياء أخرى في الشقة لم يكن العملاء السريون يعرفون عنها ، كانوا متأكدين أن احدا لايستطيع أن يقتفي اثرهم ، لذلك لم يكونوا حذرين ، وعلى أية حال ، فقد ارتكبوا اثنتي عشر جريمة في دول أوربية وخرجوا

سالمين في كل واحدة منها ، لقد اقتنعوا انهم لايقهرون .

كان يمكن للقتلة أن يكونوا مطمئنين ، مادامت القضية في ايدي رجال الشرطة في ليليهمر وهمر ، لكن في الصباح الباكر كانت وحدة من شرطة اوسلو في مكان الجريمة ، وعرف كيف يتصرف رجال المباحث .

كان لديهم أولا رقم السيارة المشبوهة ، الذي سجله الضابط بيير روستاد ، وبالهاتف تبينوا أن السيارة تعود لشركة تأجير السيارات ، وأن أمرأة تدعى باتريسيا روكسبرغ ، هي التي استأجرتها ، وعلى بعد بضعة شوارع من مكان الجريمة ، وجد البوليس سيارة المازدا البيضاء ، والتي وضعتها المرأة الحامل التي كانت مع علي حسن سلامة ، وبسهولة تم التعرف عليها ، وتبين من خلال لوحتها انها قد أستؤجرت في ١٦ تموز – يوليو من قبل شخص نمساوي يدعى جوستاف من فينا ، وكان ذلك دليلا محددا وهاما ، وقامت الوحدة الخاصة من البوليس الجنائي في اوسلو بابلاغ ذلك الى جميع نقاط البوليس وكذلك الى مركز الانتربول في باريس .

قال السرجنت بيرن ترين في شهادته امام المحكمة : اعمل في نقطة البوليس في ساند فيكا ، قرب مطار فورنيبو الدولي ، جئت الى الوظيفة يوم الاحد قبل الثامنة بقليل ، وكالعادة بدأت بقراءة اخر البلاغات ومن النظرة الاولى ، أتضح لي أن شيئاً غير عادي قد حصل ، وقمت بأرسال نسخة الى نقطة الشرطة في مطار فورنيبو .

في مطار فورنيبو في أوسلو ، قرأ الضابط هانس ليليو ديت البلاغ ، وفورا اعطى امرا لرجاله في مراقبة الجوازات ، وأن ينتبهوا للمشبوهين الاجانب وطلب منهم أن يبلغوا كافة العاملين في المطار بالحادث .

العثور على البيجو ومريانا

وفي نفس الوقت ، بدأ بحث في طول البلاد وعرضها عن سيارة البيجو البيضاء ، يقول اسبورن ستور داهل في شهادته : اعمل في شركة الطيران ساس ، موظفا في المكتب الموجود في قاعة المغادرين في مطار فورنيبو ، كان عندي وصف

للسيارة المطلوبة ، نظرت من الشباك بطريق الصدفة فوجدت السيارة تقف في الموقف ، لم اصدق عيني ، لذلك ذهبت الى الموقف وتأكدت من السيارة عن قرب ، وكانت لوحة السيارة مطابقة ، هرولت مسرعا الى موظف البوليس ديردال ، وسألته مرة اخرى عن رقم السيارة المطلوبة ، فكان نفس الرقم اسرع ديردال ورأى سيارة البيجو البيضاء وفيها مريانا جلادينكوف تجلس خلف المقود .

* قالت مريانا جلادينكوف للقاضي : كنت أنتظر امام المطار ، ولم افكر ابدا أن هناك خطرا يهددنا ، فكل شي كان يسير على مايرام ، ولم أخش شيئا ، وعندما جاء الى السيارة رجل بوليس طالبا مني رخصة السواقه اعطيته اياها ، وسألني لماذا أوقف في مكان ممنوع فقلت له : انني لم أنتبه للاشارة وانني انتظر صديقي النرويجي الذي ذهبت لاعادة سيارته الى شركة هيرتز ، طلب الشرطي أن اذهب معه الى المخفر حيث كان هناك شرطي اخر ، وعندما شرحت له كل شيء رفع السماعة وادار قرص الهاتف طالبا شركة هيرتز .

كل شرطي هو بشكل ما عالم نفساني ، ومن خلال علاقته اليومية مع الناس يعرف بالتجربة ردة الفعل عندهم ، تنبه الشرطي ليليو رديت الى أن مريانا جلادينكوف عصبية جداً ، وغير واثقة من نفسها وترتجف يداها .

لماذا كانت متهيجة الى هذا الحد ، اذا كانت القضية هي قضية الوقوف في مكان ممنوع ؟ كان تصرفها يثير الشبهة ، لذلك كان الشرطي حذراً .

في مكتب شركة هيرتز تبين أن السيارة تعود لدان ايرت ، في حين خرج رجال الشرطة مسرعين الى سيارة مريانا جلادينكوف جاء دان ايربيل ـ ارت بعد دقائق قليلة ، يحمل معه كيسين كبيرين من المشتريات من متجر في المطار وكان فيها ساندويشات وخبز وزبدة وأكياس شاي يكفيه لاكثر من اسبوع ، فكان واضحا لرجال البوليس أن هذا التموين يعود لاشخاص اخرين .

كانت طريق الهرب مؤمنة لعملاء الموساد من الدرجة الاولى ، اما الاخرون فلم يلاقوا نفس الاهتمام ، فالعميل ايربيل لم يكن يحصل على خدمات أو مكافأت كما أن المصاريف اثناء العملية لم تقم الموساد بدفعها اليه أبداً .

كانت مريانا جلادينكوف مبتدئة ، ولم يكن لديها فكرة عن كيفية التصرف في مثل هذا الوضع ، لم يعلمها احد ماذا تقول ، ولم يؤمنها احد باوراق ثبوتية مزورة ، كما أنها لم تعرف كيف تعود ثانية الى أسرائيل ، ولم يكن دان ايربيل في وضع افضل من وضع مريانا ، وانما كانت له ميزة واحدة وهي أنه كان مجربا اكثر ، ويعرف العالم أن الاثنين لم يستطيعا أن يفسرا حقيقة واحدة وهي : لماذا هم في اوسلو .

التحقيـــق

اجتمعا في نقطة الشرطة قرب المطار ، قال لهما الضابط المسؤول أن عليهما أن يوضحا بعض الامور المتعلقة بالسيارة المستأجرة ، فقد حدثت جريمة قتل في ليليهمر ، وأن شهود عيان قد رأوا سيارتهما قرب مكان الجريمة ، أقتيد كل منهما الى غرفة أخرى ، وبدأوا بالسماع لهما .

اعتقد رجال الشرطة في البداية انهم لن يحصلوا منهما على شيء ذي أهمية لكن فيما بعد ، كان واضحا لهم ان هذا التحقيق ، كان بمثابة الحجر الذي يعتمد عليه البناء بأكمله ، واعترف ايربيل أن باتريسيا روكسبرغ كندية الجنسية هي التي أستأجرت السيارة ، وكان اعترافه هذا لان رجال الشرطة سيعرفون ذلك بسهولة ، ودون معرفة العواقب ، كما سنرى ، وقامت ماريانا جلادينكوف بكتابة عنوانها في بيروم .

قام السيرجنت تران من مركز الشرطة في ساند فيكا بالاتصال بالوحدة الجنائية التي حققت بجريمة القتل في ليليهمر ، وابلغهم بالمعلومات التي حصل عليها وحينما تطابقت المعلومات الجديدة مع شهادة الشهود الذين تذكروا السيارة الاجنبية التي مرت يوم الجريمة في شوارع ليليهمر ، وكان واضحا أن المعتقلين ايربيل وجلادينكوف ، لهما صلة بالجريمة ، أمر السرجنت تران بالقبض عليهما كمشبوهين بتهمة الاشتراك في الجريمة .

لم يقل دان ايربيل اية كلمة ، وعندما قادوه الى غرفة التوقيف بعكس مريانا جلادينكوف التي تحدثت بمحض رغبتها ، أقتادوها الى مديرية الشرطة وأقترحت

مريانا أن يتوقفوا في الطريق حيث توجد الشقة في بيروم ليتأكدوا أن باتريسيا روكسبرغ تسكن هنا فعلا ، ولكي تتمكن من أخذ حاجياتها الشخصية وافق السيرجنت تروين على أقتراحها جزئياً ، تركها تحت المراقبة بالسيارة امام المبنى ، ودخل وحده .

باتريسيا وابراهام

يقول السرجنت تروين في شهادته : قرعت جرس باب الشقة ، فتحت الباب أمرأة جميلة جدا ، قدمت لها نفسي بالانجليزية أن اسمها باتريسيا روكسبرغ ، كان معها رجل في الشقة ، اسمه ابراهام جيهمر تحدثت لها بالانجليزية وشرحت لها سبب حضوري ، حينما ذكرت لها أن جريمة قتل حدثت ليلا في ليليهمر ، وأننا نحقق مع جميع الذين كانوا في السيارات التي كانت موجودة بقرب مكان الجريمة بقيا هادئين ، وعندما طلبت منهما أن يرافقاني الى مركز الشرطة هزا رأسيهما بالموافقة ، وبدا لي أنهما مستعدان للتعاون الى أبعد الحدود .

نتج وضع استثنائي ، عندما جلست مريانا بجانب ابراهام جهمر ، ومن الجهة الاخرى جلست باتريسيا روكسبرغ ، كان وضعا حرجا لمريانا ، حاولت اخفاءه بحديث دون معنى .

وبعد أن تحدث مدير الشرطة باهرمان ، مع رئيس مجموعة التحقيق في ليليهمر ، جلس المشبوهون في السيارة ، وذهبوا الى البلدة التي تركوها منذ فترة قصيرة .

بالنسبة لمريانا فقد سألوها سؤالا واحدا فقط ، وهو أن كانت راغبة بالقيام بعملية كبيرة ، ولم يقولوا لها شيئا عن «الهيت تيم» القوة الضاربة الاسرائيلية أو عن مخاطر العمل على ارض اجنبية ، أو أنها ستشترك في جريمة قتل مروعة .

اما بالنسبة لدان ايربيل ، فقد قالوا له بأنه سيقوم بعملية الترجمة وانهم سيدفعون له التكاليف ، وبناء على ذلك فقد احتفظ بكل فاتورة حساب ليقدمها لهم ، فيما بعد .

وعندما اكتشف البوليس مجموعة الاوراق في الشقة في بيروم ، أصبح لديهم

دليل هام ، وبحسب الفواتير وتذاكر الطائرات والقطارات وغيرها تمكنت الشرطة من معرفة حركة هذا العميل في الدول الاسكدنافية .

وصل المشبوهون الى ليليهمر حوالي الساعة السادسة مساء بعد ذلك بفترة وجيزة بدأ رجال الشرطة البحث الجنائي في أوسلو بسماع الافادات .

الافـــادة

كانت سيلفيا تحمل جواز سفر كندي بإسم باتريسيا روكسبرغ رقم ف ك ٢٠١٢٠٠ صادر في ٤ ايلول – سبتمبر عام ١٩٦٩ في اتاوا ، ورخصة سواقة دولية صادرة عن نادي السيارات الكندي ، وشهادة تطعيم دولية ، وتذكرة طائرة قديمة من زيورخ الى كودان ، ومذكرة بالعناوين وأشياء نسائية اخرى ، قدمت افادتها بهدوء وثقة ، كما لو لم يكن لها أية علاقة بالجريمة .

وقالت في افادتها : «انني كندية ، اعمل مصورة فنية ، اي انني اعمل عملا حرا ، كنت في اجازة وبالصدفة التقيت بليسلي اوربادم «جيهمر» في مطار زيورخ ، اننا نعرف بعضنا من سنين طويلة ، جلسنا وتحدثنا وتذكرنا ايام زمان ، واتفقنا أن نسافر معا الى النرويج ، وهكذا ذهبنا الى اماكن مختلفة والتقينا ببعض الناس وتصادقنا معهم ثم سكنا سوية في شقة واحدة .

اما جيهمر فقد قدم نفسه بأسم ليسلي اوربادم ، وقال في افادته للمحقق فالستاد : «ولدت في ١٢ اذار – مارس عام ١٩٤٤ في بريطانيا اعمل مدرسا في مدرسة كينز هيل ، وفي نفس الوقت اقوم بوظيفة محاسب ، ذهبت الى اسكندنافيا بأجازة ، ولم اعمل برنامجا مسبقا ، فقد غادرت يوم الاربعاء ١٨ تموز – يوليو من مطار هيثرو ، وفي المطار فقد اشتريت تذكرة الطائرة الى زيورخ ، وفي مطار كلوتن التقيت بصديقتي الكندية القديمة باتريسيا روكسبرغ ، التي تعيش الان في باريس كنا سعيدين لاننا التقينا بعد هذه السنوات الطويلة ، قررنا ان نطوف معا في النرويج ، اشترينا تذكرة ، وعلى متن أول طائرة ذهبنا الى أوسلو .

– سأله المحقق : لماذا اخترتما أوسلو ؟

* سمعنا أن مجال التسلية كبيرة في أوسلو ، فقد كان عندنا اهم شيء هو التسلية ، لاننا في أجازة .

– ماذا فعلتما في اوسلو ؟

* نزلنا في فندق بانوراما ، اردنا أن نكون مرتبطين ، وفي الصباح كنا ننطلق الى المدينة ، كما اننا زرنا الريف ايضا .

– وماذا عن السيد دان ارت ؟

* تعرفنا عليه قبل الظهر ، فقد كان ينزل في فندق بانوراما ايضا وحتى لا انسى فقد دعانا السيد ارت الى شقته ، وقال ان عنده مكانا كافيا .

– الم يثر استغرابكم ان السيد أرت ينزل في فندق ، في الوقت الذي لديه شقة في أوسلو ؟

* لماذا ؟ اخذت تاكسي وذهبت الى العنوان ، قرعت الجرس ، لكن احدا لم يفتح الباب ، وقبل ذلك ذهبت الى مكتب الامانات لاخذ حقيبتي السفرية .

– اي مكتب امانات ؟

* مكتب ألامانات في محطة القطارات الرئيسية .

– لكنك جئت الى اوسلو عن طريق مطار فورنيبو .

* ومع ذلك وضعت حقائبي في محطة القطارات ، ما الغريب في ذلك ، الا يمكنني أن أفعل ماأريد ؟

– طبعا ، اكمل من فضلك .

* انتظرت قليلا امام الباب ، حتى جاء السيد ارت ، وكانت معه باتريسيا وفتاة اخرى اسماها ديانا ، رحلنا جميعا الى الشقة ، وفي اليوم التالي ، قبل الظهر سمعت دان يتفق مع مريانا لاعادة السيارة المستأجرة وهذا كل شيء الى ان جاءت الشرطة .

اما دان ايربيل «ارت» فقد حقق معه آمر الشرطة ، رافلو ، وقال ارت في افادته :

* «انا موظف في مصنع الاثاث فيكينغ ، لكن في السنتين الاخيرتين ، كنت

أعيش في روما .

– سأله المحقق : اهذا مصنع دنماركي ؟

* اجاب ارت : نعم وهذا المصنع يسعى للتصدير الى كل من السويد والنرويج لذلك سافرت كثيرا واستأجرت تلك الشقة في بيروم ، عندما جئت الى أوسلو ، نمت الليلة الاولى في فندق بانوراما ، وهناك تعرفت على مريانا والسيد روكسبرغ وزوجته .

– ما إسم السيد روكسبرغ ؟

* اعرف ، لكن هذه اللحظة لااستطيع ان أتذكر اسم ذلك الرجل ، لقد امضينا سوية أمسية رائعة .

– وماذا عن السيارة المستأجرة ؟

* استأجرت السيارة لرجل يدعى باستيور ، تعرفت عليه في الطائرة ، كان عندي شعور ، بأنه تاجر كبير ، لكنني استغرب الان فعلا ، لماذا لم يستأجر باستيور السيارة وحده .

– ماذا كنت تفعل يوم الخميس الثاني عشر من الشهر ؟

* يوم الخميس ؟ ذهبت ابحث عن شقة للايجار ، وفي المساء عدت الى الفندق «بانوراما» بحثت عن اصدقائي الجدد ، لكني لم أجدهم ، وفي اليوم التالي ، كنت على موعد مع المكتب العقاري . حيث وقعت معه اتفاقية استئجار الشقة في بيروم ، بعد ذلك ذهبت لاستئجار سيارة ، ومن ثم ذهبت لشراء بعض الحاجيات من مخازن أكيا ، اشتريت بورسبين وبعض الاواني وقطع أثاث ، وفي الساعة التاسعة مساءً عدت الى الفندق ، ودفعت الحساب ، وحزمت امتعتي ، اردت ان أذهب ، في ذلك القوت التقيت مع باتريسيا ودعوتها الى البيت الجديد ، فجاءت بطيبة خاطر ، مكثنا حتى الصباح ، وقبل الظهر انطلقنا بالسيارة الى همر .

– وماذا عن ليليهمر ؟

* لا أدري ، ممكن جدا ، اننا مررنا بها ، ولم يكن يعني لي أي شيء . حيث جلست باتريسيا خلف المقود ، وجلست انا بجانبها ، لم يكن لدينا أي هدف

محدد ، ومن الممكن اننا التقينا في هم مع الكندية مريانا ، التي كانت في سيارة البيجو ، كان ذلك عند الغروب ، أو بين الساعة الرابعة والساعة الخامسة .

ذهبنا جميعاً بالسيارتين ، عبر هذه المناطق الجميلة ، وعندما عدنا بعد المساء الى اوسلو ، دعوت مريانا والكندية للمجيء الى شقتي في نهاية الاسبوع .

– أين كنت ليلة السبت ؟

* في البيت ، في بيروم ، مع اصدقائي الجدد ، وصباح يوم الاحد ذهبنا الى مطار فورنيبو ، ذهبت انا بسيارة الفولفو ، ومريانا بسيارة البيجو ذهبت لاعادة السيارة المستأجرة ، وشراء بعض المأكولات ، والباقي تعرفونه . أما عن اصدقائي الجدد ، فعلا لا أعرف عنهم أي شيء ، تعارفنا وتسلينا واستطيع القول بأنهم سواح عاديون .

– أتعرف شيئاً عن جريمة القتل التي حدثت في ليليهمر ؟

* لا . لاشيء .

مريانا تقول كل شيء

اما مريانا جلادينكوف فقد حقق معها المحقق ليف لير ، بدأ معها التحقيق بهدوء ، لانها كانت في حالة خوف ، وانه لن يحتاج معها الى وقت طويل ، لم يخطئ المحقق في ذلك .

تصورت مريانا انهم خانوها ، فقد نمت في اسرة محترمة ، حاولت ان تعيش دائما بشرف ، لم يبلغ عنها يوما انها اشتركت في عمل ضد القانون ، فما بالك في جريمة قتل ؟

بعد تلك الاحداث التي عاشتها ، انتظرت شخصا ما ، لتعترف له ، ولتخفف عن نفسها تأنيب الضمير ، فقد كانت مقتنعة ان عملاء الموساد قد خانوها وانهم قلبوا حياتها الى جحيم لايطاق ، ولم يبق مبرر لديها ، لكي تدافع عنهم ، لذلك فقد قصت على المحقق لير كل ماتعرفه عن اسمائهم وعناوينهم واوصافهم .

في الساعة الواحدة والنصف ليلا ، كانت متعبة جدا ، ولم تستطيع الاستمرار

اخذوها الى غرفة التوقيف ، والقت نفسها على السرير وغطت في نوم عميق .

ودان أيضـــا

في اليوم التالي اعترف دان ايضا . في البداية سقط في شباك كذبه ثم ادرك أن حججه واهية ، ولا يصدقها احد فوقف فجأة موقفا مختلفا تماما . لم يرد الاعتراف بانه إشترك في اي عمل ضد القانون ، وادعى انهم كانوا على حق ، وأنهم يريدون انقاذ العالم من «الارهاب العربي» وان عملاء الموساد الاسرائيليين قد شنوا حملة لانقاذ العالم الغربي والدفاع عن حريته ، انهم نسوا ان يبلغوا الحكومة النروجية عن خططهم الارهابية .

وقال دان ايربيل : «كنت اعرف عن خطة الهجوم ، انها عملية سياسية وليست جنائية ، قامت بها دولة اسرائيل ضد المنظمة العربية ايلول الاسود لقد اعتقدت المخابرات الاسرائيلية ان تلك المنظمة تستعد لعمل ماضد السفارة الاسرائيلية في النرويج ، وضد الممتلكات الاسرائيلية في اسكندنافيا لقد اعطى الامر بالعملية اعلى قائد امن في اسرائيل ، وكان رئيس المخابرات الاسرائيلية نفسه في النرويج في ذلك الوقت ، لا ادري ماأسمه ، ولكني اتصور انه اشرك الدبلوماسيين الاسرائيليين في هذه العملية ، اسماء الوحدة التي اعرفها هي أسماء رفاقي الذين اشتركوا معي في العملية ، وحتى هذه الاسماء هي اسماء مزورة باستثناء مريانا جلادينكوف ، ان حلقة الوصل بيني وبين وزارة الدفاع الاسرائيلي هو رجل يعمل بأسم مستعار هو ميكي ، يمكنكم ان تجروا معه اتصالا هاتفياً ، هذا هو الرقم : تل ابيب : ٢٥٦٢٣٠ ، وهو سيؤكد لكم كل ما قلته لكم» .

الخطأ القاتل ٥
المفاجأة التي اذهلت مائير
الضحية .. لم يكن علي حسن سلامة

البوليس النرويجي يداهم منزل دبلوماسي اسرائيلي ويعتقل عميلين للموساد ويصادر وثيقة خطيرة

لم تكن الشرطة النرويجية بحاجة الىٰ التدقيق فعلىٰ الصفحة الاخيرة لجواز سفر ايربيل الصادر في النرويج كان مكتوباً الرقم ١٤١٥٨٩ . وافترضت المباحث انه الرقم في اوسلو اتصلو هاتفياً بمؤسسة الهاتف من ليليهمر وتبين لهم ان الرقم يعود لشخص يدعىٰ زيفال الموظف في شركة الخطوط الجوية الاسرائيلية – العال – لذلك طلبت الشرطة من زملائها في أوسلو أن يفتشوا بيته .

لم يكن ذلك سهلاً حتىٰ ان رئيس الشرطة رولف باهرمان لم يكن يؤيد تفتيش البيت حالاً فقد افترض ان البيت مركز لجهاز مخابرات اجنبي كان له ضلع في الجريمة ومن غير المستبعد أن يستعملوا الاسلحة ضد الشرطة عدا عن ذلك فقد كان عليه ان يحترم القوانين وأن لايرتكب أدنىٰ خطأ بخاصة أن القضية تتعلق بمواطني دولة اخرىٰ ، لذلك طلب استشارة مدعي عام الدولة ويكر الذي أعطىٰ أمراً بتفتيش البيت ، كان ذلك يوم الثلاثاء مساء ، وكان الضابط المناوب في القسم الجنائي هانس هولين .

كونوا مجموعة من ثمانية عشر شرطياً مجرباً وأخذوا معهم الكلاب البوليسية ، انطلقت القافلة الىٰ حي الفيلات حيث كان يسكن موظف شركة العال المذكور ، والذي كان وجوده في أوسلو بحد ذاته يثير الشبهة ، اذ ان الخطوط الجوية الاسرائيلية

لم يكن لها رجال في اوسلو علىٰ الاطلاق . أحتل الشرطة المنطقة المحيطة بالبيت ، بعضهم كان يحمي زملاءهم في ممر البيت ، قرع الآمر هانس هولين الجرس ففتحت امرأة الباب ، دخلوا الىٰ البيت ومسدساتهم مصوبة .

صاح الآمر هولين : ارفعوا ايديكم . علىٰ أحد المقاعد الكبيرة كان يجلس رجلان افتعلا الدهشة ، رفعا ايديهما ببطء فوق رأسيهما ، فتش بعضهم البيت ووجدوا تحت الوسائد مسدساً .

سأل هولين لمن هذا المسدس ؟

* اجاب أحد الرجلين لي .. أأنت القائد ؟

– نعم .

* احذركم انكم تقومون بعمل ضد القانون ، ليس لكم الحق بأن تداهموا بيتاً خاصاً انا دبلوماسي اسرائيلي . كان ذلك صحيحاً ، فصاحب البيت لم يكن يدعىٰ أيغال وانما ذلك كان اسماً حركياً استأجر البيت وابلغ به مؤسسة الهاتف كان اسمه ايغال ايال ، وكانت معه رخصة باقتناء المسدس من الشرطة في أوسلو فأعتقد الآمر هولين انه وقع في وضع حرج لكنه ارتاح بعد لحظة ، ففي الغرفة المجاورة كان يوجد رجلان : ميخائيل دورف وزفي شتاينبرغ ، وعلىٰ الارض كانت حقيبة سفر تعود لشتاينبرغ ، اذ كان أيال موظفاً في السفارة الاسرائيلية في باريس وموفداً الىٰ أوسلو ومعه اثبات بذلك ، فمن يكون الاثنان ؟

عميلان في الاعتقال

احس أيال بالخطر ، فوجود دورف وشتاينبرغ يمكن أن يؤكد العلاقة بين جريمة القتل في ليليهمر والممثلين الاسرائيليين ، لذلك عاد ايال مرة اخرىٰ يطلب من الآمر هولين بأن يغادر البيت فوراً لأنه بدون وجه حق داهم الاراضي الاسرائيلية .

قال الآمر لكن هذين الرجلين سيذهبان معنا .

* اجاب أيال : لن اسمح بذلك .

من غير المجدي ان نصف المناوشات الكلامية التي دارت بين الآمر هولين

والدبلوماسي الاسرائيلي برغم انها نشرت بالتفصيل في الصحف النرويجية . خاطر هولين بمواجهة المضاعفات وفعل مايجب ان يفعله ، فلو عاد دون الرجلين لتمكنا من الاختفاء ولن تطالهما يده ابداً ، لذلك قاد الاثنين بالقوة بعد أن احتجا بشدة ولكن ذهب احتجاجهم ادراج الرياح .

وجد رجال الشرطة في الحقيبة السفرية العائدة لشتاينبرغ تذكرة قطار بالدرجة الاولىٰ الىٰ كودان ، وكان السفر مقرراً في الساعة الثانية والعشرين وعشرين دقيقة .

اجلسوا المشبوه في سيارة شرطة ونقلوه الىٰ ليليهمر واعتقلوا دوروف في غرفة التوقيف في مقر البوليس حيث حققوا معه .

قال شتاينبرغ هاجرت الىٰ اسرائيل عام ١٩٥٥ من البرازيل عملت في البداية في كيبوتس غان شموئيل ثم عملت في الجيش ، وفي نيسان ذهبت في اجازة الىٰ فرنسا وهولندا وفي ١٨ تموز طرت الىٰ أوسلو من امستردام لزيارة صديقي ايغال ايال الذي عمل في امن السفارة الاسرائيلية ، لقد خدمنا معاً في الجيش .

لم يكن العملاء السريون الاسرائيليون حذرين بما فيه الكفاية . اكانوا واثقين من انفسهم الىٰ درجة انهم اهملوا قواعد العمل السري ؟ ام انهم كانوا لامبالين وانهم اخذوا علىٰ عاتقهم مخاطر العمل بدون جدية ؟

لقد وجدوا في حقيبة شتاينبرغ مفاتيح الشقة في باريس وتمكن رجال الشرطة فيما بعد ان يتوصلوا الى/ تلك الشقة التي كانت واحدة من الاوكار التي استأجرتها الموساد قبل عام ، ووجدوا في تلك الشقة احد عشر مفتاحاً اخر وعليها اسماء دور سينما في باريس وأمكن التحقق بأن اعضاء اخرين من «الهيت تيم» ينزلون بها وانهم كانوا في ليليهمر ومتورطين في جرائم الموساد في دول اوروبا الغربية .

الوثيقة الدليل

اكد ميخائيل دورف ان شخصاً ما عرض عليه العمل جزئياً في السفارة الاسرائيلية في أوسلو ، وفي ليلة السبت كان مناوباً وفي دفتر ملاحظاته مدون ارقام

التلكس للسفراء الاسرائيليين في بريطانيا وهولندا وارقام الهواتف السرية للسفارة الاسرائيلية في هولندا وأسم احد الدبلوماسيين الذي كان بشكل ما ضابط اتصال .. ووجدوا في حقيبته ايضاً رسالة باللغة العبرية ، وبعد بحث طويل عن مترجم كان لدىٰ البوليس وثيقة في غاية الاهمية والخطورة ، لقد كانت الدليل القاطع في هذه القضية .

لقد ارسلت الوثيقة من مركز الموساد الاوروبي في بلجيكا واحتوت الوثيقة علىٰ ست نقاط :

١ . غادر من عاصمة النرويج بالقطار الىٰ كوبنهاغن .
٢ . غادر حالما يصلك جواز سفر اسرائيلي .
٣ . غادر عاصمة الدانمارك الىٰ امستردام وهناك تتصل مع مركز الموساد الاوروبي .
٤ . لاتحتفظ بأية مواد أو وثائق قد تكون أدلة . حافظ فقط علىٰ وثائقك المزورة .. اما النقطتان الباقيتان فكانتا تتعلقان بميخائيل دورف .
٥ . يبقىٰ ميخائيل في السفارة في النرويج سيحافظ علىٰ الاتصال بقسم الموساد حتىٰ يقطع القسم بنفسه الاتصال .
٦ . سوف يقوم ميخائيل بابلاغ المركز عن كل جديد في القضية موضوع الحديث .

كانت هذه الوثيقة كقنبلة ، فقد أعطىٰ العملاء الاسرائيليون الذين سافروا كثيراً لقتل عدوهم الاثبات ليد الشرطة كانت غلطة فاصلة .

الغلطة الكبرىٰ .. القتيل لم يكن علي سلامة !

لكن الغلطة الكبرىٰ كانت حينما قتلوا رجلاً ليس مطلوباً لهم وهم لم يعرفوا ذلك حتىٰ ذلك الوقت .

اما البوليس النرويجي فقد اكتشف هذا الخطأ الفظيع فلم يكن علي حسن سلامة هو ضحية الموساد وكانت الضحية رجلاً مختلفاً تماماً ، كان الضحية عامل

مطعم بريء في ليليهمر واسمه احمد بوشيكي .

كان بوشيكي حظه سيء فأنه يشبه علي حسن سلامة الىٰ حد بسيط ، وجاء مصادفة في طريق المجرمين ، كان شعره اسود ووجهه برونزياً وشكله عربياً ، لقد كان من المغرب ، اما المرأة الحامل التي كانت ترافقه فكانت زوجته توريل النرويجية الاصل .. وكانا يعيشان بسعادة وهناء وبانتظار طفلها الاول .

معلومات كثيرة حول هذا الفصل قدمها للجمهور المندهش احد الصحفيين المحولين من ليليهمر ويدعىٰ أريك هاجن ، كان يعمل في جريدة ليليهمر فولكسوير مراقب ليليهمر ، وكان صديقاً للمغدور احمد بوشيكي ، وبما أن الصحف لاتصدر يوم الاحد في النرويج فأن عدد الاثنين من تلك الصحيفة كان يحتوي علىٰ ريبورتاج من صفحتين حول قضية احمد بوشيكي وقامت عشرات الصحف الاخرىٰ بنقله ونشره بصيغ مختصرة ربما في الاف الصحف في انحاء مختلفة من العالم ، وكان الريبورتاج مكتوباً بشكل جيد وجذاب .

من هو الضحية

كان الصحفي هاجن في مكان الجريمة بعد لحظات قليلة من حدوثها فقد كان في زيارة بالقرب من المكان عندما اخذت سيارة الاسعاف جثة بوشيكي وكانت معه آلة تصوير ، صور مايجب تصويره وتحدث مع الشهود ومن ضمنهم زوجة بوشيكي وبذلك عرف العالم لأول مرة من هو احمد بوشيكي . لم يكن احمد بوشيكي فلسطينا/ كان والده جزائرياً وامه مغربية ، عاش في ليليهمر منذ اربع سنوات في ليليهمر بقامته المميزة وشعره الاسود وبشرته الحنطية ولكنته الواضحة المختلف عن الاخرين في الوسط الذي يعيش فيه ، ولو سأل ميكي أو احد عملائه أي عابر سبيل عمن يكون ذلك الرجل لقال له بدون تفكير بأنه احمد نازل في جريناديرا ويعمل الآن في مصح سوغول .

عاش احمد حياة قاسية ، ولد في ١٣ نيسان ١٩٤٣ في الجزائر ، وفي السابعة عشرة من عمره ناضل من اجل استقلال بلاده ، واصدقاؤه النرويجيون معجبين

بأعماله النضالية . جاء لأول مرة الىٰ النرويج عام ١٩٦٥ وبحث عن مصدر رزق بأي طريقة كما أنه تعلم الكاراتيه في مدرسة الشرطة وعندما تبين بأنه ليسٰ لديه اقامة للعمل طردته الشرطة من النرويج .

حاول والد فتاته النرويجية استغلال اول فرصة للتخلص منه فقد كان ضد علاقة ابنته مع رجل اجنبي بلا مهنة أو مركز أنه عاطل عن العمل . فدفع له ثمن تذكرة للسفر في الباخرة الىٰ فرنسا حيث عاد لوالديه اللذين استقرا في تلك الاثناء في قرية ارليس الفرنسية .

لايدري أحد لماذا أعجب أحمد بالنرويج فرغم أنه كان بلا عمل وبصعوبة كان يحصل علىٰ لقمة العيش وان جواز سفره الجزائري فيه ختم بقرار طرده من النرويج وانه بهذا الجواز لن يستطيع عبور الحدود مرةٰاخرىٰ فأنه استغل اصله المغربي من جهة أمه وذهب الىٰ مرسيليا وأستطاع اصدار جواز سفر مغربي من القنصلية المغربية ثم طلب اقامة من قسم الاجانب في بيرغن التي وصلها في ٩ ايلول – سبتمر عام ١٩٦٦ . عمل في البداية في غسل الصحون في فندق نورج ثم في مطعم فراسكاتي في أوسلو .

لم يمكث طويلاً في وظيفة واحدة لأن العمل لم يكن ممتعاً ، والراتب لم يكن جيداً لذلك انتقل في شهر اذار – مارس عام ١٩٦٩ للعمل في مطبخ فندق بارك في ليليهمر حيث تصادق مع زميلته توغا وتجرسين التي انفصل عنها فيما بعد . وأصبح دون عمل مرة اخرىٰ وتلقىٰ مساعدة من الضمان الاجتماعي ولأنه لم يستطع العيش بتلك المساعدة عاد الىٰ فرنسا حيث عمل في مطعم علىٰ الريفييرا في سانت تروبيز ، لكنه عاد الىٰ النرويج عام ١٩٧١ حيث بقي شيء ما يشده اليها ثانية .

في ليليهمر تعرف الىٰ توريل لارسين التي كانت تعمل ممرضة في مستشفىٰ المنطقة وتزوج منها في شهر شباط عام ١٩٧٣ وحاول احمد أن يجد عملاً افضل حتىٰ حصل عليه في مصح سوغول .

يوم السبت ٢١ تموز كانت ترويل مناوبة قبل الظهر في مختبر المستشفىٰ فذهب احمد الىٰ المسبح حيث كان يتدرب علىٰ وظيفة منقذ لكي يحصل علىٰ عمل اضافي

يحسن حالته المادية لم يذهب الىٰ المسبح مباشرة ، في الطريق عرج الىٰ مقهىٰ صغير قرب فندق كورتين حيث احتسىٰ فنجاناً من القهوة .

وهناك اكتشفه عملاء الموساد الذين تابعوه الىٰ المسبح لم ينتبه ابداً لمريانا جلاد نيكوف عندما كانت تسبح بالقرب منه وقد تمكن الصحفي هاجن من معرفة ذلك الرجل الذي تحدث معه احمد في المسبح لم يكن حلقة اتصال كما تصور خبراء الموساد ولم يكن في ليليهمر ويغسل الصحون في أحد المطاعم كان أسمه مازير وكان أحمد يعلمه السباحة .

بعد أن عادت زوجة أحمد من عملها بقيا في البيت وفي المساء ذهبا الىٰ دار للسينما وفي طريق العودة الىٰ البيت كانت النهاية لاحمد بوشيكي .

دولة العدوان

تتمتع المخابرات السرية الاسرائيلية بمكان خاص في دولة اسرائيل فهي تحتل المكان الاول في السلم الاجتماعي لأن دولة اسرائيل تكونت بطريقة غير مشروعة ، وصناعية ومنذ أن تأسست هذه الدولة اتبعت طريق العدوان واهملت الطرق السياسية ولم تحترم قواعد السياسة الدولية ، ولم تسع ولو جزئياً الىٰ تنفيذ قرارات الامم المتحدة . وكانوا في تل ابيب يعتبرون المخابرات السرية الاسرائيلية منظمة مصطفاة ولم يخف السياسيون موقفهم هذا ولم تشذ عن ذلك رئيسة الوزراء غولدا مائير التي تحقق ابان حكمها مجموعة لاتصدق من اللقاءات مع العملاء السريين الذين اعجبت بهم شخصياً وحضرت بنفسها احتفالات زواج العملاء السريين الذين قضوا سنوات طويلة في السجون المصرية واقامت لقاءات جماعية ليس لها مثيل في تاريخ المخابرات السرية .

قرب تل ابيب يقع بيت معزول لبيرل وحوله توجد بعض القرىٰ العربية واثنان من الكبوتسات وبيارات البرتقال الممتدة .. ومنذ الصباح الباكر اخذت تصل عبر الطريق الترابية سيارات وباصات صغيرة تحمل عشرات من عملاء الموساد السريين ثم جاءت سيارة تحمل رئيسة الوزراء غولدا مائير ترافقها الدراجات النارية وسيارات

الشرطة فقد نظمت مائير لقاء للجواسيس الذين اجتمعوا في قاعة كبيرة واسعة والقت كلمة طويلة امام احبائها بعد ذلك قامت بأستقبال كل واحد منهم علىٰ انفراد في غرفة خاصة ، واعلنت بعد ذلك انها عاشت اجمل يوم في حياتها السياسية .

لكنها عاشت اسوأ يوم في حياتها بعد جريمة القتل في ليليهمر وبعد ان فهم زفي زامير مدير الموساد جدية الوضع والعواقب التي ستترتب علىٰ اسرائيل اثر الكشف عما جرىٰ فطلب زامير اجتماعاً برئيسة الوزراء ورجاها ان تقبل استقالته لكنها رفضت ذلك وغفرت للجنرال زامير والموساد مالا يغتفر .

حينما غادر الجنرال زامير مسرعاً من همر لم يكن متجها الىٰ ترونديهايم كما ادعىٰ وانما الىٰ أوسلو حيث التقىٰ علىٰ الغداء مع ميكي الذي لم يسارع الىٰ النجاة هو الآخر . هل كان الاثنان واثقين بالنجاح ام انهما كانا يملكان الضمانات من خلف الكواليس السياسية ؟

لماذا قطع مدير الموساد نصف العالم الىٰ همر هل فقط من اجل ان يكون قرب مكان الجريمة بعيداً عن مركزه في تل ابيب ؟

لم يكن منطقياً ولا ذكياً فقد سافر زامير بأسمه الحقيقي وبجواز سفره المعتاد لكنه نزل في الفندق في همر فقط بأسم مستعار وهو تاهل . كان الجنرال زفي زامير يعرف جيداً زملاءه في قيادة المخابرات السرية النرويجية الذين كانوا يلتقون في اجتماعات منظمة لقادة المخابرات السرية الغربية ، فهل جاء مدير الموساد الىٰ النرويج دون ان يبلغ زملاءه النرويجيين ؟

تمكنت الموساد في الكثير من البلدان الغربية وبالتعاون مع المخابرات فيها من الكشف عن اعمال فدائية قبل وقوعها علىٰ ارض تلك البلدان ، وهذا التعاون ينطبق علىٰ المخابرات الالمانية الغربية والفرنسية والايطالية وغيرها . فقد كانت حرباً مشتركة للعالم الرأسمالي الغربي ضد منظمة التحرير الفلسطينية لذلك فأنه ليس بالضرورة ان يكون هراء ما كان يقال من أن الجنرال رزامير كان في النرويج لكي ينسق الموقف علىٰ أعلىٰ مستوىٰ في الدوائر النرويجية المحلية .

وممكن جداً ربما ان الجنرال زامير تصرف علىٰ مسؤوليته فبعد بضع عشرة جريمة قتل ناجحة في بلدان اوروبا الغربي كان واثقاً من نفسه لدرجة انه لم يخف من ان ينكشف ، وربما يثبت ذلك اجتماعه مع ميكي ، فقد اجتمعا في اليوم التالي للجريمة علىٰ مائدة غداء عامرة كما لولم يحصل شيء فمعروف ان الصلف والغرور والقوة ، الخارقة هي كلمات لها مكانة متميزة في اسرائيل ، ويبدو ان هذه الافات قد اصابت حتىٰ هؤلاء الذين يفترض في كل الاحوال ان يبقوا بعيدين عنها .

اعادة بناء الاحداث

التحاليل والوقائع شيئان مختلفان واليوم وبعد مرور عدة اعوام يمكننا ان نعيد بناء الاحداث في المجال السياسي .

كان قائد الشرطة هانس هولين يعرف ماذا ينتظره في تلك الحالة لذلك وبعد عودته من تفتيش منزل الدبلوماسي الاسرائيلي آيال طلب هاتفياً وزارة الخارجية النرويجية وقام الموظف الذي تلقىٰ المكالمة بالاتصال فوراً بمستشار الوزراة واعلمه بالوضع فمن المحتمل ان تتلقىٰ وزارة الخارجية احتجاجاً من السفير الاسرائيلي ودرس المستشار الحالات السابقة والنصوص القانونية لوثيقة فيينا التي تحتوي علىٰ الصيغة الامنية والاحترام للاملاك والاراضي الديبلوماسية .

رفض الاحتجاج

جاء السفير الاسرائيلي كينان الىٰ وزارة الخارجية في الصباح تحدث في بداية الامر في العموميات واحتج علىٰ خرق قواعد الحصانة الدبلوماسية وقدم طلباً باطلاق سراح الاسرائيليين شتاينبرغ ودورف اللذين اعتقلتهما الشرطة النرويجية في منزل الدبلوماسي الاسرائيلي .

رفض المستشار الطلب بهدوء وحزم وشرح اسباب هذا الرفض علىٰ اعتبار ان الاجراء الذي قامت به الشرطة النرويجية من الناحية الفنية خاطئ ولكنه ليس خرقاً للحصانة الديبلوماسية فلوكان لدىٰ الشرطة امر لكان كل شيء علىٰ مايرام ، وعلىٰ

كل الاحوال سيذهب الرجلان الىٰ السجن حتىٰ ولو كانا في زيارة شقة الديبلوماسي ، صحيح ان الشرطة لم يكن لديها امر ولكن هل سيتركون هذين المشبوهين يذهبان بسلام ؟ ام سيطلق سراحهما بعد القبض عليهما لتطبيق نصوص الانفاق ومن ثم يتم القبض عليهما في نفس المكان ، وبحسب القواعد القانونية قدمت ضدهم لائحة الاتهام فهل يريد سفير اسرائيل الدفاع عنهما ؟

عاد السفير الىٰ بيته وارسل تقريراً الىٰ تل ابيب التي ارسلت رئيس القسم القانوني في وزارة الخارجية الاسرائيلية مائير روسن لزيارة المستشار في وزارة الخارجية النرويجية كيل الياسين واصبحت اللعبة الان متكافئة وقدم الدبلوماسي الاسرائيلي حججه وكانت بشكل عام كما في المرة الاولىٰ .

حينما وجد مائير روسن انه لم يحقق شيئاً تحول الىٰ الهجوم وطلب اطلاق سراح المعتقلين وتسليمهما الىٰ ممثلي السفارة الاسرائيلية وقدم طلباً ثانياً بأن يسمح لاعضاء مكتب التمثيل الاسرائيلي بزيارة المعتقلين في السجن لتتمكن السفارة من تأمين دفاع قانوني مناسب لهما .

تكلم المستشار النرويجي الدكتور الياسين بأختصار قائلاً ان القاضي الذي اخذ القضية علىٰ عاتقه منع أي اتصال مع المشبوهين حتىٰ انتهاء التحقيق ، لكن اذا قدمت الحكومة الاسرائيلية توضيحاً عن سبب رغبتها بأن يقابل ممثلها شخصياً المتهمين فأن وزارة الخارجية النرويجية ستبحث ذلك بجدية ، لكن علىٰ الجانب الاسرائيلي ان يحسب ايضاً بأن المدعي العام سوف يمانع وأنه علىٰ ممثلي دولة اسرائيل ان يكونوا مستعدين للحضور أمام المحكمة شخصياً لتوضيح أسباب الاهتمام بالمشبوهين .

وجد مائير نفسه في الزاوية فالحكومة الاسرائيلية أعلنت قبل بضعة ايام انها ليست لها علاقة بالحادث ولايمكنها العودة الان من جديد لتشرح لماذا تريد اطلاق سراح المعتقلين شتاينبرغ ودورف أو علىٰ الاقل التحدث معهما ، وهكذا استسلم الديبلوماسي الاسرائيلي وعاد في نفس اليوم الىٰ تل ابيب .

شخصيات بديلة

استمر البحث ولعب الانتربول الدولي دوره ، وجاءت معلومات تفيد بأن باتريسيا روكسبرغ ليست باتريسيا روكسبرغ فقد تبين للبوليس الكندي ان جواز السفر لم يكن صادراً من مكتب الجوازات عندهم لكن العملاء استعملوا اسماً موجوداً فعلاً لعمل شخصية بديلة .. واضاف الانتربول الدولي في باريس معلومات جديدة بأن باتريسيا روكسبرغ ، معروفة في الدوائر الصحفية الباريسية كمصورة خاصة كانت تعيش في احد البيوت الفخمة في وسط باريس ولها علاقة مع العرب وقد نشرت صوراً قامت بالتقاطها في جريدة الصنداي تايم اللندنية لكن ذلك لم يدر عليها دخلاً كبيراً انها جميلة جداً لذلك فأن من يراها يتذكرها .. انها اجتماعية تعزف بشكل ممتاز علىٰ الغيتار محبة للموسيقىٰ الكلاسيكية وبخاصة موسيقىٰ باخ .. كتبت شعراً ولعبت البريدج وتعرف كيف تدخل الىٰ أي مجلس .

بعد فترة قصيرة تبين أن الشخصية الحقيقية كانت تدعىٰ سيلفيا رفائيل من مواليد جنوب افريقيا عاشت في السجن قصة غرامية وبعكس بقية المتهمين كانت تتصرف بشكل طبيعي فاثناء التحقيق واثناء سير المحاكمة وقع بحبها محاميها النرويجي انيوس شيوت وقدم دفاعاً عنها قيل بأنه افضل دفاع في القرن العشرين .. وحين قرأ ضابط الشرطة هولين لائحة الاتهام لم تنكر بل اعترفت بأن اسمها ليس روكسبرغ لكنها رفضت الافصاح عن اسمها الحقيقي .

واهتم محاميها العاشق بتوفير افضل عناية لها في السجن وعندما أطلق سراحها غادرت الىٰ اسرائيل لوقت ما ثم غادرت الىٰ جنوب افريقيا وأخبرت والديها بزوج المستقبل المحامي انيوس شيوت وبعد ذلك عادت الىٰ النرويج .

حطم حادث ليليهمر التصور القائل بأن المخابرات الاسرائيلية لاتقهر واصبح الحادث درساً يستفاد منه فقد كان تركيب الهيت تيم المجموعة الضاربة شيئاً فالمختص الحقيقي لايمكن أن يختار لعملية كهذه مجموعة غير متجانسة فريانا جلاد نيكوف كانت جبانة وغير مجربة كما انهم خدعوها فقد قالوا لها بأنها ستذهب الىٰ اسكندفانيا للمساعدة في جمع بعض المعلومات ثم ورطوها في جريمة قتل .

اما دان ايربيل فقد كان هاوياً يعمل من وقت الىٰ اخر ومع الموساد بدون التزام حقيقي ، كما انه يعاني من مرض يحس بسببه بتخوف كبير عندما يجد نفسه في مكان ضيق ومغلق ... والليلة التي قضاها في غرفة التوقيف انهكته نفسياً ، ان بيته في تل ابيب بدون ابواب داخلية بسبب ذلك المرض انه عميل سري يسقط بسهولة ولايمكن الاعتماد عليه .

كان ايربيل وزملاءه يتصرفون كما لوكانوا في رحلة مدرسية اهتموا كثيراً بالاكل والشرب ولم يهتموا بملاحقة خصمهم . كما انهم كانوا في ليليهمر مميزين لدرجة ان أي طفل يمكن ان يشير اليهم بأصبعه كما ان سياراتهم التي كانوا يقودونها في البلدة صغيرة اثارت الانتباه لدرجة ان بعض السكان سجلوا ارقامها لقد عملوا سوية وقاموا بزيارة اماكن اللهو والتقوا كمجموعة في محطة السكة الحديدية .

كانوا أزواجاً رجلاً وأمرأة لم يكونوا دائماً كما هو الحال بالنسبة للرجل والمرأة لكنهم كانوا يتلاقون ويسكنون ، وعلىٰ أية حال فقد كان رئيسهم ميكي مثلهم المحتذى الذي كانت ترافقه عشيقته تماري ، ولعله من الصعب ان تجد جهاز مخابرات آخر في العالم يهتم لظاهرة العلاقات الغرامية في داخله كما هو الحال في المخابرات السرية الاسرائيلية .

قبل العملية واثناءها كانوا يسيرون بالسيارات المستأجرة ، ويتكلمون باللاسلكي كانت هوائيات الاجهزة ممتدة الىٰ خارج نوافذ السيارات مما اثار انتباه السكان المحليين وساعد فيما بعد علىٰ رسم صورة عن حركة العملاء السريين قبل العملية .

الخطأ القاتل (٦)

تهديدات للبعثات السياسية النرويجية في تل ابيب ونيويورك لاطلاق السجناء

اسرائيل تستخدم طاقاتها للضغط علىٰ النرويج ومنع محاكمة عملائها

لم يتضح لماذا اراد الجنرال زامير مدير الموساد ان يكون قرب مكان العملية وتصرفه في المكان الذي نزل فيه لم يكن مفهوماً ، فقد قال العاملون في مكان نزوله انه كان متوتراً جداً وتصرف بشكل غريب عصبياً ويتمشىٰ جيئه وذهاباً وهو في حالة قلق وارتباك كما انه كان يقف امام النافذة وينظر الىٰ الطريق الدولية حيث كان بأمكانه رؤية نقطة التفتيش التي اقامها الضابط بيير روستاد .

استغل دان ايربل رحلته الىٰ النرويج لشراء تجهيزات لمنزله الجديد فقد اشترىٰ بثلاثة الاف كورون نرويجي ادوات للحمام والمطبخ وبعض قطع اثاث غير متوفرة في اسرائيل هل كان ايربل عميلاً علىٰ مستوىٰ رفيع ؟

برغم انه يعلم ان زملاءه قد تورطوا الا انه بقي معتقداً بأن هناك خطأ ما وان الحكومة الاسرائيلية سترتب الامور مع الجهات النرويجية المعنية لتصحيح الوضع ، وصدق كغيره من الكثيرين في اسرائيل الكذب المتكرر دائماً بأن العالم كله يتضامن مع العملاء السريين الاسرائيليين الذين يحاربون علىٰ الجبهة غير المنظورة للدفاع عن الارهاب الصهيوني وهكذا فأن التاجر ايربل الذي اصبح عميلاً لفترة محددة فكر كتاجر وليس كعميل سري وقام بتقديم رقم الهاتف لضباط اتصاله ، الذي سمح له ان يتصل به فقط في اخطر الظروف قدمه للشرطة النرويجية .

طلب المحقق من مركز الاتصال الدولي أن يصله بالرقم المعني في تل ابيب وعلىٰ الجهة الاخرىٰ من الخط سمع صوتاً من شريط مسجل يقول الرقم المطلوب غير مستعمل الرقم المطلوب غير مستعمل .

كان دان ايربل ومريانا جلادنيكوف الشخصيتين التراجيديتين في جريمة القتل تلك اما باتريسيا روكسبرغ فقد كانت العاشقة وكان ميكي البطل المعجب بنعومة تماري التي كانت بسن ابنته وكان الاخرون يلعبون دور الكومبرس من كلا الجنسين ، اما الشخصية الغامضة فقد كانت شخصية كمال بن امان الذي لعب دوره عن قصد أو غير قصد بشكل مقنع لدرجة انه اضاع العملاء السريين وقادهم نحو الاثر الخطأ أكانت مصادفة أم أنها كانت خطة مدبرة ؟ ودون شك فأنه قد قاد عملاء الموساد من انوفهم . وما زال عائشاً حتىٰ الان .

حول ذلك التساؤل هناك اجابة وحيدة فقد تابع الصحفيون القراء والمستمعين في كل انحاء العالم ولم يسمحوا للموساد اخفاء الشاهد الخطير وقد كشفت جريمة القتل في ليليهمر أو علىٰ الاصح سير المحاكمات امام المحاكم النرويجية كثيراً مما جرىٰ وراء الكواليس الاسرائيلية واوضح الحادث احداثاً اخرىٰ كانت حتىٰ ذلك الوقت دون تفسير ، كما ان الموساد لم تستطع ازالة كمال بن امان عن طريقها رغم انه كان شاهداً غير مريح والذي كانت اجوبته تختلف عما اعلنته الدوائر الاسرائيلية .

افادة كمال ابن أمان

سأل المحقق كمال بن أمان هل كان لك علاقة مع منظمة ايلول الاسود ؟

– اجاب كمال بن امان لم يكن لي علاقة معها في يوم من الايام كما انني لم أهتم بالقضية الفلسطينية طيلة عمري .

* هل لك أن تخبرنا لماذا ذهبت الىٰ النرويج ؟

– مجرد صدفة .

* لقد تزوجت منذ فترة لماذا ذهبت وحدك لقضاء اجازة ؟

– دائماً اقوم بذلك في وقت ما كنت اعمل في مكتب سياحة في روي دي لوزان

١٧ ، دعتني هناك زميلة قديمة وقدمت لي كل الرحلات لقضاء اجازة فأخترت كوبنهاغن واوسلو .

* من أوصلك الىٰ المطار ؟

– صديق زوجتي العضو في الوفد العربي السعودي في الامم المتحدة في جنيف اصبح كمال موضوع اهتمام الشرطة والصحفيين اثناء سير المحاكمة لم يكن عنده سبب لكي يبقىٰ صامتاً وكان يبدو انه يهتم بالنساء فقط فما ان نزل في الفندق الصيفي بانوراما في اوسلو حتىٰ بدأ مناوراته مع فتاة الاستقبال وتدعىٰ مينالیو التي قالت فيما بعد :

اخبرني انه يدرس علم اجتماع وانا ادرس علم اجتماع في الجامعة وبذلك دخلنا في الحديث وقال لي بأنه يريد شخصاً يريه معالم البلدة ودعاني لنذهب سوية في المساء لنجلس في مكان ما .. واضاف بأنه لايطيق الاماكن الصاخبة اذ انه في حالة تعب من العمل كان معه كتابان واحد في الكيمياء يتعلق بالقسم السري السويسري لم يكن شكله سيئاً لكن شيئاً ما بدا لي منه فرفضت الدعوة . لم ترفضه فتيات اخريات فقد ذهب كمال في المساء الىٰ كلوب سفيين حيث تعرف علىٰ شخص يدعىٰ محمد موساري اتفقا بسهولة واخذا معهما فتاتين شربا ومرا علىٰ بضعة نواد ليلية ، وفي الثالثة صباحاً كانت احدىٰ الفتاتين مع كمال في غرفته .

جاء موساري في الصباح وذهب الصديقان الجديدان للغداء ثم ذهبا ثانية لاصطياد الفتيات النرويجيات وانتهت التسلية في غرفة كمال مرة اخرىٰ . وفي اليوم التالي قضىٰ طيلة النهار والليل مع نفس الفتاة ، بقي اذن ثلاثة ايام في التسلية .

في السابع عشر ذهب الىٰ البنك حيث صرف بعض النقود رافقته صديقته الجديدة ثم ذهبا الىٰ مكتب سياحة اذ قال بأنه تعب جداً وانه يريد ان يرتاح في بلدة صغيرة واختار الذهاب الىٰ ليليهمر في المساء اتصل هاتفياً من الفندق بزوجته في جنيف وقال لها اين سيذهب يوم الاربعاء الثامن عشر وفي الساعة العاشرة ذهب بالقطار الىٰ ليليهمر وقام العميل السري الاسرائيلي باستيور الذي وقف خلفه في الدور امام سباك التذاكر وسمع ماقاله بأنه سيذهب الىٰ ليليهمر .

في ليليهمر ذهب اولاً الىٰ مكتب السياحة حيث نصحوه بفندق سكوت الصغير والرخيص تابعه عملاء الموساد لكنه لم يدر اي شيء عن ذلك ، يوم الخميس تجول في البلدة لكنه لم يجد شيئاً ملفتاً للنظر ، سأل عن بركة السباحة عاد الىٰ الفندق لاخذ المايوه سبح في البركة ثم تعرف الىٰ بوشيكي . بدأ بوشيكي الحديث معه عندما علم انه عربي تحدثا في البداية باللغة الفرنسية ثم استمر الحديث باللغة العربية .

فيما بعد قال كمال بأن بوشيكي قد بالغ كثيراً عندما تحدث له عن مدىٰ ارتياحه في ليليهمر ، وعن مركزه الاجتماعي فيها . واعلمه بأنه شخصية معروفة في البلدة ، واخبره بأنه يعمل عملاً اضافياً في تعليم السباحة ليزيد من دخله .

في الوقت الذي كان فيه بوشيكي يعطي درساً في السباحة للخادم الفرنسي هنري مازيريه جلس كمال علىٰ حافة المسبح وتحدث مع صديقه العربي الجديد ليسري عن نفسه كذب هو الاخر عندما قال انه قد وفق في زواجه وانه تزوج ابنة احد رجال البنوك لكنه لايطيق حماه لذلك ذهب في اجازة الىٰ النرويج .

كان كمال يكذب فمنذ مدة طويلة كان والد زوجته قد توفي ، كان يتحدث اشياء مختلفة لكل شخص كان يقابله .

اعادة تركيب المشهد

لنحاول الان اعادة تركيب المشهد الذي ظنه الموساد محاولة لفهم المعلومات بين كمال ورئيسه علي حسين سلامة .

جلس الاثنان في مقهىٰ كارولينا وبجانب طاولتهما كان يجلس هنري مازيريه وهو شاب فرنسي مع صديقه جيرارد كودريت وقدم الاثنان شهاديتهما حول الاحداث في ذلك اليوم . واتفقت الشهادتان بأن كمال بن أمان جلس معهم بالصدفة وبعد قليل مر بوشيكي علىٰ دراجة الهوائية وحينما رآهم جلس معهم ايضاً . تحدثوا في اشياء سطحية وصغيرة ، طلب بوشيكي من كمال ان يشتري له من سويسرا سترة جلدية كالتي يرتديها . وافق كمال واراد ان يقدمها له كهدية ، تجادلا قليلاً حول ما اذا كان كمال سيأخذ الثمن ام لا ، ثم انتقلا بحديثهما الىٰ الاسطوانات العربية وفي

النهاية تبادلا ورقتين عليهما عنوانيهما .

كان هذا كل شيء ويؤكد صحة هذه المعلومات ان الشرطة وجدت ورقة عليها عنوان في جنيف في سترة الجينز التي كان يرتديها المغدور بوشيكي والتي اخذها من كمال بن امان .

ذهب كمال بعد ذلك الىٰ فندق سكوت حيث حزم امتعته وغادر في قطار الساعة الثانية وثماني دقائق بعد الظهر الىٰ اوسلو ، تابعه عملاء الموساد حيث نزل في فندق ستيفان وبعد ان غير ملابسه قام بمشوار في طريق عودته اشترىٰ جريدة اللموند في ذلك الوقت ابلغت سيلفيا (باتريسيا روكسبرغ) ودان ايريبل وابراهام جيمهر بأن كمال بن أمان لم يعد مهما وعليهم ان يعودوا حالاً الىٰ ليليهمر وان ينضموا الىٰ الاخرين .

بحسب الرواية الاسرائيلية كان ذلك لفتح الطريق امام بوشيكي لكي يستطيع الاتصال بكمال بن أمان اعلن كمال انه لايعرف شخصاً بأسم ميكي ولم يره ابداً وليس له اية صلة بالعملاء السريين الاسرائيليين يوم السبت غادر الىٰ جنيف بالطائرة لماذا يوم السبت بالذات ؟ لأنه اشترىٰ تذكرة عودة تسمىٰ تذكرة الويك اند التي تبيعها شركات الطيران بسعر مخفض .

حينما علم كمال بن امان بجريمة القتل في ليليهمر تصرف بشكل غريب ذهب يوم الاثنين ٢٣ تموز يوليو الىٰ عمله في مصنع جالي في جنيف وفي طريق عودته الىٰ بيته اشترىٰ صحيفة ولدىٰ قراءته لخبر صغير علم ان الضحية كانت بوشيكي فأسرع الىٰ البيت ليرى الورقة التي كتبها له بوشيكي فكان الاسم يتفق مع اسم الضحية في الصحيفة .

تصرفات كمال بعد الجريمة

يبدو ان الرعب قد سيطر علىٰ كمال فذهب في صباح اليوم التالي الىٰ المصنع وطلب مغادرته وذهب الىٰ القنصلية الجزائرية حيث ابلغها بأنه قد تعرف علىٰ بوشيكي اثناء رحلته الىٰ النرويج ، وعبر عن مخاوفه من ان يحققوا معه بشأن الجريمة

لأنه كان من اخر الاشخاص الذين تحدثوا مع بوشيكي .

ارسلت الشرطة النرويجية محققين الىٰ جنيف كان من بينهم قائد الشرطة ليف لير وعلىٰ مدىٰ ثلاثة ايام استمعوا لشهادة كمال بن امان وكان يكرر ما يقوله باستمرار ، لم يكن يثير الشبهة في اقواله كان طريفاً فقد كان في حديثه باللغة الفرنسية يخرج احياناً بالتأكيد لاارادياً بعض الالفاظ المستعملة في الاوساط التجسسية كيف كان يعرفها مادام يؤكد انه لم يكن في يوم من الايام علىٰ علاقة مع اي جهاز للمخابرات ؟

كانت تصرفاته فيما بعد تشير الىٰ انه يعرف بتكتيك واستراتيجية المخابرات السرية تصرف بفهم عال ويمكن القول انه تبنىٰ التكتيك الممكن الوحيد . كان اسمه يرد في الصحافة العالمية عندما يأتي ذكر الجريمة .

لم يترك يوماً واحداً واتصل به بالسفارة الاسرائيلية في بيرن بواسطة الهاتف وعندما كان يطلب التحدث مع الموظف المسؤول كان يرفض الحديث معه فقال لعاملة القسم في السفارة الاسرائيلية انه يجب ان يوضح الخطأ الكبير الذي حصل .

وحينما ادرك ان احداً في السفارة الاسرائيلية لايريد التحدث معه ذهب لمحام وطلب منه التوسط ولكن المحامي لم يستطع ترتيب اجتماع له مع احد المسؤولين في السفارة ، وافاد المحامي فيما بعد في مركز الشرطة ان مجهولاً قد اتصل به بالمكتب ورفض الافصاح عن اسمه وقال له : لاداعي لأن يخاف موكلك شيئاً اذا بقي لسانه في فمه .

قال الصحفي النرويجي كريستنيسن رأيا يفيد بأن الدوائر الاسرائيلية ادركت ان موتا مفاجئاً أو اختفاء كمال بن امان سيثير ضجة عالمية لكن اذا كان كمال يعمل فعلاً لصالح المخابرات الاسرائيلية وقام بخيانة الثورة الفلسطينية فلماذا لم يصفيه العرب انفسهم ؟

في هذه الحالة انقذه نشر الحادث في الصحافة فلو قام اعضاء منظمة ايلول الاسود بتصفية هذا الشاهد غير المريح أو اختفىٰ لبدأت اسرائيل بالصراخ اترون هذا يؤكد صحة قولنا بأنه كان يعمل لصالحنا وقامت جماعته بقتله . لكن في نفس

الوقت يجب ان لاننسىٰ بأن كمال بن امان قد قدم خدمة كبيرة لمنظمة ايلول الاسود واذا قبلنا وجهة النظر هذه فأنه قد سخر من المخابرات الاسرائيلية وفضح اشياء كثيرة اثناء المحاكمات في حين عملت الموساد كل جهودها لكي تبقىٰ خافية عن الناس .

يعمل كمال بن امان اليوم كنادل في مطعم في تيسين ، وقد قامت زوجته بطلاقه أثر جرح كبير تعرض له في كتفه الايسر لدرجة انه حصل من الضمان الاجتماعي علىٰ مساعدة بمقدار عجز خمسين بالمائة . وعندما سأله الصحفيون عن كيفية حدوث الاصابة اجاب انه عضو في جمعية «القناصة» بينما كان ينظف بندقيته انطلقت رصاصة اصابته . كل دائماً يميل الىٰ التحدث بقصص خيالية .

كانت حادثة ليليهمر ومنذ البداية محط انظار الصحفيين والقراء في جميع انحاء العالم بخاصة في الايام الاولىٰ للتحقيقات ، واعلن رئيس الوزراء النرويجي لارس كورفالد بأسىٰ عميق ان النشاطات الارهابية قد امتدت الىٰ النرويج .

في ٢٦ تموز كانت المحادثات حول الكواليس قد تشابكت وتعقدت لدرجة ان وزير خارجية النرويج داجفين فارفيك اضطر لقطع اجازته والعودة الىٰ الوزارة . ومنذ تلك اللحظة كان واضحاً ان فضيحة سياسة سوف تنشأ وكان قتل بوشيكي موضوع محادثات خاصة للحكومة النرويجية بشكل سري . وفي هذه المحادثات رفض طلب الدوائر الاسرائيلية بتسليم المعتقلين ، ونصحت الدوائر النرويجية الممثل الدبلوماسي الاسرائيلي ايغال ايال بمغادرة النرويج . وفعلاً غادره بعد اسبوعين ومعه السفير مائير روسين .

تهديـــدات

اتصل مجهولون تلفونياً بالسفارة النرويجية في تل ابيب مهددين بنسف طائرة تابعة للخطوط النرويجية وبناية المطار في اوسلو اذا لم يتم اطلاق سراح المعتقلين الاسرائيليين ، وسمع اعضاء الوفد النرويجي الدائم في الامم المتحدة تهديدات مشابهة في نيويورك . كانت تلك طرق تخويف معتادة وغير فعالة ففي حالة حادث ليليهمر لم يعد ممكناً التكتم علىٰ شيء رغم انه لم يحاول ذلك الاسرائيويون فحسب بل

النرويجيون ايضاً لماذا ؟ وماذا كان وراء ذلك ؟ المال ؟ الارباح الممتلكات ؟

يعتبر الاسطول التجاري النرويجي من أضخم الاساطيل في العالم وبعض الشركات تمتلك حاملات ضخمة للبترول تقوم بنقل البترول من الشرق الاوسط ويمكن تدميرها بسهولة واختطاف ناقلة مبحرة ليست عملية صعبة خاصة لفريق متدرب سواء أكان اسرائيلياً أو فلسطينياً .. وتفجيرها بحمولتها يعتبر لعبة أطفال بالنسبة للمخربين اذ يكفي قنبلة موقوتة من أصغر حجم .

لم يدخر رؤساء وأصحاب الشركات جهداً وعملوا خلف الكواليس في الليل والنهار لكي لاتتم المحاكمة فلماذا يتعادىٰ أصحاب الاموال مع هذه الجهة أو تلك ؟ أو ربما مع الجهتين . وعلىٰ السياسة مساعدة التجارة وليس العكس ومع ذلك لم يتمكن هؤلاء الرجال ذوو النفوذ الشديد من ايقاف تطور الاحداث .

المحاكمـــة

لم ترتب اجراءات امنية لاية زيارة حكومية كما رتبت للمحكمة التي سيقدم لها مجرمو ليليهمر وبدأت المداولات في ٧ كانون الثاني عام ١٩٧٤ وبدت عاصمة النرويج في ذلك اليوم كما لو كانت في أعلىٰ درجات الاستنفار واختيرت احدىٰ قاعات المحاضرات في كلية الطب كمكان لاجراء المحاكمة لأنها كانت قلعة حصينة في وسط مجموعة من البنايات ويمكن مراقبة المكان بصورة جيدة .

وتم نقل المتهمين بسيارات الشرطة التي أمن لها رجال المرور الاشارات الخضراء أثناءمرورها في الشوراع كما ان الشرطة دققت جيداً بكل المراقبين والزوار وتأكدت منهم ووصل الىٰ أوسلو صحفيون من كل انحاء العالم ولم يتمكن من دخول القاعة سوىٰ ستين صحفياً منهم اما بقية الاماكن فقد حجزت للمراقبين الدبلوماسيين . ورغم ان كل واحد حصل علىٰ هوية خاصة الا انه تعرض ايضاً لتفتيش شخصي دقيق بدون استثناء وحملت الشرطة النرويجية التي لاتحمل أسلحة عادة رشاشات وخوذاً واقيات للرصاص ، وكانت الاتصالات اللاسلكية علىٰ أكمل وجه .. وفي مركز البوليس القريب كانت وحدات الطوارئ جاهزة وتم تفتيش جمع البنايات بما

في ذلك البيوت الخاصة .

مرت السيارة التي تحمل المتهمين بالشوارع بسرعة كبيرة يرافقها البوليس المسلح علىٰ دراجاتهم النارية وكانت الطريق التي تمر منها القافلة تغير يومياً .

افادة مريانـــا

كان أول من وقف امام هيئة المحكمة مريانا جلادنيكوف كانت شاحبة ومجهدة وشعرها مسرح علىٰ جبينها .

سألها القاضي ارلينغ هوجين :

* هل كنت تعرفين عن خطة الهيت تيم «القوة الضاربة الاسرائيلية» ؟

أجابت مريانا نيكوف :

– لا لم أكن أتخيل ذلك مجرد تخيل .

* من قرر ان بوشيكي هو أحد الرجال الذين تبحثون عنهم ؟

– لم يدر أحد منا من يكون وأنا اعتقدت اننا نحاول معرفة ذلك لذلك اندهشت عندما جاءنا بلاغ بمغادرة ليليهمر فوراً .

* هل سمعت يوماً ما عن منظمة ايلول الاسود ؟

– بالتأكيد وكنت اعرف ايضاً أن ذلك الرجل الذي يبحث عنه هو عضو فيها .

* هل تعرفين الشخصية العامة في هذه المنظمة ؟

– نعم قيل انه احد القادة .

* ماذا كنت تفعلين لو علمت انك ستساعدين في عملية القتل ؟

– لو كنت أعلم لعدت الىٰ اسرائيل فوراً .

عادت مريانا الىٰ اسرائيل بعد أن قضت خمسة عشر شهراً في سجن النساء في اوسلو وبعد وصولها دعت الموساد الىٰ مؤتمر صحفي لم يضف الصحفيون فيه شيئاً لمعلوماتهم ... كما ان المخابرات السرية الاسرائيلية قامت بدفع تعويض لها عن فترة السجن التي قضتها وبعد ذلك عادت مريانا الىٰ استوكهولم .

.. وســـيلفيا

كانت سيلفيا رفائيل بالنسبة للقضاة والمحامين خصماً اصلب واتفق الصحفيون علىٰ انها امرأة جذابة تستطيع ان تبني مجداً اذا مثلت في السينما . فقد لعبت دورها بالشكل الذي يتصوره احد مخرجي أفلام التجسس الرخيصة ، تأتأت قليلاً وصمتت عدة فترات أثناء الحديث كانت مدركة لنعومتها وجاذبيتها وعرفت كيف تستغل هذه النعومة والجاذبية كانت مقتنعة انه لن يمسها سوء فوقع بحبها محاميها أنيوس شبوت .

سألها القاضي :

* أكانت عندك فكرة من أن العملية ربما تشكل خطراً علىٰ أحد أو انها ستضر الحكومة النرويجية ؟

– لابالعكس ..

* لكن الحساب مع منظمة كمنظمة ايلول الاسود هو دائماً مصدر خطر اليس ذلك صحيحاً ؟

– لاليس مفهوماً ولامنطقياً التفكير بشيء كهذا .

* وماذا بحسب اعتقادك المفهوم والمنطق ؟

– العمليات المشابهة في جميع الحالات لها طابع الانتقام كما اننا لم نتحدث عن النرويجية لمنع وقوع اعمال تخريبية جديدة فالدولة لها امكانات اكبر بالتأكيد من امكانات مجموعة مكونة من اثنىٰ عشر أو خمسة عشر شخصاً .

* الا تعتقدين انه كان عقلانياً القيام بابلاغ السلطات النرويجية حالاً ؟

– اوافقكم من كل قلبي ياصاحب الفخامة .

* كانت السيارات التي استعملها فريقكم مجهزة باللاسلكي وبعد عملية القتل تحدثتم أيضاً بالراديو . وعندما كنت تجلسين في السيارة الم تسمعي جملة اجهزنا عليه ؟

– لا أذكر ذلك .

* أكان عندكم خطة ما ؟ وكيف كنتم تريدون ايجاد كمال بن أمان في ليليهمر ؟

– هذا مالم اكن اعرفه سألت باستير كيف نجد انساناً لانعرف عنه شيئاً ولاكيف يبدو ولا أين يسكن ولاأين يتواجد فأشار باستير بيده فقط وقال لي انه من الافضل ان نذهب لنأكل وهكذا ذهبنا الىٰ الغداء .

* هل سمعت من قبل بأسم علي حسن سلامة ؟

– من الممكن أن أكون قد سمعت لكن ذلك الاسم لم يكن يعني شيئاً بالنسبة لي .

* أعتقد انهم اخبروك بأنه واحد من منظمي الهجوم علىٰ المنتخب الاسرائيلي في الالعاب الاولمبية في ميونخ ؟

– لا لم اسمع شيئاً من هذا من قبل ، عندنا في البلاد لايخدعون كثيراً بهذه الاشياء .

حكمت سيلفيا رفائيل والمعروفة بياتريسيا روكسبرغ بالسجن لمدة خمس سنوات ونصف لكنها خرجت من السجن بعد اثنين وعشرين شهراً وخلال وجودها في السجن طلبت قيثاراً ودرست علم نفس اللغة العبرية وراسلت كيوتس هاكوفش الذي تبناها وهي في السجن وكانت تحت رعايته ، كما انها كتبت مذكراتها ووضعت صوراً من رسمها ، وعلىٰ الفور نشرتها الصحافة الاسرائيلية والصحافة في جنوب افريقيا . كما انها أرسلت صوراً كاريكاتيرية لقائد الشرطة الذي استجوبها . وحينما علمت ان وكيل النيابة هاكون ويكر قد تعثر علىٰ الجليد وكسرت ساقه كتبت رسالة تتمنىٰ له فيها الشفاء العاجل ، بأختصار حافظت علىٰ علاقات اجتماعية حية .

عندما خرجت من السجن غادرت الىٰ اسرائيل حيث فرشوا لها الطريق بالورود ، ونظموا لها امسيات احتفالية ورقصوا حتىٰ الصباح وعندما رحلت مع محاميها الذي اصبح فيما بعد زوجاً لها ، الىٰ جنوب افريقيا لزيارة والديها رافقها حرس شخصي من الموساد .

الجنرال زامير وباقي الطاقم

يعيش الجنرال زفي زامير الان خارج الخدمة ليس كعقاب علىٰ العملية الفاشلة

في ليليهمر بل لأنه امضى سنوات الخدمة المقررة وبدأ حياته العملية الخاصة ويترأس الان هيئة الاشراف في احدىٰ شركات البناء الكبرىٰ .

أما ميكي الذي كان له دور رئيسي في عملية الموساد الفاشلة فلم يخسر موقعه كرئيس قسم العمليات الارهابية . ومن الطريف انه في اطار القيادة الداخلي قد اصبح عضو لجنة الموساد التي اخذت على عاتقها مهمة التحقيق في اسباب فشل الهيت تيم في ليليهمر .

اما تماري التي اثبتت نفسها كقاتلة محترفة من الطراز الاول فلا يعرف عنها أي شيء وعند ميكي الآن سكرتيرة اخرى أما بالنسبة لجوستاف باستير فقد كانت سعادته في سوء حظه ، فقبل فترة قصيرة من حادثة القتل جرحت ساقه وادخل المستشفىٰ في أوسلو ، وفي أول طائرة غادر الىٰ تل ابيب ولم يعد الان يعمل في الموساد .

اما القاتل والمجرم الثاني جناثان انجيلبي ومزمن وجه العدالة فهو متقاعد وفتح مكتب تحقيق جنائي خاص في تل ابيب ، وعندما قدم للمحاكمة رفض الاجابة علىٰ الاسئلة وكانت اجوبته ذات نغم واحد ، ووجهه ذو تعبير ثابت كما لوكان ذلك لايعنيه .. وقال في احد اجوبته للقاضي : لم اعرف شيئاً عن الحادث ، لقد وجهت اليّ أوامر ونفذتها دون نقاش حكم عليه بخمس سنوات ونصف وعندما خرج قبل المدة المقررة بعد اثنين وعشرين شهرا غادر الى اسرائيل ، ومنح اجازة طويلة لكي ينهي دراسته في الجامعة . ثم عاد الىٰ وظيفته في المخابرات السرية ويسكن الآن في حي هيرتسيليا .

اما دان ايريبل أرت فقد لعب دور الرجل الحزين الذي تورط في هذا الوضع الحرج دون ارادته ، بدأ مسكيناً معنوياته في الحضيض .. تحدث وتصرف كأنسان يستحق الشفقة ، كانت اجاباته تحتوي علىٰ حجج غير مفهومة ، وحول سؤال وجه اليه عن كيفية تورطه في ذلك رغم انه رجل اعمال وتاجر ذو سمعة جيدة ووضع مادي جيد اجاب وفي وجهه براءة : كان ذلك العرض مناسباً لي ، فقد قالوا لي انهم سيدفعون لي كل التكاليف التي ستأتكبدها كما انني ذهبت لشراء بعض الاثاث

لبيتي الجديد .

* هل اعتقدت حقاً ان دولة اسرائيل ستدعم رسمياً من كان خارجاً علىٰ القانون ؟

– ان العلاقات بين اسرائيل والنرويج ممتازة ، لذلك فكرت بأنه سيتم الاتفاق علىٰ كل شيء ، من الممكن ان ذلك كان غباء مني لكنني كنت مقتنعاً بذلك ، لذلك فأنني اعطيت المحقق رقم الهاتف في تل ابيب .

حكم علىٰ دان ايريبل بالسجن لمدة خمس سنوات لكنهم اطلقوا سراحه بعد سبعة اشهر وعاد الىٰ مكان عمله في شركة «اوسيم» وحصل علىٰ بيت ووضع في الحمام .. الادوات التي اشتراها من أوسلو ووضع في غرف بيته اثاثاً فخماً دفع ثمنه من المكافآة التي حصل عليها من الجريمة التي نفذها . ويعتبر الآن في اسرائيل مواطناً محترماً ورئيساً لقسم الدعاية .

وهكذا فأنه تقريباً لم يحصل شيء سوىٰ انهم قتلوا إنساناً بريئاً ترك ارملته توريل وابنتها التي ولدت بعد شهرين من قتل والدها .

الجاسوس الذي عشق الخيل

اسرائيلي تشن حرباً إرهابية ضد العلماء الألمان الذين تعاونو مع مصر في برنامج الصواريخ

* كفى ياسيد لوتز ، نحن نعرف كل شيء ، الاعتراف الكامل هو الذي ينقذك .

كان المقدم عبد الحكيم ، المنتدب من المخابرات السرية المصرية يسير جيئة وذهابا في الغرفة ، امام الطاولة ، كان يقف رجل شاحب بقامته الطويلة المنحنية قليلا ، وكانت يداه متشابكتين خلف ظهره ، لم يكن بها قيد ، وخلف الطاولة كان يجلس رجل قوي بلباس مدني، وهو رئيس المخابرات السرية صلاح نصر.

* قال صلاح نصر بقوة : مااسمك الكامل ؟

– يوهان ولفغانغ سيجسمون لوتز .

* هل انت الماني ؟

– نعم من مواليد مانهايم عام ١٩٢١ .

* ماذا كان يعمل والدك ؟

– مدير مسرح .

* اين ؟

– في برلين ، حيث عشت شبابي

* ثم عملت في فيهر ماختيه ؟

– نعم سيدي ، وفي الفرقة ١١٥ التابعة لرومل في افريقيا .

* اين حاربت ؟

– في شمال افريقيا ، حيث كانت لي اول علاقة بالخيول ، كنت احب الخيول

كثيراً ، وخاصة الخيول العربية الاصيلة ، حاربت ايضا في معركة العلمين .. الخيول هي سعادة حياتي ، لذلك انا هنا .

* اعتقد انهم اعتقلوك لاسباب اخرى ، ماذا فعلت بعد الحرب ؟

– خفت ان ابقى في المانيا . لم ار اية امكانية في اعادة بناء المدن المدمرة ، لذلك رحلت الى استراليا .

* وماذا فعلت هناك ؟

– عملت كسائق للشاحنات الكبيرة .

* كم كانت المدة ؟

– احدى عشرة سنة . كنت حزيناً . لذلك عدت .

* ماذا عن امك ؟

– كانت ممثلة . اسمها هيلينا . لكن ابي طلقها في النهاية ، كنت في ذلك الوقت اذهب الى المدرسة في برلين .

* هل عدت من استراليا الى مانهايم ؟

– لا بل الى برلين . حصلت على عمل كسائس في نادي الخيول ، كنت محظوظا بأن اكون مع الخيول . وفي أحد الايام تعرفت على السيد جوردون .

* ما أسمه الكامل ؟

– الياس جوردون .

* من كان هذا ؟

– لا اعرف بالضبط ، لكنني أعرف انه كان ثريا ، وانه عرض علي ان اعمل في تربية الخيول العربية الاصيلة ، كان ذلك حلما بالنسبة لي ، فوافقت ، وكضابط كنت احصل على مرتب ضئيل في ذلك الحين كنت مازلت شابا واحتاج الى النقود .

* اين مكان تربية الخيول ؟

– عرفني السيد الياس جوردون على سيد اخر ، كان اسمه رودي بير نشتاين الذي قال لي ، ان علي تأسيس ناد لتربية الخيول العربية الاصيلة مباشرة على ضفاف النيل ، كنت مسرورا بذلك ، عرض علي مبالغ مالية جيدة وقال لي انني ساذهب

في كانون الثاني – يناير عام ١٩٦١ لمدة شهر أو اثنين الى مصر لاتأكد من امكانية تنفيذ المشروع .

* اذن ذهبت الى القاهرة ؟

– ليس بعد ، عرفني هذان السيدان على شخص ثالث ، ومنذ أن رايت تصرفاته عرفت انه الرئيس .

* ماذا كان اسمه ؟

– لم يقدم نفسه ، لكنهم كانوا يدعونه جوزيف .

* ما أسمه الكامل ؟

– لا اعرف ، لانني لم اسمع به ابدا في حياتي .

* ما مواصفاته ؟

– طويل ، نحيف ، تكلم باللغة الالمانية بلكنة اجنبية ، قال لي مباشرة انه مقيم الموساد الرئيسي في اوروبا .

* وماذا عن الاثنين الاخرين بيرنشتاين وجوردون ؟

– انهما عميلان سريان ، بالتأكيد لم تكن اسماءهما الحقيقية ، صدقني ياسيدي ، كنت سيئ الحظ ، فمن جهة كنت سعيداً ، لانني سامارس اخيرا العمل الذي احبه ، ومن ناحية اخرى كنت خائفا ان اصبح جاسوسا اسرائيليا في مصر ، حيث حاربت مرة ، لكن ماذا كان امامي ، هل أرفض ؟ لقد قالوا لي بانهم سيجهزون شركة ، وساكون السيد الاول فيها ، مقابل ان ارسل لهم احيانا بعض المعلومات عن الاوضاع في مصر ، ماذا كان علي ان افعل لو قلت لا لقتلوني كشاهد غير مرغوب فيه ، اضافة الا انهم اغروني ، لم افكر كثيرا وقبلت العرض .

* ثم لم يكتفوا بالمعلومات عن مصر احيانا ، علموك تصوير المواقع العسكرية ، وأرسلت عدة مرات اسبوعيا رسائل بالشيفرة عن طريق اللاسلكي ، أرسلت الطرود والرسائل المتفجرة .. وبرقبتك ضحايا ابرياء .

– كل يوم كانوا يطلبون مني أكثر ، كنت في قبضتهم ، لم استطيع ان افعل شيئا ايها السادة ، ضعوا انفسكم في مكاني ، لو عرفتم ماهي المخابرات الاسرائيلية ،

عندما تقعون في ايديهم ..

* انقلوه الى النظارة .

بعد ذلك وقف الضابط النازي السابق لوتز امام الطبيب وخلع قميصه ..

* قلت اخلع ملابسك .

– تماما ؟

* تماما ، الم تذهب الى السباحة في حياتك ؟

– اذا كان الامر يتعلق بمرض جنسي ، فاطمئنوا بانه ليس ...

* قال الطبيب : انه ليس مختونا ، اكتب ... لوتز ليس يهوديا ..

– لقد قلت لكم من قبل انني الماني ، وولدت في مانهايم عام ١٩٢١ .

حديث مع جاسوسين

اعلن التلفزيون المصري في ٧ اذار – مارس عام ١٩٦٥ بيانا هاما وظهرت على الشاشة المذيعة التي تقدم نشرة الاخبار وقالت :

«ايها المشاهدون ، في نقل مباشر سوف تشاهدون حديثا مع اثنين من جواسيس الاعداء الخطيرين ، الذين القت قوات الامن القبض عليهما في الايام الماضية ، اقدم لكم رئيس المجموعة الارهابية الالماني ولفغانغ لوتز ، سوف يحدثكم عن الجرائم منذ عام ١٩٦١ في مصر ، ليبارك الله ابطالنا في قوات الامن الذين كشفوا مرة اخرى عن الخطط الاجرامية لاعدائنا» .

من المعروف ان الموساد الاسرائيلية تتعاون الى اقصى الحدود مع مخابرات الولايات المتحدة الاميركية ، ووقفت وكالة المخابرات المركزية سيئة الذكر ، خلف وجود المخابرات الاسرائيلية التي قدمت لها خارطة التنظيم ، وقدمت لها الاجهزة اللازمة ، وحصلت الموساد على اجهزة الارسال والتصنت من الولايات المتحدة الاميركية ، وتم تركيب احدث الاجهزة لتحليل الشيفرة الآلية الاميركية في قيادة الموساد الرئيسية ، وقد كونت علاقات شخصية بين بعض قادة الموساد وبين قادة المخابرات الاميركية ، اضافة الى ان الكثيرين من العملاء السريين ، كانوا يعملون في

المخابرات الاميركية ..

في اللحظة التي اعلن فيها تلفزيون القاهرة عن اعتقال الجاسوسين الاسرائيليين ، انطلقت من مطار ميداني في النقب طائرتان معترضتان خاصتان لاعتقاد قادة الموساد ، بأن الدعاية المصرية ستستغل الفرصة ، وتعرض الجاسوسين على المشاهدين ، وهاتان الطائرتان المجهزتان بأجهزة تشويش حديثة مستعارة من المخابرات الاميركية ، لكن هذه الاجهزة لم تستطيع منع ظهور ولفغانغ وزوجته على الشاشة الصغيرة امام المشاهدين المصريين ، لكنها منعت استقبال البث التلفزيوني المصري في اسرائيل ، ان الموساد لم تكن ترغب أن يشاهد الاسرائيليون فشل مخابراتهم السرية ، بخاصة ان هذا الفشل قد تكرر كثيراً في الاونة الاخيرة ، كما ان المخابرات السورية قد قامت باكتشاف واعتقال الجاسوس الاسرائيلي الياهو كوهين منذ أربعين يوما فقط ، وبدات محاكمته منذ أقل من أسبوع .

كانت الكاميرا تصور الحديقة التي اوليت عناية خاصة ، وطاولة عليها شرشف أبيض ، وعليها فنجان من القهوة وعلبة سجائر ، وعلى الكراسي البيضاء المصنوعة من الحديد ، جلس الجاسوس الاسرائيلي ولفغانغ لوتز وزوجته ومحرر أخبار التلفزيون ، كان الحديث يجري مع الجاسوس بكل هدوء لدرجة أنه يذكر بحوار بين صديقين التقيا بعد سنوات طويلة .

استمع المشاهدون الى الحديث بالاضافة الى ان الجاسوس اعترف بأنه انقاد ببراءته الالمانية المميزة ، وقد لعب الحصول على المال دورا كبيرا في انقياده ، فقد ضمنت الموساد له اضافة الى الراتب الشهري الكبير تغطية المصاريف كافة ، وتربية الخيول والسهرات المكلفة والاجور المرتفعة والسيارات والبيت ، ومن خلال ابتسامة له ، أكد بانه عومل أثناء الاستجواب معاملة «جنتلمان» وانه الآن يعرف مدى الاضرار التي تسبب بها ، وفي النهاية اعلن بان أحدا لم يجبره على الظهور في التلفزيون ، وانما اقترحوا عليه ذلك فوافق وقال :

«يؤسفني ايها المشاهدون ان جزءا من المال الذي تحصل عليه اسرائيل من جمهورية المانيا الاتحادية ، كتعويض عن الحرب ، قد استغل لتمويل نشاطي ،

نشاط مواطن الماني اتحادي ، نشاط جاسوس وضع في مصر ضد العلماء الالمان اذا كانت اسرائيل تريد أن ترسل الى مصر جواسيس ، فلترسل مواطنيها لا أن تورط المواطنين الالمان ، انني احذر كل المواطنين الالمان ، لكي لا ينقادوا الى هذه الطريق التي سلكتها بنفسي» .

نشرت الصحافة المصرية كل جديد عن نشاط لوتز التجسسي ، واعلنت عن موعد بدء المحاكمة ومنذ الصباح الباكر ليوم ٢٧ ايار – مايو عام ١٩٦٥ ... انتشرت في شوارع القاهرة دوريات مشددة من رجال الشرطة ، وحرسوا بناية المحكمة والشوارع الفرعية بقوات مضاعفة ، في قاعة المحكمة كان بالانتظار عشرات الصحفيين والمصورين من الصحف العالمية وشركات التلفزيون .

قادت الشرطة المتهمين الى قاعة المحكمة قبل ثلاثين دقيقة من بدء الجلسة وكان رئيس المحكمة حسن فهمي بدوي ، اما محامي المتهمين علي منصور فقد طلب تأجيل الجلسة ، فقد حصل على الاوراق منذ اسبوع ، ولم يتمكن من دراستها ، وكان عدد هذه الصفحات ١٨٠٠ صفحة .

المحاكمـــة

لم تتم جلسة الافتتاح ، واعيدت المداولة في ٢٧ تموز – يوليو بنفس المشهد وعلى الطاولة كانت أشياء مختلفة موضوعة عليها : جهاز ارسال صغير كالجهاز الذي استعمله كوهين ، لكن يعمل لمدى يزيد عن خمسمائة كيلومتر وميزان حمام استعمل لتخبئة الجهاز وقطعة صابون من نوع ياردلي مملوءة بالمتفجرات ، وعدة اصابع بلاستيكية ، كان من المفترض أن تدمر الميزان والجهاز المخبأ في حالة وصولها الى ايدي اخرى .

كان ولفغانغ يتكلم بكل رغبة وهدوء ، كما لو أن هذا الشيء لا يعنيه وكذلك زوجته التي كانت تدخن دون اي توتر ، وعندما صوب بعض المصورين كاميراتهم نحوها اتخذت وضعية مناسبة ، معطية لوجهها بعض التعابير ، واتفق الجميع على انها جميلة جداً وجذابة .

تحدث لوتز عن سيرة حياته قائلاً : «لقد جئت الى القاهرة في ٧ كانون الثاني – عام ١٩٦١ كسائح الماني ، نزلت الفندق ، وفي اليوم التالي سالت موظف الاستقبال أين يمكن ركوب الخيل في القاهرة ، كان اعضاء النادي من ضباط الجيش والشرطة ، لكنهم كانوا يستقبلون الغرباء أيضا ، ذهبت هناك لرؤية الخيل ، عندما رأيت الفرسان لفت نظري ضابط شرطة طويل ، كان له قوام ممشوق ، وخلال نصف ساعة تعرفت عليه ، كان يدعى الجنرال يوسف عزاب ، وقد دعاني الى كاس ، قلت له بعض جمل المديح عن فن الفروسية الذي يتمتع به ، وقلت له بانني أملك في المانيا مكانا لتربية الخيول وانني مهتم بالخيول العربية الاصيلة ، وفي اليوم التالي اتصل موظف الاستقبال بي هاتفيا وأخبرني ان رجلي شرطة ينتظراني في قاعة الاستقبال ، وانهما يريدان التحدث الي ، قالا لي : لقد كلفنا الجنرال عزاب ياسيد لوتز بدعوتك لحفلة بالحديقة ، وقد قدمني الجنرال عزاب لضيوفه على انني أكبر مربي خيول في المانيا ، وبعد فترة قصيرة ، اصبحت أتسلم دعوات مشابهة بشكل منتظم خلال النهار ، كنت عضو شرف في نادي الفروسية ، حيث كانت تحت تصرفي فرس ، وفي المساء كنت أذهب من سهرة الى اخرى» .

في اذار – مارس ، وبحسب الخطة المرسومة مسبقا ، عدت الى اوروبا ، طرت عبر ميونيخ الى باريس ، حيث قدمت لرؤسائي المعلومات ، أعطوني بعض الاحذية الفروسية الجديدة ، وفي كعب الحذاء الايسر كان مخفيا فيه جهاز الارسال ، وعندما أدخل ابرة في فتحة صغيرة فان الكعب ينفتح بالاضافة الى الجهاز كان في الكعب ايضا دفتر الكود ، فقد استعملت في الشيفرة بعض المصطلحات المتخصصة في مجال تربية الخيل .

عندما سافرت بعد عدة اشهر بالقطار السريع اورينت اكسبرس ، من باريس الى ميونيخ ، التقيت بالممر بسيدة شابة تحدثت معها ، كان اسمها فالد تراوث نيومان ، وكان عمرها ثمان وعشرين سنة ، وبعد عدة اسابيع من التعارف تزوجنا في ميونيخ ، ذهبنا لقضاء شهر العسل في البندقية ومكثنا أربعة عشر يوما ، ومن هناك عدنا الى القاهرة على متن الباخرة «أوسونيا» كانت زوجتي مستعدة لان تأتي

معي ، وفي ميناء الاسكندرية كان بانتظارنا الجنرال عزاب ، ليرحب بنا شخصيا على الارض المصرية .

استأجرت في القاهرة شقة مفروشة مكونة من خمس غرف في الزمالك بشارع اسماعيل محمد – ١٦ ، حصلت على ستة خيول ، ثلاثة للسباق وثلاثة للفروسية ، نظمت الفروسية في النادي ، والسباق في العباسية ، ونظمت سهرة لاستقبال زوجتي دعوت اليها كل معارفي .

مرت المداولة في المحكمة بسهولة ، كان المتهم موافقا على كل شيء مسبقا . كان ولفغانغ يجيب بطيبة خاطرة ، واعترف بصراحة انه ارتكب أعمالا اجرامية ، على أمل ان تأخذ المحكمة بعين الاعتبار اعترافه وتعتبره سببا لتخفيف الحكم .

تطـور مثـير

في اليوم الثالث للمداولة كشف النقاب عن شيء جديد وخطير ، وبعد افتتاح الجلسة في الصباح ، وقف المدعي العام ، سمير ناجي ، وطلب الحديث من الرئيس قائلا :

«المحكمة الموقرة ، اسمحوا لي ان أعلن عن شيء هام ، فقد وصلتني الان رسالة من أحد مواطني المانيا الاتحادية ، تؤكد بأن ولفغانغ لوتز ليس مواطنا المانيا غربيا ، بل هو مواطن اسرائيلي ، ففي عام ١٩٣٣ رحل مع امه اليهودية الى فلسطين ، وكضابط نشيط في الجيش الاسرائيلي ، وقد اجرت مجلة شتيرن الالمانية عن هذا الاكتشاف تحقيقا واسعا مدعما بالوثائق ، الا أن المخابرات السرية الاسرائيلية تمكنت من منع نشرة ، وتحتوي الرسالة على تفاصيل أخرى مثبتة ، أضعها تحت تصرف المحكمة .

رفعت الجلسة حينما أعلن محامي لوتز احتجاجه قائلاً : «أن ما ذكر ليس صحيحا جملة وتفصيلاً» .

كان الاعلان في الحقيقة صحيحا بكل كلمة من كلماته ، وتبين فيما بعد أن الرسالة قد كتبها المحامي الالماني الغربي ، ورئيس مجموعة العلماء الالمان ، الذين

كانوا يعملون في مصر ، في مشروع الدفاع الصاروخي ، وقد كان لدى البروفيسور بيلز دافع قوي للاهتمام بحياة الجاسوس الاسرائيلي الحقيقية .

رسائـل ملغومـة

كانت القاهرة ، وخاصة وسطها ، في عام ١٩٦٢ ، مدينة حديثة وضخمة بعماراتها المبنية من الطوب والزجاج وبفنادقها ذات المستوى الرفيع ومتاجرها التي تذكر بباريس أو روما ، وكانت الملاهي الليلية التي تعج بالرقص الشرقي والبارات تجذب السواح من كل منطقة ومن وراء البحار .

في احدى البنايات في وسط المدينة ذات الملايين العديدة ، كانت تجلس شابة جميلة وتفتح ككل يوم في مثل هذا الوقت الرسائل الواردة ، كانت تستمع أثناء ذلك الى الموسيقى العربية المنبعثة من المذياع بسعادة وتفاؤل ، كان ذلك في أول تشرين الثاني – نوفمبر .

كانت المرأة الشابة تعمل بهدوء ، فراتبها جيد ، ومديرها طيب ، وفي المانيا كانت تعمل كعاملة اضافية ، وهنا اصبحت سيدة من أرقى السيدات ، فقد اشترى لها البروفيسور ملابس سهرة فاخرة ، ورافقها الى حفلات الحدائق والكوكتيل ، كانت جميلة وطيبة وذكية ، جلست الان تفتح الرسائل ، نظرت الى عنوان مرسل احدى الرسائل وهي ممسكة الرسالة بيدها وكان العنوان :

مكتب المحامي هاندكيته في هامبورغ ، امسكت المقص لتفتح الرسالة فانطلق صوت انفجار مدو ، وفقدت سكرتيرة خبير الصواريخ الالماني البروفيسور بيلز ، وعيها ، وسقطت على السجادة مضرجة بدمها .

عندما جاء الى مكتب البروفيسور محققو الشرطة المصرية ، ورجلان بلباسها المدني راوا نتائج الجريمة ، فقد فقدت نظرها ويدها ، حيث كانت الاصابة مباشرة في الوجه وشظايا الانفجار في يدها اليمنى .

كان عنوان المرسل كاذبا طبعا ، وكانت عملية الاغتيال مدبرة من الاسرائيليين الذين يحاولون ثني الخبراء الاجانب عن مساعدة الجمهورية المصرية الفتية ، لم يكن ذلك الحادث الاول ، ولم يكن الاخير .

حـــرب ارهابيـة

اعلنت المخابرات السرية الاسرائيلية حربا ارهابية ضد جمهورية مصر الفتية ، ولم تستبعد كل الاساليب المجرمة ، كي تضغط على الخبراء الاجانب وتحيل حياتهم في مصر الى جحيم ، كان الامر متعلقا بعدة مئات من الخبراء الاوروبيين ذوي المراكز العلمية الرفيعة ، ومن بينهم بضع عشرات من مصممي الصواريخ من المانيا الاتحادية ، وفي مقدمتهم البروفيسور ولفغانغ بيلز ، كان هولاء الخبراء يساعدون المهندسين المصريين في تركيب صواريخ دفاعية ذات مدى متوسط من نوع «الظافر» و «القاهر» ، كما عملت مجموعة اخرى في مصانع الاسلحة في حلوان في تصميم الطائرات المقاتلة ، ومجموعة ثالثة بقيادة المهندس النمساوي فرديناند براند تنير تعمل في صنع طائراة حربية نفاثة بسرعة ٢٣٠٠ كيلومتر في الساعة .

منذ الخمسينات ظهرت في الصحف الالمانية الغربية اعلانات تقول : «مصانع للطائرات في شمال افريقيا تبحث عن طاقات متخصصة في جميع المجالات» . وارسل عملاء الموساد في المانيا الغربية الى قياداتهم نبا يفيد بأنه يوجد في شتوتغارت كينغ شتراسه ٢٠ في مبنى شركة الطيران العربية المصرية مكتب للتوظيف تتم فيه المقابلات مع العلماء الالمان للعمل في مصر .

حتى مدير معهد البحث الفيزيائي للمحركات النفاثة في شتوتغارت البروفيسور ايوجين سينجر ، رحل مع فريق دراسي مكون من عشرين شخصا الى القاهرة ، كما ان شركة «ميكو» تملك مكتبا في زيورخ ، مديره المهندس كميل ، وقد اكتشفت شركة لكانتون السويسرية فيما بعد ان هذا الشخص ذا الهيئة العربية وعمره في الاربعين ، هو في الحقيقة رجل أعمال دولي يتعامل بالمجوهرات والاسلحة . وهذا الامير المصري ذو الجواز السفر السويسري يدعى حسن سيد كميل كما أنه أيضاً ممثل مصانع الاسلحة السويسرية أوير ليكون لمنطقة الشرق الاوسط .

لم يثر الامير كميل اهتمام الشرطة السويسرية فقط ، بل كان يلاحقه عملاء الموساد ايضا واكتشفوا بسرعة تعاون الامير كميل مع الملحق العسكري المصري في بيرن العقيد رمضان ، ومع شركة «ميكو» في زيورخ لشراء الادمغة لحوالي ٢٥٠

شخصا من المخترعين في مجال الصواريخ ، غيروا مكان عملهم انذاك ، لكن عملاء الموساد لم يقتصروا على معرفة الوقائع .

في عام ١٩٦٢ ذهب الامير كميل مع زوجته الى المانيا الاتحادية ، حيث زار جزيرة سيلت ، وفي يوم الخميس ٧ تموز – يوليو استأجرا طائرة من نوع سيسينا للسفر الى دوسيلدورف ، وفي اللحظة الاخيرة غيرا برنامجها ، سافرت زوجته هيلينا الى مقاطعة ميكيلنبورغ وحدها ، وهوت الطائرة متحطمة لاسباب غير معروفة ، احترق الكابتن البالغ من العمر ٣٧ عاما مع زوجتة الامير كميل .

عندما علم رئيس الموساد ايسر هارئيل ، عن مشروع المهندسين المصريين وعن مساعدة الخبراء الالمان قدم تقريرا الى الوزارة ، وفهم الوزراء الاسرائيليون خطورة تلك الصواريخ والخطط المستقبلية لمصر ، فبدأوا بهجوم لا يعرف الرحمة على شخصياته القيادية في المشروع ، وظهر في القاهرة ولفغانغ لوتز ، وحمل سعاة البريد رسائل أو طرود ملغومة الى عدد من الضحايا المختارين .

حصلت محاولة اغتيال البروفيسور بيلز والتي ذهبت ضحيته سكرتيرته في نهاية تشرين الثاني – نوفمبر عام ١٩٦٢ ، لكن قبل ذلك انفجرت رسالة بريدية اخرى في بريد القاهرة ، وجرحت القنبلة عددا من الموظفين ، منهم واحد من الاسكندرية توفى متاثرا بجراحه ، وانطلقت شعبة مكافحة التجسس في اثر المجرمين ، وفي ايلول – سبتمبر حدثت واقعة لا تبدو للوهلة الاولى بذات علاقة مع عمليات الاغتيال ، الا انها تثير الاشتباه كثيرا .

اختفـاء الدكتـور كـروغ

اختفى رئيس شركة «انترا» الالمانية الغربية الدكتور كروغ ، دون أن يترك أثراً ، كان الدكتور كروغ كثير ما يتواجد في مصر ، حيث كان مهتما بايصال بعض القطع لبناء الصواريخ ، وكان له مجموعة من الفنيين ، كان يحب الذهاب الى المناطق المحروسة جيدا على البلاج ، في احد الايام ابلغ زملاءه ، بأن عليه ان يذهب الى ميونيخ ، حيث ستجرى مفاوضات تجارية هامة ، ركب الطائرة من مطار القاهرة ،

مغادرا الى ميونيخ ، وهناك اختفت اثاره الى الابد . وتبين ان المباحثات تلك تكن الا خدعة ، وان المخابرات السرية الاسرائيلية قبضت عليه ، وقامت بتصفيته جسديا .

في اليوم التالي للانفجار الذي اصاب سكرتيرة البروفيسور بيلز حصل هجوم اخر من قبل المخابرات السرية الاسرائيلية ، فقد سلم البريد طردا من الكتب الى المصنع العسكري ٣٣٣ مرسلا من هامبورغ الى رئيس الموقع العسكري الجنرال كمال عزاب وانفجر الطرد حيث فتح ، ولم يصب الهدف ، فقد كان الجنرال غائبا ، لكن ستة من الموظفين المصريين اصيبوا بجراح بالغة ، نقلوا على أثرها الى المستشفى .

الجاسوس الذي عشق الخيل (٢)

عميل سابق في المخابرات المركزية يزود مصر باحتياجاتها من المواد الاولية ويزود الموساد باسرار برنامج الصواريخ

معلومات عن المحاكمة السرية لعملاء الموساد تتسرب بعد ١٠ سنوات وتكشف تفاصيل مثيرة

بعد اقل من ثلاثة اشهر ذهب البروفيسور كلانيفاختر بسيارته في الطريق الموصلة الى بازل في سويسرا ، وعند «لوارخ» قاطعه ثلاثة رجال مسلحين اجبروه على الوقوف والنزول من السيارة صوب احدهم المسدس نحو البروفيسور لكنه لم يخف واشتبك معهم واثناء العراك سقط مخزن الطلقات من مسدس المهاجم مما دفع الارهابيون الى الهرب .

كان عملاء المخابرات السرية الاسرائيلية يقومون بمناورة لاثارة الرعب فقد كان البروفيسور كلاينفاختر واحدا من مصممي نظام السيطرة الالكترونية للصواريخ التي كانت تبنى للجيش المصري ، كما انه كان يحاضر في جامعة القاهرة .

هددت المخابرات السرية الاسرائيلية خبير صواريخ اخر هو البروفيسور باول جيرك بطريقة اخرى فقد تلقت ابنته هيدي وابنه راينر اللذان كانا يدرسان في فرايبورغ مكالمة هاتفية من شخص يدعى اوتو يوكليك الذي ادعى بأنه صديق والدهما وانه يحمل اخبارا منه لهما اتفقوا على موعد في صالون فندق «الملوك الثلاثة» في بازل .

لم يخطر ببال الشابين ان هناك فخا مدبرا لهما جاءا الى الفندق وجلسا مع الرجل

المجهول حيث فوجئا بشيء مدهش فقد بدأ يوكليك بتهديدهما بكل وقاحة وقال ان على والدهما ان يترك العمل مع المصريين فورا وإلّا فأن نفس المصير الذي لاقاه اخرون بانتظاره وان المخابرات السرية الاسرائيلية ستعمل على اخفائه دون آثار وذكرهم يوكليك بمصير ايخمان الذي عرفوا كيف يصفون حساباتهم معه .

اعتقـال العمـلاء

اتفق راينر ابن البروفيسور جيرك مع يوكليك على موعد آخر في نفس المكان ثم ذهب واخبر الشرطة بما جرى فقامت بتركيب جهاز تنصت عند احدى الطاولات في نفس الفندق وعندما التقى راينر واخته هيدي مع يوكليك في اليوم التالي كان برفقة رجل آخر قدمه باسم يوسف بن غال كان يقوم على خدمة طاولتهم قائد في الشرطة الجنائية انتحل شخصية النادل وكثير من الزبائن في المطعم المجاور كانوا شرطة بلباس مدني وتم تسجيل المحادثة القصيرة على شريط استخدم كدليل في المحكمة غادر يوكليك وبن غال ولاحقهما رجال الشرطة السويسرية حتى زيورخ حيث القي القبض عليهما .

يوكليك يعمل على الخطين

كان اصل اوتو فرانز يوكليك من اوسترافا في تشيكوسلوفاكيا لكنه يعيش منذ مدة طويلة في سالزبورغ اما يوسف بن غال فان مكان اقامته الدائمة في تل ابيب زعم يوكليك بأنه عميل سابق في المخابرات المركزية الاميركية وانه حصل على لقب دكتور مهندس واكد انه خبير ذري ورغم انه خدم مرة ككابتن في الاركان العامة النازية وانه تمكن من اخفاء هذه الحقيقة واكتساب ثقة القاهرة وفي الوقت الذي يعمل به في نفس المكان صديقه لوتز كان يؤمن المواد الخام للمخابرات المصرية وكان يقوم بشراء الكوبلت والمواد المشعة الاخرى من الخارج ويرسلها الى عناوين غير حقيقية ويرسل يوكليك الى الموساد بانتظام اخبارا عن العلماء الالمان وبحسب تحقيقات الشرطة السويسرية فان يوكليك اشترك في بعض عمليات الاغتيال في

القاهرة وان له ضلعا في اختفاء الدكتور كروغ واشترك في حادثة الدكتور كلانيفاختر .

ادعى بن غال ، ٣٢ سنة من تل ابيب امام المحقق السويسري بأنه يعمل في وزارة الثقافة الاسرائيلية واطلعهم على اوراقه الثبوتية لكن الشرطة في زيورخ تمكنت من اثبات ان يوسف كان عميلا سريا في الموساد وانه ضابط الاتصال مع الجاسوس المقيم في مصر لوتز .

توقع عملاء المخابرات السرية الاسرائيلية ان يكون هناك تأثير نفساني لاعمالهم الارهابية ضد الخبراء الالمان في مجال الصواريخ وان يكونوا قد توصلوا الى قناعة اخرى وهي انهم ليسوا آمنين على حياتهم في اية دولة اوروبية وان حادثة اختفاء الدكتور كروغ في وسط ميونيخ وبقية الاعمال الاجرامية الاخرى تثبت بان افضل مكان لاقامتهم هو مصر حيث يبقون تحت حماية رعاية الشرطة المصرية .

اما ولفغانغ لوتز الفارس الرياضي الممتاز والرجل الاجتماعي المسلي والذي لم ينقصه المال فقد اصبح صديقا لايعوض بالنسبة لمجموعة العلماء الالمان المعزولة واصبحت سهراته في الفيلا بمنطقة الزمالك بالنسبة لهم تسلية ينتظرونها بفارغ الصبر .

عدا عن ذلك فانهم لم يخافوا الكلام هنا فقد كان لوتز مثلهم المانيا وضابطا سابقا في فيهر ماخت وزوجته سيدة اجتماعية لاتقاوم . لم تكن بينهم حواجز وكانوا يوحون له بمتاعبهم وهمومهم يشربون ويتسلون ويرقصون ويتكلمون وفي رحلاتهم في الصحراء حين قدم لهم لوتز بطيبة خاطر افضل خيوله ليركبوها ولم يخطر ببالهم ان عليهم ان يتنبهوا لكل كلمة يقولونها .

كيف كان من الممكن ان يخطر ببالهم ؟ فصديقهم لوتز وزوجته الرائعة لم يكن لديهما ادنى اهتمام بالامور التكنولوجية ولم يهتما بعملهم في المختبرات ومع ذلك فقد كانا يرسلان الى تل ابيب معلوماتهم بانتظام حول تطور التصميمات والاستعدادات لتصنيع الصواريخ وكانت اخبار لوتز تثير ضجة في تل ابيب .

كان الجاسوس الاسرائيلي يعيش وكأنه في الجنة فلم يشتبه به احد وكانت مهمته الوحيدة ان يستمع لما يقال وان يدخل الحمام مرة واحدة في اليوم حيث كان يخفي

جهاز الارسال قام فنيو الموساد بتركيبه في الميزان الذي كانت تستعمله زوجته لمراقبة وزنها .

لم تكن الاخبار الواردة الى اسرائيل مريحة انفجرت مضاعفات جديدة فقد اثارت الهجمات الارهابية على العلماء الالمان استياء شديدا في بون ولان الالمان كانوا مصدر التسليح الرئيسي لاسرائيل فقد بدأ الهمس يدور حول عواقب سياسية متوقعة .

خلاف في تل ابيب

كان رئيس الوزراء الاسرائيلي بن غوريون هادئاً ولم يرد ان يصدق بان تطور الامور في مصر يجري بهذه السرعة ونتج خلاف حاد بين رئيس الوزراء ورئيس الموساد أيسر هارئيل وفي احدى المناقشات اجاب هارئيل : «سوف يقوم نائبي بتقديم ادلة مقنعة لكم» ثم خرج من القاعة حيث التقى مع مدير المخابرات الالمانية رينر هارد جيهلين كي يتفقا وكانت المناقشة بينهما حيوية لكن بدون نتائج فقد اكتفى رئيس المخابرات الالماني الغربية بطمئنة زميله الاسرائيلي بان افضل اصدقائه هم من اليهود وخرج الرئيس الجديد خائبا .

رسالة تحتاج الى تحليل

حتى ذلك الحين لم تكتشف شعبة مكافحة الجاسوسية المصرية شيئا ومنذ فترة حصلت على اثر يثير التفاؤل وتابعته فقد التقطت رسالة لاسلكية من جهاز لوتز لم تتمكن بعد من حلها لكنها قامت وبشكل منتظم بتسجيلها على شريط ولم يتمكنوا من تحديد مكان الجهاز فيما بعد حينما استطاع فنيو المخابرات المصرية فك رموز الشيفرة التي استعملها لوتز ، نشر خبر ارسله لوتز الى تل ابيب ومن خلال هذا الخبر واخبار اخرى تبين مايلي :

«ان كورنيليا تعمل لصالح جهاز استخبارات اجنبي اذا كانت تعمل لصالح شركتنا فاستدعوها فورا»

حادثة مع كورنيليا

قامت تل ابيب فعلا باستدعاء كورنيليا فبعد عدة ايام وصلت برقية من بون تطلب منها العودة لان جدتها مريضة جدا فمن كانت كورنيليا الغامضة تلك ؟ ولماذا اصبحت مزعجة بالنسبة للجاسوس الاسرائيلي لوتز لدرجة انه طلب ابعادها فورا ؟

مر استدعاء الجاسوسة الاسرائيلية في مراحل درامية فقد ظهر بين خبراء الصواريخ اخصائي جديد في الرادارات ويدعى شارلي بيندر كان يسكن مع زوجته وابنه في حي من احياء القاهرة قرب المطار حيث كان يوجد مكتبه للتصميم ولانه كان المانيا والتقى بابناء بلده فقد كان طبيعيا ان يظهر في الحفلات التي تنظمها عائلة لوتز تلقى شارلي بيندر دعوة فجاء هو وزوجته الى حفلة في حديقة ، وسر بالوسط والاصدقاء الطيبين وايضا فان السيدة فالترود لوتز تصادقت ومنذ اول زيارة مع السيدة بيندر واصبحت العائلتان تتبادلان الزيارات المنتظمة .

جلست السيدة بيندر ذات مرة امام ملعب التنس في النادي الرياضي مع زوجة احد علماء الآثار الالمان وتدعى كورنيليا وبعد قضاء وقت اتفقتا على ان تذهبا معا الى منزل بيندر فقد دعت السيدة بيندر صديقتها الجديدة على كأس .

عندما جاءتا الى البيت ، جلستا في الصالون ، احضرت السيدة بيندر كأسا من المشروبات ذهبت الى الثلاجة لتحضر الثلج ووضعت الماء على النار لعمل الشاي وعندما عادت لم تجد احدا في الصالون نظرت في الحمام وجربت يد الباب لترى فيما اذا كانت صديقتها هناك لكنها لم تجد احدا في تلك الاثناء صفر ابريق الشاي معلنا عن غليان الماء فركضت السيدة بيندر الى المطبخ لتطفئ النار ، أشعلت سيجارة وخرجت الى الساحة لكنها عادت الى الفيلا وقامت بتفتيشها بشكل دقيق وقد وجدت السيدة كورنيليا تقف في غرفة النوم بجانب النافذة وتغلق حقيبة يدها .

لم تتفوه السيدة بيندر بكلمة واحدة جربت ان تتكلم لكن صدرت حشرجة من حلقها اعتذرت زوجة عالم الاثار الالماني وابتسمت وبسرعة قالت بضع جمل وخرجت نظرت السيدة بيندر حولها والقت بنفسها على اقرب كنبة محاولة ان تفهم ماذا جرى .

حدثت السيدة بيندر زوجها بهذه الحادثة الغريبة فاخذها الى غرفة النوم عند النافذة حيث كانت السيدة كورنيليا تقف وتغلق حقيبتها اشار الى الاسفل فقد كانت غرفة النوم تطل على مكتب التصميم .

لم يشك شارلي بيندر بمهمة السيدة كورنيليا فقد كان واضحا ان فرصة سنحت لها اثناء نظرها من النافذة واستغلتها حيث كان في حقيبتها آلة تصوير .

كان خبير الرادارات بيندر قبل كل شيء فنيا وكان يسمع عن الجواسيس في القصص فقط في البداية لم يدر ماذا يفعل لكنه تذكر صديقه الوقور لوتز الذي كان مقتنعا بأنه سيعرف ماذا يجب ان يفعل فاتصل به هاتفيا ودعاه الى لقاء .

التقيا في الصباح كان شارلي بيندر متهيجا وكشف لولفغانغ عن مخاوفه من زوجة عالم الاثار كورنيليا لابد وان تكون جاسوسة اسرائيلية وقد دخلت الى غرفة النوم في الفيلا وقامت بتصوير رسومات هامة لم يخطئ شارلي بيندر لقد كان لوتز رجلا متفهما حقا حافظ على هدوئه بثباته وابتسم معلنا بأنه سيتدبر الامر بنفسه فهو يملك صداقات واسعة على اعلى مستوى وستعرف المخابرات المصرية كيف تتصرف مع المشبوهة كورنيليا فلا ضرورة للتوتر اذ ان الشرطة لها تكتيكها الخاص وستكشف بالضبط من هي مدام كورنيليا سيقومون بمتابعتها لتقودهم الى جماعتها حيث يكون رجال الشرطة بانتظارهم والقبض عليهم جميعا .

اعجب شارلي كثيرا بمقدرة وكفاءة صديقه وسحر بعلاقاته الاجتماعية الواسعة عاد الى البيت وطمأن زوجته بأن القضية اصبحت في ايد امينة واخذ يتابع الصحف الصباحية منتظرا ان يظهر الاكتشاف على الصفحة الاولى لكن مدام كورنيليا كانت في ظروف اخرى غير التي توقعها السيد بيندر فلم تعرف الشرطة المصرية عنها شيئا وفي احد الايام استلمت السيدة كورنيليا برقية فطارت من مطار القاهرة الى المانيا بحجة ان جدتها مرضت فجأة ولم يدر احد ان الامر كان استدعاء للجاسوسة سببه مقيم المخابرات الاسرائيلية في القاهرة ولفغانغ لوتز رغم انهما لم يتقابلا ابدا فقد اكتشف خطوتها الخاطئة .

للمصريين علاقة خاصة بالالمان الغربيين ففي الكثير من الحالات لايهتمون

بماضيهم النازي ومنذ سنوات طويلة كان عدوهم التقليدي هو بريطانيا ، عندما ظهر في صحارى شمال افريقيا الماريشال النازي رومل بقواته نظر المصريون الى جنود فيهر ماخت كحلفاء يساعدونهم لهزيمة الاستعمار أنتهت الحرب العالمية الثانية وفهموا العلاقة التي لم يفهموها حتى ذلك الوقت وتقبل الرأي العام اعضاء فيهر ماخت السابقين افضل بكثير في دول اخرى ، كان الامر بسيطا لقد ساعد العلماء الالمان صناعة السلاح المصرية التي كانت ستؤمن تفوق الجيش المصري في منطقة الشرق الاوسط وحماية امن البلاد ضد الخطط العدوانية الاسرائيلية .

كان مشروع انتاج الصواريخ والطائرات النفاثة يتبع لوزارة الدفاع المصرية والاستخبارات العسكرية للقوات الجوية كان قائد هذه الاستخبارات هو العقيد محمود خليل وبما ان معظم الخبراء الاجانب كانوا المان غربيين فقد كانت علاقة الاستخبارات العسكرية والقوات الجوية طيبة مع مخابرات جيهلين عدا عن حاجتها للمعلومات منها فقد كان من الضروري التأكد من المهندسين الالمان الغربيين الذين سيعملون في مختبرات ومصانع السلاح وقدم عملاء جيهلين الى مصر معلومات تفصيلية وفي اللحظة المناسبة حققوا في سيرة حياة الرجل الجديد في القاهرة عاشق الخيل ولفغانغ لوتز .

لم يحضر مقيم المخابرات الالمانية الغربية الى القاهرة بلباسه الرسمي وبأوسمة على صدره كان يرتدي لباسا انيقا وقدم نفسه كمدير عام للمجموعة الصناعية «كوانت» ، أي كرجل وقور وحالا بعد وصوله وضع نفسه بين افراد الطبقة العليا من المجتمع ومن البديهي عاجلا ام اجلا لابد ان يلتقي المتنافسان من قبل ذلك التقت اهتماماتهما اكتشف جيرهارد بوش بان معلوماته التي يرسلها الى المركز في بولاخ بالمانيا الغربية ليست سرية اذ انها تظهر في اجهزة المخابرات كمنافسة فافترض ان احدا يتنصت لارساله وان المخابرات الاسرائيلية تمكنت من فك الشيفرة التي يستعملها لكن لم يخطر بباله هو ولوتز انهما يحصلان على معلوماتهم من نفس المصدر كان المقيم الالماني الغربي بوش ينافس الجاسوس الاسرائيلي لوتز .

علاقـــات

بدأ عاشق الخيل حياته العملية بصعود حاد وكان اول اصدقائه الجنرال فؤاد عثمان والعقيد محسن وهما بالنسبة لجاسوس مبتدئ فئة نادرة كان الجنرال فؤاد رئيس الامن وعلى عاتقه تقع مسؤولية حماية المصانع الحربية وقواعد الصواريخ وقام الجنرال والعقيد بتقديم صديقهما الجديد الى شخصيات هامة من ضمنهم حسين الشافعي نائب رئيس الوزراء كما انه ومن اللحظة الاولى لوصوله رفع التكليف مع خبراء الصواريخ الالمان فقد كان يلتقي مع الزوجين كيسوف وفيما بعد اتهم فرانز كيسوف بالتجسس مع لوتز .

مصارحـــة

في احدى الحفلات المسائية اخذ الجنرال فؤاد عثمان لوتز جانبا وحذره قائلا : «اسمع ياولفغانغ ان بوش هذا يتسمع بانتظام الى كل كلمة تقال انتبه له صحيح انه مندوب لاحدى الشركات الالمانية الغربية رسميا ، لكننا جميعا نعرف بأنه جاسوس فهو يعمل لمنظمة جيهلين الالمانية لقد تركناه وشأنه لان الرئيس جمال عبد الناصر يريد الحفاظ على علاقات الصداقة مع بون بأي ثمن ، من الواضح لنا ان كل المعلومات التي يرسلها الى بلاده تصل الى طاولة قيادة وكالة المخابرات المركزية الاميركية فهذا الشيء مقابل شيء ، فالمخابرات الاميركية تمول بعض نشاطات جيهلين ، انت الماني ياولفغانغ ولربما حاول استغلال موقفك لاتستغرب انني اتحدث معك بصراحة فلا يمكنني ان اتحدث غير ذلك لانني ارالك لست مبالبا بالامور السياسية وليس عندك ادنى فكرة عن المخابرات السرية لذلك قررت ان أحذرك» .

تسـريب معلومـات

سلم جاسوس جيهلين في القاهرة للجهات المصرية معلومات من رئيسه في بون اوصت شعبة مكافحة التجسس المصرية ، بأنها لم تر شيئا ، وتركت الجاسوس

يصور بعض الاسلحة السوفياتية التي قدمها الاتحاد السوفياتي لمصر في اطار اتفاقية عسكرية .

كان يوجه نشاط الجاسوس ضابط الاتصال المصري العقيد محمود خليل كان اول من ادرك بأن المعلومات نفسها تصل في نفس الوقت الى منظمة جيهلين والى الموساد وكان هو ورؤسائه الذين تلقوا تقاريره مقتنعين بأن المخابرات الالمانية الغربية تتعاون مع المخابرات الاسرائيلية .

بنى ولفغانغ لوتز في القاهرة موقعا اجتماعيا جيدا واصبح واحدا من اشهر الشخصيات الالمانية في مصر بل ان قيادة الموساد في هاكيريا اعتبرته عميلا اخر لها في مصر قدم هذا العميل تقريرا عن زميله الذي لم يعرف عنه شيئا كمجرم نازي سابق يتحرك في القاهرة كما لو كانت تحت سيطرته وانه مهتم بتربية الخيول وله علاقات قوية مع الوزراء واقترح هذا العميل ان يجهز هو ايضا ناديا للخيول لكي يصل الى علاقات مع هذه الشخصيات ولكي يتمكن من الحصول على المعلومات المختلفة منهم وقد اجابته الموساد انهم لايستطيعون ان يتكبدوا تكاليف مغامرة كهذه .

تفاصيـل المحاكمة السريـة

قدم لوتز وزوجته وكيسوف الى المحاكمة في نهاية شهر ايار – مايو عام ١٩٦٥ ورغم ان المحاكمة لم تكن علنية ، الا ان الكثير مما جرى داخلها تسرب من خلف الابواب ، والمعلومات الكاملة التي تعطي فكرة عامة عن نشاط الجاسوس امكن جمعها بعد عشر سنوات واكثر ، بعد ان تغير المسرح السياسي في مصر وطفت على السطح اشياء كثيرة ، وقد اكدت بنفسي ، انه في وقت نشاط لوتز وبدون صعوبة بان هناك معلومات كثيرة عن التجهيزات العسكرية اذ كان يكفي استئجار سيارة تكسي وبمساعدة الدوريات العسكرية عبور شبه جزيرة سيناء من القاهرة وحتى البحر الاحمر .

التسلل الى المواقع

حمل لوتز في احدى سفراته من اوروبا سيارة فولكسفاغن من نوع السلحفاة الى مصر وفي صباح احد الايام ركب مع زوجته السيارة وحملا معهما صندوقا برادا لحفظ الاكل واخر لحفظ الماء والمرطبات وذهبا الى البحر وكان بامكانهما الذهاب الى بورسعيد ومضيق السويس او عبور الخط المحاذي للبحر الاحمر من الكورال بيتش حتى السخنة وقد اختاروا الطريق الثانية وقام لوتز وزوجته الحسناء بتصوير تجهيزات عسكرية على الاغلب وكانا عندما يصلان الى الموقع يستعملان عدسة عادية وعبرا عدة صواريخ بقرب الاسماعيلية وتصرفا كسائحين لامبالين ولم ينتبها للوحة التي تشير الى عدم المرور في المنطقة وفي النهاية اصبحا داخل الموقع العسكري حيث اخذا يتبادلان الصور الى ان جاءت دورية عسكرية والقت القبض عليهما .

حاول السائح الاوروبي ان يشرح بكل حيوية واستفاضة موقفه لكن الجنود لم يفهموا ماذا كان يقول وقادوه مع زوجته الى القائد ذهبا سيرا على الاقدام حيث اضطرا الى ترك سيارتهما في مكان القاء القبض عليهما كان مقر القائد بعيدا فعبرا معظم المواقع وكان هذا هدف الجاسوس لوتز كان يعرف انه لايتمكن بصورة طبيعية الدخول عبر الاسلاك الشائكة وعندما القى الجنود القبض عليه فانه استطاع الاطلاع على المعسكر من الداخل وبمرافقة مجموعة من الجنود ثم شرح للقائد وببساطة انه لم ينتبه للوحة واعتذر وذكر له اسماء بعض الضباط ذوي النفوذ وانهم من اصدقائه المقربين فاطلق الضابط سراحه واصبح حرا وعندما قاده الجنود الى السيارة امكنه مشاهدة قاعدة الصواريخ مرة اخرى وفي المساء ابلغ تل ابيب بدقة موقع اطلاق الصواريخ .

لانستطيع ان نتصور الظروف العربية . وبخاصة المصرية كاوربيين وبخاصة الستينات فلم تكن هناك ضوابط كالتي اعتدنا عليها بين العسكريين والمدنيين كان لوتز يشتري صداقة المسؤولين رفيعي المستوى ، وكذلك الضباط والسياسين، ، وكان يدعوهم لامسيات وموائد عشاء فاخرة ويحمل لهم الهدايا من زياراته المتكررة الى اوروبا وأصبح صديقا للعديد من العائلات واستغل هذه الصداقة .

كان للجنرال يوسف عزاب ابنة ذات انف اكبر مما يجب وقام الصديق المخلص لفغانغ بحل مشكلة هذا الانف ففي عيد ميلادها الثامن عشر اعلم عائلتها بأنه اتفق مع افضل اخصائي في جراحة التجميل في ميونخ لاجراء عملية لانفها ولان هذا الاخصائي البروفيسور هو صديقه فسوف يجري هذه العملية مجانا ، واصبح الجنرال عزاب وبقية العائلة مدينين له طيلة الحياة على هذا الجميل وبالطبع فان الموساد هي التي قامت بدفع تكاليف العملية لهذا البروفيسور .

يعرف العربية وينكر

استعمل ولفغانغ لوتز وبنجاح تلك الطريقة القديمة الجديدة التي تستعملها المخابرات السرية . لم يعترف ابدا بانه يعرف اللغة العربية لذلك كان يستمع للكثير من المحادثات ذات المضمون السري واستمع لرأي الاصدقاء به وعندما القي القبض عليه واستجوبوه كان يعرف مقدما تكتيك المحققين لانهم كانوا يتشاورون امامه ويتبادلون الرأي حول نتائج التحقيق واعدوا الخطة للخطوة القادمة كان يعرف مقدما لعبة المحققين الضباط الذين ارادوا ان يضعوه في موقف حرج ليعترف بكل شيء .

لاشك ان اسرائيل وضعت جاسوسها لوتز في المراتب العليا في تأريخ تجسسها كان يرسل وبانتظام رسائله وبالشيفرة لكن تلك الرسائل الطويلة والمعقدة او الخرائط التي تحتوي على ملاحظات كان يسلمها شخصيا فقد كان يركب الطائرة من القاهرة وبعد اربع ساعات كان يجلس مع زميله في سيارة امام مطار اورلي في باريس .

وفي صيف عام ١٩٦٢ استدعاه رؤساؤه الى باريس حيث امروه بأن يسلك طريقا اعقد ظهر في البداية في مطار فيينا ومن هناك طار الى ميونخ حيث اشترى تذكرة الى باريس ومن هناك نقله التاكسي الى بيت قرب «ايتوا» حيث وقف امام لجنة من عضوين فماذا حدث ؟

هنا يجب ذكر هذه الحادثة لانه توثق وبشكل مباشر العلاقة بين الموساد والمخابرات المركزية الاميركية .

الجاسوس الذي عشق الخيل ٣

المخابرات الأميركية تزود الموساد بأسرار تجارب الصواريخ المصرية

عبارة .. أوقعت لوتز في الفخ

رسالة من رئيس الموساد لعبد الناصر تعترف بأن ليتز ميجر بالجيش الاسرائيلي

اعترف الموساد الاسرائيلي بالتعاون مع المخابرات المركزية الاميركية فيما يختص بمصر ، في النشرة التي صدرت في أوتاوا عام ١٩٧٧ ، بغض النظر عن موافقة أو عدم موافقة المخابرات السرية في كلا البلدين ، ففي عام ١٩٦٢ ، جرب المصريون في مكان ما من الصحراء أول اطلاق غير ناجح لصواريخهم أرض – أرض ، وقد كان عملاء المخابرات الاميركية يراقبون ذلك ، ثم أعطوا معلوماتهم حول النتائج الىٰ قيادتهم ، وقامت المخابرات الاميركية باعطاء هذه المعلومات الىٰ الموساد ، ضمن اطار التعاون بينهما . اذن كان عند اسرائيل ، وفي وقت مبكر ، وصف للصواريخ ، وربما لمواصفاتها الفنية ، لكنهم لم يحصلوا عليها من مقيمهم في القاهرة ، بل من منافسيه .

لذلك كان علىٰ لوتز أن يسمع النقد الشديد الموجه اليه ، وان يعد بأن يكون أفضل في المرات القادمة ، وبالطبع قد عمل كل ما في وسعه ، وعاد ثانية الىٰ القاهرة ، وبدأ لعبة ذلك الفني الذي ليس عنده هموم والذي لايوجد في رأسه سوىٰ سباق الخيل والحفلات .

كشف بالاسماء .. ورسائل تهديد

كان هو الهدف ، وتمكن الجاسوس الاسرائيلي ، بسرعة ان يرسل الىٰ تل ابيب كشفاً بأسماء العلماء والفنيين الالمان الذين يعملون في مصر مع عناوين عائلاتهم

وسيرتهم الذاتية المختصرة ، وبما أن بعضهم كان يعمل في وقت من الاوقات في مراكز الابحاث النازية ، بموقع بينيموندية لأنتاج الاسلحة فلم تكن هذه المعلومات سيئة بالنسبة للموساد .

هذه المرة لم تستلم زوجات المهندسين أو ابناؤهم طردوا بريدية تحتوي علىٰ المتفجرات ، أنما وصلت رسائل الىٰ بعض العناوين في المانيا الغربية والنمسا ، ومن هذه الرسائل النص الآتي : «نود أن نعلمكم بأن أسمكم أصبح مسجلاً في القائمة السوداء للالمان الذين يعملون في مصر ، اننا مقتنعون بأن حياة زوجتكم جيرترودا لها قيمة بالنسبة لكم ، وكذلك حياة بناتك هانز ومونيكا ، نحذركم بأنه من مصلحتك ايقاف العمل مع الجيش المصري» .

حاول بعض الكتاب ان يقيموا الاخبار التي أرسلها لوتز الىٰ تل ابيب ، وحاول اخرون ان يساووا نشاطه بنشاط كوهين في دمشق ، فقد أرسل الجاسوسان اخباراً ثمينة «للمعهد» لكنهما سببا ازمة للموساد ، وكانا سبباً في اعادة تنظيمها ، كما اصبحا نقطة سوداء في تاريخ المخابرات السرية الاسرائيلية ، رغم ان الصحافة الصهيونية ، حاولت ان تبني من فشلها اسطورة ، وأن تعتبرهما في منزلة الابطال .

ارتكب الاثنان كوهين ولوتز ، اخطاء كثيرة لاتغتفر في العمليات السرية ، فقد اخذ لوتز صورة له مع الحصان الفائز ، وتم نشرها في المجلة المتخصصة «ريتر ريفيوانترناشيونال» التي يشترك فيها عشاق رياضة الفروسية في الكثير من الدول ، وقد وصل عدد أيار – مايو الصادر في المانيا الغربية الىٰ طاولة رئيس الموساد ، وتحت صورة عميلهم السري قرأ أيضاً لأحد المتخصصين المشهورين في هذا المجال ، ويدعىٰ بيسنجر الذي عاد من القاهرة كتب يقول : «أثناء زيارتي لمصر التقيت في نادي الفروسية في منطقة الجزيرة بالسيد ولفغانغ لوتز ، الذي كان لي معه أحاديث ممتعة للغاية وفي الصورة ترىٰ عاشق الخيل السعيد» .

لو رآىٰ شخص ممن عرفوا لوتز في تل ابيب ، لانفضح أمره ، أما الخطأ الذي لايغتفر ، فقد ارتكبه الجاسوس الاسرائيلي بعد أعقتاله ، حيث تحدث أكثر مما طلب منه ، وهذا ما لاتسمح به المخابرات السرية حتىٰ للمبتدئين .

كيـف اعتقـل الجاسـوس

هناك روايتان حول كيفية القاء القبض علىٰ الجاسوس الاسرائيلي من قبل قوات الامن المصرية ، ولايستبعد أنهما تكملان بعضهما البعض .

كان كل شيء يسير علىٰ مايرام بالنسبة للوتز وزوجته . وكانت كلمات التشجيع والحمد تأتي اليهما من تل ابيب ، كما انه لم يكن هناك مشكلة مالية بالنسبة لهما ، فقد أمكن توفير الكثير من الحفلات الاستعراضية ، حيث تزايد رصيد الزوجين بشكل ملحوظ ، لذلك ارادت السيدة فالدروت لوتز ، ان تعيش بالرخاء الشرقي ، فقامت في شباط – فبراير عام ١٩٦٥ ، بدعوة والديها الىٰ القاهرة ، اللذين أحسا بأنهما يعيشان في السماء السابعة عندما هبطا في مطار القاهرة الدولي .

ارادت الابنة السعيدة ان تقدم والديها الىٰ اصدقائها المرموقين فأنطلقوا معاً بالسيارة في رحلة لعدة ايام ، ساروا أولاً بمحاذاة دلتا النيل الىٰ الاسكندرية ، ومن الاسكندرية بمحاذاة شاطئ البحر الابيض المتوسط الىٰ مرسىٰ مطروح حيث كان يعمل صديق العائلة الجنرال عزاب ، وفي مكان اقامته قضت عائلة لوتز أجمل أيام اقامتهم في مصر .

استقبل الجنرال عزاب ضيوفه بطريقة لانجدها الا في الافلام الخيالية ، اذ اصطفت ثلة من حرس الشرف ، ومجموعة من الراقصات الشعبيات ، واقيمت مسابقات الخيول ، اضافة الىٰ مأدبة عشاء فاخرة وهذه الاحتفالات على شرف الجاسوس الاسرائيلي هي التي كانت وراء سقوطه .

قامت المخابرات المصرية بمتابعة نشاط الزوجين لوتز ، ففي ٢٢ شباط – فبراير ، عاد الزوجان ووالدا السيدة لوتز من رحلتهم الىٰ مرسىٰ مطروح وهما في قمة المزاج الطيب ، وقف ولفغانغ لوتز امام بوابة الحديقة ، أطلق الزامور كي يأتي الخادم لفتح الباب ، لكنه لم يأتي ، نظرت السيدة لوتز الىٰ الشارع ، فلاحظت ان سيارات كثيرة تقف علىٰ غير المعتاد ، وان مجموعات من الرجال بلباسهم الاوروربي يقفون علىٰ الارصفة ، فبهت الجاسوس لكنه لم يفسر ذلك كما يجب ، وظن بأن حفلة زواج ستقام عند احد الجيران ، وضغط علىٰ الزامور مرة اخرىٰ ، لكن عثمان لم

يخرج ، فذهبت السيدة لوتز تبحث عنه ، ومرت فترة طويلة دون أن تعود فنزل ولفغانغ من السيارة ليفتح البوابة بنفسه ، لكنه ما أن خطا بعض الخطوات حتىٰ طوقته مجموعة من الرجال ذوي اللباس الاوروبي . قال احد الرجال : «بأسم القانون نلقي القبض عليك» ، ووضع القيد في يدي الجاسوس الاسرائيلي .

الاستجـواب

أستمر الاستجواب أثني عشر يوماً ، وجاهد لوتز طيلة هذا الوقت لكي يثبت لمحقق شعبة مكافحة الجاسوسية المصرية بأنه ليس له علاقة بعمليات الاغتيال والتجسس ، الا انه استسلم في اليوم الثالث عشر ، ووقف أمام كاميرات التلفزيون المصري ، واعلن أنه يعمل لصالح الموساد ، لكنه في نفس الوقت حاول أن يثبت بأن زوجته لم تكن تعرف شيئاً عن نشاطه .

وقفت السيدة لوتز أمام هيئة المحكمة ، بثوب أبيض وعلىٰ عينيها نظارات شمسية .

قالت بهدوء : انا ربة بيت عادية ، لم اهتم يوماً من الايام بالتجسس ولم أرسل أية رسالة ملغومة الىٰ العلماء الالمان ، انا وزوجي نحب بعضنا البعض ، وكانت أمنيتنا أن نعيش بهدوء وسلام .

* سأل القاضي : ماذا كنت تعرفين عن نشاط زوجك التجسسي ؟

– لاشيء ، لم يذكر ابداً أمامي شيئاً من ذلك ، قد كنت أعتقد أنه يعمل لأحدىٰ المنظمات التابعة لحلف شمال الاطلسي ، لكنني لم أتصور أبداً انه من الممكن ان يعمل لصالح المخابرات السرية الاسرائيلية ، لقد عرفت ذلك عندما القي القبض علينا .

خلفيـات

كان القاء القبض علىٰ لوتز محصلة لقياس القوي المعقد ، الذي كان يجري خلف كواليس السياسة الخارجية لعدة دول ، فقد كان السياسيون المصريون متلعثمين مع

الشرق والغرب .

عندما رفض الاميركيون ، لاسباب سياسية تمويل بناء سد اسوان ، مد الاتحاد السوفيتي لمصر يد المساعدة غير لمشروطة ، وكان ذلك بالنسبة للرأي العام المصري التزام ادبي بشكل ما ، فقد ساعد الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الاقتصاد المصري فنياً واستشارياً ، ولم يكن الجيش المصري المسلح ببواقي أسلحة من الحرب العالمية الثانية علىٰ استعداد لمواجهة ترسانة الاسلحة الاسرائيلية ، فأصبح الجيش المصري يحصل علىٰ تسليح حديث من دول مجلس التضامن الاقتصادي .

لم يكن دور المانيا الغربية قليلاً بما كانت تزود مصر به ، وفي ٢٤ شباط – فبراير عام ١٩٦٥ خطط لزيارة الرئيس الالماني الشرقي فالتر أولبرخت الىٰ مصر ، وكان يعني ذلك اعترافاً بجمهورية المانيا الديمقراطية ، وعندما علمت حكومة بون بما يجري احتجت بشدة ، حتىٰ ان ممثلها الديبلوماسي هدد بقطع العلاقات الديبلوماسية وايقاف المساعدات الاقتصادية اذا تمت الزيارة .

كان في القاهرة مقيم لمنظمة جيهلين الالمانية الغربية هو جيرهارد بوش ، والذي كشفته شعبة مكافحة الجاسوسية المصرية وتابعته ، وأمكن الافتراض بأنه بمبادرة من هذا الرجل يمكن ان تتم اعمال معادية لمندوبي جمهورية المانيا الاتحادية علىٰ الاراضي المصرية فقرر رئيس أمن الدولة في القاهرة اجراء استعراض وقائي .

وخلال الزيارة التي القبض علىٰ حوالي ثلاثين مواطناً المانياً غربياً كانوا علىٰ اتصال مباشر أو غير مباشر مع مقيم الجاسوسية الالمانية الغربية جيرهارد بوش .

استغل مقيمو المخابرات الاميركية زملاءهم من المخابرات الالمانية الغربية لمتابعة الخبراء السوفيات ، الذين يعيشون في القاهرة ، لم يرد الرئيس جمال عبد الناصر ان يثير غضب المانيا الغربية ضد بلاده ، لكنه كان مضطراً لاظهار ارادته واستقلاليته ضد النشاط الوقح لمنظمة جيهلين علىٰ الاراضي المصرية ، واعرب خبراء مكافحة الجاسوسية المصرية عن خوفهم من قيام عملاء الالمان الغربيين بمحاولة اغتيال الرئيس الالماني الديمقراطي فالتر أولبرخت .

عندما أمنوا جيرهارد بوش ، جاؤوا الىٰ صديقه الحميم ولفغانغ لوتز الذي كان

يلتقي معه كثيراً ، لذلك بحسب المقولة الثانية ، سقط في ٢٢ شباط – فبراير عام ١٩٥٦ وظهرت امام الفيلا رقم ١١ في شارع محمد علي سيارة الشرطة التي اعتقلت ولفغانغ لوتز وزوجته .

السقـــوط

اما الجاسوس الاسرائيلي المحترف ، الذي راهن عليه مرة ايسر هارئيل رئيس الموساد ، ومن بعده مائير عميت ، فقد ارتكب خطأ لايرتكبه المبتدئون وكلفه عدة سنوات من حياته اضافة الىٰ طموحات كجاسوس من الصفوة ، لم يفترض ان القضية أمنية وقائية عندما احتجزوا بضع عشرات من الالمان الغربيين قبل زيارة الرئيس الالماني الديمقراطي ، فقد اعتقد بأنهم اكتشفوا امر نشاطه التجسسي ، ولو علم بأعتقال عشرات اخرين من الالمان ومن ضمنهم بوش والزوجان كيسوف لما اعترف ، لكن لم يخطر بباله شيء من ذلك ، ووجد ان مخرجه الوحيد هو الاعتراف الكامل ، ولم ينتظر حتىٰ سؤال رجل الشرطة الذي اخذه الىٰ مديرية الامن ، وقاله له :

* ماذا تريدون ان تعرفوا ؟ ليس لزوجتي ووالديها أية علاقة بذلك ابداً . كاد ضابط الشرطة أن يكتب محضراً عادياً وكفالة ، لكنه نظر الىٰ الالماني الشاحب ، وصمت لحظة ، لم يرد ان يصدق أنه قد أصطاد سمكة كبيرة بضربة صدفة ، سأله ضابط الشرطة بشكل عام ، لأنه لم يخطر بباله شيء محدد :

– أين خبأت المواد ؟ انظر يالوتز ، لاداعي للانكار ، فنحن نعرف كل شيء ، لم يكن يسقط بهذه الخدعة حتىٰ نشال جيوب مبتدئ ، اما عميل الموساد المحنك الخبير ، فقد انهارت اعصابه ، وبسرعة كشف كل أوراقه ، واعترف : «يوجد ميزان في الحمام ، ستجد كل شيء به» .

عندما فتشوا الفيلا الواقعة بشارع محمد علي ، وجدوا الميزان في الحمام ، وفيه جهاز ارسال ، مؤمن بعدة عبوات بلاستيكية ناسفة وخمسة وسبعين ألف دولار بقطع ورقية صغيرة ، ورؤوس أقلام من رسائل الاسبوع الماضي وميكروفيلم

لتجهيزات عسكرية علىٰ طول قناة السويس .

لم يستطع المحقق ان يصدق مايراه ، لكنه كان مقتنعاً بأنه كشف عميلاً رابعاً لمنظمة جيهلين الالمانية الغربية ، وانه شريك جيرهارد بوش ، عندما بحثوا في المستمسكات بالمختبر الجنائي ، ادركوا انهم تمكنوا من صيد وفير ، وقبع خلف قضبان السجن مقيم المخابرات السرية الاسرائيلية .

اختار ولفغانغ لوتز ، دور العسكري الالماني السابق ، احد افراد فرقة رومل ، رجا المحققين والقاضي ان يرأفوا به ، وبدأ كأن الشرطة المصرية تستمع لرجل رمته الصدفة ، وهو الان نادم فعلاً علىٰ جريمته .

حقيقـة لوتـز

لكن الحقيقة كانت مختلفة ، فصحيح أن أصل ولفافغانغ لوتز هو من مانهايم وأن أمه كانت ممثلة واسمها هو هيلين هيرشين ، وان والده كان مخرجاً مسرحياً معروفاً ، وفي عام ١٩٣٣ تم بينهما الطلاق ، رحلت مع هيلين ابنها الىٰ فلسطين ووجدت مكاناً في افضل مسرح فلسطيني في ذلك الوقت .

ذهب ولفغانغ الىٰ المدرسة الاسرائيلية بيت شمين ، وفي السادسة عشرة عشرة من عمره اصبح عضواً نشيطاً في الهاغانا ، تعلم الانجليزية والعبرية والعربية وبدأ يستعمل اسماً جديداً هو أبن زييف ، انضم للجيش البريطاني ، واشترك في معارك اللطرون ، وحصل علىٰ مرتبة كابتن ثم ميجور ، ثم حارب ضد مصر عام ١٩٥٦ في حرب السويس .

للمخابرات الاسرائيلية قسم خاص للقضايا العربية ، يختص بتهريب العملاء الاسرائيليين الىٰ الدول العربية ، ويحاول كسب عملاء في تلك الدول من نفس مواطنيها ، هذا القسم يعمل غالباً بأستقلالية تامة ، دون مساعدة خبراء اخرين ، ومن ضمن وضائفه ارباك السكان العرب بأعمال ارهابية ، والمحافظة علىٰ سمعة الموساد السيئة ، وفي هذا القسم الخاص بالذات عمل لوتز لفترة من الوقت .

تتبع لقسم العمليات مفرزة ابادة ، تختص بابادة العملاء السريين المعادين ،

وقد حصل لوتز علىٰ تدريب في مجال التجسس في الغرفة التي كانت تخطط لابادة مجرمي حرب النازيين ، عندما كان الاسرائيليون يصلون الىٰ اثر النازيين ، لايسلمونهم الىٰ المحكمة ، بل بهدوء يقومون بقتلهم ، وهذا القسم كان عليه أن ينفذ عمليات اغتيال الخبراء الالمان الغربيين والذين يساعدون مصر ، وارهابهم واجبارهم علىٰ العودة الىٰ المانيا الاتحادية . لم يعمل ولفغانغ في ذلك الوقت في فيهر ماخت الهتلري ، ولا في فرق رومل الافريقية ، بل في وحدة خاصة في الجيش الاسرائيلي تسمىٰ «التشكيل الجديد» ويشار اليهم برقم ، وكانت تتبع مباشرة للاركان العامة ، ويتم اختيار افرادها من الضباط المتقاعدين ، ومن صف الضباط والمظليين ، واعضاء الفرق الضاربة من نوع «رينجرز» أو رجال الضفادع البشرية ، هذه الفرقة المنتقاة والتي يرمز لها ب «هـ . كيو» هاي كوالتي ، أي النوعية الافضل وافرادها مستعدون دائماً لتنفيذ اكثر المهام صعوبة وسوءاً .

تغيير فـي الجهـاز

أدىٰ اكتشاف الياهو كوهين في دمشق ، وولفغانغ لوتز في القاهرة الىٰ أزمة كبيرة في الموساد الاسرائيلية ، كانت الاخطاء فادحة وادت الىٰ خسائر جسيمة ووصلت سمعة الموساد الىٰ الحضيض ، بعد أن بذلت جهوداً كبيرة في مجال الارهاب والعنف لرفع هذه السمعة ، وبعد مناقشة أسباب ذلك الفشل وجدوا ان كهولة الجهاز والقيادة الفردية للموساد والتدرج غير العلمي في حل المهام التجسسية هي الاسباب ، ودخل مؤسس المخابرات الاسرائيلي «الاسطوري» ايسر هارئيل في خلاف حاد مع مؤسس دولة اسرائيل ديفيد بن غوريون .. حل مائير عميت محل ايسر هارئيل ، وقيل بأن مائير ناضل طيلة خمس سنوات لينال اعترافاً بقيادته .

كانت الاوضاع في المخابرات السرية هي نفسها التي تميز بقية المنظمات داخل الدولة الاسرائيلية في تلك السنوات .

بدأ أيسر هارئيل حياته بشكل عادي ، فقد دخل هذا الميدان برغبة هاوي ، لكنه وصل الىٰ الاحتراف ،وقيل عنه انه اشترىٰ قميصاً وربطة عنق لأول مرة عندما

ذهب كرئيس للموساد لحضور مؤتمر في الخارج .

اما مائير عميت ، فقد حصل علىٰ تعليم جامعي ، وكان ضابطاً كبيراً في الجيش الاسرائيلي ، خدم في سلاح المظليين ، وقد كسرت ساقه أثناء القفز في احدىٰ القفزات ، ولم يكن الكسر بسيطاً ، لأنه رقد في المستشفىٰ سنة كاملة لكنه أستغل اقامته لدراسة اللغات الاجنبية . كما انه فيما بعد ذهب الىٰ نيويورك ، وحضر عدة محاضرات في جامعة كولومبيا ،حيث حصل علىٰ خبرات تنظيمية ، وعندما عاد الىٰ اسرائيل ، حل مكان حايم هيرتز ، رئيس الاستخبارات العسكرية ، ثم اصبح رئيساً للموساد ، فاعاد تشكيلها بحسب قواعد وكالة المخابرات المركزية الاميركية ، وما أن جلس علىٰ مقعد وظيفته الجديدة ، حتىٰ تلقىٰ ضربتين مؤلمتين ، وهما القاء القبض علىٰ كوهين ثم لوتز ، كما تلقىٰ ضربة ثالثة ، بعد أن بدأت الصحافة العالمية تكتب عن مشاركة المخابرات السرية الاسرائيلية في عملية اختطاف السياسي المغربي المهدي بن بركة .

المحاكمـــة

لم تستمر محاكمة ولفغانغ طويلاً ، فقد كان كل شيء واضحاً ، واعترف المتهم ، فقد كانت المستمسكات موجودة علىٰ الطاولة اخباريتان برسائل بواسطة شفرة جمعها وسلمها للشرطة المصرية ممثل مكافحة الجاسوسية الالمانية الديمقراطية في القاهرة الميجر أوسكار بلاشكيه .

طلب المدعي العام انزال عقوبة الموت بلوتز وزوجته لأن ولفغانغ لوتز ليس الجاسوس الوحيد الذي كشفته وحدات الامن المصرية ، كما ان هذا رجل ليس عميلاً سرياً انكشف بمجرد الصدفة ، ان هذا الجاسوس من الطراز الاول وعمل علىٰ مستوىٰ رفيع ، وكانت زوجته مساعدة لايمكن الاستغناء عنها .

طلب محامي الزوجين لوتز ، ان تتم تبرئتهما واطلاق سراحهما ، وفي ١٠ آب أكد بأن السيدة لوتز لم تكن تعرف ماهية عمل زوجها وأنه لم يفصح لها بأية كلمة عن مهمته ، فقد كان يعرف اراءها «المعادية لليهود» .

قال المحامي : انظروا ياسادة ، يقف امامكم الضابط الالماني الذي دمرت الحرب طموحاته ، وعندما عاد الىٰ الحياة المدنية وقف في وسط دمار بلاده ، لكنه ذهب الى استرالياً طلباً للعمل ، حيث عمل كسائق ، وبعد سنوات رجع الىٰ بلاده ، بعد أن تمكن من جمع أجرة طريق العودة ، في تلك الظروف نصبت المخابرات السرية الاسرائيلية فخاً له وقع فيه ، ومن العقدة العامة للشعور بالذنب عند القومية الالمانية تجاه اليهود ، فأننا نستطيع أن نفهم ، لماذا قام الضابط السابق في فيهر ماخت الالمانية بالتعاون مع الاسرائيليين ، دون أن يجد دوافع اخلاقية كافية .

فـي السجـــن

لكن هذا الدفاع لم يساعده ، فقد قرأ القاضي قرار الحكم في ٢١ آب – اغسطس عام ١٩٦٥ ، حيث حكم علىٰ لوتز بالسجن مدىٰ الحياة ، ودفع تعويض بقيمة ٣٢٥٣٩٫٥ جنيه مصري ، أما زوجته ، فقد حكم عليها بالسجن لمدة ثلاث سنوات وبغرامة مقدارها الف جنيه مصري .

اقتيد لوتزالىٰ سجن «طرة» تحت الحراسة المشددة ، اما زوجته فقد دخلت الىٰ زنزانة بالقناطر حيث التقت بالجاسوسة الاسرائيلية فيكتوريا لينو التي كانت تقضي محكوميتها ، خمس عشرة سنة ، كما ان لوتز التقىٰ في سجن طرة بصفوة من العملاء السريين من أعضاء المجموعة الارهابية السابقة ١٣ وهم : فيكتور ليفي ، وفيليب ناتاسون ، وروبرت حايم داسا .

الحـرب وتبـادل الاسـرىٰ

في بداية عام ١٩٦٧ ارتفعت حدة الاشتباكات بين سوريا واسرائيل واتهمت الدول العربية حكومة تل ابيب بأنها تسعىٰ لاسقاط النظام السوري ، وفي شهر ايار – مايو ، كشفت صحيفة البرافدا السوفياتية خطة رئيس الاركان العامة الاسرائيلية اسحق رابين للهجوم علىٰ سوريا ، بعد ذلك بوقت قصير ، بدأ الحشد

العسكري الاسرائيلي علىٰ الحدود ، وردت مصر علىٰ الاستعدادات الاسرائيلية بأعلان الاستنفار العام للقوات المسلحة ، وقامت القوات المصرية في ٢١ آيار – مايو بأحتلال مواقعها في مضيق تيران ، حيث جددت مصر سيادتها علىٰ المضيق العربي وأغلقته ، مما منع مرور السفن التي تحمل مواد استراتيجية الىٰ اسرائيل .

اقترحت الولايات المتحدة الاميركية عملية لعرض القوة لانهاء حصار المضيق العربي ، أعلنت الدوائر الرسمية المصرية بأن مصر ستقف بكل الوسائل ضد مرور السفن التي تنقل مواد استراتيجية الىٰ اسرائيل .

وفي الخامس من حزيران – يونيو عام ١٩٦٧ نشبت الحرب الثالثة في الشرق الاوسط ، والتي سميت بحرب الايام الستة ، حيث قامت اسرائيل بالاعتداء علىٰ الدول العربية .

وسمع المحكوم رقم ٢٨٨ ولفغانغ لوتز في سجن الطرة صوت انفجار القنابل ، كان يعرف انه يستحق عقوبات شديدة بسبب المعلومات التي أرسلها الىٰ تل ابيب حول مواقع الصواريخ والتجهيزات العسكرية الاخرىٰ .

عندما وافق مجلس الامن الدولي التابع للامم المتحدة في نهاية شهر تشرين الثاني – نوفمبر علىٰ القرار الذي كان حجز الاساس للتسوية السياسية في المنطقة ، بدأ الطرفان بمفاوضات حول اطلاق سراح الاسرىٰ كان علىٰ القائمة التي طلبتها اسرائيل اسم الزوجين لوتز ، بالاضافة الىٰ ليفي ناتاسون وداسا ونينو واخرين ، واعترفت الدوائر الاسرائيلية لأول مرة بأن ولفغانغ لوتز ليس المانيا بل هو مواطن اسرائيلي يدعىٰ زييف غور اربيه .

رسالـة الىٰ عبد الناصـر

في نهاية شهر تشرين الثاني – نوفمبر ، تم تبادل أول خمسمائة آسير كان من بينهم الجنرال المصري احمد فهمي ، وقبل ان ينزل الجنرال المصري الىٰ القنطرة بواسطة القارب الذي كان سيوصله الىٰ الطرف الاخر من قناة السويس تسلم رسالة من رئيس الموساد الجنرال مائير عميت معنونة الىٰ الرئيس جمال عبد الناصر .

كانت الرسالة تتضمن تبليغاً بأن لوتز لم يكن فرداً من أفراد فرقة رومل الافريقية بل هو برتبة ميجر بالجيش الاسرائيلي ، وان الحكومة الاسرائيلية تطلب مبادلته . عندما توصلت المحكمة الىٰ الاكتشاف المثير ، وقرأ وكيل النيابة مذكرة المحامي الالماني الغربي سيدل بأن لوتز ليس المانياً بل هو يهودي ، قطعت المداولات التي استمرت خلف الابواب الموصدة بدون جمهور ، وامام هيئة المحكمة لم يتحدث أحد عن الرسالة أو عن الكشف عن هوية المتهم الحقيقية ، وحكم عليه كمواطن الماني غربي . وأثناء مبادلة الاسرىٰ ، حصل وضع خاص ، كان اسم الزوجين لوتز علىٰ القائمة الرسمية ، لكن مبادلتهما تمت بشكل منفرد ، لم يعبرا الحدود ، ففي ٤ شباط – فبراير عام ١٩٦٨ نقلتهما سيارة مدنية الىٰ مطار القاهرة الدولي حيث طارا علىٰ الرحلة رقم ٦٧٤ لوفتهانزا ، عبر اثينا الىٰ ميونيخ ، لكنهما لم يصلا الىٰ المانيا الاتحادية ، ففي أثناء هبوط الطائرة في اثينا ذهبا الىٰ قاعة الترانزيت ، ولم يعودا الىٰ الطائرة مرة اخرىٰ ، فقد ركبا طائرة متوجهة الىٰ لندن ، بعد أن تسلما التذاكر من مجهول في السوق الحرة كان بأنتظارهما في مطار هيثرو .

ركب الزوجان لوتز سيارة ، لم يذهبا الىٰ الفندق بل الىٰ شقة خاصة ، وفي اليومين التاليين قام رجل بمرافقتهما الىٰ شارع اكسفورد لشراء الحاجات ، وبعد فترة قصيرة قام الميجر زيف غور اربيه باعلان عن نفسه كضابط اتصال في مركز الموساد في تل ابيب .

عميل في دمشق (١)
الياهو كوهين يتحول الى كمال ثابت

المغترب السوري في الارجنتين العائد الى وطنه !

صداقة على الباخرة المتوجهة الى بيروت سهلت أمامه الطريق الى دمشق

«بات يام» ضاحية من ضواحي تل أبيب ليست بالحي المترف ، لكنها منطقة جديدة . وأمام احد بيوتها ، توقفت سيارة خاصة في الساعة الثامنة وخمس واربعين دقيقة . بعد لحظات ، ركب بها رجل ذو شاربين ، متوسط العمر شعره اسود قصير ، حيا السائق وجلس . تحركت السيارة التي كانت رسمية ، ولكنها كأي سيارة مدنية اخرى . كان السائق يرتدي بنطلونا وقميصا ابيض ذا اكمام قصيرة كأي شاب يعيش في تل أبيب .

توقفت السيارة امام بناية ليست كبيرة ، دخل السائق والرجل الذي معه من البوابة ، بعد أن اطلع البواب على هوية السائق . دخل الاثنان الى احد المكاتب ، تهيأ السائق على الطريقة العسكرية ، وخرج ، لانه نفذ مهمته وعندما اغلق الباب خلفه ، تهيأ الزائر في وقفته واعلن قدومه ، للرجل الذي يجلس وراء الطاوله وقال :

– الياهو كوهين ، بامرك سيدي .

* ابتسم الرجل ذو الشعر الابيض ، الذي كانوا يسمونه درويشا ، واشار الى كنبه وقال :

* هل انت جاهز يا آلي ؟

– نعـم .

* ستذهب الى دمشق . ستعرف التفصيلات في القسم السادس ، سيعطونك التوجيهات وتستلم المعاملة ، قبل كل شيء ، عن الجيش السوري : تركيبه ، قوته ، توزيعه ، وتحركا ته داخل البلاد ، وعلى حدودنا . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى : اسماء ورتب الضباط والاركان والقيادة العليا .

– واضـح

* ليس ضروريا ان اؤكد ان الوضع السياسي الراهن جدي للغاية ، وعلاقتنا مع سوريا تزداد سوءا يوما بعد يوم ، وهناك عندهم ...

– اعرف ياسيدي لقد درست الوضع السياسي في سوريا ، وللجيش تاثير كبير – ودمشق ، وسيحدد الاتجاه السياسي في سوريا لفترة طويلة قادمة .

* اما الجانب الاخر ، فهو اقتصادي . نحن نهتم بالخطط والمشاريع الهامة والكبيرة لاتتعجل ، انتظر بهدوء الاحداث ، قم بارسال الاخبار القيمة فورا ، فعامل الزمن مهم في مهنتنا ، سنعطيك افضل ما عندنا من وسائل اتصال ، هذا كل شيء .

نهض درويش ، واخرج من احد ادراج طاولة مجموعة من مفاتيح ، ادار قرص الارقام المثبت على القاصة ، واحضر طردا صغيرا ، وضعه امام كوهين ، كان فيه جهاز ارسال بحجم علبة السجائر وقال لكوهين :

* هذا الجهاز فعال جدا . ويمكنني ان اطمئنك الى انه نادر حتى في وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية . وعندما تجربه ، ستكتشف انه معجزة تكنولوجية . لن تأخذه من هنا ستستلمه من عميلنا في اوروبا .

– حاضر سيدي .

* ستتفق مع الفنيين على موعد اول ارسال . وانبهك مرة اخرى : ارسال قصير ، اقصر ما يمكن ، لتخفيف مخاطر الانكشاف ، هذا كل شيء يا آلي ، ليبارك الله خطواتك . شلوم .

دورات تدريب واعداد

اجتاز كوهين كورسات خاصة وفحوصات ، والان تعرف على جهاز الارسال الصغير وحصل على ماكنة حلاقة كهربائية ، يقوم سلك التوصيل بها بمهمة الهوائي «الانتين» وتعرف في بيت خاص ، في افينيو ريخوف اللبنبي ، على انواع بعض الاسلحة التي يستخدمها الجيش السوري . وعلمه الخبراء العسكريون كيفية التعرف على انواع الاسلحة من خلال الصور ، بما في ذلك الطائرات والدبابات . كما انه تعرف على تطورات الوضع السياسي في سوريا ، حيث سيكون مكان عمله . وقالوا له قبل ان يودعوه : «سينتظرك ضابط الاتصال في ميونخ . وهناك ستعرف الباقي» .

في نهاية كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٦١ ، قال لزوجته ، بانه سيذهب الى اوروبا في عمل تجاري لبضعة اشهر . لم تساله الى اين ستذهب في اوروبا ، لكنها حزنت ، لانها لن تراه لمدة طويلة ، لم تندهش ، عندما قال لها ، بانها لا ترافقه الى المطار . هزت رأسها بالايجاب وصمتت . وفي الصباح ، عندما توجه الى المطار ، اخذت الاولاد في نزهة .

الرحيـــل والاستبـــدال

طرق الجواسيس متعرجة ، وقليلا ما تقود الى الهدف مباشرة . فاحيانا يمر الجاسوس بعدة مطارات في عدة دول ، ويغير اسمه واوراقة وشكله وملابسه ، حتى سلوكه . يختفي فجأة ، ويظهر في قناع اخر ، ليس بشوارب ملصقة وملابس راهبات فقط ، بل احيانا بنظارات شمسية وقبعة تغطي جبينه .

جاء سائق بسيارة مدنية ، وضع حقائبه فيها ، واوصله الى المطار ، ومن هنا طار الى ميونخ . كان بانتظاره في قاعة المسافرين ، اسرائيل سالينجر ، تعارفا فقد التقيا سابقا مرتين ، وكان عليهما ان يلتقيا مستقبلا . كان سالينجر رجلا في متوسط العمر . وكان يبدو كرجل اعمال ناجح . يتصرف دون اخطاء ، وله مميزات ممتازة .

تمت عملية تغيير الجاسوس الاسرائيلي الياهوكوين الى المواطن السوري – العربي كمال امين ثابت ، الذي يعيش في الارجنتين ، بسهولة وبحسب تجارب سابقة فلم

تكن هذه هي المرة الاولى التي ساعده بها سالينجر .

خلع كوهين ثياب الاسرائيلي القادم من تل أبيب ، وسلمه اياها ، ومع تبديل الوثائق ، حصل منه على اشيائه الشخصية التي اشتراها من الارجنتين ، نظر في جواز سفره الارجنتيني . كل شيء على ما يرام ، فيه تأشيرتا دخول مصرية ولبنانية لكن هناك تأشيرة واحدة ناقصة ، وهي الاهم . فقال له :

* يجب عليك الحصول على تاشيرة دخول سورية من زيورخ . ستذهب الى القنصلية السورية هناك ، وتملا نموذجا ... المهم ان يروك ، فقد يتذكروك . سيتم ذلك بسهولة . ثم تذهب بعد ذلك الى جنوا . حجزت لك غرفة من الدرجة الاولى . ستذهب الى بيروت بعد رأس السنة فورا بالباخرة .

– سأل كوهين : هل قرأت اسماء المسافرين ؟

* بالطبع . فعملاؤنا في ايطاليا حصلوا لك على نسخة بالقائمة . سأعطيك هدية ايضا .

في الاسواق الحرة في المطارات ، بياع الويسكي وانواع اخرى من الكحول باسعار مخفضة ، بالاضافة الى بعض اللوازم التي يحتاجها المسافرون . تسلم كوهين حقيبة صغيرة فيها اقداح كوكتيل وخلاط كهربائي . وفي قاع الخلاط ، ركب سالينجر جهاز ارسال ، كالذي راه كوهين في مكتب درويش بتل أبيب فمن سيبحث في قاع الخلاط ، الذي يعمل بشكل عادي ، على جهاز ارسال ؟ لقد كان ذلك خدمة لا ينتبه لها احد .

تأشيـرة الى سوريـا

تغير كوهين واصبح كمال أمين ثابت ، وطار الى زيورخ . فوقف في القنصلية السورية ، للحصول على تأشيرة ، وحصل بسهولة . كذلك حصل على تأشيرة ايطالية وانتظر الذهاب الى جنوا . قضى ليلة رأس السنة ١٩٦١ في الفندق . وفي الصباح الباكر ، بينما كانت الشوارع تغص بالسكارى ، غادر بالطائرة الى جنوا حيث توجه الى الباخرة ، وقاده المضيف الى غرفته . افرغ كوهين حقائبه في المساء

ابحرت السفينة في يوم بارد هبت فيه الرياح بصورة مزعجة .

يحتاج الجاسوس المرسل الى ارض دولة ممدودة ، الى مصادر معلومات ، يعرف من خلالها الاخبار . لذلك فهو بحاجة الى متنفذين ، اخذ كمال امين ثابت «كوهين» بالبحث عنهم على ظهر السفينة «استوريا» . تفحص قائمة المسافرين وحدد بعض الرجال المسافرين الى دمشق .

صداقـــة !

كان من بين المسافرين رجل اسمه ماجد شيخ الارض . ورغم ان كوهين لايعرف عنه شيئا ، لكنه قرر ان يتعرف عليه ، وتمكن من ذلك دون اية صعوبة ، ولم يخنه حدسه .

دار بينهما حوار في القاعة العامة في السفينة ، وذهبا الى البار .

* سأل شيخ الارض : ماذا تشرب ؟

كان شيخ الارض نحيفا ، لوحته الشمس ، على سالفيه شعر ابيض . دلت ملابسه ان له ذوق الطبقات الراقية في اوروبا ، وأن معه الكثير من المال ، ليدفع للخياطين الممتازين .

– اجاب كوهين : ويسكي مع ثلج .

* قال شيخ الارض لرجل البار ولي أنا كأس كونياك . وفي جلسة شرب ، تعارف الاثنان .

من الصعب على المسافرين في شهر كانون الثاني – يناير ، على ظهر باخرة في البحر الابيض المتوسط ، أن يملأ اوقات فراغه . كما ان كل الركاب تقريبا هم من الرجال . فالسواح لا يذهبون في هذا الوقت من السنة ، اما التجار الاغنياء ورجال الاعمال ، الذين يحسبون حسابا لوقتهم الثمين ، فانهم يستعملون الطائرة . كذلك كان على متن السفينة «استوريا» تجار من الدرجة الثانية أو الثالثة وعمال عائدون من اوروبا ، اما شيخ الارض ، فقد قرر السفر من اوروبا بالباخرة ، لانه يحمل معه سيارة جديدة . اشتراها من باريس ، وشحنها بالباخرة الى بيروت ، ثم يكمل طريقه

الى دمشق بالسيارة التي اشتراها ، وهي من نوع بيجو ٤٠٤ .

* سال كوهين هل كنت في اوروبا ؟

– اجاب شيخ الارض : منذ ثلاثة اشهر . انني اذهب الى اوروبا سنة بعد سنة في مثل هذا الوقت . وقد تعرفت على عدة اماكن للتسلية في باريس وروما . وتعرفت ايضا على بعض الفتيات . وماذا عنك انت ؟

* انني عائد الى وطني بعد سنوات طويلة .

– ماذا تعني ؟

* لقد عشت في الارجنتين . رحل والدي الى هناك منذ زمن بعيد كان لي هناك – مركز مرموق ، واملاك كبيرة لكني ، في الفترة الاخيرة ، كنت مشدودا الى دمشق لذلك قررت العودة الى الوطن . اريد أن اعمل لسوريا بكل جهدي ، فانا خلقت لسوريا ، اما هناك ، فقد كنت واحدا من المهاجرين .

جذب الحديث شيخ الارض . لم ينبس ببنت شفة ، امسك بذراع كوهين وشدها رفع كاسا واعلن بانفعال :

– اسمح لي في ان ادعوك صديقي كمال ، لحبك لوطنك ؟ وماذا ستفعل ياكمال ؟ هل تريد أن تستثمر أموالك بالاراضي ؟

* سأرى اولا . لكنني اعترف لك بانني خائف قليلا ، فانا لا اعرف احدا في الشام . رفع ماجد شيخ الارض يديه ووضعها على كتف كوهين ، واعلن بصوت قوي :

– بيتي بيتك منذ الان .

* ارجوك يا صديقي ...

– ساقدم لك ما يلزم ، فلي علاقات وصداقات واسعة . ساقدمك الى افضل الناس في المجتمع ، وسنذهب من بيروت الى الشام سورية ، معي سيارة جديدة على متن الباخرة ، ستعجبك .

شربا نخب الصداقة الجديدة ، ونخب الصدفة الطيبة ، التي جعلتهما يلتقيان في سفينة واحدة جلسا في المطعم ، وفي الساعة الحادية عشرة عادا الى البار واخذ شيخ

الارض يحدث صديقه الجديد العائد الى الوطن عن الاوضاع السورية . ذكر له اسماء سياسيين متنفذين ، ورجالا اغنياء . وحمد كوهين الله على ان القدر منحه هذه الفرصة ، للتعرف على الوسط الجديد .

بعد ذلك كانا دائما معا . لكن كوهين افترق عن صديقه لبضع ساعات في ميناء الاسكندرية ، اذ اضطر للنزول على الشاطئ ، لختم التأشيرة المصرية بناء على نصيحة سالينجر له في ميونيخ . لماذا ؟

لقد امضى كوهين كل حياته في الاسكندرية ، وغادرها قبل خمس سنوات فقط . وبالطبع ، فانه سار في بعض شوارعها ، حيث انه يعرفها حق المعرفة .

وضع كوهين قبعته على رأسه ، ونظارته على عينيه ، وعبر شوارع الميناء الى السوق القريبة . ومن شارع الصاغة مر الى سوق السمك . كان يسير كسائح . لم يكن مرتاحا جيدا . فقد كان من الممكن ان يلتقي به احد معارفه القدمى ، لذلك انضم الى مجموعة من السياح تتكلم الانجليزية ، وتفرج معهم على الجامع الذي كان يعرفه ، كما يعرف نفسه . وفي المساء عاد الى السفينة وفي الساعة السابعة والنصف كان يجلس مع شيخ الارض في المطعم .

فـي بـــيروت

كانت بيروت عام ١٩٦١ باريس الشرق رغم ان عدد سكانها كان نصف مليون نسمة ، الا ان فيها عددا كبيرا من الفنادق الفاخرة ، وعشرات الملاهي الليلية حيث الراقصات الشرقيات والمخدرات وغيرها . كانت بيروت مدينة النوادي الليلية المشابهة لنوادي مونت كاولو ، ومدينة المتاجر الفخمة ببضائعها المستوردة من لندن ونيويورك وباريس . كانت مدينة المتناقضات ، حيث يعيش الفقير ، ويزداد الترف .

لم يكن الياهو كوهين صبورا كثيرا ، فقد كان متشوقاً للوصول الى البلد التي سيعمل بها ، لكن كان عليه أن يصبر ، ويظهر سعادته باقتراح شيخ الارض :

– هذه جريمة لا تغتفر ، أن نكون في بيروت ، ولا نمضي ليلة فيها . نزلا في

فندق ، بلازا ، حيث كان في ذلك الوقت من افضل الفنادق . وفي المساء ركبا السيارة الجديدة ، وزارا عدة نواد ليلية حتى الصباح . ووعد كمال ثابت صديقه بتكرار هذه الليلة في فرصة اخرى . فقد كان برنامج الكازينو ، الذي ظهر به نجوم عالميون من الدرجة الاولى يستحق ذلك .

فـي الطريـق الى دمشـق

تمر الطريق من بيروت الى دمشق ، بمنطقة شتورا المحاطة بسلسلة جبال يبلغ ارتفاعها حوالي ثلاثة الاف متر . قطعا المسافة دون صعوبة ، فقد امضيا وقتهما باحاديث عن الليلة الماضية بما فيها من تسلية .

كان جاسوس تل أبيب يقيم الفرصة التي سنخت له . الا انه ، في جميع الاحوال كان عليه ان يهيئ نفسه لمضاعفات على الحدود ، برفقة ذلك الشخص المتنفذ الذي يجلب الانظار بسيارته الجديدة ، وعندما يدفع الجمارك ، فان نسبة المخاطرة تقل الى النصف .

تبين ان شيخ الارض لم يضخم الامور عندما اكد انه شخص بارز في بلاده ، فقد ختمت ختمت الجوزات دون تدقيق ، ومرا بالجمارك دون أن تفتح الحقائب .

لكن السيارة الجديدة اثارت الحيرة ، لكن الامر مر بسرعة . فقد دخل شيخ الارض – الى بناية الجمارك بعض الوقت ، وعاد مع الضابط المسؤول ، وهويربت على كتفه وقال بانه اخ وصديق حميم . لم تجمرك السيارة ، وحتى لا يقال ، فقد نظر شكليا في حقيبتين من حقائب شيخ الارض ، وانتهى كل شيء . ثم استمر طريقهما الى دمشق .

اعتبر شيخ الارض كمال امين ثابت ضيفه ، وافترض بانه سيأخذه معه الى بيته القريب من دمشق ، لكن الجاسوس الاسرائيلي رفض ذلك بلطف وقال أنه لايرد أن يتبعه وأن له نوايا بدراسة الاعمال في المدينة لذلك فأنه سينزل في الفندق حتى يجد بيتاً مناسباً . حاول شيخ أن يقنعه بأستضافته الايام الأولى على الاقل ، لكنه أصر على الرفض . فأستسلم شيخ الأرض وأخذ صديقه الى فندق سمير أميس حيث كان

يملكه أحد أصاقائه وقال لصديقه صاحب الفندق :

– «اعتن به كما لو كنت تعتني بي» .

قال ذاك ثم اتفق على موعد مع كمال امين ثابت . وودعا بعضهما البعض عند المصعد . كان ذلك في الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر العاشر من كانون – الثاني – يناير .

وصف كثيرون الجاسوس الاسرائيلي الياهو كوهين ، بانه جاسوس القرن العشرين لكنهم اعطوا هذا اللقب لاخرين قبله وبعده . وكانوا متاكدين بانه لعب دورا هاما في كواليس العلاقات الاسرائيلية – السورية . بل ان بعضهم اكد انه كان واحدا من عوامل تصعيد الموقف في الشرق الاوسط كما أن الموساد ارادت ان تستبدله باثني عشر جاسوسا سوريا مسجونين في سجن الرملة الشهير ، وحاولوا دفع مليون دولار ثمنا له .

من هو كوهين ؟

فمن كان الياهو كوهين لتكون له هذه القيمة عند رؤساء الموساد ؟ هل كان عبقريا في حرفة التجسس ؟ ام انه كان حجر شطرنج في لعبة حسنة المصادفات ؟

ولد كوهين في ١٦ كانون الاول – ديسمبر عام ١٩٢٤ ، في الحي اليهودي بالاسكندرية كان والداه جوفيا وشاوول كوهين قد هاجرا من حلب في سوريا ، لانهما لم يتوفقا في حياتهما . وبسرعة اخذ الاب بتقدم في مكان اقامته الجديد الى مستوى افضل . فقد فتح محلا لبيع ربطات العنق ، واخذ يعرض كل يوم اخر الموديلات الجديدة . واخذ يشتري قطع الحرير من المصانع الفرنسية ، ويخيط منها ربطات العنق للمتانقين ، المصريين ، على اعتبار ان كل واحدة منها اصلية ، كما كان يقول للزبائن .

كانت عائلة كوهين يهودية عربية ، بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، فقد كان افرادالعائلة كثيرين ، متعصبين ، محافظين على كل ما يتعلق بالدين من ، اوامر ونواه وعادات وتقاليد ويحترمون الاعياد الدينية وكان الوالدان يربيان ابناءها :

اوديت والياهو وموريكا وعيزرا وسارة وافرايم وابراهيم ، بحسب المعتقدات الدينية اليهودية .

توحي سيرة حياة الجاسوس الاسرائيلي ، كوهين بانه كان يتمتع بذكاء خاص – منذ الطفولة ، فقد قيل عنه أن له ذاكرة عجيبة يحفظ الكثير من الاشعار القديمة وقد أفادته هذه المقدرة على الحفظ ، عندما اصبح جاسوسا .

ذهب الياهو الى المدرسة اليهودية في الاسكندرية ، وتعلم القراءة والكتابة والحساب ، وتعلم ايضا اللغة العبرية ، واستمر في دراسته حتى تعلم التلمود وتوقع معلموه واهله أن يصبح خادما للرب .

اصبح قادرا على دخول المدرسة الفرنسية في الاسكندرية وهناك اهتم بالتاريخ والادب . كانت له موهبة في تعلم الاجنبية . فبالاضافة للعربية والعبرية تعلم الفرنسية والانجليزية ، واجتاز امتحان الثانوي بتفوق .

كان والداه مؤمنين بمواهبه غير العادية . فقد كان يجلس على الشرفة ، وهو ابن عشر او احدى عشرة سنة ، ويسجل ارقام السيارات التي تعبر الشارع ، ثم يعطي لوالده الورقة ، ويطلب منه ان يراقبه وهو يعيد الارقام عن ظهر قلب .

عيد بار ميتسفا بالنسبة للديانة اليهودية مثل العماد عند المسيحيين ، يحتفل به عند بلوغ الطفل سن الثالثة عشرة . وفي هذه المناسبة حصل الياهو على مباركة الحاخام . بالاضافة الى الة تصوير فوتوغرافي بسيطة . فاصبح الياهو هاويا للتصوير السيرة الذاتية تؤكد ذلك . كما ان هوايته التي تعلمها منذ الصغر ، افادته في عمله عندما اصبح جاسوسا وقد ظهرت بعض هذه الصور . والتي وجدت في البوم العائلة ، في الصحافة العالمية ، لكن ليس لاسباب ، تتعلق بقيمتها الفنية .

تعلم الياهو كوهين ، واتفق الجميع على تفوقه واضاف بعض الكتاب دوافع اجتماعية تساعد على جعل الجاسوس الاسرائيلي شخصية اسطورية ، فقد كان من عائلة فقيرة ، لم يستطع الاب ان يعيل الاسرة الكبيرة ، لذلك اهتم الابن الاكبر ، بتامين دراسته بنفسه ، ومساعدة الاسرة في آن واحد وقيل بأنه لم يكن معه نقود حتى لشراء طعامه في المدرسة ، كما انه لم يشارك في الحياة الدراسية العادية ، بل

كان جديا ومجدا لاستكمال معرفته في التلمود واللغات الاجنبية .

درس على يد كبير حاخامي الاسكندرية ، توطئة لوظيفة حاخام ، وقد اراد – ارساله الى جزيرة رودس لهذا الغرض ، لكن لم يتوقع الحاخام ، وايضا والداه رأيه ، فقد رفض الاقتراح ، وقال بانه سيسجل في جامعة فاروق ، لدراسة الهندسة الكهربائية . اراد ان يصبح مهندسا ، فاصبح جاسوسا .

التقى كوهين بالمنظمات الارهابية الصهيونية في فترة مبكرة نسبيا . فقد عرف عن ارغون ليومي ، وعرف ان الهاغانا هي منظمة ارهابية شبه عسكرية ، واخذ يذهب الى مكابي للتدريب ، وفي تلك الفترة بدأت تنشر تفاصيل العمليات – الارهابية التي كانت تقوم بها تلك المنظمات ، وقد قام شابان من عصابة شتيرن لم يبلغا سن العشرين ، بقتل الوزير البريطاني للشرق الاوسط موين . وقد القى القبض عليهما ، وقدما للمحاكمة ، حيث حكم عليهما بالموت شنقا . وكان ذلك مؤشرا لكوهين وامثاله ، فقد كانوا يعتبرون الشابين اللذين قاما بعملية القتل من الابطال الذين يحتذى بهم .

ترعرع كوهين في ظل النشاط الصهيوني ، واصبح تلميذا للحاخام صموئيل عازر ، الرئيس التنفيذي للحركة الصهيونية السرية . كان يقف خلف المنظمة التي تهرب المصريين الى فلسطين ، وكان يقف خلف مشروع غوشين او ما يسمى بمكتب السياحة جروند بيرغ ، ومقره في احدى البنايات الجديدة في القاهرة .

غوشين اسم احدى المناطق في بلاد الفراعنة ، ومنها نظم موسى ، في عهد التوراة ، هجرة جماعية لليهود .

كان مكتب السياحة ، غروند بيرغ ، ينظم رحلات سياحية من القاهرة والاسكندرية الى فرنسا وايطاليا . لكن كانت هناك عائلات كاملة تبحر في السفينة ومعها حقائب كبيرة بشكل ملحوظ . كانت اقامتهم في فرنسا وايطاليا قصيرة ، وكانوا ينتهون كمهاجرين في فلسطين .

لم تكن عائلة كوهين مستثناة من ذلك . فنتيجة تأثير الموجهين السياسيين ، وضغوطهم ، هاجر الى اسرائيل في البداية ، كل من اوديت وموريس وعيزرا ،

والتحق بهم الوالدان وبقية الابناء عام ١٩٥٠ . لكن الياهو بقي . وقال بان اليهود المصريين محتاجون لوجوده ، وعندما ينهي مهمته سيلحق بافراد اسرته .

كانت المنظمات الارهابية الصهيونية غير المشروعة في مصر انذاك ، تعمل بكل طاقتها .

ولم يكن الامر يتعلق بالنشاط التجسسي او رحلات البحر المنظمة ، فحسب بل تعدتها الى عمليات تخريبية ، كتفجير القنابل الموقوتة ، واشعال الحرائق ولم تتمكن الشرطة المصرية ، لفترة طويلة ، من اكتشاف اثر الارهابيين ، حتى جاء وقت القت الشرطة القبض على عدد كبير منهم .

كانت اول مرة يصل بها كوهين الى مخفر للشرطة عام ١٩٥٢ ، بتهمة النشاط ، الصهيوني المتطرف . لم تعرف التفاصيل ، لكن حتما لم تكن قضية غرامية . اوقف لثلاثة ايام ، حقق معه ، واطلق سراحه . ولعل الشعور باجتياز الخطر هو الذي دفع كوهين لتكثيف نشاطه الارهابي ضد مصر . فبعد سنة اخذ يعمل على قاعدة اوسع .

كان صموئيل عازر قائده المفكر . وقد امره عام ١٩٥٣ ، بان يستأجر بيتا واسعا ، اصبح فيما بعد مقرا رئيسيا للمخربين الصهاينة . وحينما ابادت الشرطة المصرية عام ١٩٥٤ معظم الارهابيين ، ووضعتهم في السجن وقدمتهم الى المحاكمة كان الياهو كوهين مرة اخرى يحقق معه . وكان في هذه المرة ايضا محظوظا حققوا معه ، واطلقوا سراحه ، لانهم لم يتمكنوا من اثبات دليل ضده .

حكم على صموئيل عازر واخرين بالموت ، ونفذ بهم الحكم . وفي ٢٩ تشرين الاول – اكتوبر عام ١٩٥٦ قامت اسرائيل بالهجوم على الاراضي المصرية في منطقة صحراء سيناء ، كما قامت الطائرات البريطانية بقصف صحراء سيناء، كما قامت الطائرات البريطانية بقصف الموقع المصرية ، وابحرت الوحدات الفرنسية الى السويس . وتم تجميع اليهود المصريين في احدى مدارس الاسكندرية ، وكان بينهم الياهو كوهين .

عميل في دمشق (٢)

كوهين وصل الى حيفا من مصر وبدأ رحلة التدريب الشاقة ليصبح جاسوسا

بعد مرور سنوات قضاها الياهو كوهين في مصر وحيدا بعيدا عن عائلته ، لم يكن يدري اين هم ولايدرون اين هو . وجد نفسه الان في ميناء حيفا وليس معه عنوان والده فقد كان طبيعيا ان لايراسل عضو منظمة ارهابية في مصر اهله الموجودين في اسرائيل ومع ذلك كانت عنده فرصة ليعلن عن نفسه .

كان كل من يعرفه يتحدث عنه كما لو يتحدث عن شخص غريب الاطوار كان منطويا على نفسه وكان يتكلم عند الضرورة وكان يسرح احيانا بافكاره في الجلسات العامة فيبدو كلاعب شطرنج محترف بذاكرة ممتازة . وكان مغامرا يهمه كل شيء غير مألوف ربما كان ذلك سببا لقراره بأن يصبح عميلا سريا للموساد .

سأل كوهين في الميناء كيف يصل الى حي رامات غان واخبروه بأي باص يمكنه الوصول الى الحي الذي يريده ومقدار المسافة التي يجب ان يقطعها .

ذهب اولا الى تل ابيب ثم ذهب الى اخيه موريس بعد ان تذكر عنوانه طرق الباب لكن احدا لم يفتح قالت له الجارة ان موريس ذهب لبضعة ايام لكنها اعطته عنوان والديه كانايسكنان في بات جام . حينما قرع الجرس ، جاء اخوه ابراهيم لفتح الباب ، لكنه لم يعرفه .

كان التاقلم على الوسط الجديد عملا صعباً بالنسبة لكوهين . اشياء كثيرة لم تعجبه ، ولم يفهم اشياء اخرى . كان متربيا على العقيدة المتعصبة . لكن كل شيء مختلف في الواقع . كان يعيقه مثلا . صعوبة تفاهمه مع الناس . لقد – تعلم اللغة العبرية ، وكان واحدا من افضل التلاميذ ، له موهبة غير مشكوك بها . لكن العبرية الكلاسيكية التي تعلمها على يد الحاخام كانت مختلفة بشكل كبير عن العبرية الدراجة ، التي كانت تستعمل في مقاهي تل أبيب . كان ذلك اعاقة بالنسبة لذلك الصهيوني المتزمت .

كان الوضع في تل أبيب ماساويا . لم يجد المهاجرون مكانا يسكنون فيه ولم يجد كثيرون عملا ، ورفض اخرون العمل من الفجر حتى الليل في الكيبوتسات – المنتشرة على اطراف الصحراء ، لذلك نتجت التناقضات وعدم الراحة ، لان الواقع كان شيئاً مختلفا عن التصورات التي جاء من اجلها المهاجرون .

كان وضع كوهين مشابها ، وفوق ذلك ، فانه لم يستطيع التعايش مع اهله فقد رفض ان يخبرهم ماذا كان يعمل طيلة السنوات السابقة في مصر ، وعن خططه في المستقبل . ربما كان ينتظر الاوامر ، ومن المنطقي انه كان مسجلا في المخابرات السرية الاسرائيلية وكانت تراقبه .

كان نافذ الصبر ، يحس بانه مهجور ومعزول . لذلك اخذ يبحث عن اصدقائه القدامى الذين كانوا معه في الاسكندرية . واكتشف ان اوضاعهم ليست افضل من وضعه .

لاتتوفر الاخبار حول نشاط كوهين عام ١٩٥٧ ، فقد قيل انه حسن لغته العبرية والانجليزية والفرنسية والايطالية هذا كل ماعلمته العائلة عنه . كما انه كان يغلق الباب على نفسه ويمارس – هوايته التصوير .

بعد ان طال انتظاره وجد عملا في وزارة الدفاع في نهاية عام ١٩٥٧ . هل كان ذلك صدفة ام اتفاقا ؟ ربما كان امتحانا .

لم يصمد كثيرا في مهنة الترجمة ، وقيل ان ذلك يعود لعدم تمكنه من العبري الدارجة . وفي العام التالي ، اخذ يعمل في النقابات العمالية الاسرائيلية الهستدروت ، كمحاسب للشبكة التجارية التعاونية «ماشبير» حصل على راتب جيد . وأخذ هو يعتاد على الظروف الاسرائيلية بعد ان اصبح معه المال والوقت ، اللذان مكناه من التنقل . زار ايلات على البحر الاحمر ، والمناطق القريبة من الحدود السورية ، حيث حشدت ، القوات الاسرائيلية ، وكما قالت الصحافة الصهيونية : تشكل الحدود السورية مكان الالم في الدفاع الاسرائيلي» . ويبدو ان رحلات كوهين في اسرائيل ، بما في ذلك منطقة صحراء النقب ، لم تكن بهدف التسلية ، بل كان يجري الاعداد للعميل السري المستقبلي ، الذي كان يتعرف على الميدان .

كان في تل أبيب ناد عسكري ، يحتوي على قاعات للرياضة ، واخرى للنشاطات الاجتماعية ومطعم ، حيث يلتقي افراد الجيش الذين يقضون اجازاتهم في تل أبيب وفي النادي تعرف كوهين على زوجة المستقبل . كان اسمها «نداء» عمرها سبعة وعشرون عاما ، طويلة سمراء ، لكنها جميلة ، عراقية الاصل ، هاجرت مع اهلها الى فلسطين ، تعمل ممرضة في مستشفى هداسا . كانت تحس بالضياع في فلسطين، تماماً كما كان يحس كوهين. ربما كان هذا الاحساس سبباً لجمهما من النظرة الاولى الاولى وعندما كانا يقضيان عطلة نهاية الاسبوع على بلاج هيرتسيليا اتفقا على الزواج .

تمت حفلة الزفاف في شهر أب – اغسطس عام ١٩٥٩ . وقد اقامت العائلتان الحفلة باسلوب مضخم ، كما هي العادة في الشرق . وذهبا الى شهر العسل الى البحر الاحمر ، بعد ان ابتسم لهما الحظ ، فقد ربحا باليانصيب . وهكذا ظهر الجاسوس الاسرائيلي مرة أخرى في ايلات . نزلا في فندق صغير ، وقضيا وقتهما في السباحة . وكان يقضي الساعات في الغطس تحت الماء ، ليجلب لعروسه الاصداف الملونة والاسماك .

عندما عادا الى بيتهما ، استمر كوهين في عمله كمحاسب مغمور . ترك شارباه ينموان ، وقال زملاء نداء في المستشفى ، انها تزوجت يهوديا يشبه العرب . كان كلامهم صحيحا . اما كوهين فقد قال بانه لن يحلق شاربيه قبل ان تلد له زوجته ولدا .

العمل الاخـــر

ذات مساء عاد الى البيت وابلغ زوجته :

«لقد حصلت على عمل في شركة اخرى . وسأضطر احيانا للسفر في مهام تجارية الى الخارج» .

لايبدو ذلك معقولا ، رغم أن بعض الكتاب اكدوا بان الزوجة الملتزمة نداء، لم تسأل زوجها عن اسم الشركة وطبيعة العمل والراتب ، ولماذا واين سيذهب . فمن

غير الممكن ان تكون لامبالية الى هذا الحد ، ام انها عرفت كل شيء منذ البداية وبقيت صامته .

يقال ، ان مصير اسرائيل يرتبط عضويا بنجاح أو فشل الموساد . ويقال ايضا ان هذه العلاقة العضوية لها جذورها التأريخية . يبدأ ذلك منذ ايام موسى ويستمر . لكن من المشكوك به أمكانية تقييم أو قياس نجاح أوفشل المخابرات السرية .. فليس لها حسابات سنوية أو ميزانيات .

أن تدريب العملاء السريين ، في كل اجهزة المخابرات في العالم ، تدريب شاق ، ويتطلب مؤهلات شخصية ، التزام وانضباط ، مقدرة جسدية جيدة ، وقدرة على الاستمرار . ويتدرب العملاء الاسرائيليون لمدة سنة ، وفي بعض الحالات يكونون قد اجتازوا تدريبا في وحدات عسكرية خاصة ، وفي هذه الحالة يكونون مهيأين جسمانيا ونفسانيا .

يتعلم العميل السري في الربع الاول من السنة عمل الشيفرة وأرسالها وتحليلها كذلك التصوير والتنصت ، ويتعرف على معدات التجسس الحديثة ، التي تبدأ من اجهزة التسجيل الصغيرة الى فن الثقافة الدقيقة كذلك يتعلم الرماية والكراتيه والجودو .

توجد ايضا ساعات تعليمية نظرية تتعلق بتدريب الذاكرة خاصة ، كان كوهين يتمتع بالميزات اللازمة . فقد كان في طفولته يسجل ارقام السيارات ويكررها . ان العميل السري يجب ان يتمتع بذاكرة فوتوغرافية وقدرة على تذكر وضع باصغر تفاصيله . هناك عدة طرق لجعل ذلك يقترب من الاحتراف وجميعها تشبه الالعاب الاجتماعية لكن ذلك يتعلق بأكثر من الحصول على قبلة او وعد من فتاة يجلس العميل السري ويعرض عليه فيلم . فجأة يتوقف جهاز العرض وتضاء الانوار ويسأل القائد :

«اعط وضعا تفصيليا للمنظر الاخير. عندك ستون ثانية للتفكير» .

ان ذلك ليس عملا سهلا رغم ان العميل السري موهوب . وهناك عدة طرق لتقوية وتدريب الذاكرة الى مستوى رفيع . يقف الطالب امام الطاولة الموزع عليها

عشرات الاشياء ينظر اليها لانه يجب ان يسمي خمسة او عشرة او عشرين شيئا من الاشياء الموجودة في الزاوية اليسرى من الطاولة مثلا .

مهم جدا لحرفة التجسس معرفة الفروق بين الاشياء الاساسية والاشياء الثانوية عليه ، مثلا ان ينظر الى خارطة او رسم او مخطط لعدة ثوان ويتذكر المعلومات الاساسية منه وعليه ان يحفظ في ذاكرته خارطة مدينة تجري فيها العملية لانه لظروف ما لايستطيع ان يخرجها من جيبه .

للموساد طرقها الخاصة في التدريب لكنها لاتختلف كثيرا عما هو متبع في المخابرات المركزية الاميركية او البريطانية .

كان كوهين تلميذا مجدا ، وكان مدربوه مرتاحين لنشاطه ، وهكذا اجتاز مرحلة التعليم النظري الى التطبيق العملي بسرعة عبر كوهين مع مدربه الشوارع وفجأة توقفا وقال له المدرب : «اترى ذلك الرجل الذي يلبس الجينز ؟ اتبعه ولاتدعه ينتبه» . انطلق كوهين أثر الرجل المجهول وتبعه المدرب ليستطيع تقييم قدرة كوهين على الاختباء .

دروس الموساد

رغم ان الكتب التعليمية لاجهزة المخابرات غاية في السرية الا انه امكن الحصول على بعض تلك الكتب المستعملة لدى الموساد ومن بعض التعاليم الموجودة منها :

«لاتكن ملحوظا ، لاتتصرف كالجواسيس في الافلام ، عندما تريد مراقبة شخص ما في مقهى يجب ان لاتكون وحيدا على الطاولة وفي يديك الجريدة مختبئ خلفها لاتجلس ساعات طويلة لشرب فنجان واحد من القهوة فانت هنا لالتوفر بل لتخاطر انضم للفتيات اللواتي جئن يبحثن عن الشباب ، اطلب زجاجة من النبيذ وتسلى ، تصرف كخمور وتكلم مع النادل ، اعمل كل شيء يفعله الاخرون واثناء ذلك انظر وراقب كل حركة يقوم بها الشخص المعني» .

للتدريب العملي صفة المغامرة ومن الممكن ان يكون خطرا وفي كتب الدراسة

الاساسية للتجسس الاسرائيلي يقدم للعميل السري حينما ينقل الى المطار وفي لحظة هبوط الطائرة القادمة من الخارج جواز سفر مزور ويهمسون في اذنه : «يجب ان تختلط بالمسافرين وتعبر قسم الجوازات والجمارك نحن بانتظارك امام المطار» .

لايعلم رجال الحدود والجمارك عن جواز السفر شيئا ، وهو ليس مزورا باتقان لهذا فان كل شيء يعتمد على التصرف الطبيعي الذي يقوم به العميل السري وعلى ثقته بنفسه وسيطرته ومقدرته على لعب الدور ومعرفة على تقمص الشخصية المنتحلة .

وهناك مجال اخر على العميل السري ان يجيده ، وهو مايسمى بـ «فن التسلل» فقد يكلف بمهمة تسلل الى منطقة عسكرية كمطار او قاعدة صواريخ وحين يعلم بالاسم والمكان حيث يجب ان يذهب عليه ان يحصل على افضل زاوية للوضع وعليه ان يعرف خارطة الموقع وهو صعب للغاية احيانا كثيرة لذلك عليه ان يحصل على المعلومات بطريقة اخرى عليه ان يعرف التوزيع العسكري للاهداف داخل الموقع وعليه ان يأتي باخبار توضع في مكان محدد .

بالنسبة لانسان عادي فان هذا الوضع غير قابل للتنفيذ . اما عملاء – الموساد فانهم يعرفون الطريقة التي يصلون بها الى مكان مغلق يساعدهم في ذلك انتحال شخصيات اخرى بهويات مزورة وتصريحات خاصة وربما بواسطة عميل في الداخل على ان العميل السري قد يقع في مصاعب بسهولة لان قيادة الموساد تخبر قيادة الموقع بأن عملاء سريين معادين سيحاولون الليلة التسلل الى الموقع للحصول على المعلومات السرية فيقوم قائد القاعدة باعلان الاستنفار ويضاعف الحراسة فيصبح الطالب «العميل السري» في موقف خطر اذ من الممكن ان يمسكوا به وقد يجرح او يقتل .

ثلاثون او خمسة وثلاثون بالمائة من طلاب جامعة تل ابيب للتجسس لاينهون دراستهم فاما ان ينسحبوا وحدهم بسبب صعوبة الدراسة او انهم يرسبون اما الذين يجتازون النصف الاول من الدراسة فامامهم النصف الاخر وهو التخصص .

يحدد لكل عميل على الاقل مجال واحد للعمل فلا ينتظر احد من الياهو كوهين

المولود في الاسكندرية ان ينتحل شخصية تشيكي من براغ ويمكن للعملاء السريين في بلد ارسلوا اليها ان ينتحلوا شخصية احد مواطني الاقليات ومع ذلك يجب ان تكون لديهم المعرفة التامة بالعادات والتقاليد حتى لايتضح امرهم في ردة فعل غير مناسبة .

يجب على العملاء السريين ان يعرفوا العملة المحلية وكل وحدات النقد المعدنية والورقية ، اذ لايمكن لهم ان ينظروا في قطعة الخمسة دنانير مثلا ويدققوا بها حتى يعرفوها من الرقم كما انه يجب ان يعرفوا كيفية مخاطبة كل شخص باستعمال الالقاب المناسبة والمستعملة ولايمكن للعميل السري ان يطلب فرشاة اسنان من صيدلية في تشيكوسلوفاكيا ، رغم ان ذلك طبيعي في الولايات المتحدة الامريكية ، وعليه ان يعرف كيف يستعمل الهاتف الموجود في الشارع . وعليه ان يعرف الوثائق التي يجب ان يحملها عندما يريد ان ينزل في فندق كذلك يجب ان لايقع في حيرة عندما يسأله احد في مقهى ان كان يشجع فريق كرة قدم معين كذلك لايتوقع في فندق من الدرجة الثالثة ان يحضروا له الحقائب حتى الغرفة يجب ان يعرف في هذا البلد او ذاك عن أية مواضيع سياسية لايستطيع الكلام . وعليه معرفة الاوضاع القومية والدينية .

من دستور الموساد

جاء في دستور الموساد مايلي :

«يجب عليك تنفيذ مهمتك مئة بالمائة ، لا أكثر ولا أقل . اعمل فقط ماتؤمر به في الوقت المحدد لادقيقة اكثر ولادقيقة اقل اذا لم يكن الامر واضحا اطلب فورا توضيحا له . عليك ان تكون واثقا انك فهمت مايطلب منك . اهتم في كل الظروف باشيائك الشخصية لاتنتبه للعملاء الاخرين الذين تلتقي بهم اثناء العملية ، فعليك واجب وعليهم واجب اهتم فقط بتنفيذ مهمتك اعط رأيك عندما يطلب منك فقط لاتنس ابدا اثناء تنفيذك للمهمة انك عجلة واحدة في آلة كبيرة . لاتستطيع ان تعرف نوايا واهداف العملية فنحن نعرف العلاقة ونفكر بدلا منك . لاتهمنا اراؤك واعتقاداتك واحكامك على الامور . نريد منك الحقائق فقط ونحن بدورنا نقوم

بترتيبها . انت واحد من فريق وعليك اطاعة قائدك طاعة عمياء وان تسير وراءه بدون احتجاج عندما تنفذ كل ذلك ، فانك تؤمن النجاح لنفسك وللجهاز الذي تعمل معه» .

ظروف غير عادية للعميل

الظروف غير العادية والسيئة للموساد في محاكمات ليليهمر النرويجية كانت ممتازة للمؤلفين لينظروا تحت الغطاء الذي تحاول المخابرات الاسرائيلية دائما ان تخفيه . لانستطيع بالضبط وبموضوعية ان نقارن لكن هناك فروقا في تربية العملاء السريين والهدف في جميع الاحوال واحد هو تربية العميل السري على الطاعة العمياء .

يتلقى كوهين ، او احد زملائه في النصف الثاني للتمرين امرا بالتجول في طول البلاد وعرضها لايدري اين ولماذا يذهب وهو يعرف فقط ان عليه ان يشتري عشرات المرات او عشرين مرة تذكرة للباص وان ينزل وينتظر تحت حر الشمس . ليس لديه وقت ليشرب او يأكل وهو في حالة استعداد متواصل وهو لايدري ان كان احد يلاحقه ام لا . يكون عصبيا لان الباص تأخر ولايستطيع ان يجد سيارة اجرة يتبع طرقا متعرجة ليحافظ على المواعيد لان ذلك هو الاساس . ورويدا يصل العميل السري الى وضع حرج وهذا هو هدف اللعبة .

يتابع الطالب ويراقب بحسب خطة معدة مسبقا يضعون العراقيل امامه يحرقون اعصابه وعندما يصل الى مكان الاجتماع يتركونه ينتظر ساعات طويلة دون ان يصل زميله وتصبح القضية لاتتعلق باعصاب العميل بل بحياته لانه لايدري ماذا سيجري له .

الاحباط والشعور بعدم جدوى الجهد المبذول وعدم تحقيق الرغبة وعدم اشباع الحاجة كل ذاك يزيد من الارهاق النفسي فيصبح الانسان حزينا غاضبا لانه لم يحقق هدفه . ويقوم العقل الباطن بجهود لازالة اسباب الاخفاق هذا الوضع يحدث مرارا في الحياة العادية اما في نشاط العميل السري فهو خطر لان الاخفاق يعني بالنسبة للجاسوس مخاطرة كبيرة وهذا مايعرفه منظرو الموساد . كثيرون درسوا في وكالة

المخابرات الاميركية ، وكثيرون خدموا فيها وبحسب الطرق المجربة . فأنهم يسعون لتنشيط زملائهم المستقبليين نفسانياً بأن يضعوا في طريقهم ، وبطريقة مفاجئة وضعاً غير متوقع . ويمر الجاسوس بالتجربة للمرة العشرين دون ان يخطر بباله ان يغضب . وبعد ان يمر في كل ذلك العذاب يبدأ الصعب . وفي احدىٰ الايام يستدعيه قائده ويقول له :

«جاك ، خذ جواز السفر هذا ، ستذهب الىٰ اوروبا . لكن انتبه ، اسمك هو جون براون ، مولود في ٦ تشرين الاول – اكتوبر عام ١٩٥١ في برمنغهام توفي والدك في حادث سيارة . تعمل كمندوب تجاري لشركة ... المانية ، تبيع الالات المنزلية الكهربائية ، وانت في طريقك الىٰ لندن لتعقد صفقة كبرىٰ ، ثم تعود الىٰ المانيا الغربية . عليك ان تقدم تقريراً مالياً كل شهر . بقية التعليمات تصلك في لندن امام واترلو في ٨ ايلول – سبتمر في الساعة السادسة عشرة» .

يسافر العميل السري بجواز السفر الذي يحمل اسم جون براون ، في رحلة لشركة العال الىٰ بريطانيا ، وفي الساعة المحددة يصل الىٰ محطة واترلو وينتظر بصبر . تمر ساعات طويلة وهو يفكر بما يمكن ان يكون قد حصل . يغادر مكان اللقاء ، ثم يعود ، ولزيادة الاطمئنان فأنه لاينزل في مكان محدد ، وينتقل من بار الىٰ بار ، يشرب عدة اقداح من الشاي ، ويأكل عدة اكياس من البطاطا المقلية . اذا لم يحضر زميله حتىٰ منتصف الليل ، ولافي اليوم التالي يجب عليه ان يتدبر امره بنفسه فهو في بلاد اجنبية . يستطيع ان يذهب الىٰ السفارة الاسرائيلية ، ويطالب احد الموظفين لمقابلة سرية ، ويقول له انه يريد ان يتصل ب «المعهد» ، كما يسمي العملاء الموساد في تل ابيب . بذلك يكون قد كشف اوراقه وخسر نهائياً . عليه ان يتدبر امره وحده . يجب ان لاينكشف في اية ظروف ، حتىٰ ولو سأله وزير الدفاع نفسه .

ماذا يبقىٰ لديه ليعمل ؟

لقد اعطوه بضعة جنيهات فقط ، وقالوا له انه سيحصل علىٰ مبلغ اخر من ضابط الاتصال امام محطو واترلو . قد حاول ان يستدين نقوداً ، لكنه لا يعرف

احداً في لندن . يمكنه ان يذهب الىٰ اقرب حاخام ، ويقول له سراً ، بأنه قد وقع في ضائقة مالية ، وسيساعده بالتأكيد . لكن الحاخام يريد ان يرىٰ وثائقه وعلىٰ براون ان يريه جواز سفره . اذا علمت الموساد بذلك ، فستكون النهاية حياته العملية .

يستطيع العميل ان يحصل علىٰ النقود ، التي اصبحت بالنسبة له اهم قضية بواسطة السرقة ، وهذه الطريقة محفوفة بالمخاطر . أو بواسطة العمل ، لكن العمل بحاجة الىٰ وقت طويل . ولايبقىٰ لديه مجال سوىٰ ان يذهب الىٰ مكتب العمل ويبلغه بحاجته لوظيفة ، لكي يحصل علىٰ نقود لتذكرة العودة .

ربما لايتركونه وقتاً طويلاً يعاني ، فقد يظهر في احد الايام رجل في بار لتناول شوربة رخيصة ويقول له : «كفىٰ يابراون . لقد اجتزت الفحص بدرجة ممتازة ، وهذه هي تذكرة الطائرة لكن بسرعة . فالرحلة ستقلع بعد اقل من ساعتين» .

يعتبر التحضير النفساني للعملاء السريين اليوم جزءاً هاماً من المنهاج ، في كل اجهزة المخابرات . لكن جهاز الموساد يعاني من عقدة الطرق الضاربة .

يقول الرئيس لطالب التجسس : «سوف تطيرالىٰ بيروت كسائح . ستقضي ثلاثة اسابيع في لبنان . نريد معلومات . اعمل بقدر ماتعرف . الىٰ اللقاء بعد شهر» . يستلم الطالب اضبارة فيها جواز سفر الماني غربي ، ولكن بأسم اجنبي . ويجد فيه سيرته الجديدة بحسب تخطيط القسم الفني . وعليه ان يحفظها فوراً عن ظهر قلب . ثم يحزم امتعته ، ويطير الىٰ اوروبا . وفي مطار ميونخ يدخل الىٰ المغاسل ، ليغير وثائق السفر الاسرائيلية الاصلية بأخرىٰ مزورة . يغسل يديه ، ويمشط شعره ، ثم يعبر الىٰ قاعة المعاملات في اللحظة التي تعلن بها المذيعة الداخلية للمطار :

«الرجاء من السيد صموئيل وايزمن ، الذي جاء مع رحلة العال من تل ابيب ان يحضر فوراً الىٰ شباك الاستعلامات . اكرر ، علىٰ السيد صموئيل ...» .

صموئيل وايزمن هو الاسم الحقيقي للجاسوس ، لكنه الان يحمل في جيبه جواز سفر الماني غربي باسم هيربرت مارجوليوس . اذن عليه ان لايتجاوب مع النداء . لكن ماذا اذا كان هناك شيء مهم ؟ اذن عليه ان يذهب الىٰ شباك الاستعلامات

ويكون ، هناك بانتظاره رجلان مجهولان .

* من فضلك تعال معنا .

– يقاوم العميل السري قائلاً : لماذا ؟ من انتما ؟

* يلزمنا ان نسألك بعض الاسئلة . اسئلة عادية ، لاتحاول ان تثير المشاكل تعال خارجاً .

هذا المشهد الذي وصفه «تنين» من الممكن ان يجري في أي مكان وبأي شكل . لكن الاساس ان يختفي العميل السري في احدىٰ الفيلات في ضاحية من ضواحي المدينة ، حيث يجد نفسه في غرفة صغيرة تشبه نوافذها نوافذ السجن . ويبدأون بأستجوابه ليلاً ونهاراً . يتعرض للتقديرات عشرات المرات ، طيلة الليل فماذا يعمل ؟ يشتعل رأسه بالافكار ، ويدور في دوامة . هل يعترف وينهي كل شيء ؟ هل يقول بأنه مبتدئ ، وانه مازال يدرس ، وان الامر ليس بيده ؟ هل يرجوهم لكي يتصل بالسفارة الاسرائيلية ، حيث سيشرحون لهم كل شيء ؟ فليس من السهل مقاومة الضغوط التي تفرضها اللعبة ، حتىٰ لو كان خارقاً في التفوق المطلق . فيقولون له :

«انظر ياوايزمن . لاداعي لافكارك . يوجد في حقيبتك مخدرات ، تكفي لسجنك عدة سنوات ، لذلك اعترف ، والا سنسلمك للشرطة المحلية» .

هذه المعاناة ، قد تستمر بضعة ايام ، أو اسبوعاً بأكمله . عميل المستقبل يتعذب ، ويقاسي الامرين ، وحينما توشك قواه ان تنهار ، يأتون اليه يربتون علىٰ كتفيه ، ويبلغونه انهم ايضاً من الموساد ، وانه اجتاز الفحص . وتستطيع ان تكمل طريقك الىٰ بيروت . حاول ان تجلب معلومات جيدة ياوايزمن .

عميل في دمشق (٣)

أرادوا توظيفه كعميل في أميركا اللاتينية لكنه أصر على العمل في الدول العربية

كيف تجند كوهين في الموساد ؟

مهمة في القدس كانت البداية

التقى «الياهو كوهين» في صيف عام ١٩٦٠ بقائده ، ايتسحاق ، المسمى درويش ، على رصيف في شارع ريخموف الليبي .. كانت الشوارع مزدحمه بالمارة .. كان بعضهم مسرعا والبعض الاخر يتوقف عند واجهات العرض في المحلات التجارية ودور السينما .

* قال درويش : «منذ الان ستستمر وحدك ، يتابعك رجلان يجب ان تكتشفهما .. اذهب هنا وهناك .. انظر الى المحلات التجارية .. وانتبه لخيالها في زجاج الواجهات .. جدهما ، ولا تدعمها يخرجانك عن توازنك .. قدر الامور منطقيا ، انتبه وستجدهما» .

لا شك بأن كوهين قد اجتاز كل المراحل الازمة في تدريب الجاسوس . وحتى فترة ليست بعيدة ، لم يكن واضحا كيف توصل الى «المعهد» .. وقد كشف ذلك الصحفيون الاسرائيليون .

وعندما اتصل به ، وكان يعمل في ارشيف وزارة الدفاع ، لم يخف اراءه ، بأنه لا يجد متعة بالعبث في الصحف العربية ، وانه يفضل العمل في الميدان .. فلماذا يجلس في قسم الاخبار للمعلومات ، ما دام يستطيع الذهاب مباشرة الى مكان ، ويحصل على المعلومات ؟.. بعد ذلك بفترة قصيرة ، تلقى جوابا بالرفض ، بل انه اضطر بعد مدة وجيزة الى ترك الوظيفة وقال له الضابط بأن «المعهد» لا يقبل أولئك

الذين يطلبون بانفسهم العمل ، ولن تتغير القاعدة بناء على طلبه ، رغم ماضيه .

هاجر كوهين الى «أرض الميعاد» وأصيب بخيبة أمل .. كان هذا هو شعور معظم المهاجرين ، حيث ياتون الى وطن غريب عنهم .. يشعرون بذلك ، حتى ولو كان أحدهم بروفيسورا من جامعة السوربون في فرنسا .

أعرب كوهين ، مرة اخرى عن رغبته بالعمل في المخابرات السرية الاسرائيلية لصديق له يدعى سالزمان ، الذي كان زميلا له في الوظيفة .. وكما هي العادة في اسرئيل حيث يقال بأن للجدران اذانا للسمع ، وان على كل من يسمع أية معلومات قد تمس الاجهزة الحكومية او القضايا العامة عليه أن يبلغها . لذلك قام سالزمان بكتابة تقرير عن ذلك الى الدائرة المعنية .

وفي الوقت الذي استمر به كوهين في الذهاب الى وظيفته كانت الموساد تقوم بدراسة ماضيه ، والتحقق منه .. وعندما عاد ذات مساء الى بيته ، كان بانتظاره سالزمان .. تحدثا قليلا عن الطقس ، وخرجا معا .

* سأل سالزمان : هل حقا تريد أن تعمل معنا ؟

– أجاب كوهين : طبعا .

* في الخارج ؟

– نعـم .

* لكن زوجتك ما زالت شابة ...

– لن أبقى طيلة العمر في الخارج ، لكن عندي شرط ، لا اريد أن أعمل في اوروبا ، افضل العمل في أحدى الدول العربية .

لا بد أن كوهين كان غريبا ، أو أن اقامته في اسرائيل قد هزته من الاعماق ، ربما كان مغامرا بالفطرة ، حيث لم يستطيع الحياة دون خطر وبالرغم أن زوجته ما زالت شابه جميلة ، وتنتظر طفلا ، الا انه أراد تركها لوقت طويل .. صحيح أنه كان يحصل على راتب ضئيل كمحاسب ، لكن رواتب الموساد لم تكن اعلى بكثير .. لذلك فقد فكر بأنه سيخيب أمل زوجته عندما يقبل في الموساد وقرر كوهين عدم أطلاع زوجته اين ولمن يعمل أعطى الاولوية للمخاطرة مقابل الهدوء العائلي ،

وأعلنت أمه ، فيما بعد ، انه كان محبا للمغامرة منذ طفولته ، اما أخوه ، فقد اكد للصحفيين بان كوهين كان مثاليا . لم يتردد بالتضحية بحياته وسعادته الخاصة مقابل المبادئ التي كان مقتنعا بصحتها .. واراد قادة الموساد ان يتأكدوا ..

وكلف سالزمان درويش مهمة اكتشاف ، فيما اذا كان كوهين جديا في طلبه هذا .. والتقينا معه في بيت خاص في ريخموف الليني ، لمعرفة هذا الامر .

حكم درويش على ردود كوهين ايجابيا ، وفي حوالي منتصف الليل ، اخرج من حقيبته نموذجا مروسا بكلمتي وزارة الدفاع ، واعطاها لكوهين ، لتوقيعها ثم ذهب الى النوم .

تثير مدينة القدس الاعجاب من عدة نواح كثيرة .. فيها كلية مسلحة وجامعة عبرية .. ويتمتع السياح والحجاج بالمعابد القديمة ، والمأذن الرائعة الجمال . ويعبر الشوارع الان المؤمنين من كل أنحاء العالم .. وتعتبر القدس من الاماكن الدينية في الارض .. فهي للمسيحيين مكان مقدس ، حيث صلب اليهود المسيح ، ويوجد قبره هناك منذ أثني عشر قرنا . وبالنسبة للمسلمين فهي مكان مقدس أيضا ، لان فيها الصخرة المشرفة ، التي صعد منها الرسول محمد «ص» الى السماء ، وبالنسبة لليهود ، فهي بلد الملك داود وابنه سليمان ، وفيها «حائط المبكى» . وبعد وقف أطلاق النار عام ١٩٤٩ ، قسمت القدس الى جزئين ، وبحسب قرار الامم المتحدة لعام ١٩٥٠ ، يجب تدويلها . وقد اصبحت مدينة الخلافات الابدية والصراع المستمر ، الى ان قررت اسرائيل انتهاج سبيل العدوان في عام ١٩٦٧ ، واحتلت القسم العربي من المدينة التي كانت تابعة للاردن وقامت الحكومة الاسرائيلية ، بعمليات استفزازية ، حيث نقلت الكنيست اليها ، وإيضا بعض الدوائر الحكومية . وقام الاسرائيليون بطرد المواطنين العرب من بيوتهم ، والاستيلاء عليها ، وقامت الحكومة بمصادرة الاراضي العربية لاقامة مستوطنات عليها . وقبل ذلك كانت تتم لقاءات الجواسيس في شوارع ومقاهي المدينة بهدف التحضير للعدوان .

مهمـــة

في نهاية عام ١٩٦٠ ، نزل في فندق صغير من فنادق القدس القديمة السائح الفرنسي مارسيل كوان .. كان شابا اجتماعيا وثرثارا ، ذا شعر اسود ، وشوارب ضخمة .. حزم بعض قمصانه ، ووضع في رقبته كاميرا ، واستعد للطوف في المدينة . وعندما سلم مفتاح الغرفة ، فتح حوارا مع موظف الاستقبال ، وافشى له أنه يعيش في مرسيليا ، ووضعه هناك جيد ، لكنه يهودي مؤمن ، يفكر بالهجرة الى اسرائيل وقال له :

* لكن كما تعلم ، لايملك الانسان الخبرة . هل هذا جيد ام غير جيد لاأريد أن أغامر .. أريد أولا أن استفهم عندي بعض التوفيرات ، أريد أن اعرف كيف يمكن استثمارها .

– اجاب الموظف : افهم وضعك ياسيد كوان .

* اين يمكن ان أقابل اشخاصا ذوي نفوذ ؟ بمعنى اخر اين يلتقي رجال الاعمال ؟

– في مقهى فينا .

* مقهى فينا ؟ هذا جيد .

أبتسم السائح الفرنسي وهو خارج . في ذلك اليوم تعرف مارسيل كوان على رجال اعمال متعددين ، وأمضى الوقت معهم بالحديث عن نفس الموضوع وحصل كوان على عدة عناوين ، ودعوة واحدة لعشاء .

حقق الكثير خلال بضع ساعات ، وفي المساء التقى مع مدير فرع بنك الشرق الاوسط ، الذي أتفق معه على لقاء في اليوم التالي في مكتبه في الساعة الحادية عشرة قبل الظهر . جلس الاثنان امام بعضهما البعض كرجلي أعمال .. وأجاب المدير على استفسارات ضيفه بكل رغبة وموضوعية لم يكن ذلك شيئاً غير عادي ،.. فقد اراد مارسيل كوان من مرسيليا أن يعرف اكبر قدر من المعلومات عن الوضع الاقتصادي في اسرائيل ، وعن العلاقات السياسية الخارجية ، وقبل كل شيء عن امكانات الدولة اليهودية الاقتصادية واقامتها .. فقد كان معروفا في العالم ، أن

اسرائيل بلد فقير ، حيث يعيش المهاجرون عيشة فقر ، كما أن البضائع غير متوفرة ، وبعض الانواع منها قليل بشكل غير عادي ، لان الكثير من المبالغ التي تاتي كدعم لهذه الدولة يذهب للتسليح والعدوان ، ففي اسرائيل يحتل الجيش الاهتمام الاول ، وتأثيره واستهلاكه كبيران .

كان مارسيل كوان رجل اعمال شكاك ، وقد ظهر ذلك من خلال قضية تحويل مبالغ كبيرة بالفرنكات الفرنسية ، الا أن فرع بنك الشرق الاوسط أفصحه ببعض المحاولات ووعده بأن يقوم موظفوه بعمل خطة له لتسليمه المبلغ في الفندق ، ثم مرة أخرى ، ويتفقون على الخطوة التالية .

لم يحضر السائح الفرنسي الى بنك الشرق الاوسط ، رغم أنه بقي في القدس عشرة أيام أخرى .. فقد كان يبحث عن مصادر اخرى ، واراد أن يعرف بكل قوة كيف سيبدو الوضع الحالي للدولة الاسرائيلية ، عندما توقف المانيا الاتحادية دفع «التعويضات» لها ، وعندما يجف سيل المساعدات التي يقدمها اثرياء الولايات المتحدة . سمع اجوبة متعددة ، في حين لم يكن الناس يرغبون بالحديث عن هذا الموضوع المؤلم ، بخاصة من يهودي من جنوب فرنسا ، الذي جاء لزيارة الاراضي المقدسة كسائح .

ذهب مارسيل كوان بعد ذلك الى تل أبيب ، وجلس مع ايتسحاق في أحد الاوكار بشارع ايخموف الليني ، وقدم تقريرا عن مهمته في القدس . كان مرسيل هو الياهو كوهين .. نفذ مهمته التجريبية ، وجاء يقدم نفسه الى المقر الرئيسي للموساد في حي هاكيريا بتل أبيب .

في ١٧ أيلول – سبتمبر عام ١٩٤٨ عندما أغتال أفراد منظمة شتيرن الارهابية الوسيط الدولي الكونت برنادوت في القدس ، حل مكانه الدكتور والف بونش ، الذي كان يعرف مشكلة الشرق الاوسط عن كثب .. وفي الخمسينات كتب عن المخابرات السرية الاسرائيلية قائلا :

«أن الوقاحة والصلف ، بالاضافة الى استعمال الوسائل لتحقيق الاهداف المرسومة تزيد من اعمال هذه المنظمة . فالمخابرات الاسرائيلية لا تأخذ بعين الاعتبار

سيادة الدول الاخرى ، أن المساعدات الاساسية لهذا المظمة تقضي على أي اختلال بالامن . هذه القاعدة يحافظ عليها بدقة في اسرائيل لدرجة أنه من الواجب على كل مواطن أن يساعد المخابرات السرية ، من رئيس الوزارة الى اصغر مواطن . كما أن للمخابرات الاسرائيلية عيونا بين الاشخاص القياديين في كل منظمات التجسس ، في العالم تقريبا» .

كان المبعوث الدولي للامم المتحدة يعرف تماما ما يقول .. ففي أحد اطراف تل أبيب ، وبالقرب من شارع ليوناردو دافينشي ، كانوا يقومون بانشاء بنايات محصنة جدا الى براكات عسكرية محاطة بحواجز من الاسلاك الشائكة . وفي مجمع البنايات توجد وزارة الدفاع الاسرائيلية ، ومركز المخابرات السرية الموساد .

ايسر هارئيل

بعد نجاحه في مهمته بالقدس ، قابل كوهين رئيس الموساد أيسر هارئيل الذي ولد في فيتيبسك عام ١٩١٢ . كان عمره سبعة عشر عاما جاء الى فلسطين بحقيبة ممزقة ومسدس مسروق . كان اسمه هالبير بن ، غير اسمه كبقية اليهود ، ولقب بـ «هاكاتان» أي الصغير ، لانه فعلا لم يكن كبيرا . وبدأ كبقية المهاجرين يعمل في الزراعة في كيبوتس شفايم قرب هيرتسليا . لم يعجبه العمل المرهق في بيارات البرتقال تحت الشمس اللافحة لذلك لم يكن غريبا عندما انضم ، كبقية الشباب ، الى منظمة هاغانا . كانت له موهبة الملاحظة الدقيقة ، وكانت الاخبار والتقارير التي يقدمها عن رفاقه وقادته والاشخاص الذين التقى بهم في رحلاته الوظيفية دقيقة وممتازة . كان يجيد اللغة العربية وكان يقابل العرب اثناء عمله ، مما أعطى قيمة أكبر لمعلوماته .

في عام ١٩٣٦ غادر الكيبوتس ، وأصبح عضوا في دورية الشواطئ «نوتريم» . وكان هذا القسم من المنظمة الصهيونية ، التي يقودها الضباط الانجليز ، بالنسبة له محطة للتدرج . تشاجر مع القائد الانجليزي ، فاضطر للاختفاء .. وأصبح عميلا في المنظمة الصهيونية السرية «شاي» وبعد ذلك أصبح رئيسا للامن الداخلي في

«الهاغانا» في مكان اقامته ، ورئيسا «للشاي» في كل منطقة تل أبيب .

كان هارئيل شابا ذكيا ، وعميلا سريا موهوبا . وعندما تعرف على الشخصيات القيادية في الهاغانا والوكالة اليهودية قبلوه بينهم وكلفوه بمهام معقدة ، وقام بتنفيذها خير قيام . وعندما اعلن عن قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ ، كان رائدا ، وعندما أسس جهاز التجسس الرسمي أصبح رئيسا للامن ثم رئيسا للموساد .

يقول ايسر هارئيل : «بعد الاعلان عن دولة اسرائيل ، كلفت بمهمة رئاسة شيروت بيتاشون (شين بيت) وبقيت في هذا النصب حتى تم اعادة التنظيم عام ١٩٥٢ . وقد شكلت لجنة من قادة المخابرات السرية ، كان عليها أن تنسق وظائف المنظمات المختلفة وفي نفس الوقت جهزت مركزاً ، كانت وظيفته الحصول على المعلومات من الخارج ، بخاصة من الدول العربية المجاورة» .

اصبحت الموساد منظمة مستقلة ، وسمي هارئيل رئيسا لها ، واعلى مرجع لفصائل المخابرات السرية الخمس ، ويقول بأن هذا التقسيم قد نجح من المنظار العسركي ، وكذالك من المنظار السياسي الداخلي ، كان مكان نشاط الموساد في الخارج .

كان لايسر هارئيل قوة عظيمة ، بصفته رئيسا للموساد ، فكان يتعاون مع رئيس الوزراء ، ويقدم حسابا عن نشاطه للجنه البرلمان . اما من الناحية الاقتصادية فقد كانت ميزانية الموساد تخضع لرقابة المؤسسة الحكومية المالية .

يعتبر رئيس المخابرات الاسرائيلية ، الموساد ، مسؤولا مباشرة أمام رئيس الوزراء ، وتحتاج العمليات الكبرى الى موافقة لجنة الامن القومي المنبثقة عن الكنيست ، وتتبع لرئيس الموساد لجنة استشارية تسميها الحكومة من الوزراء .

حولوا كوهين الى جاسوس

صنع الاخصائيون القياديون في الموساد من كوهين ، المحاسب البسيط جاسوسا من طراز الاول ، لتنفيذ المهمة الكبرى . كانت مهمته في القدس واحدة من

التمارين التي وجب عليه أن يجتازها ، وهي في الوقت نفسه امتحان للمستوى .

وضعوا في اثر كوهين في القدس رجلين مجربين ، أخذا بمراقبته وتصويره وتقييمه ، ثم قدما تقريرا لقيادة الموساد مرفقا بالصور ، لكن معظم اللقاءات التي قام بها ظلت مجهولة فقد التقى كوهين مع مدير البنك في مكتبه ، حيث لم يستطع العميلان أن يصلا ، وقد ثمن ايتسحاق ذلك لطلبه كوهين ، وكانت نتيجة التقييم جيدة ، وأصبح على كوهين ان يقابل رئيس الموساد ايسر هارئيل .

تم اللقاء في وقت من الاوقات في خريف عام ١٩٦٠ ، بعد عيد رأس السنة – اليهودية ، روش هاشانا ، ولم يكشف النقاب عما دار في ذلك الاجتماع . لكن من المعروف أن أيسر هارئيل كان يعلن في كل مناسبة : أن من يعمل هنا هو صديقنا ، وفرد من أفراد العائلة ، اذا تورط في مشاكل أو في السجن ، يجب أن نعمل بكل قوتنا ووقتنا ونقودنا ، لكي ننقذه ، أو نساعده على الهرب . والحلات الميئوس منها هي حالات قليلة التي لا نستطيع فيها انقاذ رجلنا .

قيل انه كانت هناك خطط اخرى لكوهين ، فقد ارادوا ان يوظفوه كعميل منفرد في أحد الاقطار في اميركا اللاتينية ولكن عندما اكتشفوا خبراته في العالم العربي ، نصح رئيسه درويش ، ببرنامج آخر له . فهو يبدو كعربي ، ويتحدث العربية ، ومنذ نعومة أظفاره عاش في الوسط العربي ، لذلك فهو نافع اكثر في بلد عربي ، وكان هذا البلد هو الجمهورية العربية السورية ، لكن لم يكن كوهين يعرف ذلك ، فكان عليه ان يواصل تدريبه .

اعطوه مرة اخرى جواز سفر باسم اخر ، وارسلوه الى الناصرة ، وصل الى شيخ المدرسة الاسلامية ، محمد سلمان ، وقدم نفسه كطالب في جامعة القدس ، واظهر اهتماما بتعلم الديانة الاسلامية . نشأ كوهين في الاسكندرية في وسط مسلم وعرف اشياء متفرقة عن الاسلام . أما الان فقد بدأ بدراسة مكثفة للقران الكريم وحفظ عن ظهر قلب الصلاة ، وتعلم العادات الدينية ، ومتى يقرأ الفاتحة وكان هادئا نبيها ذكيا ومتعبدا ، ويحضر كل صلاة جمعة دون انقطاع حيث يصلي بكل خشوع .

مهدت المخابرات السرية الاسرائيلية منذ البداية للعدوان على الدول – العربية ،

واهتم ايسر هارئيل وبقية قادة الموساد ، بأن يكون لديهم جواسيس ذوي كفاءة عالية ، في الدول العربية المجاورة ، كان رجلهم في دمشق من الطراز الاول ، لانه سيعمل منفردا ، يجب عليه ان لايقع بايدي السوريين . فكان هذا سبب اجتيازه لتلك التدريبات الشاقة والاهتمام الكبير به ، وكان أحد الاساتذة يعطيه دروسا في اللهجة السورية ، لكي لا يثير الانتباه في دمشق .

قبل اعلان قيام دولة اسرائيل ، قام الاسرائيليون الارهابيون باعمال تخريبية فظيعة ، بهدف ارهاب الفسطينين وطردهم من بيوتهم والاستيلاء على أملاكهم فعملية ناخشون ، التي قتلت السكان في دير ياسين جزءا منها استهدفت احتلال وتدمير حوالي عشرين قرية اخرى ، حيث تم طرد اكثر من عشرة آلاف فلسطيني ، وكان الهدف بسيطا وهو ارهاب العرب واقامة ممر يربط تل أبيب بالقدس .

عندما أعلن عن قيام اسرائيل في ١٤ ايار مايو ١٩٤٨ ، دخلت الجيوش العربية في ثلاثة اماكن وهي جيوش مصر والاردن وسوريا ولبنان والعراق لدعم الفلسطينيين . واثناء المفاوضات غير المباشرة ، بواسطة المفوض التابع للامم المتحدة في اجتماع رودس ، تم اعلان وقف اطلاق النار بين اسرائيل ومصر وبين اسرائيل والاردن ، بين اسرائيل ولبنان . وفي ٢٠ اب اغسطس عام ١٩٤٩ بين اسرائيل وسوريا .

لم ينته التوتر بين اسرائيل المعتدية والدول العربية ، وحاول الرئيس جمال عبد الناصر توحيد الجبهة العربية ، واعلن في الاول من شباط – فبراير – عام ١٩٥٨ اعلان الوحدة بين مصر وسوريا وتم تشكيل الجمهورية العربية المتحدة .

لم تكن القوى السياسية والاقتصادية متوازية بين الطرفين ، واختل التوازن على حساب الجانب السوري وقيدت الحريات الديمقراطية ، ونتج هبوط اقتصادي حاد ، مما جعل الشعب السوري غير راض عن التطور السياسي ، مما ادى الى انقلاب في ٢٨ ايلول سبتمبر عام ١٩٦١ واصبحت سوريا من جديد دولة مستقلة لكن قبل ذلك بسنة ، أي في الوقت الذي كان فيه كوهين يستعد لمهمته ، لم يكن التوازن السياسي في دمشق قد تحقق ، واظهر الناس عدم ارتياحهم ، وظهرت

الغيوم فوق الحدود السورية الاسرائيلية .

حصل اشتباك مسلح في منطقة طبريا عند كيبوتس تل كازير ، بدأ بانطلاق طائرات ميغ ١٧ ، وفي ليلة ٣١ كانون الثاني – يناير ، هاجم الجيش الاسرائيلي المواقع السورية ، واخترقت الحدود ، وقامت وحدات من الجيش الاسرائيلي بالهجوم على المواقع السورية في منطقة قرية التوافيق حيث دمرت حوالي خمسين بيتا ، ثم انسحبت ، وفي نفس الوقت ، وعلى الحدود السورية – الاسرائيلية ، في منطقة مرتفعات الجولان ، حيث تم الهجوم الاسرائيلي ، ظهر الياهو كوهين ورئيسه ايتسحاق .

تتضارب المعلومات حول مجرى الرحلة في ميدان القتال بوادي الاردن وفي المرتفعات الاستراتيجية المهمة لكن الشيء المؤكد من التوجيهات الاخيرة قد تمت ، وكان الوداع الاخير لاسرائيل ورئيسه ، وكان على كوهين ان ينظر عبر الحدود على منطقة عمله المستقبلية ، وان يتعرف على الاسلحة المستعملة .

قال درويش : نستطيع ان ننتصر تحت شرط واحد ، يجب علينا ان نحصل على معلومات دقيقة عن العدو انواع وعدد الاسلحة ، وقوة الوحدات السورية لقد عرفنا كل شيء حتى ادق التفاصيل ، لذلك استطعنا باقل من اربع وعشرين ساعة أن نضرب الاراضي السورية ، وقبل كل شيء اخرجنا المدفعية السورية بعيدة المدى من الميدان . باختصار كان ، الانتصار ، في مرتفعات الجولان ، بسبب المعلومات الدقيقة من عملائنا . وانت الان هنا ، لان هذه المعركة لن تكون الاخيرة في هذه المنطقة ، وعندما تصبح في الجانب الاخر ، ستعتبر من هذه الجبهة هي منطقة عمل ايضا .

الشخصية الجديدة لكوهين

كانت الطريق الى دمشق تستمر عبر نصف الكرة الارضية ، لقد وضعت المخابرات السرية الاسرائيلية ، الموساد ، في جاسوسها امالا كبيرة ، واعطته مهمة معقدة لكنها تبدو امنه عن طريق تغير كوهين الى كمال امين ثابت .

السيرة الذاتية : ولدت في ١٢ شباط – فبراير عام ١٩٣٠ في بيروت . كان ابي يدعي امين ثابت ، وامي سعيدة ابراهيم . ترك والدي سوريا ، على امل أن تكون الحياة افضل في بيروت ، أنا نفسي لم اعش في دمشق أبدا . وكل ما اعرفه عن هذه المدينة ، تعلمته من والدي أو في المدرسة . اما ابي الذي بقي حتى مماته وطنيا سوريا ، علمني أن اعشق هذه البلاد . وأكد علي دائما بان اعود اليها في اللحظة التي يصبح فيها معي نقود كافية ، لاساعد الشعب السوري على استقلاله .

لم يكن لدي اشقاء ، وفي عام ١٩٣٣ عندما كنت صغيرا بعد ، ولدت لي اخت لكنها توفيت بعد فترة قصيرة ثم رحلنا الى الاسكندرية . انني لا اتذكر بيروت ، لكنني اتذكر الاسكندرية جيدا .

عشنا في الاسكندرية حتى عام ١٩٤٧ لم يكن وضعنا سيئا . كان والدي يملك متجرا صغيرا للاقمشة . لكن جاءته رسالة من شقيقه الذي هاجر عام ١٩٤٦ الى الارجنتين . ومنذ ذلك الوقت ، بدأت ترد الرسائل وفي كل رسالة دعوة ، للهجرة الى بيونس ايريس حيث سنغتني في ليلة واحدة . وبعد ان اقتنع والدي بالهجرة هاجرت عام ١٩٤٧ الى بيونس ايريس ، وهناك اشترى والدي مع عمي متجرا . لكن شريكهما سرقهما وافلست الشركة التي كان مقرها في شارع ليبازي ، كان ذلك سوء حظ كبير ، مرض والدي ، ولم يستطيع أن يتقبل فشله وفي عام ١٩٥٦ توفيت والدتي وبعد نصف سنة لحق بها أبي .

عشت مع عمي . عملت في مكتب سياحة يدعى «مارادي» وبعد فترة استطعت ان امتلك شركة خاصة بي ، واصبحت صاحب مؤسسة كبيرة تتعامل بالاستيراد والتصدير ومنذ عام ١٩٦١ ربحت مبالغ جيدة . واستطيع ان اقول بانني في وضع مالي جيد .

كان عليه ان يعيش الشخصية الجيدة ، وان يعيد تلك القصة دون اي خطأ .

ليس سهلا ان يتحول الجاسوس الى شخص اخر حتى من الناحية النفسية . فيجب عليه ان يعيش الشخصية الجديدة بشكل مقنع ، لدرجة تخلق له مشاكل في حياته الخاصة . وقد اعترف كوهين بانه ولدت غربة بينه وبين عائلته ، لم يكن

يستطيع ان يتصرف في بيته ككوهين . كان عليه ان يتزن كثيرا امام زوجته ، ليقنعها بان كل شيء على ما يرام .

كل امراة على وجه الارض ، ستعتقد بان زوجها وجد امرأة أخرى في مثل هذه الظروف ، حيث لايستطيع أن يبرر غيابه الطويل .. وقد أعلنت نداء كوهين بأنه كان عندها حدس بما يجري .. لم تفكر بالخيانة الزوجية ، وانه يستعد لعمل لا يجب أن يتحدث عنه . صمتت ، ولم تسال ، وحاولت أن تخلق جوا لطيفا ومقبولا في البيت لتنسيه عناء العمل .. وعندما ذهب ، كانت حزينة ، لكنها بنفس الوقت كانت فخورة بأنها زوجة الرجل الذي كلف بعمل هام .. ويمكن وصف موقف الزوجة الشابة تجاه زوجها بانه «حربي» وفعلا كان ، لان اسرائيل ومنذ قيامها عام ١٩٤٨ ، تعيش في ظروف حرب برغبتها وارادتها .

جاء ، هذه المرة ، الى كوهين رجل شاب باسم جدعون ، بسيارته الصالون الصغيرة لنقله الى المطار .. وقيل ، فيما بعد بانه عامل الموساد ، الذي استقبل أخبار كوهين من دمشق فك الشيفرة وسلمها للتقييم .. وفي قاعة المغادرين سلمه مظروفا فيه خمسمائة دولار للاشياء الضرورية .. ودع الياهو كوهين ، ، الذي صعد الى الطائرة التابعة لشركة الخطوط الجوية الاسرائيلية العال .

سارت الطريق بحسب الخطة الموضوعة للجاسوس . هبطت الطائرة في زيورخ ، وعبر كوهين الجمارك ومراقبة الجوازات باسمه .. ومن أمام المطار ركب الباص ، الذي أوصله الى المحطة الاخيرة القريبة من شارع المدينة الرئيسي بانهوف شتراسه وهناك قابله رجل كبير بالسن ... أنيق الملبس .. لكن هذا الرجل هو أسرائيل سالينجر ولأن لقائهما هذا كان الاول ، كما رأينا ، وليس الاخير منذ حصل على صورة لكوهين ، لذلك لم يكن بحاجة مقابلة العملاء السريين الاسرائيليين الى كلمة سر أو اشارة .. وقد تمت فيما بعد ، بهذه الطريقة .

اتفقا ، ثم ركبا سيارة وذهبا الى فندق باور أو لاك على صفة بحيرة زيورخ كانت غرفة لكوهين محجوزة لثلاثة أيام .. وهناك تم تغيير كوهين الى كمال أمين ثابت .

عميل في دمشق ٤

كوهين في بيونس آيريس ليبني شخصيته الجديدة التي يتقمصها

صداقات مع السفراء العرب والاثرياء زودته بمجموعة توصيات لمعارف وأقرباء تصدع العلاقات بين مصر وسوريا كان سببا في أرجاء مهمته لما بعد الانفصال

في بيونس ايريس ، حيث كانت وجهته ، كان سيظهر كرجل اعمال ناجح ، كان سالينجر صاحب شركة حقيقية تتعامل بالاستيراد والتصدير ، كان له ، أضافة لأشياء اخرى ، علاقات مع الارجنتين وكان بأستطاعته أن يقدم لصديقه نصائح قيمه . تعلم كوهين الجمل والعبارات اللازمة في هذا المجال ، كما تعلم قواعد المالية والقوانين الاقتصادية في التجارة الخارجية . وحصل من سالينجر ، وفي اليوم – الثالث ، على دفتر شيكات لبنك زيورخ ، حيث كان مفتوحا له حساب باسم كمال أمين ثابت ، رجل الاعمال في بيونس ايريس . كان ذلك شيئا عاديا أن يقوم رجال الاعمال بايداع نقودهم في سويسرا ، بسبب الظروف غير المستقرة في أميركا اللاتينية .

أختار قادة الموساد طريقا طويلة لكوهين ، تمر بالارجنتين ، لانهم توقعوا الكثير من هذا الجاسوس الجديد ، وأردوا أن يكون عندهم ضمان ، بان كل شيء قد أعد بشكل كامل ، كان عليه أن يبني شخصية جديدة ومثبتة . وفي بيونس ايريس كما في الارجنتين كلها ، كان يعيش المهاجرون من كل أنحاء العالم . ومعروف انه بعد الانتصار على الفاشية في عام ١٩٤٥ ، رحل الى الارجنتين النازيون واعضاء الاس – اس الجستابو ومجرمو الحرب ، الذين انتحلوا اسماء ووثائق جديدة تستروا

خلفها . كانت الارجنتين تستقبل أي شخص ، ولم يسأل مكتب الهجرة في الميناء أو المطار كثيرا . وكان من السهل الحصول على الجنسية الارجنتينية ، وفي جوازات السفر لم تذكر ديانة حامليها ، أو موطنهم السابق مما كان ميزة خاصة للمهاجرين ذوي التاريخ المشبوه وكان ذلك ينطبق على كوهين .

كانت تعيش في بيونس ايريس جالية عربية تقدر بنصف مليون شخص . فكان – سببا أيضا باختيار هذه المدينة لتغيير كوهين الى كمال امين ثابت . كانت لديه فرصة لمصادقة المهاجرين السوريين ، والحصول على العلاقات الاولية في مهمته اللاحقة . وكانت في المدينة ايضا مجموعة يهودية كبيرة . وبحسب قاعدة كلنا أخوة مادمنا على سفينة واحدة ، فان الناس في بلاد الغربة يكونون عادة ثرثارين وعلى استعداد لمساعدة ابن بلدهم . هذه الاجواء كانت مناسبة لكوهين . فقد كان بحاجة الى معارف واصدقاء يشهدون بماضيه الارجنتيني .

لم يكن كوهين يحسب أن الامر هين ، فبسبب وجود الجالية العربية الكبيرة لابد وان الدول العربية ، بما فيها سورية ، لها أجهزة تجسس هناك . لذلك يجب على كوهين أن يكون حذرا برغم بعده الكبير عن مكان عمله .

ذهب اسرائيل سالينجر مع كوهين الى بونهوف شتراوسه ، وساعده على شراء بعض البذلات والاحذية والغيارات ولوازم السفر ، وأوصل صديقه بحقائبه – الجديدة الى المطار . اما الحقائب القديمة الممزقة التي جاء بها كوهين من تل أبيب ، قد تركها عند سالينجر في بيته . كانت زيورخ أو ميونخ ماهما الا محطة أنتقالية ، وسالينجر هو في جميع الاحوال ضابط الاتصال .

السفـر الـى بيونس آيـريس

طار كوهين في رحلة «سويس ايرِ» الى باريس ، وانتظر في مطار أورلي اقل من ساعتين في قاعة الترانزيت ، ثم استمرفي رحلته الى بيونس آيريس وفي اليوم التالي حط في مطار أزيزكان يوماً من أيام شباط / فبراير ، ومركمال أمين ثابت من مراقبة الجوازات والكمارك ، الى ان وقف امام بناية المطار ، حيث وضعت حقائبه في

سيارة التكسي .

* سأل السائق : الى اين سنيور؟

*كانت امام كمال فرصة الحديث لأول مرة باللغة الاسبانية ، لقد امضى شهورا طويلة يتعلم اللهجة الارجنتينية .

قال كمال : افنديدا نويفو دي خوليو ، من فضلك . كان يعرف ان سيارة التاكسي يجب ان تمر اولا من حي لامتانزا ، ثم فينيدا جنرالا بازا .. وعلى جهته اليسرى سيمر من حول شيكاغو الجديدة ، لاحظ الازدحام في الشوارع ، وقرأ اسماءها ، عندما مر من عند حقول القمح ، علم انه قد وصل الى الشارع الاستعراضي في المدينة ، هذا الشارع الذي امر الرئيس بيرون – ببنائه تحقيقا لطلب زوجته ايضا على نمط الاليزية .

نزل في واحد من افضل الفنادق ، وقدم جواز سفره لموظف الاستقبال باسم كمال امين ثابت . وطلب غرفة مع حمام ، ثم خرج الى المدينة ، حيث رأى – بناية الكونغرس القومي ، التي تشبه بناية الكونغرس الاميركي ، وشاهد واجهات المحلات في شارع «سانتافي» ووقف امام المسرح القومي ومر من بلازا مايو الى الشاطئ حيث الدوائر الحكومية . وفي اليوم التالي ، جلس في ساعة متفق عليها في مقهى كورينتاس ، وطلب كأسا من عصير البرتقال .

تعليمـات

كان الرجل الذي قابله يدعى ابراهام ، الذي كان يحمل صورة كمال ، فعرفه على الفور ، تقدم الى طاولته ، وصافحه وجلس ، وبدأ الاثنان الحديث كشخصين يعرفان بعضهما البعض من زمن طويل .

* قال الرجل ذو الشعر الابيض : اليك هذا العنوان ياسنيور ثابت . اذهب الى هناك واستأجر شقة ، وهناك يوجد عنوان لمعلم اللغة الاسبانية ، يجب ان تدرس اللهجة المحلية بسرعة ، فانت تعيش هنا منذ عدة سنوات .

– قال كمال : كنت اعتقد انني اتكلم كمواطن ارجنتيني .

* لاياسنيور كمال ، وقد عرفو ذلك عندما ارسلوك الى هنا ، لذلك . وجهوا لي امرا ، لكي اؤمن لك معلما ، باشر بالدراسة منذ الغد .

– هل سنتصل ببعض ؟

* سنلتقي فقط في حالة الضرورة القصوى . اليك رقمين هاتفيين ، الاول هو رقم تليفوني .

– والثاني ؟

* هاتفك ، هاتف شركة التصدير والاستيراد التابعة لك . هناك عاملة قسم وهي تعرف مايجري ، السنيور كمال امين ثابت هو صاحب ومدير الشركة .

– هل علي ان اذهب الى المكتب ؟

* الان لا ، غدا ستصلك بطاقتك الشخصية والاوراق المروسة باسم الشركة .

– وماذا عن جواز السفر ؟

* بعد شهرين او ثلاثة ، ستحصل على جواز سفر ارجنتيني الان عندك وقت كاف .

* ستعرف ذلك في الوقت المناسب ، ستصلك البطاقات الشخصية والاوراق الى الفندق ، سيسلمك اياها موظف المطبعة ، هذا جدول بأسماء بعض الشخصيات العربية البارزة في بيونس ايريس ، سوف تتناول غدائك وعشاءك في المطاعم العربية . هنالك ستتعرف على الكثيرين منهم . وعليك ان تنتسب الى النادي الاسلامي .

ذهب كمال اولا الى البنك . حصل على دفتر شيكات . ولم يكن صعبا الحصول على صداقات جديدة مع بعض الاعضاء في النادي الاسلامي ، جلس يشرب القهوة ويتصفح جريدة الاهرام المصرية وبقية الصحف السورية ، لعب طاولة النرد مع بعض المعارف الجدد ، الذين رفضوا ان يتكيفوا مع الوسط الارجنتيني ، ولم يكن بوسعهم ان يتأقلموا ، لذلك كانوا يلتقون مع ابناء بلدهم .

كان الرجل الجديد في النادي ، كمال امين ثابت ، جليسا محبوبا ولبقا ولايتحدث كثيرا ، لكنه رجل اعمال يحتل موقعه بجدارة . وبعض الملاحظات التي

قدمها بين الحين والاخر ، اثبتت انه ناجح في عمله .

بعض المهاجرين من ايطاليا وبورتوريكو وايرلندا واقليات اخرى ، تبقى مخلصة لبلادها الاصلية ، برغم وجودهم في الولايات المتحدة او دول اميركا اللاتينية ، والناس في الغربة وطنيون اكثر مما هم في بلادهم ، يحبون مساعدة بعضهم بكل طاقاتهم . كذلك لم يستغرب احد عندما اعرب كمال امين ثابت ، ولعدة مرات عن رغبته في العودة الى بلاد ابائه . الى سوريا ليشارك في الصراع السياسي ، ومن اجل التحرير الوطني ، كانت له امنية واحدة ، وهي ان يساهم في القضية العادلة ، ولان المزايدة تكثر في بلاد الغربة ، والشعارات الرنانة ترفع ، صدق الجميع عواطف هذا الشاب ، حتى انه اصبح محبوبا كثيرا .

كان عبد الله لطيف ، يصدر اشهر مجلة اسبوعية في الارجنتين ، وكان اسم المجلة «العالم العربي» . تعرف اليه كمال في النادي اللاسلامي وبسرعة توطدت علاقات الصداقة بينهما ودعا الجاسوس صديقه الى بيته في شارع تاكوارا رقم ١٤٨٥ . كان بيتا واسعا ، متعدد الغرف ، فيه اثاث حديث يدل على ذوق رفيع ويتناسب مع مركز رجل الاعمال كمال ، لم يفته ان يؤكد بانه تمكن عام ١٩٤٧ ، وبمساعدة عمه واقارب اخرين من ان يفتح متجرا ناجحا لمنسوجات في شارع ليغازي . لكن للاسف فقد خانوه واضطرت الشركة ان تعلن افلاسها لكنه بفضل الله تمكن من ان يصعد اعلى مرة اخرى وقدم لصديقه الجديد البوما عائليا ليريه صورا له من ايام الطفولة وصور ابوه وعمه الاسطوري الذي لم يكن موجودا في يوم من الايام .

كانت تلك الصور خدعا تصويرية كاملة ، وكان يبدو فيها كمال كطفل وكولد وكشاب صغير . ودائما في وسط مناسب كالشاطئ والبلدية القديمة والقصر الجمهوري كانت احدى صوره في افينيدا كورينتيس كرجل اعمال شاب بجانب سيارة رولز رويس سيلفر ، مع ضحكة واسعة نبهت الصحفي عبد الله لطيف ، بانها لم تكن له في يوم من الايام اعترف كمال بذلك وقال :

«تعرف ياصديقي ، العاب الشباب ومزاحهم» وباعترافه كسب ود الصحفي اكثر .

صداقـة مـع صحفـي

توسعت دائرة معارف كمال يوما بعد يوم ، وفي ٢٣ شباط / فبراير عام ١٩٦١ اي بعد اربعة عشر يوما من وصوله التقي بصديقه الجديد الصحفي عبد الله لطيف في مكتبه بالمجلة ، حيث قص عليه من حياته ، وانتظر من عبد الله ان ينتقل الى المواضيع السياسية .

كان الصحفي يبلغ من العمر خمسين عاما تقريبا انه رجل نشيط شعره خفيف وله شاربان معتني بهما كان يتحدث عن الاوضاع السورية السياسية دون اية موانع ، واظهر من خلال حديثه ، بأنه لم يكن مرتاحا للوضع السياسي في دمشق فقد وقف ضد الاتحاد غير المتكافئ بين مصر وسوريا ، وانتقد بشدة سياسة جمال عبد الناصر ، التي حولت سوريا المستقلة الى مستعمرة مصرية واعرب عن امله بان ينقذ حزب البعث سوريا من ضياعها ، وعندما يستلم هذا – الحزب السلطة سينتزع سوريا من احضان مصر ، ولكن هذا لايعني ان الدولتين لاتستطيعان التعاون كطرفين متكافئين ، كان عبد الله محقا في كثير مما قاله ، وقد اكد التطور السياسي اللاحق صحة ما قال . كان الحديث مع الصحفي فرصة لكمال امين ثابت ، لكي يشارك صديقه اراءه ويوافقه عليها .

* قال كمال : ليس لدي اكثر من ان اذهب الان الى سوريا ، وان اناضل بكل قواي هناك . فرغم انني لم اولد في سوريا ، الا انني احس بانني سوري لقد مللت حياة المهجر وطني سوريا برغم انني لم اكن هناك وبالرغم من انني لا اعرف احدا هناك .

وسأل بتخوف : ماذا تعتقد كيف سيقابلونني هناك ؟ هل سأكون مفيدا ؟ في وطني ؟.

لعب دوره باتقان ، وكانت ردة الفعل عند عبد الله كما توقع ، ما اثلج صدر كمال عندما سمع عرضه :

اذا قررت السفر فعلا الى دمشق ، عرج علي قبل السفر ، سأعطيك رسالة توصية وارجوا ان تزورني في مكتبي هنا ، في الجريدة في اي وقت تمر فيه من هذه المنطقة

انت رجل لطيف ياثابت وتسعدني صداقتك .

كان الصحفي عبد الله ذا نفوذ واسع ، وكان عضوا في منظمة عربية سرية في بيونيس ايريس وما سمعه كمال لم يتركه بالطبع لنفسه اما الجاسوس الاسرائيلي الذي كانت له قوة ملاحظة غير عادية، فقد ادرك في الايام التالية ان شخصاً مجهولاً يراقبه.

عندما عاد من الاجتماع مع ابراهام ، الذي سلمه مبلغا كبيرا من المال للمصاريف اليومية اكتشف انه اثناء غيابه قد دخل مجهول شقته دون عودة فقد وجد البوم الصور في غير مكانه ، وتبين فيما بعد ان مجهولا قد صور الصور كما تبين ايضا وبعد سنتين ان المنظمة التي كان عبد الله عضوا فيها . والتي قدمت تقريرا عن هذا المتحمس الجديد لاستقلال سوريا قد بحثت عن شخصية كمال تماما ، وكانت المعلومات التي رواها كمال مطابقة لما اكتشفه عبد الله واصبح كمال رجل ثقة ، يمكن الاطمئنان اليه ، وعندما قرر انه سيذهب في زيارة لبعض الدول العربية ويتوقف في دمشق وجد دعما كاملا من الجميع .

كان كمال ما يزال يعمل في بناء الشخصية الوهمية الجديدة وفي المجتمعات الغربية وجد قواعد بسيطة فالشخص الجيد هو ذلك الذي يعتبره الجميع جيدا وعندما يصبح الانسان المغمور ضيفا كشخصية هامة ، وتسمح بعض العائلات «الجيدة» انهم يفترضون انه من الطبيعي دعوته الى العشاء .

بحسب قاعدة «اصدقاء اصدقائي هم اصدقائي» . دخل الجاسوس الاسرائيلي مجتمع شخصيات بارزة بين المهاجرين العرب بسرعة وبسهولة كانت لهم علاقات مع سفاراتهم . يتلقى كمال امين ثابت دعوات لحفلات الكوكتيل ، واحتفالات الحدائق لاكثر من مكتب تمثيلي ، بما في ذلك السفارة السورية وقيل إنه التقى مع الرئيس السوري امين الحافظ ، الذي كان في ذلك الوقت ضابطا مغمورا في بيونس ايريس بوظيفة ملحق عسكري .

قدم عبد الله كمال امين ثابت للمجتمع وساعده على كسب وصداقة المغتربين العرب الذين حافظوا على علاقات جيدة مع الساسة ورجال الاعمال في الوطن .

عندما كشف النقاب عمن يكون فعلا رجل الاعمال الشاب من بيونس ايريس . وقع عبد الله في اشكالات كثيرة نتيجة هذه العلاقة . ونشر عام ١٩٦٥ في اكثر الصحف العربية انتشارا في الشرق الاوسط «الحياة» . الصادرة في بيروت نشر هذا المقال الموقع باسم عبد اللطيف :

«في يوم من الايام زارني شاب في الثلاثين من عمره ، ذو بشرة فاتحه اللون ، وشعر اسود وقدم لي باسم كمال امين ثابت . حدثني انه امضى طفولته في مصر التقيت به مرات عديدة في حفلات الكوكتيل وحفلات العشاء التي كانت تنظمها سفارات الدول العربية او النادي الاسلامي ، حيث كان يلتقي الشباب العرب في بيونس ايريس وتحدثنا عدة مرات . كان رجلا متكتما واعطى انطباعا بانه شاب جدي وكان مهتما بقضايا العالم العربي وقد رجاني ان اترك له الصحف العربية بعد قراءتها وقال لي مرة انه يريد العودة الى سوريا فاعطيته عدة كتب توصية لكنني بهذا لم امكنه من دخول سوريا ليمارس نشاطا تجسسيا لصالح اسرائيل فقد اهتم بذلك اصدقاؤه المقربون من القناصل العامون للدول العربية فقد اعطوه تأشيرة الدخول وبذلك فتحوا له الطريق الى دمشق وما دام قد تمكن طيلة اربع سنوات من خداع اجهزة المخابرات العربية فلا يستطيع ان يلومني بانني لم اكتشف حقيقته من خلال بضع محادثات» .

اخذ كمال امين ثابت ومنذ الشهور الاولى من عام ١٩٦١ يتحرك بحرية تامة في تجمعات السفارات العربية في بيونيس ايريس ، وكان يقابل ابراهام ويقدم له المعلومات الجديدة من معارفه وعن محتوى بعض المحادثات .

في ايار / مايو ابلغه ابراهام امرا من تل ابيب : عليه ان يبلغ معارفه واصدقاؤه بانه يستعد للسفر الى البلاد العربية وانه سيزور دمشق ، لكي يطلع على الظروف القائمة لامكانية رحيله نهائيا الى هناك .

وصل في ٣١ ايار – مايو الى مكاتب جريدة «العالم العربي» لكي يبلغ صديقه عبد الله لطيف بانه سيسافر قريبا لم يدعه الصحفي عبد الله يكمل حديثه وانكب على رسالة كتبها الى ابنه في دمشق وامام عينيه كتب ملاحظة يعرف فيها ابنه على كمال

امين ثابت ، ويرجوه ان يقدم كل مساعدة ممكنة له وكتب رسائل توصية اخرى لاقارب له في الاسكندرية ولموظف بنك في بيروت ولصديق له يعمل تاجرا في دمشق يدعى نبيل حرب وقام اصدقاؤه باعطائه رسائل توصية اخرى وقام القناصل الذين صادقهم باعطائه التأشيرات المطلوبة لمدة ستة اشهر واصبح الجاسوس الاسرائيلي جاهزا لتنفيذ الاوامر لكن وفي اللحظة الاخيرة قبل انطلاق الطائرة وصل الى مطار ايزيز ابراهام ومعه توجيهات جديدة .

العـــودة الى تـــل ابيب

طار رجل الاعمال الارجنتيني كمال امين ثابت من ابيونس ايريس الى لندن وفي مطار هيثرو ركب الطائرة المتجهة الى زيورخ ومن ثم الى ميونخ حيث كان بانتظار رجل الاتصال سالينجر وادهشه اذا أعلمه انه لن يطير الى دمشق بل الى تل ابيب .

تحول كمال الى كوهين مرة اخرى . واحضر سالينجر الحقائب الممزقة ولوازمه الشخصية وعاد كوهين كما كان وضع سالينجر كل الاشياء التي جاءت من الارجنتين في بيته واستمع الى البلاغ التفصيلي وسجله على شريط كاسيت وغير جواز سفر كوهين في اليوم التالي الى طائرة العال وعندما هبطت تل ابيب ، كان بأنتظاره السائق جدعون بسيارته الصغيرة وفي نفس اليوم مساء قدم كوهين تقريره الى المقر الرئيسي للموساد في هاكيريا . وفي صباح اليوم التالي كان يقرع جرس بيته حيث استقبلته زوجته مع بنتيهما صوفيا .

امتدت اقامة كوهين في تل ابيب اكثر مما توقع في البداية اعطوه اجازة لمدة اسبوعين ليعيش حياته العائلية ثم اعطوه وقتا طويلا ليكتب تقريره ثم اوصى المسؤولين عنه بكورس تكميلي له اعتقد انه ولاسباب مجهولة قد الغيت مهمته وانه لن يذهب الى دمشق ابدا بدأ بتدريب مكثف على الراديوا عندما وصل الى سرعة خمسين كلمة في الدقيقة ، اخذ يستقبل رسائل اولئك الاشخاص الذين سيتقبلونها من دمشق فيما بعد .

كما ان لكل انسان خطه في الكتابه فان لكل عامل راديو طريقة لاتقلد العمل

بمفتاح جهاز الارسال ويعرف الخبراء العلامات المميزة والايقاع الخاص لفترات الصمت التي قد تكون اطول بواحد من على مئة من الثانية وعندما يستقبلون الاخبار من رجلهم فانهم يعرفون اسلوبه تماما ويكتشفون فورا فيما اذا وضع العدو رجلا اخر مكان رجلهم ليرسل رسائل كاذبة .

كانت اسباب تأخير رحلة كوهين الى دمشق تتعلق بالسياسة الخارجية فعندما عاد في خريف ١٩٦١ من بيونس ايريس الى تل ابيب ، لم تكن علاقات الدول العربية افضل ما يمكن فقد كان متوقعا ان تتغير العلاقات بين مصر وسوريا في فترة قريبة ادت السياسة غير العادلة تجاه الجانب السوري نتيجة الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ وقيام الجمهورية العربية المتحدة الى ظهور استياء في الرأي العام السوري من ثم وفي ٢٨ ايلول سبتمبر عام ١٩٦١ جرى انقلاب عسكري اعلن خلاله الانفصال بين مصر وسوريا وعادت سوريا كما كانت سابقا .

كانت المخابرات الاسرائيلية الموساد تراقب عن كثب تطور الاحداث في سوريا وكلف كوهين في شهر ايلول سبتمبر بدراسة الاخبار الواردة من سوريا واطلع على معلومات سرية لاتطلع عليها الا الحكومة فقط .

عين الرئيس جمال عبد الناصر ممثلا لسلطة الدولة في سوريا الماريشال عبد الحكيم عامر الذي كان صديقه ورفيقه في الثورة . وفي تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٥٩ لقي مهمة غير محببة وهي مراقبة الشارع السوري والاهتمام بان تبقى سوريا موالية للوحدة .

كانت الوحدة بين مصر وسوريا نابعة عن ظروف لحظية فقد بحث الوطنيون السوريون شريكهم القوي عن دعم ضد الضغط الاميريكي فقد حاولت الولايات المتحدة ان تسحب سوريا الى الصف المعادي للسوفيات . ارادوا ان يوجهوا التطور السياسي للبلاد بحسب حياتهم واحتياجاتهم وفي نفس الوقت عملت البرجوازية الوطنية السورية بالاتفاق مع مصر على تحجيم تأثير القوى الداخلية اليسارية والشيوعية .

بعد فترة وجيزة تبين ان اتحاد الدولتين كان اضطراريا . فقد كان الوضع

الاقتصادي والتطور السياسي والعادات ومستوى المعيشة في سوريا ومصر مختلفتان الى حد كبير وكان معدل راتب العامل المصري اقل من نصف معدل راتب العامل السوري . وحالات طبقت القاهرة سياسة تعديل الفروق في غير صالح سوريا التي كانت متطورة اكثر مما ادى الى خلق مقاومة فورية وطبيعية وكان الماريشال عبد الحكيم عامر يرى بعينيه ان السوريين كانوا محقين في ذلك واصبح في وضع لا يحسد عليه وعندما اعتقلوه على اثر الانقلاب في ٢٨ ايلول – سبتمبر ارسلوه الى القاهرة دون اذى وكان مسرورا لانه انتهى من هذه الوظيفة السيئة .

كان قائد الانقلاب هو الضابط الشاب عبد الكريم نحلاوي الذي كان يعرف الاوضاع السياسية جيدا ورأى عدم ارتياح الفلاحين والتجار السوريين الصغار ورأى كيف تنتقل خبرات البلاد الى القاهرة والاسكندرية ولم يقبل الضباط الفخورون بتقاليدهم العسكرية ان يتحكم بهم من هو ليس منهم . ونقلت مدرسة الطيران السورية ذات السمعة العالية الى مصر ، ونقلوا ايضا جزءا من مقاتلات الميغ ١٧ التي اشترتها سوريا من الاتحاد السوفياتي وفي المكاتب المدنية حل المسؤولون المصريون مكان السوريين .

كان المشير عبد الحكيم عامر ما يزال في سريره عندما اعلن عبد الكريم نحلاوي بيانه من الاذاعة واعلن الانفصال عن مصر ثم ارسل الشرطة العسكرية لاحظار الماريشال عبد الحكيم عامر ووضع في طائرة الى القاهرة وعادة السلطة للسوريين مرة اخرى .

حتى ذلك الحين كان يعمل في دمشق موظفون ورجال شرطة وضباط مصريون هؤلاء يشكلون تهديدا للجاسوس الاسرائيلي كوهين الذي نما وترعرع في الاسكندرية كان هناك خطر بان يتعرف احدهم عليه .

اصبح الوضع الان ابسط ، واصبح محتملا جدا ان يستلم الحكم حزب البعث العربي الذي اعرب كمال امين ثابت عن تأييده لبرنامجه وبذلك قرر ايسر هارئيل ان يرسل جاسوسه الى دمشق . وغادر الى ميونخ حيث التقى بسالينجر وغير عنده ملابسه واوراقه مرة اخرى وعبر زيورخ ووصل الى جنوا وركب السفينة «استوريا»

حيث تعرف على ماجد شيخ الارض الذي نقله بالسيارة من بيروت الى دمشق وسلمه الى صديقه في فندق سمير اميس وكان الجاسوس الاسرائيلي الياهو كوهين في ١٠ كانون الثاني – يناير في مكان عمله .

عميل في دمشق ٥

اشتباك على الحدود السورية – الاسرائيلية ومعلومات عن ضعف الطيران السوري !

طمأن تل ابيب إلىٰ أوضاعه في أول رسالة بالشيفرة

الجاسوس يطلب اقامة دائمة في دمشق ويستأجر شقة فخمة في شارع السفارات

يقال عن دمشق ، كما يقال عن الكثير من المدن ، بأنها من اجمل المناطق في الشرق الاوسط ، ولها اجواء تختلف عن المدن الاخرىٰ ، ولها عراقة تاريخية ، فمنذ القرن الاول الميلادي ، كانت عاصمة مملكة دمشق ، وبعد ذلك أصبحت مقراً للخلافة الاسلامية ، واصبحت عاصمة للجمهورية العربية السورية في عام ١٩٤١ . وقد قيل عنها «بأنها اذا كانت هناك جنة ، فأن دمشق منها ، واذا كانت في السماء، فدمشق جنة الارض» .

في ١١ كانون الاول – يناير عام ١٩٦٢ ، انطلق كمال امين ثابت ، بعد ان تناول افطاره الىٰ المدينة ، وصل الىٰ النهر الذهبي «بردى» ، حيث رأىٰ آثار الحضارة الرومانية ، وعبر الشارع المستقيم ، الذي ذكر في التوراة ثم انعطف الىٰ السوق الاسطورية ، حيث يباع في وسط الضجيج والصراخ كل شيء . في العالم . وتركت العاصمة القديمة انطاعاً كبيراً في الجاسوس الاسرائيلي . عاد الىٰ فندق سمير اميس ، وادار قرص الهاتف ، طالبا صديقه ماجد شيخ الارض .

* وقال : شكراً ياصديقي ، لقد نمت نوماً ممتازاً . وذهبت اليوم لرؤية المدينة .

– وسأل ماجد : وماذا تقول عن جنتنا ؟

* انا سعيد جداً بها . لقد الهمني الله القرار السليم بأن اعود الىٰ بلد آبائي واجدادي . لن ابقىٰ في الفندق ، سأبحث عن شقة مفروشة . اريد ان اعيش ، كما

يعيش الاخرون ، فهل ستساعدني ؟

– بالتأكيد . سأحضر اليك في الفندق .

بعد ذلك تم اللقاء في الفندق . دخل ماجد ، الذي اوقف سيارته البيجو امام المدخل . وبعد عدة خطوات فتح ذراعيه ، ليحضن صديقه ، وتبادلا القبل كما لو لم يلتقيا منذ سنوات .

– انا جاهز لخدمتك ياصديقي كمال .

* هناك شيء اهم من البيت ياماجد .

– ماذا حصل ياصديقي ؟

* قررت البقاء في دمشق .

– ولكن هذا ليس بجديد .

* لكنني قررت البقاء طيلة عمري . فهذه بلادي ، هذا وطني ، ولااريد ان أكون سائحاً .

– حسناً . ولكن ماذا يمنعك ؟

* لاشيء . مع ذلك هناك شيء . ففي جواز سفري تأشيرة دخول ، وانا اريد ان ابقىٰ في دمشق بصورة دائمة .

– احسنت ياخي . انت تعرف كم اقدرك .

* اريد ان اطلب منك خدمة ، وهي ان تأتي معي الىٰ وزاة الداخلية اريد ان اقدم طلب للاقامة الدائمة .

– الآن ؟

* نعم فوراً .

طلب أقامة دائمة

وصل المواطن الارجنتيني كمال امين ثابت في اول يوم من ايام اقامته الىٰ القسم المعني في وزارة الداخلية السورية ، ورافقه ماجد شيخ الارض ، الذي اثناء تعبئة كمال للنموذج ، انتحىٰ بالموظف المسؤول جانباً ، وشرح له من يكون كمال امين ثابت .

ولماذا جاء الىٰ دمشق ، وما مركزه الاجتماعي والمادي ، وانه سيكون من المناسب انهاء معاملته بسرعة وايجابية» .

لم يذهب كلام شيخ الارض عبثاً ، عندما طمأن صديقه بأنه سيساعده في كل شيء يلزمه ، فقد زار معه بيوتاً وشققاً للايجار . لكن رجل الاعمال الارجنتيني لم يكن معجباً بأي واحدة منها ، واتصل بوسيط عقاري ، حيث اعطاه عدة عناوين ، ليقضي عشرة ايام وهو مايزال في فندق سمير اميس .

صديق آخر

كان كمال عبد الله لطيف ، شاباً ودوداً ، وذا علاقات اجتماعية واسعة وعندما طلب منه كمال ثابت لقاء ، قاله له بأن معه رسالة من والده في بيونس ايريس ، حضر علىٰ الفور . وبعد اقل من ساعة كانا يجلسان في المقهىٰ . قرأ عبد الله الرسالة وشكره علىٰ المشقة التي تكبدها ، وسأل عن صحة واوضاع والده ، وعرض عليه خدماته .

* بماذا استطيع مساعدتك ؟ انا جاهز لكل شيء اقدر عليه .

– انني ابحث عن بيت .

* هذه ليست مشكلة . كيف تريده ؟

– اريده جميلاً . حوالي خمس غرف مع منافع حديثة . اريد ان اجهزه غرفتين مكتب ، فأنا صاحب شركة استيراد وتصدير .

* اعرف ، فقد كتب الي الوالد عنك . هل تعرف دمشق .

– ليس جيداً .

* في اي موقع تريد الشقة ؟

– لاادري . في حي حديث . ماذا لو قلنا في ابو رمانه ؟

مكان ممتاز . ستجاور أناساً جيدين . فهذا الحي للسفارات والهيئات الدبلماسية .

– لم اكن اعرف . ولكن لامانع لدي .

الشقــة

اختار كمال امين ثابت شقته باهتمام ، لأنه سيكون مكان اقامته الرئيسي في السنوات القادمة . كان يعرف انه لايمكن ان يسكن في بيت منعزل أو فيلا حيث سيرصد جيرانه كل حركة من تحركاته : اضطر لأن يكون واحداً من سكان بناية كبيرة ، حيث لاينتبه لوجوده احد ، عندما يرفع علىٰ السطح هوائي جهاز الارسال بين هوائيات التليفزيونات الاخرىٰ ، وهو يختلف عنها قليلاً بالشكل وبعدد العناصر .

كان حي ابو رمانة مناسباً للجاسوس الاسرائيلي لاسباب اخرىٰ . فالسفارات لها علاقات لاسلكية مع وزارات خارجيتها ، وتنطلق في الاثير اشارات مورس فلن ينتبه احد اذا ظهر بين الاشارات واحدة جديدة ، كان ذلك سبباً هاماً جعل كمال امين يطلب شقة هناك . اما السبب الثاني ، فلم يكن اقل اهمية ففي ابو رمانة توجد الاركان العامة للجيش السوري ، وكان من سوء حظ كمال عبد الله لطيف ، وحسن حظ كمال امين ثابت انه وجد البيت المكون من خمس غرف مباشرة امام القيادة العسكرية .

قيل انه كان يدفع اربعة الاف ليرة سورية بدل ايجار . ويعتبر ذلك ايجاراً مرتفعاً في ذلك الوقت . رحل كمال الىٰ بيته الفخم الجديد المغطىٰ بالسجاد الشرقي الفاخر ، وبالستائر الحريرية ، وبحمامة المبنىٰ من المرمر الاخضر .

فتح حقائبه ، وفك الخلاط الكهربائي ، ووضع جهاز الارسال الصغير علىٰ الطاولة بحث له عن مخبأ امين ، فوجده في السقف ، حيث كانت معلقة ثريا من الكريستال الاصلي في غرفة الجلوس ، ولها غطاء في اعلاها يحجب الاسلاك والتوصيلات النازلة من السقف . كانت محمولة بواسطة سلسلة لها براغي .

كان يكفي فك البراغي بواسطة مفك عادي ، ووضع الجهاز داخلها ، ثم يثبتها من جديد . فمن سيخطر بباله ان يبحث في هذا المكان عن جهاز ارسال ؟

أول شيفرة

لنعد ثانية الىٰ الجهاز الذي وصف في اسرائيل بأنه معجزة تكتيكية صغيرة في مجال الراديو ، ربما لأن حجمه بحجم علبة السجائر . لم يكن – الجهاز خارقاً ، فقد كان الجاسوس الاسرائيلي يبث رسائل لمسافة قصيرة نسبياً فالخط الهوائي من دمشق الىٰ تل ابيب لايزيد عن مئتين وخمسين كيلو متراً . وهذا بالنسبة لتكنولوجيا الراديو في عام ١٩٦٢ ، حيث كان يبث من الارض الىٰ الفضاء ليس بمسافة كبيرة .

كان البيت في اخر طابق في البناية ، وهو الطابق الرابع ، وكان ذلك لصالح الجاسوس ، فكلما كان هوائي الراديو اقصر ، كلما كان الاستقبال افضل ركب كمال الهوائي ، وذهب لشراء راديو ترانزيستور صغير عادي . وفي ١٢ شباط فبراير عام ١٩٦٢ ، وفي الساعة الحادية والعشرين أرسل أول شيفرة «٨٨» . متفق عليها .

كان الرقم الثنائي يعني بأن الجاسوس الاسرائيلي ، بدون صعوبة ، قد وصل الىٰ دمشق ، وانه وجد بيتاً وسكنه ، وركب جهاز الارسال ، واستطاع المباشرة بالعمل . وعدا عن ذلك ، فقد اعطىٰ اشارة بأنه يسكن مباشرة امام الاركان العامة .

الاجواء السياسية السائدة

حينما نحكم اليوم ، وبعد مرور الوقت علىٰ الظروف التي تمكن بها الجاسوس الاسرائيلي الىٰ الدخول الىٰ سوريا وكسب اصدقاء كثيرين ذويٰ اتجاهات وطنية ومراكز هامة يجب علينا ان نتذكر الاجواء السياسية السائدة في العاصمة السورية بعد الانفصال عن مصر . ادىٰ الانقلاب في العاصمة الىٰ فوضىٰ عامة ، وكان يجب اعادة بناء كل شيء من جديد واعادة العجلات الىٰ السكة القديمة . كان لسوريا انذاك اكبر رصيد من التقدم التكنلوجيا ، لعدد الكوادر الجامعية في الدول العربية . كان مستوىٰ الصناعة والزراعة جيداً نسبياً . وكان هناك أزدهار نسبي ، ولولا التاريخ السياسي لكان أكبر .

دخل الجاسوس الاسرائيلي معترك الحياة السياسية في البلاد غير المستقرة كانت سوريا بحاجة الىٰ كل دولار ، نتيجة الوحدة مع مصر ، واعرب المغترب كمال عن رغبته في وضع امكاناته في البلاد . كان يتحدث عن التصدير ، واشار الىٰ ان المغتربين السوريين في الارجنتين قادرون علىٰ المشاركة في الحياة الاقتصادية للوطن الام اذا مانصحهم بذلك .

من ذا الذي يرفض عرضاً كهذا في ظل الظروف القائمة ؟ ومن رجل ودود ، ليتحرك بسهولة في كل مجلس ؟

كان لديه المزاج الحسن ، والوقت الكافي للتسلية ، حيث لاتنقصه النقود ابداً ، كان بيته مفتوحاً طيلة الليل والنهار للاصدقاء ، وكانت الثلاجة مملوءة دائماً بكل ما يرغبون فيه .

ساعدت الصدفة الجاسوس علىٰ المراقبة المناسبة ، فقد كان يشرف علىٰ نوافذ البناية العسكرية .

في رسائل بالشيفرة الىٰ تل ابيب ، ابلغهم ان اول الموظفين يصلون الىٰ مكاتبهم في الساعة الثامنة صباحاً . وفي الساعة الثامنة عشرة يغادرها معظم الضباط والموظفين المدنيين ، وان خمس نوافذ تبقىٰ مضاءة حتىٰ الصباح من الممكن بأنها تخص الحراسة والضباط المناوبين ، ولايوجد ظواهر انقلاب .

توجب علىٰ كمال امين ثابت ، كأي جاسوس اخر ، ان يبني مخبأ كاملاً كأول مهمة له . كان عليه ان يبدأ بالتجارة باقرب وقت ممكن . وكتب علىٰ ورق الرسائل المروس بأسم الشركة وعنوانها الجديدين عروضاً لعدد من المنتجين بهدف التعاون معهم . وان شركة ثابت للاستيراد والتصدير ، ستهتم ببيع بضائعهم الىٰ عدد من الدول الاوروبية .

كان كمال عبد الله وكمال امين ثابت في نفس العمر تقريباً . وكانت لهما اهتمامات مشتركة . في كثير من الامور . وقد اطلع الجاسوس الاسرائيلي صديقه الجديد علىٰ خططه ، وتشاور معه ، مما ادىٰ الىٰ نشوء الصداقة المتينة بينهما ، وفي الحيقة كانت من طرف واحد .

دول الاغتصاب

الخلاف العربي الاسرائيلي له جذوره العميقة وأسبابه المفهومة . فمنذ نشوء اسرائيل وهي تمارس عدواناً ضد الشعوب العربية . ولاداعي للحجج المختلفة . فيكفي النظر الىٰ الخارطة . فاليهود الذين حصلوا من منظمة الامم المتحدة علىٰ فرصة للعيش في سلام وارض لهم ، رفضوا اليد الممدودة اليهم ، وهاجموا في كل الاتجاهات بعدوان مسلح يخلف الاف الضحايا ، ووسعوا رقعة الارض علىٰ حساب الدول المجاورة .

وبحسب اقوال المنظر الصهيوني تيودور هيرتزل عام ١٨٩٥ ، فقد كان علىٰ اليهود ان يكونوا «دولتهم الخاصة ، حيث لااسياد ولاعبيد ، دولة السلام والهدوء دون خلافات او قتل» . لكن الحقيقة مختلفة ، فقد اغتصبوا فلسطين ، وشكلوا دولتهم بالاغتصاب والارهاب ، واصبحوا اسياداً للبلاد التي لم تكن في يوم من الايام لهم وبدون وجه حق جعلوا من العرب عبيداً ، واصبحت «أرض الميعاد» مسرحاً للقتل والذبح والعدوان .

ومنذ عام ١٩٥٠ قبل الميلاد ، كانت البلاد تعود للكنعانيين العرب وفيما بعد اسموها بفلسطين ، وحتىٰ عام ١٢٢٠ قبل الميلاد تحولت اسم فلسطين ، الىٰ اسرائيل . وعبر الاف السنين من التاريخ تكونت دولة يهودية في هذه الارض مرة واحدة ولمدة ثمانية وسبعين عاماً فقط من عام ١٠٠٤ الىٰ عام ٩٢٦ ق . م وقد حكم الدولة داود وسليمان . ثم اسقطت الدولة اليهودية حيث سيطر الاشوريون والبابليون والفرس والمقدونيون والرومان والصليبيون والاتراك .

اشتباك علىٰ الحدود

كانت الاراضي الواقعة بين فلسطين وسوريا منذ القدم موطن خلاف . وقد كانت منطقة بحيرة طبريا الغنية بالاسماك منطقة اطلاق نار دائم . وفي ١٦ اذار – مارس عام ١٩٦٢ ، اي في الوقت الذي كان فيه كمال امين ثابت يحاول في دمشق الحصول علىٰ معلومات لتل ابيب ، انفجر اشتباك في الساعة العاشرة قبل الظهر . فقد فتح

الجنود السوريون النار من مواقعهم على قوارب الصيد الاسرائيلية ، التي ترافقها القوارب الحربية السريعة . وتبع ذلك هجوم اسرائيلي حيث قتل ثمانية جنود . اما السوريون فقد فقدوا جندياً واحداً اسره الاسرائيليون . وقامت سوريا بعرض الغنائم من الاسلحة والمصفحات الاسرائيلية في ساحة الشهداء بدمشق .

بعد فترة وجيزة ، وفي يوم الاثنين ١٩ اذار – مارس ، جاء الى بيت كمال امين ثابت ، وبدون موعد مسبق ، صديقه كمال عبد الله لطيف مع شاب مجهول هو الليفتنات المعز زهر الدين .

دهش الجاسوس الاسرائيلي ، فقد كان يعرف ان رئيس الاركان العامة يزوره . كان كمال في البداية حذراً . لأنه لم يعرف لماذا جاء اليه . ولكن عندما اكتشف انه من باب الفضول فقط تنفس الصعداء ، وحاول ان يقود الحديث الى ما وقع قبل ايام في منطقة بحيرة طبريا ، لم يكلفه ذلك عناء كبيراً ، لأن الناس في دمشق لم يكونوا يتحدثون عن شيء اخر .

وبحسب الاخبار التي ارسلت بالشيفرة الى تل ابيب في نفس ذلك المساء يمكن الحكم على ان كمال عبد الله ومعز زهر الدين كانا منتخبين للغاية في طرح ارائهما السياسية والعسكرية والتي تتلخص بأن الضباط السوريين – ليسوا مرتاحين لسياسة الحكومة ، وانهم يصفونها . بأنها «لينة جداً» . وأن رجل سوريا رقم واحد . مازال النحلاوي . وعندما تمت الوحدة ، تم نقل قسم كبير من طائرات الميغ ١٧ الى مصر ، وللأن يحاولون عبثاً استعادتها لذلك فأن القوات الجوية في الوقت الحاضر ضعيفة جداً . حصل كمال على معلومات ثمينة ، ووعد بأن يذهب مع رفيقه الى الجبهة ، حيث دارت المعركة الاخيرة .

عميل في دمشق ٦

*** الجاسوس على مشارف طبريا وبين التحصينات العسكرية السورية**

*** معلومات كوهين عن الاسلحة ساهمت في التحضير لعدوان جديد !**

سافر الى الارجنتين بعد تل ابيب ليجمع التبرعات من المغتربين السوريين !

حاولت الحكومة السورية ان تقيم اتحاداً فيديرالياً مع السودان ومصر وقد ادى فشل هذه المحاولة الى انقلاب عسكري بقيادة حزب البعث في ٨ اذار – مارس عام ١٩٦٣ وتكونت حكومة ائتلافية من ممثلين عن حزب البعث ، وممثلين عن الرئيس جمال عبد الناصر برئاسة عضو حزب البعث صلاح البيطار .

أرسل كمال امين ثابت الى تل ابيب معلومات عن هذه الاحداث . وقد حاول الكتاب الذين تلقوا ضوءاً اخضر من الموساد بنشر قصة حياة الجاسوس كوهين بتضخيم الصورة في احداث تلك الفترة من حياة سوريا . في حين كان كمال امين ثابت يرسل عن دمشق تلك المعلومات التي تذاع في الاذاعة والصحف وتقال في الشارع السوري .

احدى المعلومات التي اعتبرتها تل ابيب في غاية الاهمية لم تكن تحتوي على اية قيمة تكتيكية أو استراتيجية ، تقول هذه المعلومات «ان محركي الانقلاب هم انفسهم الضباط الذين دفعوا سوريا للانفصال عن مصر قبل عدة اشهر ، لكنهم هم الذين اعطوا الضوء الاخضر للنحلاوي للقيام بالانقلاب» .

كان النحلاوي ، ٤٠ سنة الذي يتخذ موقف اليمين المعتدل ، يحتل منصباً حالياً في وزارة الدفاع . وفي زمن الوحدة مع مصر ، كان مستشاراً للماريشال عبد الحكيم عامر ، وكان ممثله في مجلس الثورة ، الذي أخذ زمام القيادة مؤقتاً ، هو القائد العسكري لدمشق العقيد دهمان . وقد شكل الاثنان الحكومة العسكرية ، وكان عليهما حماية استقلال سوريا ، لكي لاترتمي في أحضان القاهرة في نفس الوقت كانت تحاول تهدئة الموقف مع جمال عبد الناصر على اساس الاحترام المتبادل .

معلومات لاقيمة لها

حتىٰ هذه المعلومات كلها ليس لها تلك القيمة المهمة ، ربما كانت تستبق الاحداث يوم أو اثنين ، لكن ذلك لايعد بالنسبة للمخابرات السرية الاسرائيلية قفزة نوعية . وفيما نشر الكتاب الاسرائيليون ، الذين وضعت الموساد تحت تصرفهم الوثائق اللازمة المتعلقة بكوهين ، هذه الرسالة المكتوبة بالشيفرة في ١٤ نيسان – ابريل عام ١٩٦٣ .

يوجد في الجيش السوري في الوقت الحاضر ثلاث مجموعات نشطه للضباط هي :

١ . المجموعة الرئيسية ، وهي مجموعة النحلاوي التي تناضل من اجل الاستقلال الوطني ، وتقف ضد الوحدة مع مصر .

٢ . المجموعة الثانية ، وهي مكونة في الغالب من ضباط تلك الوحدات التي تقف علىٰ الحدود الاسرائيلية ، ويسمون بالاشتراكيين .

٣ . المجموعة الثالثة من الضباط الناصرين ، وليس لهم أي تأثير علىٰ تطور الموقف .

الجاسوس في الجبهة السورية

كانت الطريق الىٰ منطقة الجبهة شيئاً مختلفاً ، حيث جرت المعارك الاسرائيلية السورية . وأوفىٰ اصدقاء كمال ثابت بوعدهم باصطحابه في رحلة الىٰ المناطق الممنوعة ، وفي أحد ايام الجمعة في شهر ايار عام ١٩٦٣ ، جاء معز بسيارة عسكرية الىٰ كمال ثابت ، ليريه منطقة القتال ، التي جرت فيها المعارك منذ فترة ، ومنطقة القتال التي ستجري فيها المعارك في المستقبل .

بعد ساعتين من السفر وصلوا الىٰ منطقة مرتفعة ، تشرف علىٰ بحيرة طبريا مروا بدوريات حرس الحدود الىٰ التحصينات العسكرية ، وتمكن الجاسوس الاسرائيلي ان ينظر من قرب مدفع ١٢٢ ملم ، كانت القوات السورية قد حصلت عليها مؤخراً من الاتحاد السوفيتي ، في اطار التعاون المشترك . وكان كمال يعرف انها من افضل الاسلحة في العالم وانه لايوجد ... بحوزة اسرائيل اسلحة فعالة بمستواها . كان

مداها تسعة عشر كيلو متراً ، أي أنها استطاعت السيطرة من المرتفعات علىٰ جزء كبير من نهر الاردن . وعندما ابلغ كمال قيادة الموساد بهذه المعلومات اثار ضجة كبيرة في اسرائيل .

ادرك الجاسوس الاسرائيلي من النظرة الاولىٰ الميزة التي يتمتع بها السوريون علىٰ المرتفعات ، حيث كان بأمكانهم السيطرة علىٰ مجال واسع .

عندما عادوا مساء الىٰ دمشق ، واغلق الجاسوس الاسرائيلي الباب خلفه انزل الستائر ، وبدأ بكتابة اخطر معلومات الىٰ اسرائيل . لم تحتو علىٰ وصف الاسلحة فحسب ، بل علىٰ توزيع الدبابات في منطقة الكرسي والقنيطرة وكذلك تسليح النقاط العسكرية ، والعدد التقريبي للمدافع غير المرتدة واثارت هذه المعلومات ضجة في قيادة الموساد ، وفي اروقة وزارة الدفاع الاسرائيلية .

عودة الىٰ تل ابيب

دعا عدة منتجين للبضائع الخشبية والجلدية ، ليعطوه عينات من احدث موديلاتهم . وقام بأرسالها الىٰ صديقه سالينجر في ميونخ . اشترىٰ تذكرة الىٰ زيورخ ، ومن هناك اطار الىٰ مطار ميونخ ، وبعد ذلك بوقت قصير ، كان يجلس في مكتب رجل الاتصال . وهنا ، وكما فعل في السابق غير بذلته واوراقه الشخصية ، وبعد اقل من اسبوع هبط كوهين في مطار تل ابيب .

مرة اخرىٰ ، كان بانتظاره في المطار الشاب الذي لايسأل ولايتحدث ، ونقله مباشرة الىٰ مبنىٰ الموساد ، في حي هاكيريا . امضىٰ كوهين عدة ايام في مشاورات طويلة مع اقسام الموساد ، ومع القيادة العسكرية الرئيسية ، وادرك ان المعلومات التي أرسلها اسهمت في التحضير لعدوان جديد علىٰ المواقع السورية ، لذلك استدعي الىٰ تل ابيب .

واثناء ذلك توجبت عليه الدراسة من جديد ، فقد احضر الفنيون كوداً جديداً ، وكان عليه ان يحفظ مبداه عن ظهر قلب . استلم جهاز ارسال اخر وأمر بأن يجد له مكاناً مأموناً . وعليه ان لايخاطر في اية حال من الاحوال .

لم تتغير بعض الطرق للمخابرات السرية خلال قرون طويلة من الزمن . وقد افتتحت المخابرات النازية الالمانية صالون كيتي الشهير ، حيث كان – بأمكان المدعوين ان يتسلو حتىٰ درجة الاشباع ، حيث كان للجدران اذان تسمع وقصة الجاسوسة «آمي باك» معروفة ، اذ استطاعت في غرفة نومها ان تسحب اسرار الرجال من آفواهم . وعلىٰ نفس الاسلوب ، اخذ الجاسوس الاسرائيلي كمال امين ثابت ، يدعو الىٰ بيته اصدقاءه من الشباب ذوي النفوذ ، ليشرب معهم ، وفي كل مرة كان يعرف شيئاً جديداً يهم اسياده في تل ابيب . وعندما كان يحضر أحدهم مع أحدىٰ الفتيات ، كان كمال يترك له المفتاح والبيت . وفي ظروف المجتمع المتعصب كان الشبان والفتيات يقدرون ذلك . وهكذا اخذ كمال أمين يكسب صداقات جديدة يجمعهم به السر المشترك . لم يكن احد يدري بأنه ذو وجهين ، كما انهم لم يتخيلوا انهم قد افشوا اسرار خطيرة لهذا الجاسوس .

في اخر مرة سافر بها الىٰ تل ابيب ، ابلغ كمال اصدقاءه ، بأنه سيسافر الىٰ الارجنتين ، ليجمع بعض التبرعات من المهاجرين السوريين في بيونس ايريس ليدعم البرنامج السياسي لحزب البعث. واضطر قادة الموساد ان يرسلوا جاسوسهم الى الارجنتين.

الىٰ الارجنتين

مرة اخرىٰ وجد نفسه عند صديقه سالينجر في ميونخ . غير نفسه واسمه وركب الطائرة ، وفي اليوم التالي ، كان يجلس عند صديقه الصحفي عبد الله لطيف ، لكي ينقل له عمليات ابنه ، وقد لاقته الجالية السورية بكل تفهم جلس ساعات طويلة يتحدث عن الاوضاع في دمش ، ويشرح لهم السياسة الداخلية المعقدة ، وتغير القوىٰ ، وجهود السياسيين ، وتأرجح السلطة . لم يكن ذلك سهلاً ، فقد كانت الاوضاع السورية في تلك الفترة غير واضحة . لكن رجل الاعمال الناجح ، كمال ، وقف دون تحفظ مع التقدم وتحدث عن الاشتراكية كمخرج وحيد من الفوضىٰ ، واعرب عن سروره من ان التوجه السياسي لبرنامج حزب البعث العربي للتعاون مع

الدول الاشتراكية قد جلب نتائج لتباشير ايجابية .

بمرور السنوات تزداد الرغبة بالسفر الىٰ الوطن الام عند المهاجرين تلك الرغبة التي تغطي علىٰ ماعداها ، وتتحول الىٰ حالة من المشاعر ، قريبة من الحالة العاطفية للمحبوبين سيئ الحظ . ولن يكن ضرورياً ان يتكلم كمال ثابت طويلاً مع الميسورين من المغتربين السوريين ، ليدعموا قضيتهم ببضع مئات من الدولارات . وقد تمكن من جمع خمسة الاف دولار ، اضاف اليها من أموال الموساد ، لتصبح عشرة الاف وعندما عاد الىٰ دمشق يحمل شيكاً بالمبلغ لم يشك أحد بأنه وطني غيور .

أقام بعد وصوله بيومين أو ثلاثة الىٰ دمشق مأدبة عشاء والتقىٰ بالاصدقاء الذين ادهشهم . بمجموعة كبيرة من الزجاجات المشتراة من بيونس ايريس من السوق الحرة . كانت ليلة مرحة ، استمرت حتىٰ الصباح . وخرج كل من حضر الحفلة ، وهو مقتنع بمشاعر الصداقة الحقيقية التي يكنها لكمال ثابت ولم يكن لديهم أي سبب لعدم التحدث أمامه عن شيئ بمنتهىٰ الصراحة فقد كان واحد منهم ، بل أنهم كانوا مقتنعين بأنه اخلصهم . ربما تسببوا بنجاحات سهلة ، لأن الجاسوس اصبح أكثر اطمئناناً وثقة بنفسه . لكن الخطأ القديم والدائم للعملاء السريين هو نفسه في كل العصور تمر السنوات بكل يسر وسهولة ، ويصبح الحذر واليقظة في بعض الاوقات كلمات لامعنىٰ لها . فيخاطر الجاسوس دون أن يدري ، لأنه يتوقف عن التفكير بأنه يعمل علىٰ الجبهة السرية وهي جبهة لها جانبان . وتصبح الثقة الزائدة وقاحة وغروراً ، وتسيطر عليه قناعة بأنه لايمكن ان يحدث شيئ ، لأن العدو مسكين وغبي . دفع كمال امين ثابت ثمناً غالياً ، لثقته الزائدة بنفسه ، التي تأكدت في الامسيات التي كان يقضيها في بيته .

المعلومات التي أرسلها كوهين

رافق اصدقائه ثلاث مرات الىٰ المواقع الحدودية العسكرية علىٰ المرتفعات المطلة علىٰ بحيرة طبريا . وقد جرت المحاكمة بدون جمهور ، ولم يسمح للامن السوري والوزارة المعينة بنشر المحاضر . والمعلومات التي ارسلها الجاسوس الاسرائيلي

الىٰ تل ابيب يمكن جمعها فقط من المصادر الاسرائيلية وربما اللبنانية .

كان لدىٰ كمال امين ثابت امكانية وصف التجهيزات العسكرية والتحصينات والتصليح جنوب منطقة الحمة ، وجزء من القيادة الرئيسية لمنطقة القنيطرة أرسل الىٰ تل ابيب وصفاً للمواقع الاسمنتيه المسلحة التي كانت توجد فيها المدافع بعيدة المدىٰ ، والتي يصل مداها الىٰ اربعة وعشرين كيلو متراً ، ورسومات بخط يده لخنادق دقيقة عدة امتار ، تخدم التحرك غير المنظور لوحدات الدبابات علىٰ طول الحدود في اسرائيل .

احتوت احدىٰ الرسائل المرسلة بالشيفرة علىٰ أن القوات السورية حصلت علىٰ صفقة بمئتين دبابة سوفياتية الصنع من طراز تي ٥٤ ، وخارطة للاجراءات في حالة صدام مسلح مع اسرائيل ، وبحسب هذه الخارطة ، فأن الدبابات والمصفحات السورية ، ستخترق المنطقة الواقعة شمال بحيرة طبريا ، لعزل جزءاً من التحصينات الاسرائيلية . وأرسل الىٰ تل ابيب أول صور لطائرات الميج ٢١ السورية ، والتي لم يعرف قادة الموساد عن تجهيزاتها وقدراتها ، التكنولوجية شيئاً في ذلك الوقت . أرسل كمال أمين ثابت الرسائل بواسطة جهاز الارسال من بيته . أما الخرائط والصور ، فقد ارسلها مخفية في عينات لبضائع مختلفة علىٰ عنوان زميله الاوروبي في المانيا الاتحادية . وكان الجميع يعرف عن علاقاته التجارية مع تلك الشركات . لم يخف كمال حتىٰ العنوان في ميونخ لكن الدوائر السورية لم يخطر ببالها ان المدير سالينجر هو مقيم الموساد في اوروبا ، وانه ضابط الاتصال لكمال امين ثابت .

في دمشق حصلت بعض التغيرات ففي ٩ اذار – مارس استولىٰ حزب البعث علىٰ السلطة في سوريا ، واصبح صلاح البيطار رئيساً للوزراء .

صحبة جديدة

وفي ١٥ آيار – مايو حصلت حادثة اخرىٰ ، لم تكن بذات الاهمية ، علىٰ الاقل في ذلك الوقت . فقد دعا كمال امين ثابت اصدقاءه علىٰ العشاء في نهاية الاسبوع . ليعز كثيرون ممن يعرفهم ، وواحد لم يعرفه ، وكان اسمه ضلي . كان

يشرب ويلهو الاخرين ، وعندما تفرق الجميع في الصباح ، تملك الجاسوس شعور بأنه قد كسب مصدراً جديداً للمعلومات . لم يكن يعرف وظيفته . فقد كان مقدراً للضباط صلاح ضلي ان يلعب دوراً مصيرياً في حياة كمال الجاسوس . حضر للعشاء بدون دعوة ، بصحبة احد اصدقائه ، كان ذلك في الفترة التي سيطر فيها حزب البعث علىٰ السلطة ، واهتم باعادة الاستقرار السياسي بكل الوسائل الممكنة . كان القادة الجدد يعرفون جيداً ، كم من الاعداء يوجد في سوريا فاحداث الفترة الاخيرة هي والحاضرة فضحت محاولات اسرائيل ، لتهريب الجواسيس للاراضي السورية . لم يكن رجل الاعمال الارجنتيني كمال مغموراً ، كما تصور هو وقادة الموساد في تل ابيب . لم تكن دمشق في تكل الفترة مدينة ضخمة بحيث يضيع فيها رجل يتحرك علىٰ اعلىٰ المستويات . ومن المحتمل جداً ، رغم نفي اسرائيل ، بأن الجاسوس الاسرائيلي كان تحت مراقبة الامن السوري . عاش في دمشق بمستوىٰ عادي عال ، وكان يبذر النقود شمالاً ويميناً ، ولم يكن يحصل من التجارة علىٰ اموال تتناسب وهذه المصروفات . وكان من الممكن الحصول علىٰ كشوفات الاستيراد والتصدير أو مراجعة الجمارك ، والاطلاع علىٰ رصيده في البنك لم يأتِ ضلي الىٰ منزل كمال لمجرد اللهو بالتأكيد فرغم انه لم يعترف الا أن حقائق كثيرة اكدت ذلك .

البحث عن المياه

بنىٰ البارون روتشيلد في مدينة قيصرية البحرية في اسرائيل فندقاً فخماً ملحقاً به ساحات للتنس الارضي ، ومسبح وملاعب للجولف ، وعندما كان كوهين في تل ابيب لاخر مرة ، ارسله قادة الموساد في اجازة لبضعة ايام كان يتناول العشاء مع زوجته في مطعم ستراتون ، عندما تسلم امراً بالحضور – الىٰ تل ابيب . وفي المقر الرئيس للموساد في هاكيريا تلقىٰ امراً بتأمين – كل المعلومات التي يمكن الحصول عليها عن الخطط السورية لتحويل مياه نهر الاردن .

ان المياه تعني الحياة بالنسبة لمنطقة الشرق الاوسط . ونهر الاردن ، وهو المصدر

الحيوي ، كان لسنين طويلة موضوع خلاف بين اسرائيل وسوريا والاردن . حاولت الحكومة الاسرائيلية جاهدة ، كما هي الحال في كثير من الحالات الاخرىٰ ، ان تسيطر علىٰ المياه ، التي تمر عبر مناطق الحدود .

وصادقت الحكومة الاسرائيلية علىٰ مشروع تحويل مياه نهر الاردن الىٰ صحراء النقب . كان ذلك المخطط باهظ التكاليف ، وكان علىٰ الاسرائيليين ان يبنوا محطة ضخ تسحب المياه الىٰ ارتفاع ٣٥٠ متراً ، لتملأ بها المواسير المتجهة نحو النقب . خططت اسرائيل ذلك ضد ارادة الدول العربية المجاورة ، رغم انه كان بديهياً بأن اسرائيل لاتستطيع استملاك مياه نهر الاردن .

في عام ١٩٥٨ تقدمت الحكومة الاسرائيلية بطلب الىٰ الرئيس الاميركي ايزنهاور من أجل الحصول علىٰ مساعدات تكنيكية . وقد صمم المهندس ايريك جونستون مع مجموعة من الخبراء مشروعاً قدمه لرئيس الولايات المتحدة . كان المشروع يتعلق بتقسيم مياه نهر الاردن بين اسرائيل والدول العربية . وقد أكد الاسرائيليون انه مشروع عادل يتناسب وحاجات الدول المعنية ، ويتفق مع مقاييس القانون الدولي . لكن الدول العربية رفضت الاقتراح . وهكذا بدأ الساسة الاسرائيليون يتنفيذ خططهم المتعلقة بالمياه دون موافقة «الشركاء» . مما ادىٰ الىٰ مقاومة الجانب الآخر ، بخاصة لأنه كان مشروعاً واسع النطاق ونفذ بمساعدة الولايات المتحدة ، ووعد الرئيس الاميركي جون كنيدي ونائبه جونسون بالمساعدة .

القناة السورية لتحويل بانياس

انفق الاسرائيليون حتىٰ منتصف عام ١٩٦٢ في تنفيذ قناة المشروع مبلغ ٢٥٠ ميلون ليرة اسرائيلية – ٣٤٠ مليون مارك الماني في ذلك الحين – وكان هناك ٨٠ مليوناً معدة لنهاية عام ١٩٦٢ . وفي هذه المرحلة نشأ – المشروع السوري ، الذي كان يهدف الىٰ تحويل فروع نهر بانياس ونهر الحصباني التي تجري الىٰ نهر الاردن ، مما يؤدي الىٰ انخفاض مستوىٰ بحيرة طبريا الىٰ عمق لايمكن معه تنفيذ مشروع محطة الضخ الاسرائيلية .

بدأ كمال امين ثابت بمتابعة تفاصيل المشروع السوري ، ولم يتكلف الكثير من العناء والجهد ، باعتباره مشرعاً عاماً وعلنياً . حتىٰ ان ناطقاً سورياً اعلن في بداية عام ١٩٦٤ ، بأن البلاد ستنفذ مشروع المياه . واستطاع العميل الاسرائيلي أن يكتب لاسياده في تل ابيب عن ذلك .

كانت القناة التي ستمر بها مياه نهر بانياس ، أحد منابع نهر الاردن ، تمتد حتىٰ نهر اليرموك وتمر في مرتفعات الجولان . وبهذا المشروع تحصل سوريا والاردن علىٰ مليون متر مكعب من الماء سنوياً . كان طول القناة سبعين كيلو متراً ، وكانت فترة العمل المحددة ثمانية عشر شهراً . وكانت محطة الضخ ستسحب المياه الىٰ ارتفاع ٢٥٠ متراً . بعد أن ارسل كمال ثابت هذه الاخبار الىٰ تل ابيب بعام واحد ، وفي ١٧ نيسان – ابريل عام ١٩٦٥ ، هاجمت القوات الاسرائيلية لأول مرة مشروع المياه الذي يبعد بضعة كيلو مترات عن المحطة الحدودية تل دان .. وتبع الهجوم طلعات للقاذفات الاسرائيلية من نوع ميراج . وفي ١٤ تموز – يوليو عام ١٩٦٦ كانت القناة مصابة باضرار بالغة . وكان للجاسوس الاسرائيلي ، كمال ، الدور الاساس في ذلك .

عميل في دمشق (٧)

اقتحام منزل الجاسوس واعتقاله بالجرم المشهود .. !

* زوار كوهين كانوا من ذوي المراكز الحساسة في الإقتصاد والسياسة والجيش
* ١٨ مايو ١٩٦٥ نفذ حكم الإعدام شنقاً بالياهو كوهين

في ٢١ كانون الثاني – يناير عام ١٩٦٥ كان الجو في دمشق غائما . انهى كمال أمين ثابت في بيته في ابورمانه ارساله الصباحي لمركز الموساد في تل أبيب انطفا الجهاز وادار مفتاح الراديو الترانزستور ، وانتظر تأكيد الاستلام . كانت الساعة حوالي الثانية ، وكان الجاسوس الاسرائيلي يجلس في سريرة سمع صوتا شديد على الباب ودخل الى البيت بضعة رجال بلباسهم المدني وفي أيديهم المسدسات . كان يقودهم العقيد احمد سويداني ، رئيس شعبة الجاسوسية المضادة .

* قال سويداني : أرفع يديك فوق رأسك يا ثابت . اقبض عليك بتهمة التجسس لحساب دولة اجنبية . ما اسمك الحقيقي ؟

– كمال أمين ثابت ، مواطن أرجنتيني .

* ارتد ملابسك ، ستذهب معنا .

– ماذا تريدون مني ! أنا عربي اعيش في بيونس أيريس .

* ما هذا ؟.. مشيرا الى جهاز الارسال الذي اخفاه كمال تحت المخدة حين دخولهم .

صمت الجاسوس . فقد القي القبض عليه متلبسا . كان الجهاز موجها على الذبذبة المتفق عليها ، وراديو الترانزستور على موجة الاستقبال . لقد عرف موظفو مكافحة التجسس السوريون كيف يتدبرون الامر .

قال العقيد سويداني في حديث له لمجلة الاسبوع العربي فيما بعد :

– انني استغرب لا مبالات بعض المواطنين السوريين ، الذين صدقوا حكايات

كوهين . كان لهم أمل بأن يبيع لهم بضاعتهم في أوروبا وكانوا مقتنعين بأن شركة الاستيراد والتصدير ... ستصبح افضل شركة في البلاد . وظنوا بأن لكوهين رصيدا في سويسرا وبلجيكا . وكانوا مأخوذين بالهدايا التي يجلبها لهم مقابل المعلومات القيمة التي كانوا يعطونها له ..

لقد قمت شخصيا بالتحقيق والاستجواب لكوهين . وأصبح مشبوها بالنسبة لي عندما اطلعت على جدول بأسماء الاشخاص الذين يزورونه . ولسوء الحظ حصلت على هذه المعلومات متأخرا . والكثير من زوار كوهين كانوا يتبوأون مراكز حساسة في الاقتصاد والسياسة والجيش .

لم يقتصر التحقيق على كوهين لقد لاحقنا وحققنا مع جميع من قابلهم لم يكن ذلك سهلا ، لانه كان حذرا في كل تصرفاته . لم يكن لديه خادمة مثلا . لقد كان هو نفسه يرتب بيته ويغسل وينظف الشبابيك ، لقد كشفنا النقاب عن حلقة على اشارة متفق عليها ، أما الاخرون فقد كانوا يضطرون لقرع الجرس ثلاث أو أربع مرات قبل دخولهم .

تابعنا الهوائي على السطح ، وراقبنا كل البناية بما فيها بيته . وقررنا أن نفاجئه في الثامنة صباحا . اردنا أن نمسك به ، وهو ما يزال في سريره ، لكي لا يكون لديه الوقت للمقاومة ، ولكي لايحاول الانتحار بالقفز من الشباك . كان على ثلاثة من رجالنا أن يمسكوا به ، ورجل رابع يقوم يربطه بالسرير .

لكن كوهين هو الذي فاجأنا . عندما دخلنا الى غرفة نومه ، كان – مستيقظا منتظرا تأكيد من تل أبيب على استلام رسالته . كان جهاز الارسال – على السرير ، وبجانبه قطعة من الورق عليها نص الرسالة . ومع ذلك اكد باستمرار أنه مهاجر عربي من الارجنتين .

موقعه كشفه

في الوقت الذي استعد به للذهاب الى دمشق تسلم من درويش تلك المعجزة التكنولوجية الصغيرة . أي جهاز الارسال . لكن هذا الجهاز كشف امره .

فعندما كان يبحث عن بيت ، كان سعيدا بأنه وجد امام قيادة الاركان العامة بيتا بجانب السفارة الهندية ، وتخيل بأن موقع البيت مثالي لكن تبين فيما بعد ، بأن موقع البيت هو الذي فضح أمره .

ادخل الجاسوس الاسرائيلي في حساباته فوضى اشارات الراديو . ففي المكان الذي يعمل فيه عدد كبير من أجهزة الارسال ستضيع الاشارة التي سيقوم بها بين الاشرات الاخرى ، ولن يشعر أحد بها .. وهذا ما حسبه .

كان بثه اللاسلكي يشوش على بث السفارة الهندية ، التي قدمت شكوى الى وزارة المواصلات . جاء فريق للبحث في الشكوى ، وتبين أن الاشارات تصدر من جهاز أرسال غير مسجل رسميا .

بدأ قسم مكافحة الجاسوسية بالبحث عن هذه المحطة ، لكن دون جدوى ، ففي منطقة أبو رمانة ، حيث مقر عدة سفارات وقنصليات ومقر الاركان العامة ، كان الكثير من موجات الراديو ، لذلك لم يتمكنوا من أيجاد الجهاز السري ..

كيف تم اكتشاف الارسال

في تلك الاثناء حصلت مكافحة الجاسوسية في سوريا على جهاز راديو لوكيتر حديث من الاتحاد السوفياتي . وكان في سيارة ركب بها كمبيوتر وخلال بضع ثوان كان يقيم المعطيات المتعلقة بالهوائيات الحساسة . فاصبح لنا التوجه خلال دقائق بدقة تصل الى مائة متر الى كل جهاز ارسال .

اما المقولة الثانية ، فهي محتملة اكثر ، لم تحدث الا مرة في تاريخ التجسس . ففي الحرب العالمية الثانية عندما شكلت المخابرات السوفياتية بواسطة عميلها «ليوبولد تريبير» اول مركز غرب أوروبا في بروكسل ، استعمل الالمان نظام قطع التيار الكهربائي . فقد كانوا يعرفون متى يبث «الجاسوس الاحمر» – كما اسموه – رسائله ، وبطريقة الاستثناء السحطي المتتالي ، وصلوا الى الفيلا التي يوجد فيها جهاز الارسال . وعندما انقطع الارسال اثر انقطاع التيار الكهربائي في المطقة ، عرف النازيون من أية منطقة يصدر البث .

تدرجت مكافحة الجاسوسية السورية بنفس الطريقة ، رغم أن لديها اجهزة توجه أكمل ، لكنها لم تنجح في البداية . فقد كان جهاز الارسال يعمل على البطارية . ومع ذلك فقد سجل الجاسوس الاسرائيلي انقطاع التيار الكهربائي ، فانتظر بجانب الراديو تأكيدا من تل أبيب بانها استلمت الرسالة ، وتوقف الارسال فجاة ، لكن لم ينتبه الجاسوس أو قادته في تل أبيب لذلك .

أدلـــة

وجد المقدم طبارة . الذي استجوب الجاسوس في بيت كمال أمين ثابت عدة أدلة دامغة ، ففي قطعة صابون من نوع ياردلي ، كان يوجد عبوة ناسفة لتفجير جهاز الارسال أو أية أدلة اخرى في حالة الخطر . ووجد الفنيون في حقيبة صغيرة ثلاث كبسولات ، تحتوي على جرعات قاتلة من السيانيد . اذن كان الجاسوس الاسرائيلي يفضل الموت على أن يتكلم . لكن لن تساعده العبوة الناسفة والسم الشديد . نقلوه الى السجن في القاعدة العسكرية التابعة لغرفة الدبابات لحرب دمشق ، ووضعوا عليه حراسة مشددة .

اثناء التحقيق تاكد موظفو الامن السوري من ان كمال ثابت ، كان يعيش فعلا في بيونس ايريس .. وافترضوا بأن الموساد قد تمكنت من توظيف أحد المغتربين العرب في الارجنتين ، وعندما خضع الجاسوس لتحقيق تفصيلي ، تبين أنه لا يعرف أن يتلو سورة الفاتحة عن ظهر قلب ، والتي يجب أن يعرفها كل مسلم ، منذ اللحظة التي يتعلم بها الكلام .

بدأوا بالتأكد من اقامته في الاسكندرية ، ووصلوا الى ادلة ، وأدرك الجاسوس أنه قد هزم . فاعلن :

* اسمي الياهو كوهين . وأنا جندي في الجيش الاسرائيلي لم تشر الصحافة العالمية لعمل المخابرات السرية الاسرائيلية ، وخرج اول نبأ في ٢٦ كانون الثاني – يناير عام ١٩٦٥ ، في جريدة نيويورك تايمز ، وكان النبأ جافاً تماماً .

«كشف ، النقاب في سوريا عن جاسوس اسرائيلي وقد جاء من امريكا

الجنوبية ، يدعى كمال امين ثابت ، سوري الاصل ، دربته المخابرات السرية الاسرائيلية وارسلته الى سوريا وقد وجد في بيته جهاز ارسال ومتفجرات مختلفة وعملة صعبة ومن ضمنها دولارات امريكية وتم في نفس الوقت اعتقال عدد آخر من الاشخاص سوف يقدمون الى المحاكمة ويتوقع ان يصدر عليهم حكم الاعدام» .

حملة اسرائيلية لانقاذ كوهين

اثار النبأ الاستفسار في تل ابيب واستدعى رئيس الوزراء كيني شكوك كل رؤساء التحرير .. وطلب منهم عدم نشر كلمة عن الفضيحة ، لان أية اشارة لهذا الموضوع قد تفسد الجهود ، لانقاذ حياة الياهو كوهين .

عملت الحكومة الاسرائيلية ما في وسعها لانقاذ الجاسوس ، وانقاذ سمعتها بالتالي . لذلك حركت تل أبيب سفراءها ومبعوثيها في الكثير من الدول ، ومحرري الصحف العالمية الموالية لاسرائيل ، وشنوا حملة ضد سوريا ، لانقاذ الجاسوس ، كانت اسرائيل مستعدة لمبادلته بعدد من السجناء العرب ، وأرادت أن تشترية «بمليون دولار ، في بعض الانباء» وحاولت الصحافة الموجهة أن تقلل من شأن جريمة كوهين ، وامتدحت صفاته الوطنية ، واعتبرته مناضلا على الجبهة غير المنظورة .

المحاكمة والحكم

في تلك الاثناء ، انتهى التحقيق والاستجواب ووقعت المحاضر وقدمت للمحكمة . وفي ٢٨ شباط – فبراير عام ١٩٦٥ اعلنت الاذاعة السورية بأن المحاكمة قد بدأت . وعين العقيد ضلي رئيسا للمحكمة العسكرية .

لم تنشر تفاصيل المحاكمة ، وانما بث التلفيزيون السوري بعض اجزائها . وهكذا ظهر على الشاشة اصدقاء كوهين ، ومن بينهم ماجد شبخ الارض .

انتهت محاكمة الجاسوس الاسرئيلي وستة وثلاثون متهما في يوم ١٩

اذار – مارس . وصدر الحكم في ايار – مايو . وفي يوم ٨ ايار – مايو تم اعلان الحكم .

وفي الحيثيات التي قدمتها اللجنة ورد ما يلي :

«بالنظر الى أن المتهم الياهو كوهين بن شارول كوهين ، والمسمى بكمال أمين ثابت ، قد دخل الى منطقة الليل العسكرية المغلقة ، حيث حصل على معلومات سرية وسلمها للعدو فأنه يكون قد هدد أمن الدولة ، ونحكم عليه بالموت شنقا»

الاعـــدام

يوم الاثنين ١٧ ايار – مايو عام ١٩٦٥ ، وقبل منتصف الليل بقليل ابلغ الجاسوس الاسرائيلي كوهين ، في سجن المزة بالاستعداد :

«ارتد ملابسك ، لقد جاء وقتك» .

وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، خرجت قافلة من السيارات العسكرية الى ساحة الشهداء ، حيث تجري الاعدامات منذ مئات السنين ، حيث علقت هناك المشنقة . وتم تنفيذ الحكم يوم ١٨ ايار – مايو عام ١٩٦٥ ، في الساعة الثالثة وخمس وثلاثين دقيقة صباحا .

حاولت الموساد أن تنشر فصلا عن نشاط جاسوسها في دمشق ، بعد أن أعلن اعدامه . وقد أدعت الصحافة الاسرائيلية بأن المعلومات التي قدمها كوهين لاسرائيل هي التي مكنتها من الانتصار السريع في حرب عام ١٩٦٧ .. لكن ذلك ليس صحيحا . فالجواسيس لا يكسبون حربا . قد يساعدون بمعلوماتهم قد تسهل عمل التكتيكيين والاستراتيجيين . لكن الحرب الثالثة في الشرق الاوسط عام ١٩٦٧ وهي الحرب التي هاجمت بها اسرائيل كلا من مصر وسوريا والاردن ، قد جرت بعد اكثر من عام من اعدام كوهين . وفي تلك الاثناء تغير الكثير في هذه المنطقة .

سرقة القوارب في ميناء شيربورغ (١)

حظر ديغول تزويد اسرائيل بألاسلحة والمعدات فسرقت الموساد ٥ قوارب بالتواطؤ مع عملاء

لم يكن الطقس جميلا في فترة عيد الملاد في نورماندي ، كانت الريح تزأر والبحر مائجا يحل الظلام في الساعة الخامسة مساء ، ولايخرج من بيته الا من كان له شيئا ضروريا ، لذلك كان الناس هناك اسعد من غيرهم في تناول عشاء عيد الميلاد .

كان فندق سوفيتيل «ثلاث نجوم» مطلا على الشاطئ ، ومعظم غرفه لها شرفات تطل على البحر . رحب المدير رول بضيفه العزيز القادم من باريس في الساعة الرابعة بعد الظهر فقد خرج الادميرال «موردخاي ليمون ستيرنيوم» من مكتبه في بوليفار ماليشربس في الصباح الباكر جلس في سيارته السوداء من نوع ستيروين دي ١٠ س ٢١ وتحمل لوحة ارقام ٥٩ سي دى ٥٩ وتوقف في فترة ما بعد الظهر للغداء امام فندق سوفيتيل وطلب غرفة لليلة واحدة ، لكنه لم يذهب الى الغرفة بل خرج فورا الى الميناء .

حـــوار على الميناء

التقى تحت جنح الظلام مع الرائد البحري الاسرائيلي «عازر كيديم» كان طويلا نحيفا ، يلقب بالحوت ، كان ينتظر مع شخص نرويجي اشقر في الميناء قرب خمسة قوارب صاروخية راسية ، كان اسم النرويجي هود ، وكان الادميرال يعرف الشخص .

* قل هود : البحر عال يادميرال .
– اعرف
* هل نبحر؟
– يجب ذلك .
* ستكون الطريق خطرة يادميرال فعلى ظهر كل واحد من القوارب خمسة عشر رجلا والطاقم باكمله خمسة وثلاثون .
– مع ذلك سنبحر فليس هناك من حل اخر .
* تقول النشرة الجوية .
– هذه مخاطرة اعرف ، لكن هذا امر .
* اذن سأذهب لشراء بعض اللحوم المقددة ،
– اشتر اكبر قطعة ايها الرائد .
* فقد وعدت زوجتي بها ..

الانطـــــلاق ...

كان صوت المحركات القوية يزعج اهالي شيربورغ منذ عدة ليال ، وفي ليلة عيد الميلاد بدأ الضجيج منذ الساعة العاشرة ، كان الفرنسيون يجلسون حول مائدة العشاء الاحتفالي ، وكان الاطفال مسرورين بالهدايا التي تلقونها ، اما في الميناء فكانوا يستعدون لمغادرة الشاطئ ، وفي منتصف الليل حين جلس الكثيرون في الكنائس للصلاة ، وفي اللحظة التي كان ينطلق بها الزامور التقليدي للبواخر الراسية انطلقت قافلة مكونة من خمسة قوارب الى عرض البحر .

اختار الرائد عيزرا كيديم «الحوت» الذي كان يقود القارب الاول ممرا بحريا غير مستعمل يرجع تأريخه الى ايام الملك لويس السادس عشر . كان الممر خطرا بالنسبة للابحار الليلي لانه مملوء بالصخور الناتجة عن انهيارات في الميناء لكن هذه الطرق كانت مناسبة للنوايا الاسرائيلية لانها منطقة غير مغطاة بالرادار خارج رقابة شرطة الميناء .

ابحرت القوارب الصاروخية الخمسة ، وهي ترفع اعلاما نرويجية وتحمل اسماء وتدل على شيء هي : ستار بوت ١ – ٥ وعلى متنها ضباط اسرائيليون كان ضجيج المحركات يسمع عن بعد ، واستغرب الناس العائدون من صلواتهم الهدوء الذي اطبق فجأة وعاد من الميناء رجلان الادميرال الاسرائيلي ليمون الذي جاء في ذلك اليوم من باريس ورجل الاعمال الفرنسي فيليكس اميو ، الذي كان عليه ان يقضي ذلك المساء في محيط العائلة .

رفع الاعلام الاسرائيلية !

في ٦ كانون الاول – ديسمبر ، عبرت القوارب مضيق جبل طارق واتجهت الى البحر الابيض المتوسط ، وانطلقت عدة طائرات من مطارات مختلفة لمراقبة القوارب المشبوهة التي تحمل العلم النرويجي . وعندما وصلت الى جزيرة صقلية التقت مع سفينة اسرائيلية لتزويدها بالوقود ورافقتها غواصة اسرائيلية اصبح الامر مكشوفا ، وعندما علم قائد عملية ارش نويم الرائد «عيزرا كيديم» «الحوت» بانه اصبح في امان انزل الاعلام النروجية ورفع الاعلام الاسرائيلية وعلى مقدمة القوارب كتبت اسماؤها العبرية غاش بيريف ، هانيت ، سوفاهيتس .

ظهرت فوق القوارب الاسرائيلية التي لم يعلن عن ابحارها رسميا طائرة استطلاع تابعة للاسطول السادس الاميركي وقام طاقمها بالتصوير . ومن المحتمل ان الاميركيين قد اعملوا مسبقا بهذه العملية وقام الجيش الفرنسي بارسال طائرة للاستطلاع ايضا . وانطلقت القوارب السريعة من ميناءي تولون ومرسيليا وشوهدت القوارب بالمنظار ، ووصلت القافلة بدون ادنى صعوبة الى ميناء كيشون في حيفا وذلك في الساعة السابعة عشرة من يوم ٣٠ كانون الاول – ديسمبر .

ان اشهر العمليات التي تقوم بها المخابرات السرية والتي تمثل قفزة أو اختطافا فانها لاتدخل التأريخ الرسمي . هذه هي العادة فالحكومات لاترغب بالتفاخر باعمال جواسيسها واجهزة استخباراتها رغم تقديرها الشديد لها . القليل من اجهزة المخابرات تتعاون مع اجهزة بلدان اخرى حتى ولو كانت بلادا صديقة ، هذا هو

العرف السائد لكن الموساد مستثناة من ذلك . فلو لم تقم بعض اجهزة المخابرات السرية في الدول الغربية بمساعدتها لما كانت لها اية مقدرة .

اثارت عملية «آرش نويم» ضجة كبرى في الرأي العام العالمي في نهاية عام ١٩٦٩ ، واثارت الكثير من الهموم والاحراج للحكومة الفرنسية وللرئيس الفرنسي جورج بومبيدو سخصيا ، وانطلقت موجة عارمة من الاحتجاج والاستنكار في البلدان العربية عندما كشفت هذه العملية خبايا كثيرة تتم خلف الستار تهدف تسليح اسرائيل .

دور المخابرات الفرنسية

تلقى نشاط الموساد كل دعم وتأييد من الدوائر التسليحية المتنفذة وكان هذا الدعم في هذه المرة على الاراضي الفرنسية في ميناء شيربورغ واصبح رجل الصناعة الحربية واحد اقطابها الفرنسي «فيليكس اميو» مثالا بارزا » للعملاء الاسرائيليين للمخابرات السرية الاسرائيلية بسبب تعاطفه مع اسرائيل او بسبب الحصول على المال . فقد قامت المخابرات السرية الفرنسية المسؤولة عن حماية ميناء شيربورغ الحربي وبعض المسؤولين الحكوميين بتهيئة الميدان للموساد على الاراضي الفرنسية ، وحاولت وزارة الدفاع الفرنسية ان تحجب الحقيقة عن الاعين بالبيان الذي نشرته فيغارو الفرنسية في ٢٧ و ٢٨ كانون الاول – ديسمبر عام ١٩٦٩ بيان وزارة الدفاع الذي قال بان الخمسة قوارب السريعة هي مدنية وغير مسلحة وانها تابعة لشركة تجارية نرويجية عادية .

وقالت انها غادرت ميناء شيربورغ تحت علم نرويجي بعد انهاء الاجراءات الشكلية بموافقة الدوائر المحلية المعنية ، وبما ان البحر كان مائجا فانها لم تستطيع ان تبحر الا في ساعة متأخرة من ليلة ٢٤ و ٢٥ كانون الاول – ديسمبر .

اجراءات باريس

لم تتوافق في هذا البيان اشياء كثيرة وكانوا في باريس يعلمون بذلك فاكدت

الحكومة الفرنسية فيما بعد ، عدم صحة هذه المعلومات وقامت بفصل الجنرال «لويس بون» والجنرال «برنارد غازيلية» من وظيفتيهما واعلنت ايضا ان الملحق العسكري في السفارة الاسرائيلية بباريس شخص غير مرغوب به فان عليه مغادرة الاراضي الفرنسية فورا .

جرت قبل ذلك حادثة اخرى فريدة من نوعها في التأريخ الدبلوماسي فقد استدعى وزير الخارجية الفرنسي موريس شومان ، في الساعة الخامسة صباحا السفير الاسرائيلي والتر ايتان الى قصر الوزارة في كهادي اوراي ، وفي الساعة السادسة صباحا حضر موظف ليس له اية اهمية في السفارة الاسرائيلية ليعمل ملحقا صحفيا هو ، «افي بريمور» وابلغ الوزير الفرنسي ان السفير الاسرائيلي موجود في سويسرا مع عائلته لقضاء اجازة عيد الميلاد ، ولا يعرف اعضاء السفارة عنوانه وعندما سال الوزير الفرنسي الملحق الاسرائيلي بريمور عن القوارب التي اختفت من ميناء شيربورغ ووصلت الى اسرائيل تلقى الوزير جوابا دبلوماسيا من الطراز الاول من فم دبلوماسي من الدرجة الثانية .

قال الملحق : لا اعرف شيئا عن هذه الحادثة ولكن يمكنني ان احيل سؤالكم الى حكومتي في تل ابيب .

لم يكن سهلا التوصل الى ادلة نشاط سري للغاية والذي وصل قمته في عملية «آرش نويم» . فهذه واحدة من تلك العمليات التي لعبت فيها المخابرات السرية دورا هاما بالاضافة الى مسؤولين رسميين لم تكشف اسماؤهم للصحافة .

الصفقة السرية مع المانيا

يمتد تأريخ اختطاف القوارب السريعة ذات الاهمية الاستراتيجية الى عام ١٩٦٩ ففي تلك السنة وقع المستشار الالماني الغربي اديناور مع الحكومة الاسرائيلية اتفاقية سرية للغاية حول صفقة اسلحة . وكان على القائمة الموجلة ايضا اثناء عشر قاربا سريعا من طراز جاغوار والذي جرب نوعا اخر منه الضباط ، النازيون في الحرب العالمية الثانية .

كانت القوارب تمثل قمة التكنولوجيا فقد بلغت سرعتها سبعين كيلو مترا في الساعة وطولها خمسة واربعون مترا ، وكان تحت تصرف الطاقم البالغ من العدد خمسة وثلاثون رجلا جهاز قيادة الكتروني ايطالي ونظام خرائط انجليزي مع محرك بقدرة ٣٥٠٠ بي . اس وقد جهزتها اسرائيل فيها بعد بصواريخ غابريبل الموجهة الكترونيا يبلغ طولها ثلاثة امتار . وقد كانت هذه القوارب موضوع عملية سرية اخرى اثارت استياء في الرأي العام العالمي وكانت الموساد الاسرائيلية ومصانع داسول الفرنسية للاسلحة شريكة في انتاجها ، وقد حمل كل صاروخ مئة وخمسين كيلو غراما من المتفجرات لمسافة ثلاثين كيلو مترا ، وكان على كل قارب مختطف من شيربورغ ثمانية صواريخ منها .

حاولت المخابرات الاسرائيلية ان تخفي اسرار الاتفاقيات الدولية لكنها لم تنجح برغم الدوائر الالمانية الغربية ، وقامت جريدة نيويورك تايمز بنشر نصوص الاتفاقية في كانون الاول – ديسمبر عام ١٩٦٤ واطلع الرأي العام على التفاصيل : محركات ديسيل للقوارب السريعة تنتجها شركة موتورين يونيون في فردريك شافين ، وقد سلمت ثلاثة قوارب من اصل اثني عشر ولم يبق شيء امام اديناور سوى ايقاف الشحنات واعلان حظر القوارب التي تحت العمل . وكان ، هذا القرار نتيجة لضغط سياسي دولي فقد كانت المانيا الغربية تهتم بتصدير بضائعها الى الدول العربية واصبح واردا احتمال المقاطعة لهذه البضائع .

تحويل البناء الى فرنسا

كان هذا هو الجانب الرسمي للقضية ، لكن وخلف الكواليس كانت تجري المباحثات بين ممثلين عن اسرائيل وحكومة بون وشركات الصناعة الحربية الالمانية تمكنت الموساد هذه المرة من اخفاء الحادثة ، وقامت الشركة البحرية الالمانية الغربية بنقل الخطط والاجزاء التي بدأت العمل بها مؤسسة شانتير دي ونستروكيسون ميكانيك دي نورماندي في شيربورغ . وكان من مالكي المؤسسة ومديرها الاوستقراطي الفرنسي فيليكس اميو . الذي اعلن فيما بعد ، انه سعيد لانه حقق

صفقة كهذه لاسرائيل ، وكانت فرنسا في ذلك الوقت قد وصلت الى حالة كساد اقتصادي ، وهددتها البطالة ، بينما أمن انتاج القوارب السريعة العمل لاكثر من الف ومئتي شخص .

كان فيليكس اميو طياراً سابقاً ومصمما ولم يخف تعاطفه مع زملائه الاسرائيليين بخاصة مع الادميرال ليمون . فقد كانا يزوران بعضهما البعض لتقضي عائلاتهما عطلة الاسبوع سوية ، كان فيليكس ينادي صديقه الادميرال ليمون بأسم موك للتحبب ، وعندما اصبحت الفضيحة محط الانظار ، فقد اعلن انه لاسباب مفهومة اخفى بناء السفن عن اعين الناس ولم يسمح بان تشير الصحافة الى الصفقة اما كيف استطاع الاسرائيليون ان يختطفوا القوارب فهذا ليس شأنه ، وهو لا يستطيع على اية حال ان يحمي ميناء شيربورغ .

كانت فرنسا تقدم لاسرائيل حتى ذلك الوقت ثلاثة ارباع احتياجاتها العسكرية لذلك فان ظهور حوالي مئتين من الاسرائيلين في ميناء شيربورغ لم يكن ليثير الدهشة رغم انهم كانوا مع زوجاتهم واطفالهم فقد كانوا فنيين ومهندسين وطواقم مستقبلية للقوارب التي تحت الانتاج .

لم يكونوا ملاحظين فالمخابرات الاسرائيلية تتميز بهذه الصفة اذ انها لم تستطع اختيار عملاء سريين من بلاد الدنيا المختلفة وتحريك المهاجرين الذين عاشوا منذ ولادتهم في تلك البلاد . لذلك فهم ايطاليون او فرنسيون او اسبانيون اكثر مما هم اسرائيليون . وجاء اليهود الى شيربورغ من الجزائر حيث اجادوا الفرنسية تماماً ودخل اطفالهم المدارس الفرنسية وقامت زوجاتهم بجولات الى المتاجر للتسوق .

اما البحارة الذين لم يتزوجوا بعد فقد ذهبوا الى مطعم دي تورفيل لتناول الطعام وشربوا دون ان يسكروا وتجنبوا العراك او الشجار فقد كانوا تحت رقابة الموساد ، وكما هي الحال في اي ميناء فان شيربورغ فيها شارع للحياة الليلية فذهب بعض البحارة الى البارات في رودي جامبيت وكانت في جيوبهم تصاريح موقعة من الضباط المسؤولين ولم تكن موظفة الاستقبال في فندق اتلانتيك عائد لشركة اميو التجارية او حيث نزل الاسرائيليون لم تكن تتكلم عنهم الا افضل الكلام لكنها قالت

بان البلدة كلها كانت تعرف لماذا هم في الميناء وماذا ينتظرون الا ان كثيرين كانوا يعرفون موعد العملية .

كانت الموساد تلعب مع الفرنسيين لعبة الحرامية فقد حجز الاسرائيليون في نفس الليلة التي سيسرقون بها القوارب عشاء احتفالياً لاربعة عشر ضابطاً واربعة وسبعين فردا من الطواقم ، وكانوا سيحضرون في اليوم التالي لتناول طعام الغذاء ، جعل صاحب المطعم يفرك يديه فرحا واخذ يبحث عن مساعدين له واشترى كمية كبيرة من اللحوم ، وعندما لم يحضر الضباط او البحارة الى العشاء لم يندهش كثيرا فقد كان من اوائل من ادركوا الى اين ذهب البحارة النرويجيون وقيل انه استلم في اليوم التالي شيكا من مجهول يغطي تكاليف العشاء الذي لم يؤكل .

قائد البحرية الاسرائيلية

كان موردخاي ايمون ضابطاً اسرائيلياً ذا تاريخ حافل كان بولوني الاصل هاجرت عائلته الى فلسطين عندما كان عمره عشر سنوات ، عمل اثناء الحرب العالمية الثانية في السفن التجارية البريطانية واصبح قبطانا وهو في العشرين من عمره يعمل في نقل المهاجرين اليهود وبعد سنة اصبح بطلا كتبت عنه الصحافة الاسرائيلية ، وفي عام ١٩٥٠ عندما اصبح عمره ستة وعشرين عاما اصبح القائد الاعلى للقوات البحرية الاسرائيلية فكان اصغر ادميرال في العالم . استقال من وظيفته في الثلاثينيات من عمره ودرس في الولايات المتحدة الاميركية في جامعة كولمبيا ووصل الى باريس كرئيس لوفد تجاري حيث تباحث مع الفرنسيين حول صفقات السلاح في تل ابيب وعندما غادر القارب الصاروخي الاول من ميناء شيربورغ متجها الى حيفا كان يقف على رصيف الميناء وبعد شهر ابحر الى اسرائيل قارب ثان دون أية صعوبة .

سرقة القوارب في ميناء شيربورغ (٢)
بعد حظر تصدير السلاح الفرنسي
اسرائيل تحول صفقة القوارب الى شركة نرويجية (عميلة) يملكها يهودي

هاجمت الجيوش الاسرائيلية في حزيران – يونيو عام ١٩٦٧ كلا من مصر وسوريا والاردن ووقع جزء من الذنب على فرنسا التي سلحت الجيش الاسرائيلي حتى اسنانه ولذلك اعلن الرئيس ديغول حظرا جزئيا على تصدير الاسلحة الهجومية الى اسرائيل لكن ذلك لم يشمل القوارب السريعة التي كانت تصنع في شيربورغ ولا طائرات الهيليكوبتر من نوع سوبر فريلون .

لم يتعلم المعتدون الاسرائيليون من ذلك ورغم التحذيرات قامت الفرقة الارهابية اسرائيلية في ٢٨ كانون الاول – ديسمبر عام ١٩٦٨ بالهجوم على مطار بيروت الدولي ودمرت ثلاث عشرة طائرة مدنية كبيرة واصيبت مباني المطار باضرار بالغة .

وكانت ردة الفعل عند الرئيس الفرنسي شارل ديغول فورا فاعلن حظرا كاملا على تزويد اسرائيل باية اسلحة حربية لان الفرقة الارهابية الاسرائيلية المهاجمة قامت باستعمال طائرات الهيليكوبتر الفرنسية «سوبر فريلون» واشتمل الحظر ايضا على القوارب السريعة .

ظهور العملاء

في هذه المرحلة ظهر عملاء الموساد على مسرح الاحداث ثانية وحتى الاول من كانون الثاني – يناير عام ١٩٦٩ كانت قد سلمت ست قطع كانت القوارب قد اصبحت في حيفا وركب لها حاملة صواريخ ماء – ماء اما القارب السابع فكان مايزال قابعا في مرساه في ميناء شيربورغ الحربي وكان على ظهره اسطوانات

الاوكسجين والغاز ولم يكن الا جزء بسيط من القارب قد دهن باللون الاساسي وكان لابد من مرور اربعة عشر يوما لاستلامه .

سحب الموظفون القارب من مربطه لكي يحصلوا على مكان ولكي يجربو المحركات المزعجة جانبا . وفي يوم السبت ٤ كانون الثاني – يناير عام ١٩٦٩ ذهب الجميع في نزهات ورحلات في عطلة نهاية الاسبوع . ظهر على متن القارب احد عشر من الذين وصلوا الى الميناء حوالي الساعة الخامسة مساء اي بعد حلول الظلام . وخلال ساعة او اثنتين شغلوا المحركات واعلموا المراقبة انهم ذاهبون في رحلة تجريبية ابحروا في الظلام وبعد عدة ايام كانوا في حيفا .

الفضيحة

انفجر غيظ الرئيس الفرنسي شارل ديغول على قيادة ميناء شيربورغ الحربي فلم يكن احد يحرس القارب وعندما سرقه القراصنة الاسرائيليون لم يكن احد في القيادة يعرف عن الحظر شيئا وقد امكن اثبات ان الاخبار الرسمية وصلت بعد يومين مما يدل على ان أحد المسؤولين قد تعاون مع الموساد .

لم تنته الفضيحة بعد فليس واضحا اذا كان القارب غير المسلح والمصنوع في شركة بحرية خاصة يخضع للحظر المتعلق بالمواد الحربية واحتج قائد الميناء لدى المسؤولين ضد الاوامر والتأنيب فان على طاقمه ان يحرس ولم يحرس املاك شركة فيليكس اميو وليس للبحرية اي شيء مشترك مع القوارب المصنوعة لاسرائيل بل انها لاتتبع المنطقة العسكرية .

كان الادميرال الفرنسي محقا فقد تخطت الوزارة الباريسية حدودها فقد اعطت امرا بعدم السماح مستقبلا لاية سفينة مدنية بان ترسو في المجال العسكري بغض النظر عما اذا كانت قادرة او غير قادرة على الابحار .

والقوارب التي ستكون في المياه ستبحر في الجزء المدني من الميناء ولن يقع في اطار رقابة الدوريات الحربية .

لم يكن الاسرائيليون يتمنون اكثر من ذلك . مرت شهور طويلة دون ان يجري

شيء كان ذلك الهدوء الذي يسبق العاصفة فقد جهزت الموساد عملية قرصنة واسعة النطاق كان قائد العملية الذي يقف في الظل هو موردخاى ليمون اما القائد المنفذ فكان عيزرا كيديم «الحوت» كذلك فان فيليكس اميو قد لعب دورا لايحسد عليه .

طلب التعويض

في خريف عام ١٩٦٩ رفضت اسرائيل دفعات اخرى على حساب القوارب المحجوزة وبعد اعلان الحظر لم يكن مؤكدا متى ستستلمها وتقدم مالكو الشركة البحرية وعلى رأسهم فيليكس اميو بطلب الى حكومة الفرنسية لتعويضهم عن ثمن البضاعة الممنوعة وفي الوقت الذي امتدت فيه المفاوضات مع الدوائر الباريسية كانت تقف خمسة قوارب شبه جاهزة في الميناء .

تحويل الصفقة

في بداية تشرين الاول – اكتوبر استدعى الادميرال ليمون الى تل ابيب حيث تباحث مع موشيه ديان ومع مندوبين عن المخابرات الاسرائيلية – الموساد . وعندما عاد الى باريس اتفق على موعد مع فيليكس اميو وابلغه رسمياً بان الحكومة الاسرائيلية لم تعد مهتمة بالقوارب الخمسة الباقية في ضوء الظروف القائمة فانها وجدت مشتريا محتملا وان المهندس اوليه مارتين سيم المدير العام لمجمعات اكسبرس هو وسيط العملية ، وهذه المجمعات هي التي تبني لاسرائيل معظم السفن التجارية .

وسيط الصفقة

وصل المهندس سيم الى منزل فيليكس اميو في باريس في الثالث عشر من تشرين الاول اكتوبر وشرح له انه لايرغب في شراء تلك القوارب الخمسة لشركته لكنه يقوم بدور الوسيط ويرغب بمساعدة الطرفين .

• سأل فيليكس : هل لي ان اعرف اسم المشتري ؟

– اجاب المهندس : بالتأكيد معي توصية من شركة ستاربورت ش أ . أ .د . كومباني .

• ارجو ان لاتغضب لقلة معلوماتي انني اخشى اني لا اعرف هذه الشركة .

– هذه مؤسسة جديدة تقوم بدراسة حقول النفط في الاسكا وستحصل هذه القوارب على تجهيزات مناسبة لهذا الغرض للحفر في عمق البحر .

• هل تعتقد ان قواربنا السريعة مناسبة لهذا الغرض ؟

– ليس مهما رأيي فلست خبيرا لكن المشتري مقتنع ولاشك بذلك .

• هل لك يامهندس سيم ان تعطيني تقريرا عن الشركة ؟

– بالتأكيد عنوانها في اوربا هو اسلو سوليلي وصندوق البريد ٢٤٠٧١ – النرويج .

• والتسجيل

– مسجلة في بناما .

اندهش فيليكس اميو فالشركة تعمل على دراسة حقول النفط في الاسكا ومقر الشركة في النرويج والتسجيل في بناما والكل يعرف ان السفن او الشركات التجارية المؤسسة والمسجلة في بناما ليست شركات ذات سمعة مثالية .

• ارجو ان تسمح لي بسؤال اخر .. متى سجلت الشركة ؟

– في الخامس من تشرين الاول – اكتوبر .

• اية سنة ؟

– هذه السنة .

• يعني قبل بضعة ايام ؟

– هل تعتقد ان ذلك يغير شيئا ؟

• من مالك هذه الشركة الجديدة ؟

– ميلابرنير مدير شركة مرتيايم فروت كارير ليمتد .

• هذه شركة اسرائيلية كما اعلم وبرنير هو اسرائيلي ؟

– نعم ياسيد اميو ومع ذلك فهي شركة نرويجية .

حقيقة الشركة

اعطى فيليكس اوامره الى القسم القانوني في الشركة وبعد لحظات كانت امامه معلومات عن شركة ستاربورت لقد قال المهندس سيم الحقيقة . كان كل هذا مكتوبا في محظر التسجيل في بناما في الخامس من تشرين الاول – اكتوبر .

وكان المالكون الاخرون هم شركاء مكتب المحامات ارياس فابريكا ومقرها بناما وقد جهز هؤلاء الشكليات المتعلقة بالتسجيل وكانوا بدون شك اشخاصا مدسوسين .

ليست خلفية تجارة الاسلحة نظيفة ليطلع عليها الجمهور فهناك الكثير من الاهتمامات خلف الكواليس التي تعرف ولكن لايجبذ الحديث عنها والرجال الذين يتعاملون بها عادة في هذا المجال ليسوا متعصبين كثيرا في قضايا الاخلاق والشرف والقانون الدولي وبغض النظر عما اذا كان اقتراح الشركة مقنعا لفيليكس اميو ام لا فقد كان هناك مبلغ بالملايين وترك كل شيء لقرار الدوائر الفرنسية .

كانت النظرة الاولى توحي بتصديق وزارة الدفاع للصفقة ، لكن الامر كان مثار جدل فيما اذا كانت القوارب السريعة التي كانت ستجهز بحاملات الصواريخ في اسرائيل ستعتبر حربية ام لا .

كان على لجنة وزارية خاصة ان تناقش تصديق الصفقة وترأس اللجنة الجنرالان برنارد غازيليه ولويس بون اما الاعضاء فقد كانوا ممثلين عن الوزارات المالية والخارجية والدفاع .

جرت المباحثات بايجابية وسرعة واعلن المتحدث الاسرائيلي ان اسرائيل لم تعد مهتمة بصفقة القوارب وان شركة نرويجية تريد شراؤها .

بحارة اسرائيليون

.كانت العلاقات السياسية بين باريس واسلو ودية كذلك العلاقات الاقتصادية كانت مزدهرة ولم يكن هناك مجال للحديث عن الحظر بالاضافة الى ان القوارب ليست حربية وانها ستكون بعيدة جدا عن منطقة الشرق الاوسط وتمت الاجراءات

بسرعة قياسا على البيروقراطية الفرنسية وكان ممثلي الشركة النرويجية يعرفون ذلك مسبقا وبدأ يظهر في الميناء البحارة ذوو الشعر الاشقر والعيون الزرقاء لم يتكلموا كثيرا ولو ان احدا سمعهم وهم يتحدثون لدهش كثيرا فقد كانوا يتكلمون العبرية فيما بينهم .

دبت الحركة غير المعتادة فجأة على متن القوارب وقام البحارة الاسرائيليون الذين كانوا يشكلون اصلا اطقم القوارب بمساعدة النرويجيين واخذ الكابتن عيزرا كيديم يوجه اوامره لزملاءه ذوي الشعر الاشقر ويدرس مسار الطريق من الميناء وقد تبين فيما بعد ان الموساد حصلت على معلومات دقيقة عن مدى رادار الميناء كانت التجهيزات قديمة ولم تكن تكشف كل المنطقة المحمية وكانت الطريق البحرية الغربية تقع خارج مجال الرادار .

تواطـؤ

اظهرت الشركة المحلية وشرطة الميناء لامبالاة غير عادية في حادثة اختطاف القوارب الخمسة فقد كان في المدينة سر يعرفه الجميع وهوَ انَ البحارة الاسرائيليين يتهيأون للسفر . وقد أكد صاحب كشك لبيع السجائر ان الاسرائيليين ابتاعوا في الايام الاخيرة قبل عيد الميلاد صناديق كثيرة من السجائر الفرنسية .

وقال تجار اخرون أن عائلات الاسرائيليين اشترت كمية كبيرة من المواد ، الغذائية والاقمشة والاحذية ولوازم للمطبخ ايضاً ، وعلم التجار اثناء ذلك من زوجات الضباط ان هناك نقصاً شديداً في بعض المواد الاستهلاكية في تل ابيب وان بعضاً منها غير موجود اطلاقاً .

سمحت باريس ببيع السفن في ١٨ تشرين الثاني – نوفمبر وبعد ذلك بشهر تقريباً تلقىٰ فيليكس اميو طرداً بريدياً بالوثائق اللازمة . وفي نفس اليوم ، انطلقت محركات القوارب في مناورة تكتيكية حتىٰ أن سكان شيربورغ لم يستطيعوا ، النوم وكان عليهم ان يعتادوا علىٰ هذا الضجيج وقام زعيم القراصنة عيزرا كيديم باحضار اعلام نرويجية ، وفسر ذلك في الميناء ان علىٰ الاسرائيليين تعليم النرويجيين قيادة

السفن وفي بعض الحالات سيقومون بمساعدتهم لأنه ليس لديهم قوىٰ بشرية مؤهلة كافية !

جهزوا عشاء احتفالياً وفي منتصف الليل ووسط اجراس شيربورغ وصفارات السفن اختفت القوارب تحت جنح الظلام .

ولكن الرحلة تستغرق اياماً ، فهل لم يكن بمقدور الجهات الفرسية المسؤولة ان تلحق بها ، وان توقفها وتعيدها الىٰ شيربورغ لو كانت تريد ذلك ؟

لقد مرت الزوارق في مضيق جبل طارق الواقع تحت السيطرة والاشراف الكلي والفعلي لبريطانيا ، فهل لم يكن بمقدور فرنسا ان تطلب ايقاف القوارب هناك ؟ ثم الم يكن بأمكان الطيران أو البحرية ملاحقتها في المتوسط أو عندما توقفت في صقلية وقبل أن تحرسها الغواصة الاسرائيلية وقبل أن ترفع الاعلام الاسرائيلية .

أن كل شيء في العملية يوحي بأن هناك تواطؤ ما في عملية الخطف وأن جهات المخابرات تعلم ذلك .

سرقة مخططات الميراج ٣

عملاء الموساد يفاوضون مهندسا سويسريا في معامل الميراج في نيثروب لشراء محركات

فينتروب مدينة سويسرية حالمة تبعد حوالي خمسة وعشرين كيلومترا عن زيورخ ، تقع في وادي ايولاخ على ارتفاع ٤٣٩ مترا عن سطح البحر ويحيط بها اكليل من التلال ، ويعيش فيها ثمانون الف مواطن وتقف كنيسة قديمة في ساحتها الرئيسية التي تعود الى القرن الخامس عشر وترى ابراجها من مسافة بعيدة وتضم في متحفها مجموعة نادرة من اللوحات يعمل معظم رجالها في مصنع للاسلحة معروف بمصنع الاخوة سولزيز وبامتياز فرنسي يصنع محركات للطائرات المقاتلة من نوع ميراج .

الميراج طائرة ممتازة تطير بسرعة ٢٤٠٠ كيلومتر في الساعة ويرجع الجيش الاسرائيلي الفضل في الستينات الى مصممها اليهودي الفرنسي مارسيل بلوش الذي اصبح كاثوليكيا وغير اسمه الى مارسيل داسو واعتبرت الميراج من افضل الطائرات المتفوقة في الشرق الاوسط .

مارسيل داسو مليونير وقاذفاته تباع الى اقطار كثيرة في العالم وعندما ارادت الحكومة السويسرية ان تزود قواتها الجوية بطائرات الميراج ٣ ، قامت بعكس الاخرين بعقد اتفاقية مع مارسيل داسو حصلت بموجبها على امتياز لتصنيعها وهكذا اخذت تنتج الشركات السويسرية المئات من القاذفات وكانت شركة الاخوة سولزيز من ضمن هذه الشركات .

كان الفرد فراونكنيشت سويسري الاصل تلقى تربية بحسب التقاليد والاصول القديمة التي تربى عليها سكان سفوح جبال الالب ، كان دقيقا متدينا ويرتدي بذلات ذات لون سكني فاتح لايرتكب خطأ من خلال قصص غرامية وقد تسلق

السلم الوظيفي في شركة سولزيز في مجال تخصصه في انتاج الطائرات الحربية السريعة وتتركز معرفته في مشاكل بناء محركات طائرة الميراج ٣ تخطى سن الاربعين بقليل واصبح مستشارا وعضوا في اللجنة الدولية لمستعملي الطائرات من نوع ميراج «اي الشبح» .

التقى في باريس قبل عيد الميلاد عام ١٩٦٧ اثناء انعقاد مؤتمر بالعقيد ابيل والسيد بيدر كانا يمثلان الجانب الاسرائيلي وعندما التقوا مساء في احد البارات لم يكن الفرد فراونكنيشت يتوقع ان مجرى الحديث كان مخططا له في حي هاكيريا في تل ابيب حيث مقر الموساد .

لم يعرف ان العقيد ابيل هو في الحقيقة الملحق العسكري في السفارة الاسرائيلية في روما الجنرال نيشيميا كاين وان السيد بيدر هو المدير العام لمصانع الاسلحة الاسرائيلية – مصانع الطيران الاسرائيلية – ويسمى الشفيمير .

كان لقاء باريس عاديا بين مستعملي طائرة المصمم الفرنسي داسو كانت تصنعها شركات في فرنسا وسويسرا واستراليا وكان مندوبو هذه الشركات يلتقون بين الحين والاخر لتبادل الخبرات ويناقشون التحسينات الفنية الممكنة ويقيمون النواقص والسلبيات لكن اللقاء الليلي بين المندوبين الاسرائيليين والمهندس فراونكنيشت كان له هدف اخر .

في عام ١٩٦٧ عندما اعتدت القوات الاسرائيلية على البلدان العربية رغم تحذيرات الرأي العام العالمي والشخصيات السياسية البارزة ومن ضمنها الرئيس الفرنسي الجنرال شارل ديغول وقامت باحتلال اراضي ذات سيادة مساحتها اكبر من مساحة اسرائيل بثلاث مرات ووقفت قوى السلام العالمي ضد العدوان بشدة وقام الرئيس الفرنسي باتخاذ قرار محدد وهو عدم حصول اسرائيل من فرنسا على اية اسلحة او اية اسلحة عسكرية استراتيجية ولو بمقدار فرنك واحد .

وكانت الحكومة الاسرائيلية قد طلبت ودفعت مقدما ثمن خمسين طائرة من نوع ميراج ٣ التي اوقف الفرنسيون تصديرها فورا وكانت تلك ضربة قوية لجنرالات اسرائيل الذين ادخلوا تلك الطائرات في مخططاتهم كما ان قرار الرئيس الفرنسي

ديغول اصاب مقتلا عند الاسرائيليين لسبب اخر . فالميراج الاسرائيلية قامت بعدوان متكرر على الدول العربية ومعروف ان محركاتها لاتعمر طويلا فكانت قد استهلكت الى حد ما وكان يلزم لهذه الطائرات قطع غيار ضرورية .

حـــوار

وقال العقيد المزعوم ابيل : اعتقد انه يجب ان تسود الروح الرياضية في كل تجارة ، اين الضمان بأن نحصل على ماطلبناه ؟ واضاف شريكه : بل ومدفوع ثمنه مقدما ؟ قال المهندس فراونكنيشت : انظر انا رئيس تنسيق برنامج الانتاج في شركة سولزيز ويمكنني ان اقول لكم لستم وحدكم ان جيشنا في وضع مشابه فقد اعطت الحكومة امرا بانتاج مئات الطائرات من نوع ميراج ٣ ، واستعدت شركتنا لذلك وفجأة اعلن الافلاس لان السعر مرتفع جدا ووصل ذلك الى الصحفيين فكانت النهاية وتوقفنا عن التركيب وبدلا من انتاج المئات انتجنا فقط اثنين وخمسين .

* سأل العقيد ابيل : وقطع الغيار هل هي مصنوعة للمجموعة كلها ؟

– بالطبع .

* وماذا سيحصل بها ؟

– للآن لاشيء .. ملقاة بالمخازن .

* هذا فظيع ؟

– مجموعة كاملة من قطع الغيار لسبع وثلاثين طائرة ملقاة بالمخازن دون ادنى امل باستعمالها ، في الوقت الذي نحن مستعدون لتبديلها بالذهب .

* وسأل بيدر : مارأيك يامهندس فراونكنيشت ؟

لم يكن المهندس السويسري مستعدا لمثل هذا السؤال فتخاطفته احاسيس مختلفة اذ لم يدر اين يصوب لذلك بعد لحظة صمت وبدون أية صلة قال :

– انا مع المساواة والتكافؤ في العلاقات التجارية الدولية في كل الظروف .

ادرك المفاوضان الاسرائيليان ان المهندس السويسري يتكلم على طبيعته وبدون تصنع او تزوير وقررا ان يشتريا ضميره فسألوه عما يعتقد بشأن امكانية شراء قطع

الغيار من شركة سولزيز .

قدر الموقف لحظة وقال مايجب ان يقوله أي موظف سويسري في شركة سويسرية :

– لو تمكنت من الاعراب عن رأيي الشخصي لصوتت لصالح البيع فموقفكم مفهوم وجهودكم منطقية لكن رسميا ياسادة ليست الاجابة على سوألكم من اختصاصي .

* سأل العقيد ابيل : مع من يمكننا ان نتفاوض ياسيد فراونكنيشت ؟

– مع المدير العام شميت ربما ، لست متأكدا فيما اذا اسفر حديث كهذا عن نتيجة أيجابية اذ يجب على مااعتقد ان تقرر الحكومة السويسرية الموافقة على هذا الشأن . اذ ان الامر يتعلق بطائرات حربية ويحظر ارسال الاسلحة المعلن عنها من قبل الرئيس الفرنسي وقد اقول بأن الجنرال ديغول له حظ اكبر ايها السادة لاتفسروا ذلك رجاء كتقليل من اهمية احتياجاتكم او عدم تفهم لكني اريد ان اكون واقعيا .

كان ممثلو تل ابيب يتمتعون بخبرة واسعة وكانوا مهيأين للمفاوضات ويبدو انهم توقعوا اجابة فراونكنيشت فبالطبع قامت الدائرة المعنية بالموساد برسم – لوحة نفسية – له فلم تدهشهم ردة الفعل على الطلب بالعكس فقد سحبوا الورقة الرابحة لانهم توقعوا مسار المباحثات .

عـــرض

قال العقيد ابيل : هناك شيء لم نرد ان نعرضه على المؤتمر فهذه المعلومات ليست لكل اذن لكننا نثق بك .

مرت لحظات صمت .. فعلماء النفس في الموساد يعلمون عملاءهم فن العرض الدرامي وابلغ العقيد ابيل المهندس السويسري بهدوء ولكن بقوة عن السر العسكري كان زبائن الفندق حولهم يتسلون والخدم يذهبون ويجيئون بالطلبات بين المقاعد وعلى الطاولة المجاورة كانوا يروون النكات .

قال العقيد ابيل تعرف اننا كسبنا حرب الايام الستة بواسطة الميراج نفسها هذا

لايمكن انكاره ولانخفيه لكن .. وهنا صمت العقيد مرة اخرى لكي يرفع من حدة التوتر الدرامي وقال : لكن ظهرت هناك اثناء المعارك بعض النواقص والاخطاء بل ان بعضها سبب حوادث مؤسفة كلفتنا ارواحا انسانية .

اصبح المهندس فراونكنيشت في حالة استنفار واصغاء تام فهذه المعلومات تدخل في صلب مهنته فالمشاكل الفنية وتنسيق الانتاج كان تخصصه .

تابع السيد بيدر الكلام : كما تعرف للطائرة نظام واحد لايصال الوقود ..

– نعم .

قال ابيل : ميكانيكي .

– نعم ميكانيكي .. وماذا ؟

ادركا انهما جراه حيث يريدان لذلك فقد استمرا مباشرة نحو الهدف .. بعد الاستعمال الطويل اثناء عملها في منطقة الصحراء توقف هذا النظام عن العمل مما ادى لسقوط عدة طائرات . تنفس المهندس فراونكنيشت الصعداء لكي يجيب او يعرب عن استغرابه لكنهما لم يعطياه فرصة وعرضوا عليه المعلومات واحدا تلو الاخر .

قدمنا نحن مساعدة وقام مهندسونا بتصميم نظام ضغط شافط مأمون في كل الظروف وعندما تتعطل الشفاطة الاصلية تتعطل الثانية تلقائيا .

هذا شيء جديد رائع هيدروليكي نحن على استعداد لتقديمها الى المنتجين ليتم تركيبها في جميع الطائرات المصنوعة ومستعدون لبيع كافة التصاميم والوثائق الفنية سنعرض نظام الشفط اثناء العمل ستدهشك .

نستطيع ان نقدم لك ملاحظات اخرى لانريد عرضها امام الجميع .

* لها قيمة كبيرة بالنسبة للمنتجين .

– حكومتك قد تهتم ببعض المعلومات فهذه تجارب ..

* او ملاحظات محددة تتعلق بالاستعمال التكتيكي للطائرة في القتال .

– انت تعرف ومع ذلك اؤكد ان سلاح الجو الاسرائيلي هو الوحيد الذي جرب هذه الطائرات في القتال مباشرة .

عاد المهندس الفرد فراونكنيشت الى باريس واستمر في عمله بمصانع سولزيز كعضو في اللجنة الخاصة بمسائل تسليح الجيش السويسري وبعد بضعة اسابيع في مشاورات مع المدير العام للمصنع حيث علم بالاقتراح الاسرائيلي اهتمت حكومة تل ابيب بشراء محركات طائرات الميراج ٣ المخزونة في فينتروب حيث عرضوا مقابلها مائة وخمسين مليون فرنك سويسري نقدا .

زيـــارة

قدمت الشركة الاقتراح الى الحكومة السويسرية التي رفضته حالا . لكن الاسرائيليين لم يستسلموا وطلب الملحق العسكري الاسرائيلي في بيرن العقيد شومان اذنا من شركة سولزيز لزيارة المصنع في فينتروب . ووافقت الادارة على الزيارة وكلفت المهندس فراونكنيشت بالمباحثات وصادقت الدوائر المعنية في بيرن على هذا الاجتماع وانتهت الشكليات في الاول من شهر نيسان عام ١٩٦٨ .

انضمت السفارة الاسرائيلية في روما الى هذه التحضيرات وطلبت من المهندس فراونكنيشت مسبقا وسوف يأتي الممثل الاسرائيلي من تل ابيب الى زيورخ في ١١ نيسان – ابريل عام ١٩٦٨ لمناقشة بعض التفاصيل قبل الزيارة ..

عرض جديد

وصل المهندس الى فندق الامبسادور في زيورخ في ١١ نيسان – ابريل في الساعة العاشرة صباحا وكان بانتظاره في قاعة الاستقبال نفس الرجلين اللذين قابلهما في باريس وهما العقيد ابيل والسيد بيدر ، وبدأ الحديث مباشرة .

لدينا صلاحيات مطلقة بعرض جيد للسويسريين أيّ لشركتك ياسيد فراونكنيشت بالاضافة الى مائة وخمسين مليون فرنك بدل المحركات نحن مستعدون لشراء بضاعة بثمن مليون فرنك سويسري من شركة سولزيز توربينات ومولدات وكل شيء تصنعونه فماذا قلت ؟

لم يستطع احد ان يتأكد فيما اذا التقى العقيد ابيل والسيد بيدر مع المهندس

فراونكنيشت هاتفيا بالسفارة الاسرائيلية في بيرن وكان وقتها موجودا في فندق الامبسادور وطلب الحديث مع العقيد تسفي الون لكنه لم يكن موجودا في المكتب فاعطته عاملة القسم رقم هاتف المنزل رغم ان الون كان مقيم الموساد في السفارة تحت ستار وظيفة مستشار وكان لابد يعرف كل شيء الا انه لم يسأل المهندس وابلغه ان عنده انباء طيبة لاصدقائه فقام الون باجراء اللازم .

وصل ابيل وبيدر ثانية الى زيورخ والتقيا بالمهندس لكنهما لم يتباحثا معه في صالة الفندق بل ذهب الثلاثة الى حي سيء السمعة الى فيديردورف حيث جلسوا في ناد ليلي ، كان ذلك في الاوساط المحافظة قرارا في غاية الجرأة لرجل في مركز المهندس فراونكنيشت ان يدخل مثل هذه المحلات .

تصنيـــع !

قال المهندس انكم تضيعون الوقت ايها السادة انكم عبثا تحاولون الحصول على قطع غيار للميراج لن يبيعكم احد تلك القطع لكنكم تستطيعون الحصول على طائرات كاملة .

قال العقيد ابيل : لا أفهم ماتقول .

* قال بيدر : هل هذا يعني ان نسرق طائرات الميراج السويسرية ونطيرها سرا الى اسرائيل .

– اجاب المهندس : لابالتأكيد لافهذا مستحيل فهي مخبأة في اعماق جبال الالب وتحميها ابواب لايؤثر فيها الانفجار الذري .

* اذن كيف ؟

– ان تصنعوها عندكم في اسرائيل ، اعرف قدراتكم الصناعية ويمكنكم ان تباشروا بذلك اذ تستطيع شركة صناعة الطائرات الاسرائيلية ان تصنعها كما تصنعها شركة سولزيز ممكن بالتأكيد يلزمكم أساس تقني .

لو قمتم بفك طائرة واحدة الى اجزاء وحاولتم ان تصنعوا مثلها لاستغرق ذلك سنوات طويلة عدا عن انه سينقصكم التدرج التكنولوجي اثناء التصنيع أي انكم

ستصنعون الميراج عندما يجيء وقت وضعها في المتحف اما اذا حصلتم على الخطط الكاملة والتصاميم الفنية والرسومات فأنكم تستطيعون ان تصنعوا ليس فقط قطع غيار بل طائرة كاملة بعد سنة .

* حسنا ولكن من اين نحصل على هذه الرسومات والمخططات من يعطينا اياها ؟

– انـــا !

تعتبر شركة الاخوة سولزيز في فينتروب شركة حديثة ويحتوي مقصف المصنع على مطعم كبير اضافة الى عدة مطاعم صغيرة لموظفي الادارة وقد جلس بجانب احدى الطاولات المدير العام الدكتور شميت والمهندس فراونكنيشت وفي فترة تناولهما الطعام تحدث كل منهما ببعض الجمل وعندما كان المدير يحتسي القهوة ويشعل سيجارة قال فراونكنيشت : اعتقد انني توصلت الى طريقة اوفر بها على الشركة حوالي مائة الف فرنك سنويا .

رفع المدير شميت عينيه قائلا : قل ما عندك ؟

بحسب الاخبار الواردة من باريس وبحسب معطيات الوضع الراهن في السوق العالمية يمكن الافتراض باننا انتهينا من تصنيع طائرة الميراج لقد تغير المناخ السياسي وأصبح موقف الرئيس ديغول من اسرائيل قطعيا .. يجب علينا ان نخزن المحركات المصنوعة لكن لسنا مضطرين لخزن الرسومات والمخططات انها تأخذ حيزا كبيرا دون فائدة .

– حسنا ولكن ماذا سنفعل اذا احتجنا لصنع قطع غيار في المستقبل ؟

– بالتأكيد سنعمل صورا مصغرة ميكروفيلم ووضعها في قاصة معدنية واحدة .

* كم يبلغ عدد الرسومات والمخططات ؟

– خمسة واربعين الفا .

* ووزنها ؟

–يبلغ وزنها طنين .

* وكيف تريد ان تقوم بهذه العملية ؟ فخمسة واربعون الف صورة ليس بالامر السهل ؟

– في مركز الوثائق التابع لنا سنشتري جهاز تصوير ونجهز مختبرا خاصا بنا وسيكفي مصور مع مساعده لانجاز ذلك .

* ما المدة الزمنية لعملية التنفيذ ؟

– لا أعرف بالضبط سيعتمد ذلك على سعة التجهيزات سنوفر مائة الف فرنك سنويا بمساحات التخزين والتجهيزات الامنية والحراسة .. وفي حالة الحرب سيكون عندنا نسخة مصورة .

* الوثائق سرية للغاية كيف يمكن التأكد من اتلافها واين سنفعل ذلك ؟

– في محرقة المدينة بمشاركة فرق الامن .

٢٠٠ ألف دولار فقط دفعتها اسرائيل ثمناً لمخططات الميراج ٣

المهندس «اللص» قضىٰ ٤ سنوات في السجن وشهد أول عرض للطائرة المصنوعة باسرائيل

حتىٰ الآن لم يعرف لماذا قام المهندس الوقور والاب العطوف فراونكنيشت بهذه المغامرة ذات العواقب الوخيمة اذ لانجد في سيرة حياته دوافع لعمل كهذا . لقد انحدر من عائلة فقيرة كان لأبيه محل صغير في طرف المدينة حيث كان يشتري ويبيع الورق القديم والخردة ، لم يهتم بأبنه ورغم ذلك درس فراونكنيشت وأصبح رجلاً جدياً وكان يذهب أيام الاحاد الىٰ الصلاة وايام الاربعاء الىٰ السينما . كان يتوقف في الحانة ليشرب كأساً واحدة من البيرة .

لايمكن ان نعتبر أن دوافعه كانت من اجل الشهرة وأن يظهر اسمه وصورته علىٰ صفحات الجرائد كمجرم مطلوب ، لم يكن بحاجة لأن يثبت نفسه فقد كان مركزه جيداً في شركة سولزيز . كان خبيراً رصيناً في تخصص الطائرات الحربية ومستشاراً لوزير الدفاع وعضواً في لجنة خاصة بالتسلح الحديث للجيش السويسري ، كان يقابل رجالاً مهمين علىٰ الصعيد الدولي ، وكان يسافر كثيراً واعتبر اخصائياً يجب احترام رأيه .

لم ينخرط في هذه المغامرة لاسباب ايديولوجية أو مبدئية رغم ان قادة الموساد يحاولون جاهدين ان يثبتوا ذلك . فلم يكن له شيء مشترك في يوم من الايام مع اليهود أو مع اسرائيل .

كان معروفاً عنه عدم اهتمامه بالسياسة ، لم يكن يهتم ايضاً بالمال ورغم أن الموساد دفعت له مئتي ألف دولار الاّ أن ذلك المبلغ لايساوي تلك المخططات والرسومات للطائرات الحربية من نوع ميراج ، اذ انها تساوي علىٰ الاقل عشرين

مليوناً وأكثر ومع ذلك فقد أشترتها الموساد بسعر زهيد .

لقد وصل الوضع في الطيران الاسرائيلي بعد حرب الايام الستة ، وبعد الحظر الفرنسي لدرجة أن الطيارين رفضوا أن يقودوا طائرات ليست كاملة فنياً ، حيث لم يكن هناك قطع غيار لها لذلك فأن اسرائيل كانت ستدفع أي مبلغ يطلب منها .

لم يبغ فراونكنيشت اكثر . قال أن المئتي الف دولار ليست ثمناً للمخططات بل هي تأمين لعائلته اذا ما حصلت مضاعفات .

كيف سرقت المخططات

خمسة واربعون الف مخطط ووثيقة تساوي حمولة قاطرة حديدية وقد أتخذ قرار ، بتصويرها وفهرستها ضمن برنامج زمني في غضون أثني عشر شهراً . وأوكل فراونكنيشت بالمراقبة كان في المصنع فرق أمن بالاضافة الىٰ الاستخبارات الحربية السويسرية وقد طلب فراونكنيشت مساعدة اثنين من الشرطة العسكرية . واصر علىٰ وجودهما اثناء نقل الوثائق الىٰ محرقة المدينة ويقوم الثلاثة بالتوقيع علىٰ محضر الحرق .

كان لفراونكنيشت أبن عم يدعىٰ جوزيف فراونكنيشت يعمل سائق باص وأستأجر في فينتروب مرأباً في البناية رقم ١٩ في شارع بولمانير ، اشترىٰ باص فيات صغيراً وحصل علىٰ اتفاقية من شركة سولزيز لتزويده بالوثائق من المصنع الىٰ محرقة المدينة .

قدم المهندس فراونكنيشت تفسيراً لرئيس قسم شؤون الموظفين وهو أن العملية سرية يجب أن يكون المشاركون بها موثوقاً بهم ، وسيكون المصور ومساعده تحت رقابة الشرطة وسيقوم فراونكنيشت وحده بشحن المخططات الا انه يحتاج لسائق ثقة ويعتمد عليه فمن سيكون غير ابن عمه جوزيف الذي يعرفه منذ الطفولة ؟

كانت تلك اسباباً مقنعة ، وصادق قسم الامن في الشركة علىٰ الاجراءات المقترحة واعطي الضوء الاخضر للمباشرة في اوائل تشرين أول - اكروبر عام ١٩٦٨ . قبل ذلك طلب المهندس صناديق كرتونية لشركة سولزيز باحجام ١٢٠ ×

٨٠ × ٥٠ سم ولأنها ناسبته ، فقد اشترىٰ لاستعماله الخاص كمية منها ، وعندما وضعها مع جوزيف في المرآب ملأت نصف المكان .

يقال أن السويسريون ليسوا اجتماعيين ولايحبذون [illegible] قيموا علاقة مع أي شخص بل يعيشون في دائرة مغلقة . العائلة والاقارب يقومون [illegible] ملهم بدقة ، غير شكاكين معتادين علىٰ تنفيذ كلامهم ، وقلما يهتمون باشياء الاخرين كان المهندس فراونكنيشت عالماً نفسانياً وخبيراً بموطنيه . لقد اعتمد نجاح الخطة علىٰ الصفات السلوكية للسويسريين .

من الضروري الاشارة الىٰ التحضيرات التي كانت تتم عند الطرف الاخر . مرت فترة طويلة قبل ان يتضح ومن أين كانت تتم مراقبة العملية السويسرية ومن حرسها ومن قادها .

ومنذ فترة وجيزة ظهرت الاثار فقد قررت الموساد لاسباب امنية أن تقود العملية عن بعد وعينوا العقيد ايبل قائداً رغم تظاهر عضو السفارة الاسرائيلية تشيميا كاين وهو في الواقع مقيم الموساد بأنه يقوم بهذا الدور . اهتم بنقل الوثائق وأرسل رجاله الىٰ مناطق التقاطع حيث كانت ستمر الشاحنة وطلب شراء طائرة رياضية سريعة ذات محركين .

ظهر موظف جديد في شركة الاخوة كارل وهانس روتزنيجير الواقعة في القرية الحدودية علىٰ الراين كايسرا أوغست ، كان هذا الموظف يدعىٰ هانس ستيكير . وتبين أنه شاب قوي وكان معه توصية طريفة حيث أنه هرب من جمهورية المانيا الديمقراطية من الشيوعيين وكان هذا يناسب الاخوة روتزنيجير .

كان هانس ستيكير يقوم بكل عمل بشكل جيد صادق رجال الجمارك الذين تعاون معهم كل يوم أذ كان ينقل عبر الحدود بضائع مصنوعة لشركة روتزنيجير كان يضع البضائع في ميناء الراين ويجلس مساء مع اصدقائه ليحدثهم ثم يدفع عنهم ثمن البيرة .

وبعد مدة قصيرة كان واحداً منهم ، وقد سر رؤساؤه في الشركة كثيراً بهذه العلاقات فقد كانت المعاملات علىٰ الحدود تمر بسهولة ولم يعقبوا حركته الا مرة

واحدة فليس هناك غرابة ان يجلس موظفوهم كل مساء في مطعم زوم هيرشين .

تعتمد كثير من العمليات السرية علىٰ الصدفة فاحياناً تنفذ خطط سخيفة ومغامرة للغاية لايقدم عليها عاقل دون أية مشكلة وتفشل احياناً عمليات مخططة بدقة ومحسوبة كل خطواتها علىٰ الكمبيوتر بسبب خادمة ثرثارة .

وقد حاول بعض الكتاب بخاصة في الصحافة الاسرائيلية ان يتحدثوا عن قوة الموساد الاسرائيلية الخارقة والتي لاتهزم ، عملوا دعاية لعملاء تل ابيب السريين بكل وسيلة ممكنة ، وأرادوا أن يهزأوا من الرأي العام العالمي بأنه لايوجد عائق في العالم لايمكن للموساد أن تجتازه .

كان يمكن لعملية الميراج أن تتم في حالة واحدة وهي أن تغمض اجهزة المخابرات في ثلاث دول هي : سويسرا والمانيا الغربية وايطاليا . ولم يكن ذلك شيئاً غير عادي فقد اثبتت هذه الحادثة عن مدىٰ اهتمام الدول الغربية برفع مستوىٰ المجهود الحربي الصهيوني ، فقد حصلت اسرائيل ومنذ نشوئها علىٰ دعم تسليحي من المانيا الغربية . وفي نهاية عام ١٩٦٨ وصل اكثر من ٧٥ في المائة من الاسلحة الحديثة من مصانع السلاح الفرنسية ، ومن أقطار غربية بما فيها الولايات المتحدة الاميركية .

في الطريق الىٰ المحرقة

جهزت أول شحنة من الرسومات والمخططات في ٥ تشرين الاول – اكتوبر عام ١٩٦٨ وكانت تحتوي علىٰ خمسين كيلو غراماً من الاوراق . وخلال اسبوع تم تجهيز صور علىٰ فيلم ٣٥ ملم في المختبر الجديد وبمساعدة افراد وحدة أمن المصنع تم تصوير رسومات ووضعها في صندوقين من الكرتون حيث حملت بسيارة الفيات التي يقودها جوزيف فراونكنيشت وكان يجلس بجانبه أبن عمه الفرد حيث ذهبا الىٰ محرقة المدينة .

توقف الرجلان قليلاً لمدة لاتزيد عن خمس دقائق دخلا في المرآب وهناك غيرا الصناديق التي تحتوي علىٰ الرسومات الحقيقية بصناديق مشابهة .

وكان بأنتظارهما في المحرقة رجل كبير في السن بلباسه العسكري ، كان موكلاً

باجراء مراقبة اخيرة اعطىٰ الفرد أمراً لابن عمه بفتح الصناديق نظر في داخلها حيث رأىٰ ختم «سري جداً» أشار بيده فتقدم عامل المحرقة ووضع الصناديق علىٰ عربة وقام بأحراقها امام اعين الجميع في الفرن الكهربائي ، ثم وقع الموجودون محضراً علىٰ أنها اتلفت .

فكر المهندس فراونكنيشت بكل تفاصيل الخطة كان يغير الصناديق بالكراج ، بصناديق اخرىٰ مشابة ، فهل كان يعتقد أن أحداً لن يقوم بتفتيشها ؟

ورد في بعض الاخبار أن الصناديق المزورة كانت تحتوي علىٰ أشياء مختلفة ذات وزن مشابه ، لكن ذلك ليس صحيحاً فلم يكن المهندس فراونكنيشت ليترك شيئاً للصدفة فقد ذهب الىٰ بيرن وتوقف هناك عند أحدىٰ الشركات التي تتلف الورق واشترىٰ . رسومات قديمة وكان ابن عمه يذهب اسبوعياً لاحضار الكمية المطلوبة ثم يقوم الاثنان ، بوضعها في الصناديق ، ويختما السطح بختم – سري جداً – وبما أن العملية كانت تتكرر كل اسبوع فلم يخطر ببال أحد ان تفتش الاوراق بخاصة أنه كان يرافق الشحنة المهندس شخصياً كل اسبوع .

الفصل الاخر من العملية

كان الفصل الاخر من هذه العملية يتم دائماً يوم السبت حيث يحضر جوزيف في الصباح الباكر الىٰ الفريد ويذهبان الىٰ القرية الحدودية كايسرا أوغست التي تبعد خمسين كيلو متراً حيث يوجد حصن روماني كان يحمي الامبراطورية من الجرمانيين ، أما اليوم فأن الافاً من السواح يذهبون هناك للتمتع بالفن المعماري القديم وبذلك فأن سيارة واحدة لايمكن أن تثير أي انتباه .

التقىٰ المهندس ولأول مرة بعميل الموساد هانس ستيكير وحصل منه علىٰ مفتاح لمخازن شركة روتزنيجير حيث دخلت سيارة الفيات البوابة وافرغ الفريد وجوزيف الصناديق ثم اغلقا البوابة وذهبا .

في طريق العودة توقفا في مطعم زوم هيرشين حيث انتظرهما هانس ستيكير لم يتكلما معه ، شربا البيرة واعطياه اشارة متفقاً عليها بأن كل شيء علىٰ مايرام . بعد أن

دفعا الحساب وخرجا نهض ستيكير ايضاً وخرج جلس في سيارة مرسيدس ، سوداء وانطلق الىٰ مخازن الشركة وضع الصناديق في سيارته ثم عبر الىٰ المانيا الغربية حيث كان يسكن في بلدة زاينفيلدين لم يوقفه رجال الجمارك ابتسموا له واشاروا له بالتحية فقد كان صديقهم وزبونهم الدائم ، وعدا عن ذلك فأن الرسومات الفنية معفاة من الجمارك فلم يكن هناك ما يخافه .

لم يذهب يوم السبت الىٰ البيت مباشرة زاد سرعة السيارة وانطلق بحمولته علىٰ الاتوستراد الىٰ شتوتغارت وقبل وصوله اليها ببضعة كيلو مترات انعطف الىٰ مطار صغير حيث كان بانتظاره طيار بطائرة صغيرة حملت الصناديق وانطلقت ثم عاد هانس الىٰ بيته .

الىٰ ايطاليا ثم الىٰ اسرائيل

هبطت الطائرة بعد ذلك في بريندیس الايطالية وجاءت سيارة خاصة ذات لوحة ارقام ايطالية ، حمل سائقها الصناديق ووضعها في سيارته وحملها الىٰ طائرة البوينغ التابعة للخطوط الجوية الاسرائيلية العال ، التي كانت علىٰ أهبة الاستعداد للانطلاق ، وفي نفس اليوم وصلت الحمولة سالمة الىٰ تل ابيب وكان ذلك في الخامس من تشرين الاول – اكتوبر – عام ١٩٦٨ ، أما أخر شحنة سلمها المهندس كانت في ٢٠ ايلول – سبتمبر عام ١٩٦٩ . واثناء تلك الفترة كان كل شيء يسير علىٰ مايرام ، فلم يكن هناك أي خطر يتهددهم وكانت اجراءات الشرطة العسكرية وموظفو الامن تتكرر بشكل روتيني حتىٰ الشحنة الاخيرة حيث أرسل القدر رجلاً مجهولاً مع كلبه .

وصل الفريد وجوزيف بلدة كايسرا أوغست ككل يوم سبت في حوالي الساعة العاشرة صباحاً ، وضعا الصناديق التي تحتوي علىٰ الرسومات في المخزن ، اغلقا الباب وذهبا ليجلسا في مطعم روم هيرشين ، واعطيا هانس ستيكير الاشارة المعهودة بأن كل شيء علىٰ مايرام ..

بالغرفة السويسرية المشهورة كان هناك رجل عجوز يخرج حوالي الساعة الحادية

عشرة . وانتبه عدة مرات أنه في يوم السبت أي يوم العطلة يذهب الىٰ مخازن شركة روتزنيجير موظفها وبانتظام ويقوم بتحميل ونقل الصناديق الكرتونية .

كايسرا أوغست بلدة صغيرة حيث يعرف الجميع بعضهم البعض فابلغ العجوز أحد الاخوين روتزنيجير بما رآه وليس مؤكداً أنهم جاؤوا مصادفة أو عن عمد في يوم السبت ٢٠ أيلول – سبتمبر قرب المخازن لكن المؤكد ان هانس ستيكير كان يحمل الصناديق .

حول مجرىٰ الاحداث التالية هناك روايتان . الرواية الاولىٰ تقول بأن هانس قفز الىٰ السيارة وترك الصناديق واصحاب الشركة في المخزن وعبر الحدود بدون أية صعوبة واختفىٰ ، حيث لم يظهر بعد ذلك . وبعد سنة أو أثنين تبين أنه يهرب من المانيا الغربية وأنه لايدعي هانس ستيكير بل أنه عميل اسرائيلي مدرب في الموساد .

أما الرواية الثانية فهي اعقد لكنها مثل الاولىٰ ليست محبوكة بشكل جيد فقد أمسك الاخوة روتزنيجير بموظفهم وهو يملأ الصناديق بالرسومات التكنولوجية وتختم بختم سري جداً . لم يفقد العميل رباطة جاشه فقد انتحىٰ برئيسه جانباً واسر له بأن هناك عملية سرية لوزارة الدفاع تجري تحت اسم عميلة اوسكار وأن الدوائر الامنية أوكلت له مراقبة النقل ولايستطيع أن يخبره اكثر من ذلك . واذا ارادوا فأنه مستعد لأن يحضر لهم يوم الاثنين ورقة اثبات كلامه . وافترقوا بناء علىٰ ذلك جلس هانس ستيكير في سيارته ولم يظهر مرة أخرىٰ .

ولزيادة التأكيد رأىٰ الاخوة روتزنيجير المخططات وعندما ادركوا انها رسومات لقطع الطائرات المقاتلة من نوع ميراج المصنوعة في شركة سولزيز في فينتروب ابلغوا مديرية الشرطة بذلك ثم ذهبوا الىٰ بيوتهم واكتشفت الشرطة مايجري وابلغت بيرن فوراً حيث بدأ التحقيق .

أخطـاء

أرتكبت المخابرات السرية الموساد والتي وقع عليها المهندس فراونكنيشت من السماء اخطاء كثيرة اثناء تنفيذ العملية وبمحض الصدفة لم يكتشف امرهم خلال

تلك الاشهر . فبواسطة البنك السويسري أرسل من تل ابيب مبلغ ثمانمائة وستون ألف فرنك سويسري الىٰ حساب المهندس فراونكنيشت موظف مصانع الاسلحة . وهذا مبلغ كبير يثير الريبة . رغم أنه كان لديهم وسائل اخرىٰ متعددة غير مكشوفة كأن تدفع نقداً أو ترسل الىٰ حسابه في البنك في مدينة ليختيشتاين حيث البنوك معتادة علىٰ اخفاء المعاملات المالية للشركات أو للافراد من كل انحاء العالم .

اما الخاطأ الثاني فقد كانت طريقة النقل المعقدة . فبمحض الصدفة فقط لم يتم اكتشافها خلال كل تلك الفترة اثناء نقلها المعقد الىٰ الاراضي الالمانية وحتىٰ فكرة فراونكنيشت حول تبديل مخططات الميراج بمخططات اخرىٰ خرجت من حيز العمل بها منذ خمسين سنة في مكاتب بيرن لم تكن الا فكرة هاو مبتدئ .

كان من السهل عمل صور مصغرة تتسع لها حقيبة صغيرة يحملها اي دبلوماسي وعندما انفضحت الحادثة تبين ضعف الموساد التي لاتقهر ، لكن أصبحت الوثائق الفنية في اسرائيل وبدأت شركة صناعة الطائرات بادارة مديرها بيدر بصناعة الطائرات الاسرائيلية من نوع ميراج وسميت في اسرائيل بأسم كفير .

كان المهندس فراونكنيشت يملك اعصاباً حديدية . فقد عاد من كايسرا اوغست الىٰ فينيرتور حيث الجو العائلي ، في فترة الغداء قرع جرس الهاتف لم يفصح المتحدث عن اسمه ، وعندما تأكد أنه يتحدث مع فراونكنيشت قال جملة واحدة باللغة الانكليزية «ذبلت الورقة» ووضع السماعة .

كانت تلك اشارة تحذير متفقاً عليها وتبين للمهندس فراونكنيشت ان أمره قد انكشف وانهم قد وشوا به ، كان لديه وقت كاف ليركب الطائرة أو السيارة ويلتجئ الىٰ زمرته لكنه لم يفعل ذلك ، بقي هادئاً ولم تلحظ زوجته شيئاً جلس مساء امام التلفزيون وانتظر ان يظهر شيء في الاخبار ، استمع للراديو ولم يعلن شيئاً . القىٰ نفسه علىٰ السرير لينام ، وذهب يوم الاثنين الىٰ عمله كالمعتاد ، وعلم انهم اكتشفوا امره ، ولكنه دهش لأن الشرطة لم تكن في انتظاره وتكونت لديه قناعة بأن الذي اكتشف امره هو قسم مكافحة الجاسوسية في بيرن ولأسباب مجهولة يلتزمون بالصمت .

لم يكن ذلك تقديراً عشوائياً . فقد افترض ان الدوائر السويسرية ليست مع نشر هذه الفضيحة لأنه سيكون لها عواقب وخيمة في السياسة الخارجية ، ولم تكن الحكومة السويسرية راغبة باساءة العلاقات مع جيرانها الفرنسيين ولم يحصل شيء من هذا لكن فراونكنيشت اكتشف ذلك بعد يوم واحد . اتصل هاتفياً بوزارة الدفاع حيث له هناك معارف كثيرون . وحاول بكل جهده ان يكتشف فيما اذا كانوا يعرفون بالحادثة ، أراد ان يعرف رسمياً لكنهم لم يقولوا له شيئاً . فأما انهم لم يعرفوا أو انهم ارادوا التزام الحياد والصمت .

مر يوم الاثنين دون أن يحصل شيء وتأكد المهندس فراونكنيشت أن كل شيء سيمر بسلام ، وفي اليوم التالي يوم الثلاثاء لم يذهب الىٰ العمل ذهب مباشرة الىٰ مطار زيورخ حيث كان مقرراً عقد اجتماع استشاري علىٰ اعلىٰ مستوىٰ لمناقشة خطط وزارة الدفاع لاستبدال طائرات الميراج جلس بين الاخوين ، لم يلحظ شيئاً علىٰ احد وكان هادئاً وافتتح الرئيس المباحثات .

الاعقتـــال

في الساعة العاشرة وعشرين دقيقة دخلت سكرتيرة الىٰ القاعة انحنت وهمست في اذن فراونكنيشت بأن خمسة رجال لاتعرفهم ينتظرونه في الخارج اعتذر بنظرة من الرئيس وخرج ، كان قائد الشرطة الجنائية الفيدرالية قد نصب له الفخ وساعد ممثلو وزارة العدل ومكافحة الجاسوسية علىٰ الصمت .

بقي الفريد فراونكنيشت في غرفة التحقيق مدة اثني عشر شهراً ، وفي ٢٣ ، نيسان عام ١٩٧١ حكم عليه بالسجن لمدة اربع سنوات ونصف ، وقد بررت المحكمة العليا قرارها اللين ذلك اضافة الىٰ اشياء اخرىٰ بقراءة التقرير السري عن الموظف المحترم الفريد فراونكنيشت .

كان مواطناً صادقاً وزوجاً مثالياً وموظفاً موثوقاً به ومحترماً في مجال عمله لم يشرب كثيراً كانت هوايته الوحيدة هي الحديقة حيث كان يقضي نهاية الاسبوع ، كان بيته بسيطاً وقد يعمل محرك اثار ٩ للميراج ٣ عام ١٩٦١ ولم يكن لدينا أي مبرر

للاشتباه .

اقتيد المحكوم الىٰ السجن وطلب من الملحق العسكري الاسرائيلي في بيرن العقيدتسفي الون ان يغادر البلاد فوراً واعلنت وزارة الخارجية أن الجنرال تشيميا كاين الذي غادر الىٰ تل ابيب شخص غير مرغوب به وبقي أسم هانس سَيتكير الذي يسكن في راينغيلدين في المانيا الاتحادية علىٰ القائمة السوداء حتىٰ اليوم .

في صيف عام ١٩٧٦ وفي مطار تل ابيب تجمع عدد كبير من الرسميين من بينهم ممثلو الهيئات الديبلوماسية والملحقون العسكريون . فقد عرض الطيران الاسرائيلي لأول مرة الطائرة الحربية الجديدة «كفيرسي» التي تطير بسرعة ٢٫٣ ماخ ذات محرك من جنرال موتور جي – ٧٩ وكان بين المدعوين رجل شاحب غير مثير للانتباه هو المهندس فراونكنيشت .

وقد كانت معه زوجته . طلبت شركة صناعة الطائرات الاسرائيلية من منظمي معرض الطيران لعام ١٩٧٦ في باريس اذنا بعرض طائراتها الجديدة كفير سي ٢ وقد تسلم الطلب الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان شخصياً لكنه رفض ذلك بدون ابداء الاسباب .

وفي النهاية ظهرت طائرات كفير سي ٢ في الفضاء الفرنسي بعد سنة في معرض الطيران المقام في «لي بورجيه» وكان بين الحضور مرة اخرىٰ نفس الرجل مع زوجته ببذلة سكنية فاتحة يجلس علىٰ المنصة ، هذه المرة لم يكن شاحباً كما كان في تل ابيب قبل سنة حيث نقله عملاء الموساد بعد خروجه من السجن .

الفهـــــرس

الموضـــوع	الصفحة
المقدمـــة :	٣
عميل في مكتب بن غوريون .	٤
«الموساد تشتري أسماء وسير بعض الافراد وتضع من عملائها شخصيات بديلة» .	
المخابرات المصرية تتدخل وتخطف اثنين من رجال الموساد .	١٩
سرقة ٢٠٠ طن من اليورانيوم بالباخرة شيريورغ من بلجيكا الى حيفا .	٣٢
معركة بين المخابرات المصرية والموساد في «أنتويرب» انتهت بـ ٦ قتلى .	
خطط برنادوت كانت ستجعل مساحة اسرائيل ٦ آلاف كلم٢ ولذلك كان يجب أن يموت .	٤٤
اغتيال اللورد موين في القاهرة .	٥٤
عصابة شتين تقتل وزير الشرق الاوسط البريطاني لانه كان مناوئا للصهيونية .	
شرطي مصري يطارد القاتلين فيصيب أحدهما ويقتل الثاني	٥٩
بالتعاون مع المارة .	
بيغن قاد العملية بنفسه ولكن الوثائق ظلت سليمة .	٦١
عملية الرعد ... والبرق في مطار عينتيبي .	٦٨
مجموعة من منظمة بادر ماينهوف تخطف طائرة وتطلب إطلاق سجناء بإسرائيل .	
الموساد يتحرك لحضة إعلان نبأ الاختطاف .	
عملية الرعد والبرق في مطار عينتيبي .	٧٦
تسجيل للمكالمة الهاتفية بين العقيد بازليف وعيدي أمين .	
عيدي أمين يترأس المباحثات مع الخاطفين .	
اسرائيل توافق على مفاوضة الخاطفين بواسطة فرنسا وتخطط لعملية سرية .	
مجموعة من الموساد تتوجه الى كينيا وتتسلل الى أوغندا .	
عملية الرعد والبرق في مطار عينتيبي .	٨٥
اسرائيل تراوغ لاكتساب الوقت وتقيم مركزاً في نيروبي وترسل حاملة صواريخ لساحل افريقيا الشرقي .	

الموضـــوع

	الصفحة
الموساد يقيم نموذجا لمطار عينتيبي في النقب ويصنع دمية طبق الاصل عن عيدي أمين .	
عملية الرعد والبرق في مطار عينتيبي .	
عيدي أمين يحذر پارليف من المخاطرة بحياة الرهائن .	٩٤
إتفاق اسرائيلي كيني للحصول على تسهيلات خاصة في مطار نيروبي .	
كيف نفذت اسرائيل عملية مطار عينتيبي .	
الموساد تذيع معلومات مشكوك بصحتها عن مراحل العملية .	١٠٤
عملية الرعد والبرق .. كانت عدوانا على أوغندا .	
كينيا كانت على علم بتفاصيل العملية وسهلت لاسرائيل احتياجاتها في المطار .	١١٢
فضيحة لاڤون .	
شاب يحترق على مدخل سينما الريو .	١٢٢
مسحوق اصفر ... كان مفتاح اكتشاف مخطط تخريبي اسرائيلي في مصر .	
هدف المخطط كان إثارة عداء اميركا وبريطانيا لمصر .	
جريمة قتل تكشف السر الكبير .	
من أغرق السفينة المحملة باليهود في مياه البوسفور .	١٣٥
عمليات نقل اليهود الالمان الى فلسطين وصفقة أيخمان مع الصهيونية لبيع مليون يهودي .	
حكاية حب في بوينس آيريس كشفت مكان وجود «أيخمان» .	١٣٩
رجل في شارع غاريبالدي «معلومات للموساد» .	١٤٥
نقلوا إيخمان الى طائرة العال بجواز اسرائيلي وتقرير طبي .	١٥٦
لماذا لم تبلغ عائلة إيخمان الشرطة الارجنتينية عن اختطافه .	١٦٧
الخطأ القاتل (١)	
الخطأ القاتل (٢)	١٨٠
الخطأ القاتل (٣)	١٩٤
الخطأ القاتل (٤)	٢٠٦
الخطأ القاتل (٥)	٢١٧
الخطأ القاتل (٦)	٢٣٠
الجاسوس الذي عشق الخيل (١)	٢٤٢
	٢٥٥

الموضـــوع

	الصفحة
اسرائيل تشن حربا ارهابية ضد العلماء الالمان الذين تعاونو مع مصر في برنامج الصواريخ .	
الجاسوس الذي عشق الخيل (٢)	٢٦٧
عميل سابق في المخابرات المركزية يزود مصر باحتياجاتها من المواد الاولية ويزود الموساد باسرار برنامج الصواريخ .	٢٧٨
الجاسوس الذي عشق الخيل (٣)	
المخابرات الامريكية تزود الموساد باسرار تجارب الصواريخ المصرية .	٢٩٠
عميل في دمشق (١)	
الياهو كوهين يتحول الى كمال ثابت .	٣٠٢
عميل في دمشق (٢)	
كوهين وصل الى حيفا من مصر وبدأ رحلة التدريب الشاقة ليصبح جاسوسا .	٣١٣
عميل في دمشق (٣)	
ارادوا توظيفه كعميل في اميركا الاتينية لكنه اصر على العمل في الدول العربية .	٣٢٥
عميل في دمشق (٤)	
كوهين في بوينس ايريس ليهيء شخصيته الجديدة التي يتقمصها .	٣٣٧
عميل في دمشق (٥)	
اشتباك على الحدود السورية ــ الاسرائيلية ومعلومات عن ضعف الطيران السوري .	٣٤٥
عميل في دمشق (٦)	٣٥٤
عميل في دمشق (٧)	
اقتحام منزل الجاسوس واعتقاله بالجرم المشهود .	٣٦٠
سرقة القوارب في ميناء شيربورغ (١)	
حظر ديغول تزويد اسرائيل بالاسلحة والمعدات فسرقت الموساد (٥) قوارب بالتواطؤ مع عملاء .	٣٦٨
سرقة القوارب في ميناء شيربورغ (٢)	
بعد حظر تصدير السلاح الفرنسي . اسرائيل تحول صفقة القوارب الى شركة نرويجية (عملية) يملكها يهود	٣٧٥
سرقة مخططات الميراج ٣	
٢٠٠ الف دولار فقط دفعتها اسرائيل ثمنا لمخططات الميراج ٣	٣٨٤